

927
ليبيا هبة التصوف
مركز العلامة الليبي أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية
The encyclopedic Libyan Scholar Ahmad al-Katt'ani Center for Sufi Studies and Research
المؤتمر الدولي عن
العلامة الليبي
د. أحمد القطعاني
2018 - 1956
الدورة الثانية لعام 2020م
العلامة القطعاني وجهوده في خدمة السنة الشريفة
الدورة الثالثة لعام 2021م
علم الأثبات والمشيخات والفهارس
ودور ثبت "أوبة المهاجر وتوبة الهاجر"
في استمراره
تحرير وتقديم
أسامة علي بن هامل
منشورات مركز العلامة الليبي أحمد القطعاني
للثقافة والدراسات الصوفية
ليبيا - طرابلس


المؤتمر الدولي عن
العلامة الليبي
د. أحمد القطعاني
2018 - 1956



الدورة الثانية لعام 2020م

العلامة القطعاني وجهوده في خدمة السنة الشريفة

الدورة الثالثة لعام 2021م

علم الأثبات والمشيخات والفهارس

ودور ثبت "أوبة المهاجر وتوبة الهاجر" في استمراره

تحرير وتقديم
أسامة علي بن هامل



المؤتمر الدولي عن العلامة الليبي أحمد القطعاني

(الدورة الثانية والثالثة)

الطبعة الأولى

2022م

رقم الإيداع القانوني

الترقيم الدولي

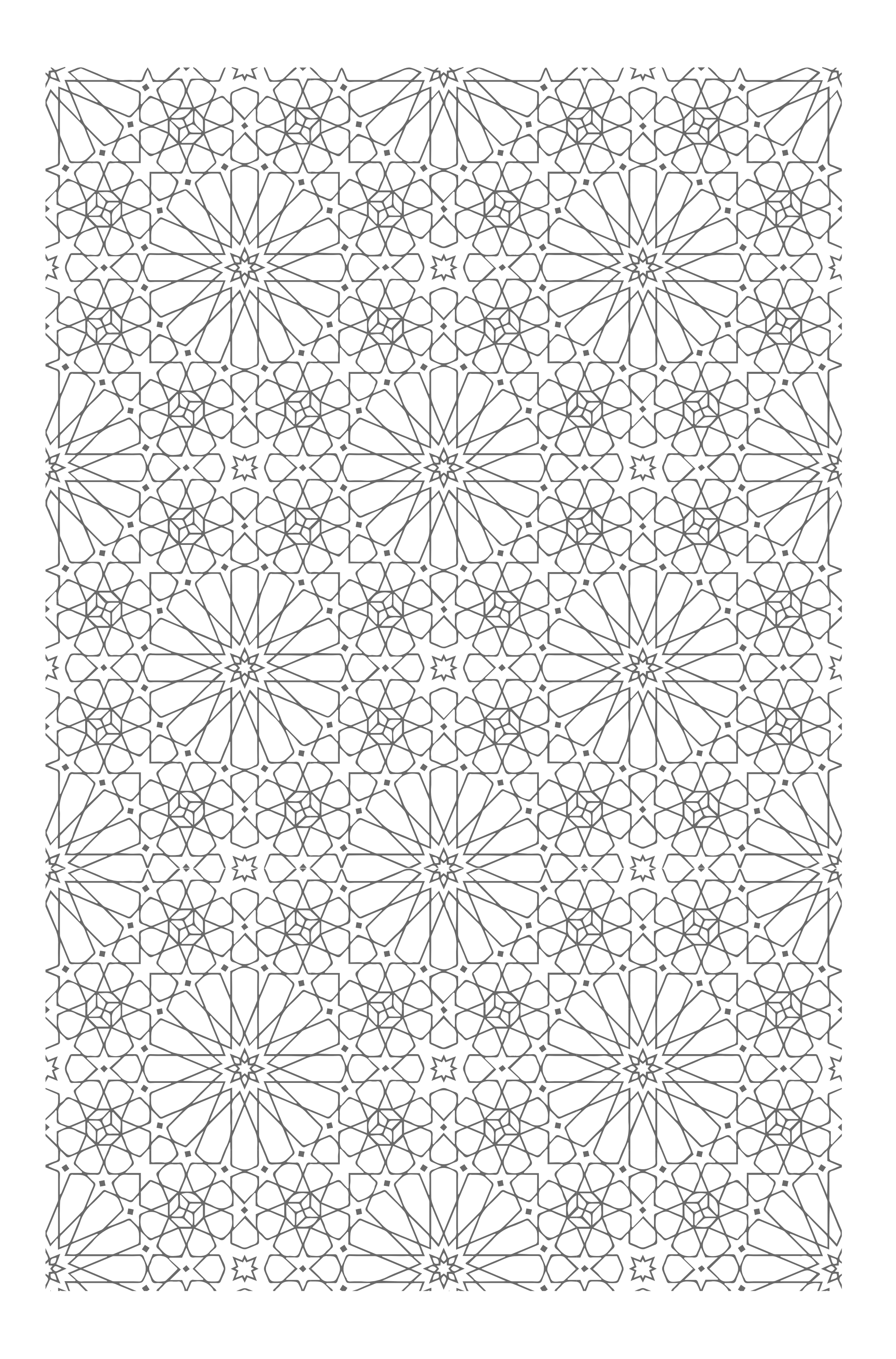
منشورات مركز العلامة الليبي الشيخ أحمد القطعاني

للثقافة والدراسات الصوفية

طرابلس- ليبيا

Email : m.almostager@gmail.com





بين يدي الكتاب

كلمة رئيس مركز العلامة الليبي الشيخ أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية

أ. أسامة علي بن هامل



تُعَدُّ علوم السنَّة النبويَّة الشريفة، رواية ودراية، فهما وعُمقا، من العلوم التي عُنيَ بها العلامةُ الشيخُ أحمد القطعاني، وأولاها جهودَه بتدريسِها والتأليفِ فيها، وعقد لها مجالس السماع، سائراً في ذلك على نهج الأوائل من أئمة السُّنة والحديث والمشتغلين بالإسناد من الأمة.

وكانت مؤلفاته وجهوده فيها تسير في اتجاهين بشكل متواز:

تجديدا؛ بإحياء هذا العلم وفروعه، فقد جاهد وأنفق من عمره المبارك لتوثيق أسانيد علوم الحديث في البلاد الليبية وإعادة ما هاجر منها إلى خارج البلاد لعقود وقرون، ومن ثم توطينها مجدداً، بعقد مجالس سماع كتب الحديث والإجازة فيها، وألف لذلك العديد من الأثبات، وإن كان أكبرُها ثبتَه الموسومَ بـ«أوبة المهاجر وتوبة الهاجر».

كما وثَّق وترجم لأعلام الحديث في البلاد، فلا نجد كتاباً من كتبه إلا ويؤرخ فيه لهم ويتتبع آثارهم وأسانيدهم، بدءا بالطبقة الأولى في المدرسة الحديثية الليبية، وهم طبقة الصحابة الذين دخل بعضهم لليبيا واستوطنها، خصوصاً في كتابه «الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة».

وأسّس في الاتجاه لمشروع خاص بتناول السادة الصوفية للحديث النبوي الشريف، وكيفيّة تعاملهم مع السنّة النبويّة، تمثل في نظرية «الحديث التربوي» قعد لها وشرحها وبسط الحديث عنها بجملة من التطبيقات في مقدمة «الأوبة»، كما اهتم بشكل كبير باعتماد قراءة ومدارسة كتب الحديث الشريف كأحد أهم أوراد طريقته العيساوية الشاذلية، كما بين ذلك في كتابه «الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسىٰ الغوث».

وصنف في الأربعينات، كما في كتابيه «إجارة الشيخ القطعاني في الأربعين القادرية»، و«الأربعون العيساوية»، وفي الاستخراجات كاستخراجه للعديد من المسلسلات، ومنها: «المسلسل بالليبيين»، و«كرائم المسلسلات»، و«غنائم المسلسلات»، كما استخرج أسانيد ليبية للعشرات من الكتب والمتون الحديثية، ومنها: سماع ليبي لصحيح البخاري، وسند ليبي في «ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري».

ودفاعا؛ حيث اختار في هذا المسلك طريقة خاصة للذود عن سنة النبي ﷺ، بتنقيتها ومراجعتها؛ فدرس وبحث العديد من النصوص الحديثية بعرضها علىٰ القرآن وصحيح السنة والواقع، كما في بحوثه حول حديث سحر النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وحديث الفرقة الناجية، وحديث «لا وصية لوارث»، وغيرها.

وشارك في التصنيف في سيرة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وأبرز أعماله فيها كتاباه: «خصائص السيرة النبوية الشريفة»، و«موسوعة الأشراف - رؤية جديدة للسيرة النبوية»، واعتنىٰ بضبط وتصحيح «مولد البرزنجي» أشهر متون السيرة النبوية، ووصله بأسانيده إجازة وسماعا.

لكل هذا قرر المركز تخصيص دورتين من المؤتمر الذي يعقده سنويا عن الشيخ القطعاني، عن جهوده في هذا الجانب، بعد أن جاءت الدورة الأولىٰ، التي انعقدت عام 2019م، لبحث جهوده بشكل عام في كل المجالات.

فانعقدت الدورة الثانية في الذكرىٰ السنوية الثانية لوفاته، رحمه الله ورضي عنه، يوم 17 / 11 / 2020م، بطرابلس تحت عنوان: (**العلامة القطعاني وجهوده في خدمة السنة الشريفة**)، بينما انعقدت «الدورة الثالثة» في الذكرىٰ السنوية الثالثة لوفاته، رحمه الله ورضي عنه، يوم 17 / 11 / 2021م، بطرابلس أيضا، تحت عنوان: (**علم الأثبات والمشيخات والفهارس ودور ثبت «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» في استمراره**).

وإن كانت فعاليات الدروتين قد انتهت، فإن آثارهما العلمية لا ينبغي أن تنتهي بانتهائها، بل يجب أن تستمر محفوظة متاحة للنفع والاستفادة لكل مهتم وباحث وعالم، في الحاضر وفي اللاحق، ولذا انصب جهد المركز علىٰ فحص الأبحاث المشاركة في الدورتين، واختيار الجاد والأصيل منها، وما يتوفر علىٰ إضافة معرفية، ثم العمل علىٰ طبعها ونشرها في مجلد واحد، وإن كانتِ الدورتان منفصلتين إلا أنَّ وحدة مضمونهما جعلت جمعها في مجلد واحد أكثرَ نفعا.

ويضم هذا المجلد ما يقارب الثلاثين بحثا، عالجت وناقشت وبينت عناية الشيخ القطعاني بالسنة الشريفة وعلومها المختلفة والعديدة، تأليفاً وجمعاً وبحثاً ودرساً وتدريساً، كما تضمن بحوثا أخرىٰ حول عناية أعلام الإسلام المعاصرين للسنة وعلومها أيضا، ومنهم: الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني المغربي، والإمام سعد جاويش، رحمات الله عليهم جميعا.

وقد برهنت هذه البحوث على أن السنة النبوية الشريفة لا خوف عليها، فعلماء الأمة لم يتوقفوا عن تعهدها بالعناية وبذل الجهود لإبلاغها لمن بعدهم، والدفاع عنها في عصورهم، وأن الإسلام بخير ما دامت جهودُهم متواصلةً يصل فيها اللاحقُ السابقَ وينسج على منواله، ويطور ويناقش ويشرح ويجمع ويدرُسُ ويُدَرِّس.

وإذ نتحف القراء بهذا المجلد، فإننا نأمل أن نكون قد قمنا بدورنا تجاه علوم هذا الإمام الكريم، والجهبذ العظيم، وإخوانه من علماء عصره، برجائنا من الله العزيز القدير أن يوفقنا لخطوات أخرى متلاحقة، حتى نبلغ علومه وعلوم إخوانه من العلماء -رضوان الله عليهم جميعًا- لمن بعدنا، فالعلم يجب أن يتواصل جيلا بعد جيل.

وأخيرا، لا يسعني إلا أن أشكر كل من أسدى خدمة للمؤتمر في هاتين الدورتين، وإلى جميع الباحثين، وإلى جميع من تعاون معنا من الأساتذة أو الرعاة أو اللجان المشرفة، خصوصا السادة:

الشيخ زين العابدين أحمد القطعاني.

الشيخ محسن العوكلي.

الشيخ الرفاعي أحمد القطعاني.

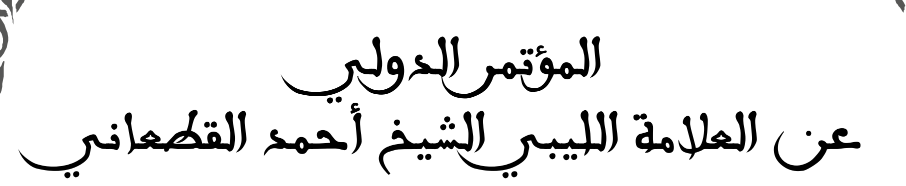
الشيخ محمد سلام.

الذين كانوا قوام وعماد المؤتمر في دوراته الثلاث، ولولاهم ما نجحت، فنسأل الله أن يجازيهم خير الجزاء عن هذا الإمام وعلومه وفهومه وطريقته ودعوته.

والسلام

طرابلس، 28 جمادي الأولى 1443هـ

الموافق 1 / 1 / 2022م



المؤتمر الدولي
عن العلامة الليبي الشيخ أحمد القطعاني

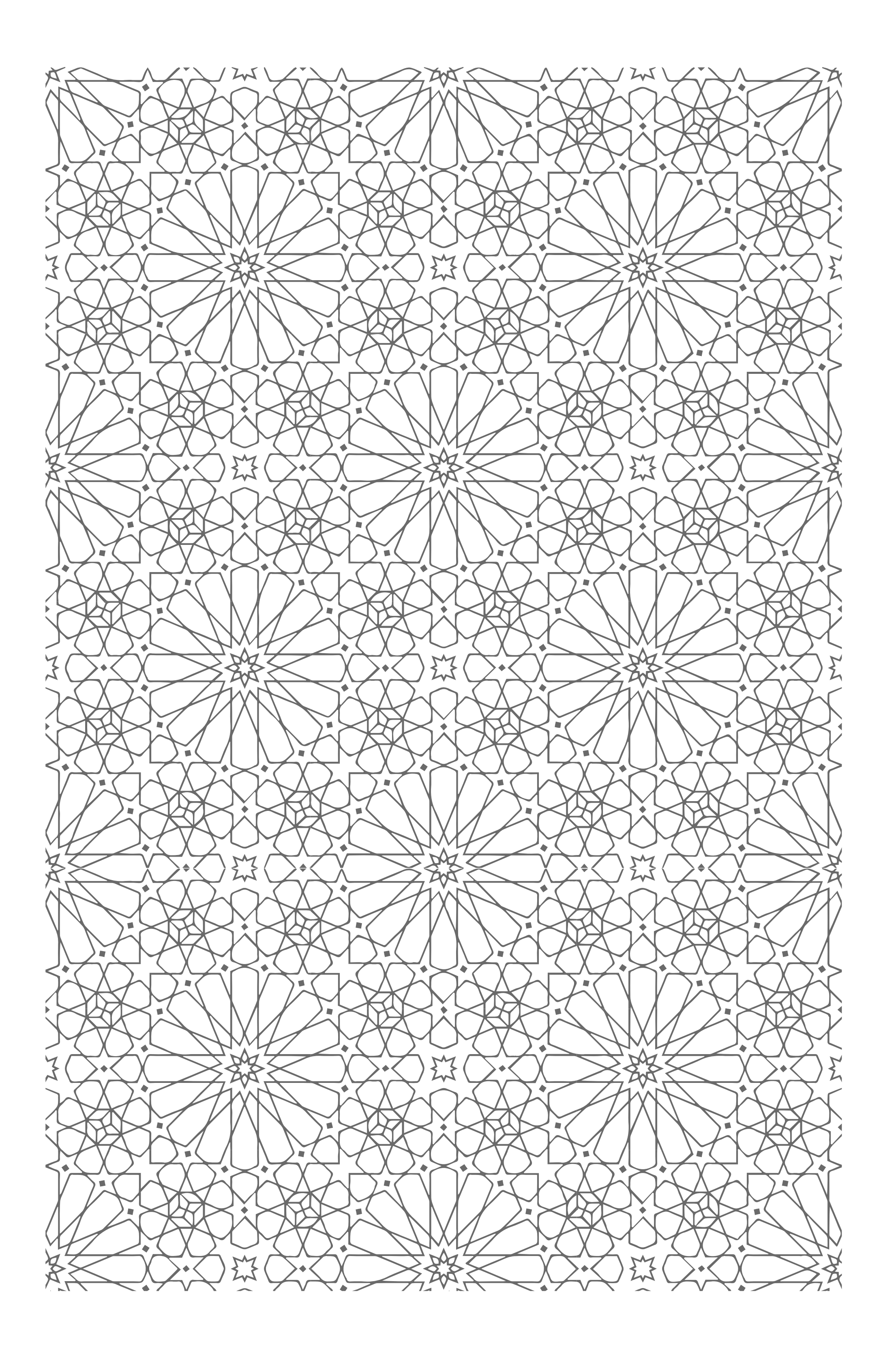
الدورة الثانية

(جهود العلامة القطعاني في خدمة السنة الشريفة)

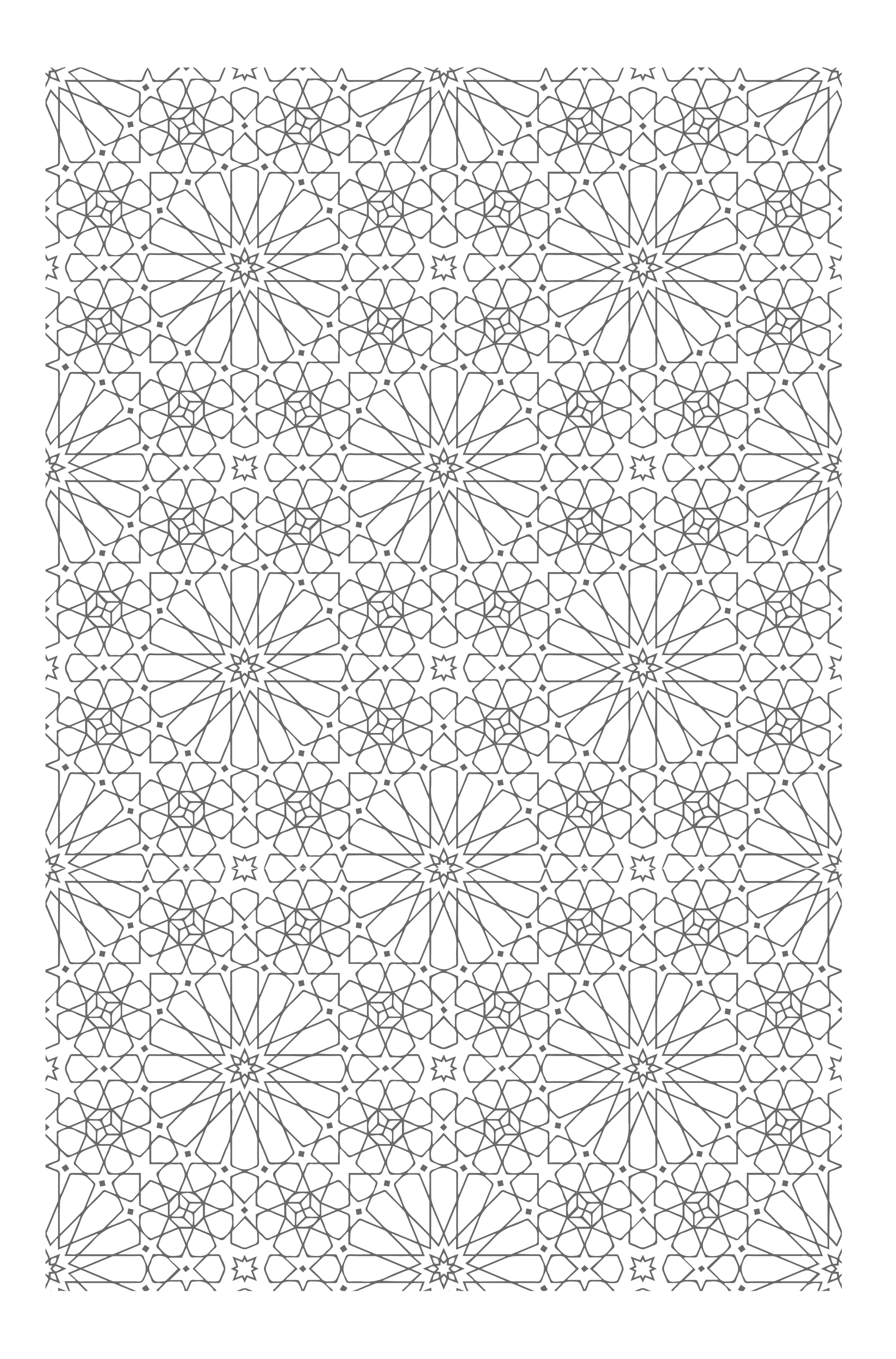
طرابلس

الثلاثاء، 2 ربيع الآخر 1442هـ

17 نوفمبر 2020م



فهرس الدورة الثانية



كلمة الأزهر الشريف

سماحة الشيخ العلامة الداعي إلى الله

أ.د جمال فاروق الدقاق



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي صاحب جوامع الكلم من تفجرت من قلبه علوم الأولين والآخرين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

نبعث إليكم جميعا بهذه المناسبة السارة، وبهذا المؤتمر العلمي الإسلامي العظيم، في الديار الليبية، نسأل الله ﷻ أن يفرج كربها، وأن يجمع شملها، وأن يجعلها بلاداً آمنة مطمئنة سخية يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يوفق الحاضرين في هذا المؤتمر، لخدمة الإسلام والمسلمين، ولبيان معنى التصوف الصحيح الذي هو مقام الإحسان، كما جاء في حديث المصطفى ﷺ (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

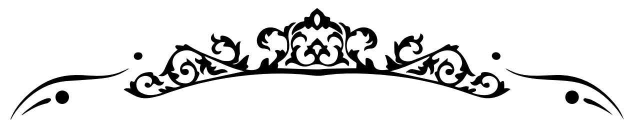
وفضيلة مولانا الشيخ العلامة أحمد القطعاني رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وبارك في علومه وبارك في جهوده، فإنه خدم التصوف خدمة عظيمة ونقى الشوائب

ورد الشبه، ومن أجمل ما قرأنا لهذا العالم الجليل، وهذا الإمام الفاضل، كتابه: «الحجة المؤتاه في الرد علىٰ صاحب كتاب إلىٰ التصوف يا عباد الله»، فهذا الكتاب ردٌّ علىٰ صاحب كتاب: «إلىٰ التصوف يا عباد الله»، يجلي العلامة القطعاني فيه ويوضح الحقيقة، ويبين أن حقيقة التصوف إنما هي تمثل الإسلام الحنيف.

نبين في هذه الكلمة ونوضح ما يريده الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من هؤلاء الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم في سابق علمه، في قوله سبحانه ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبشر عباده بكل ما ينفعهم وما يسرهم وما يحقق لهم الآمال، حيث نتبع سبيل الرشد ولا نتبع سبيل الغيب، ونجلي ونوضح للناس حقيقة الحقائق، وأنه لا وصول إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا باتباع نهج الأولياء والصالحين وأهل المحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولرسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والصوفية -رضي الله تعالىٰ عنهم- يمثلون هذا الجانب أروع وأعظم تمثيلٍ، حيث إنهم أناس اختارهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واجتباهم الله ﴿يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾، -والتصوف في الحقيقة- إنما هو كما قال الإمام الشيخ زروق رضي الله تعالىٰ عنه، دفين مدينة مصراتة، هذا الإمام العالم التقي الورع، قال: إن التصوف في جميع جوانبه واجتهاده واتجاهاته وتعاريفه إنما يدور علىٰ معنىٰ واحد، وهو صدق التوجه إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما جميع الجوانب والتعاريف الأخرىٰ وجوه لبيان حقيقة التصوف.

فأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفع بمؤتمركم هذا، وأرجو منكم تبليغ سلامنا إلىٰ جميع الأحباب والأصدقاء، وشكر الله لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة
اللجنة التحضيرية للمؤتمر



الحمد لله حمداً صحيحاً خالياً من العلل، وأصلي وأسلم سلاماً متصلاً بلا عضل، معنعناً مرفوعاً إلىٰ فخر الأنبياء والرسل، متواتراً من بعده إلىٰ المشهورين العدول أهل الفضل، وصحبه وآله ومن تبعه بإحسان عدل بعد عدل.

حضرات العلماء والباحثين والمتابعين:

أحييكم جميعاً أجل تحية، تحية الإسلام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرني باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي السنوي عن العلامة الليبي د. أحمد القطعاني، أن أرحب بكم جميعاً، وأتقدم لكم بالشكر الجزيل لكم لمشاركتكم في هذه الدورة الجديدة.

السادات الكرام:

نجتمع اليوم والأمة، بل والعالم بأسره، يمر بحدث لا مثيل له، جراء انتشار جائحة «كورونا»، التي ألزمت الناس مساكنهم وباعدت بينهم، وأشلت المواصلاتِ والكثيرَ من الجوانب الأخرىٰ للحياة، ما اضطرنا إلىٰ عقد دورة هذا

المؤتمر بشكل افتراضي، لتتلاقى عقولنا وأرواحنا -وإن تباعدت أجسادنا-، سائلين المولى أن يتجلى علينا باسمه النافع، إنه على كل شيء قدير.

السادة الباحثون والمتابعون:

نلتقي اليوم للمرة الثانية، بعد مرور عام كامل على انعقاد الدورة الأولى من هذا المؤتمر الدولي، وفي ذات المناسبة، ذكرى انتقال شيخنا العلامة الليبي د. أحمد القطعاني إلى الرفيق الأعلى يوم 17 من نوفمبر عام 2018م، تلك الذكرى التي تقرر أن تكون مناسبة سنوية يُعقَدُ فيها مؤتمرٌ دوليٌّ عنه، نلتقي فيه متحلقين حول علمه ومدارسة فكره، وتفريع البحوث والدراسات منها، ونستذكر جهوده وجهود إخوانه من علماء الأمة، رضوان الله عليهم جميعا، ونقتدي بهم ونهتدي بسيرهم.

لقد قضى شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثلاثا وستين سنة من عمره المبارك، ناشراً للعلم داعياً للعمل دون كلل، مشاركاً في كل علوم الإسلام بالتأليف والدرس، بل وبتفعيل آرائه وفكره في مؤسسات وبرامج عملية تركت الأثر الحسن الملموس، ولذا جاءت الدورة الأولى من هذا المؤتمر، العام الماضي، عامة دون تحديد لجانب من جوانب مشاركاته العلمية.

ومنذ انتهاء أشغال الدورة الماضية عكفت اللجنة الدائمة للمؤتمر على دراسة عدة أفكار ومقترحات ليكون المؤتمرُ أكثرَ تنظيماً، وقررت أن تخصص كل دورة من دوراته لجانب من الجوانب العلمية أو الدعوية، سواء في علوم الحديث الشريف، أو التفسير والقراءات، أو السير والتاريخ، أو غيرها من المجالات التي شارك فيها شيخنا، وفق منطلقه الصوفي الذي يصبو إلى أن يكون «الصوفي ابن وقته».

ولذا تقرر أن تكون الدورة الثانية مخصصة لبحث جهوده في علوم الحديث الشريف والإسناد، واختير لها أن تنعقد تحت شعار:

(العلامة القطعاني وجهوده في خدمة السُّنّة الشّريفة)

فالسنَّةُ النبويَّةُ الشريفة، روايةً ودرايةً، فهماً وعُمقاً، من العلوم التي اهتمَّ بها شيخنا العلامة القطعاني، وأولاها جهودَه واهتماماتِه قراءةً وبحثاً ومطالعةً وتأليفاً ومجالسَ، سائراً في ذلك على نهج الأوائل من أئمة السُّنة والحديث والمشتغلين بالإسناد من الأمة.

ومن أهداف هذه الدورة: التعريف بمشاركة شيخنا في علوم الحديث والسنة تصنيفاً وتدريساً، ومقاصده العلمية والوطنية، كما أنها تهدف إلى لفت أنظار الباحثين داخل ليبيا وخارجها بمشاركة علماء ليبيا في هذه العلوم.

وللتأكيد على تكامل جهود علماء الأمة، فقد خُصصت محاورُ أخرى، ضمن هذه الدورة، لبحث عناية علماء الأمة الاسلامية المعاصرين بالسنة النبوية، لإثارة اهتمام الباحثين بمناهجهم وجهودهم وسمات وخصائص مدارسهم الحديثية.

أيها السادة الميامين:

إن الأمم الوفية تذكر علماءَها ومصلحيها، وتقيم لهم المؤتمرات والندوات والاحتفالات، وتصدر عنهم الكتب، وتبحث علومهم بالدراسات، لتتأسي وتنتفع بهم الأجيال، ويستوعبها الأحفاد دروساً عن الأجداد.

ومَن أحقُّ مِنَّا جميعاً، أيها السادة، بِسِيَرِ وعلوم مشايخنا وعلمائنا، دراسةً وبحثاً ونفعاً؟!، ونحن نعيش تحدياتٍ تواجهُ واقعَنا كل يوم بل كل ساعة، تهدد عقيدتنا وإرثنا، ومن ثَمَّ مستقبلنا، فلا شك أنكم - في هذا المؤتمر - جنود تخوضون معركة البناء الحضاري لهذه الأمة.

ولقد كانت علوم السنة الشريفة، مرتكز اهتمامات شيخنا، لإدراكه أنه أحد الأصلين العظيمين لحضارة هذه الأمة، فالسنة ليست نصوصاً تُروَىٰ، ولا أسانيدَ تُتلَىٰ، ولا كتباً تُحفَظ فتُنشَرَ أو تُطوَىٰ، فما نطق بها صاحبها ﷺ وآله عن هوىٰ، بل منهج شامل متكامل متجدد للحياة، فانظروا كيف ستخلفون سلفكم الكريم الذي وضع نصب عينيه سنة نبيه ﷺ وآله، علما وعملا... وكيف يكون العمل بها إن بقيت حبيسة الكتب وأضابير المخطوطات؟! وما بحوثكم التي قدمتموها لهذا المؤتمر إلا خطوة نحو العمل بها، صلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ صاحبها.

إننا اليوم - يا حضرات الباحثين والمتابعين - في أمسِّ الحاجة وأقصىٰ درجات الاستعجال لبحث ومدارسة القضايا التطبيقية للسنة النبوية الشريفة؛ لاستلهام النموذج الأكمل والأمثل الذي أخرج به صاحبُ السنَّةِ الناسَ من الظلمات إلىٰ النور، فالسنَّةُ مصدرٌ أساسيٌّ من مصادر البناء الثقافي والحضاري لأمتنا.

وإذ نخصِّص هذا المؤتمر لدراسة علوم وفكر شيخنا العلامة د. أحمد القطعاني، فإننا لا نحصر البحث والدرس فيها، بل يلاحظ الباحث بيسر وسهولة: ارتباط شيخنا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعلماء عصره ممن هم في طبقته من خلال أسانيده التي تتصل بهم، فلم يقتصر في الرواية والإسناد علىٰ طبقة شيوخه، ما يشير إلىٰ إدراكه لأهمية تكاثف جهود العلماء بعضها ببعض.

كما لا تخفاكم الحملة علىٰ التصوف وعلمائه، من قبل تيارات ظلامية أقامت فكرها المدمر علىٰ توظيف خطير للسنة الشريفة وحديث سيدنا رسول الله، فنشرت الرعب والقتل والدمار باسم دين الله وسنة نبيه ﷺ وآله، واتهمت علماءنا الربانيين بالبدع والشركيات، رغم أن التاريخ لم يسجل عن علمائنا، الذين رووا تلك الأحاديث الشريفة بأسانيدهم وشرحوها في مصنفاتهم، أنهم أهرقوا الدماء أو كفروا أو بدعوا من خالفهم... وها نحن وأنتم في هذا المؤتمر نرد علىٰ هذه الافتراءات

ونذود عن مشايخنا وعلمائنا، ببحث جهودهم في خدمة السنة الشريفة، بل ونبين للعالم كيف درس وخدم علماؤنا الربانيون السنةَ وعاشوها، وكيف وظف غيرهم – من الظلاميين – سنة رسول الله للقتل والتدمير ونشر الرعب.

إن من أهداف هذا المؤتمر لفت أنظار أوساط المثقفين والأكاديميين لمثل هذه الحقائق، ومباحثتهم استنهاضا للهمم لنستلهم من جهود سلفنا ومساهمة علمائنا في بحث القضايا المعاصرة المتصلة بالمستجدات والتحديدات، وتمكنهم من اقتراح العلاج والحلول مستندين علىٰ سنة النبي ﷺ وآله وعمل سلفهم المبارك.

دون شك – أيها السادات من الباحثين – إن مشاركتكم في هذا المؤتمر هي تطبيق عملي لأمر النبي ﷺ وآله، في خطبة حجة الوداع: (ليبلغ الشاهد الغائب)، فكما واصل علماؤنا ومشايخنا جهودهم لتبليغ سنة سيدنا رسول الله ﷺ وآله، طيلة أربعة عشر قرنا، يبلغ السابق اللاحق، ها أنتم تنتظمون في هذا الجهد المبارك المسلسل الذي بلغ حد التواتر والشهرة، حتىٰ لفت أنظار باحثينَ وكُتَّابـًا من أمم أخرىٰ، وأنتم الأحق به للذود عنه، كونه سجل لأحداث وأخبار تروىٰ عن أشرف خلق الله منذ ولادته وحتىٰ انتقاله ﷺ وآله.

أنقل لكم مجددا تحية اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وراعيه مركز العلامة الشيخ أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية.

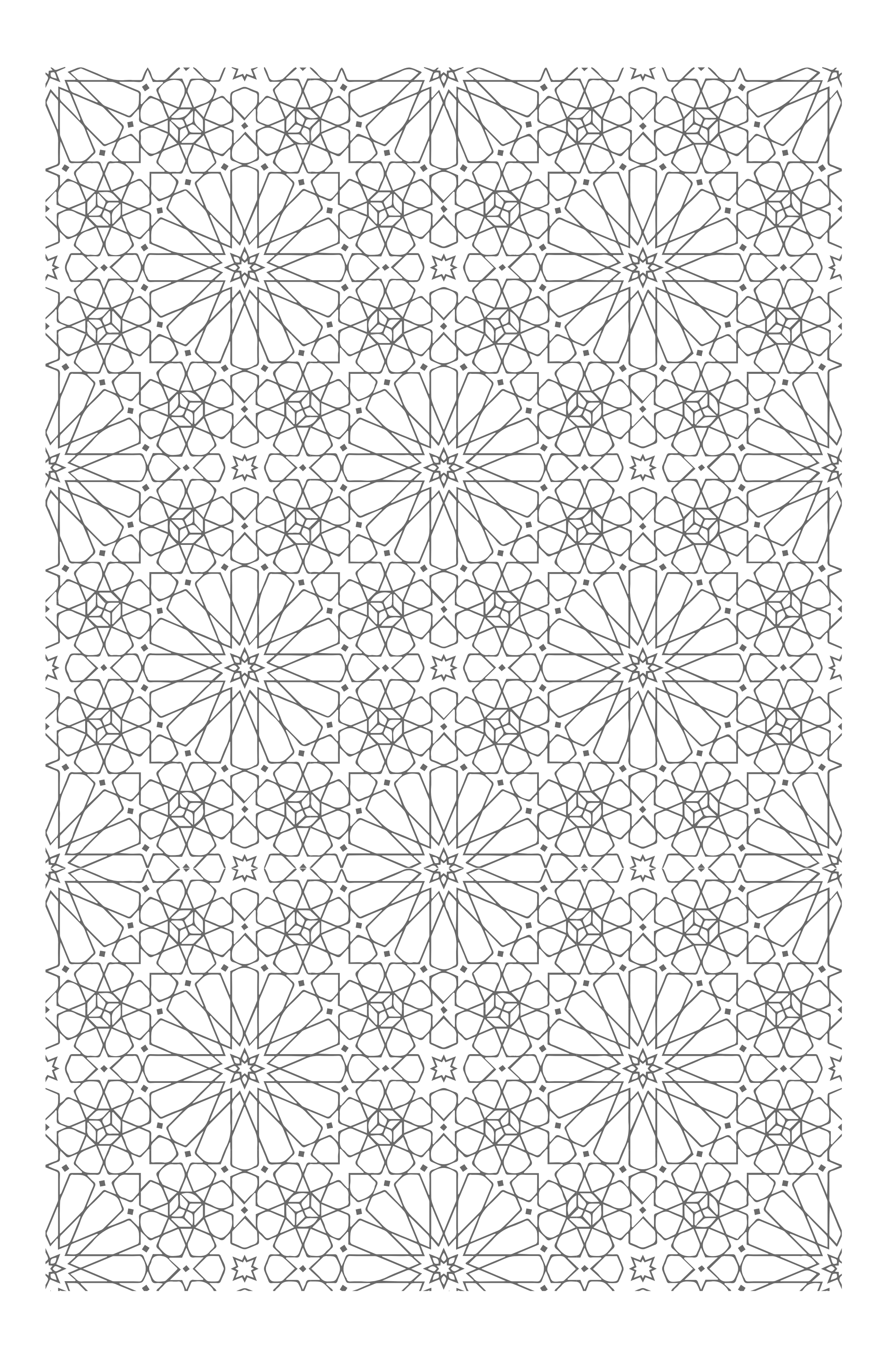
أقامكم الله فيما أعانكم فيه، وأعانكم فيما أقامكم فيه.

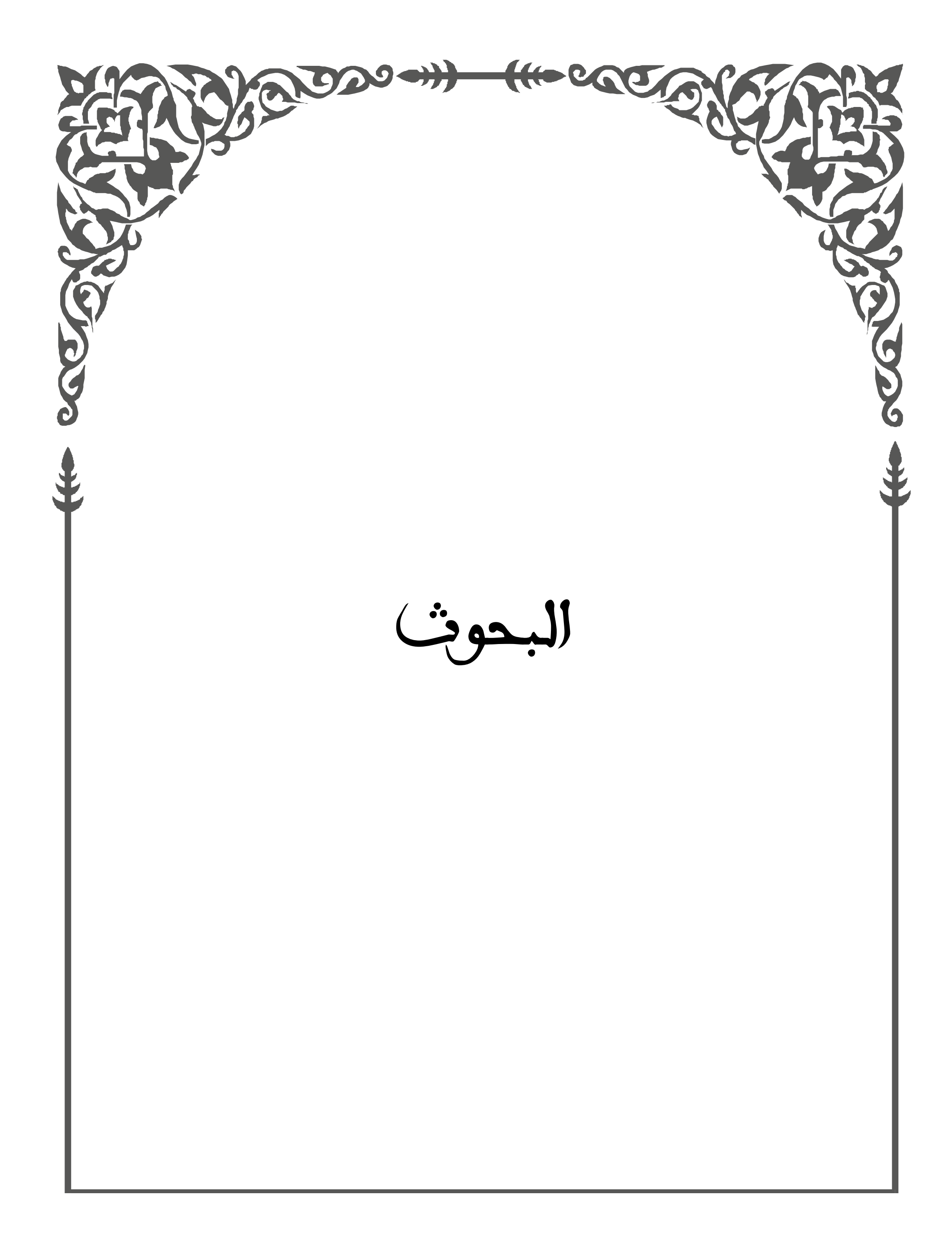
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللجنة التحضيرية للمؤتمر

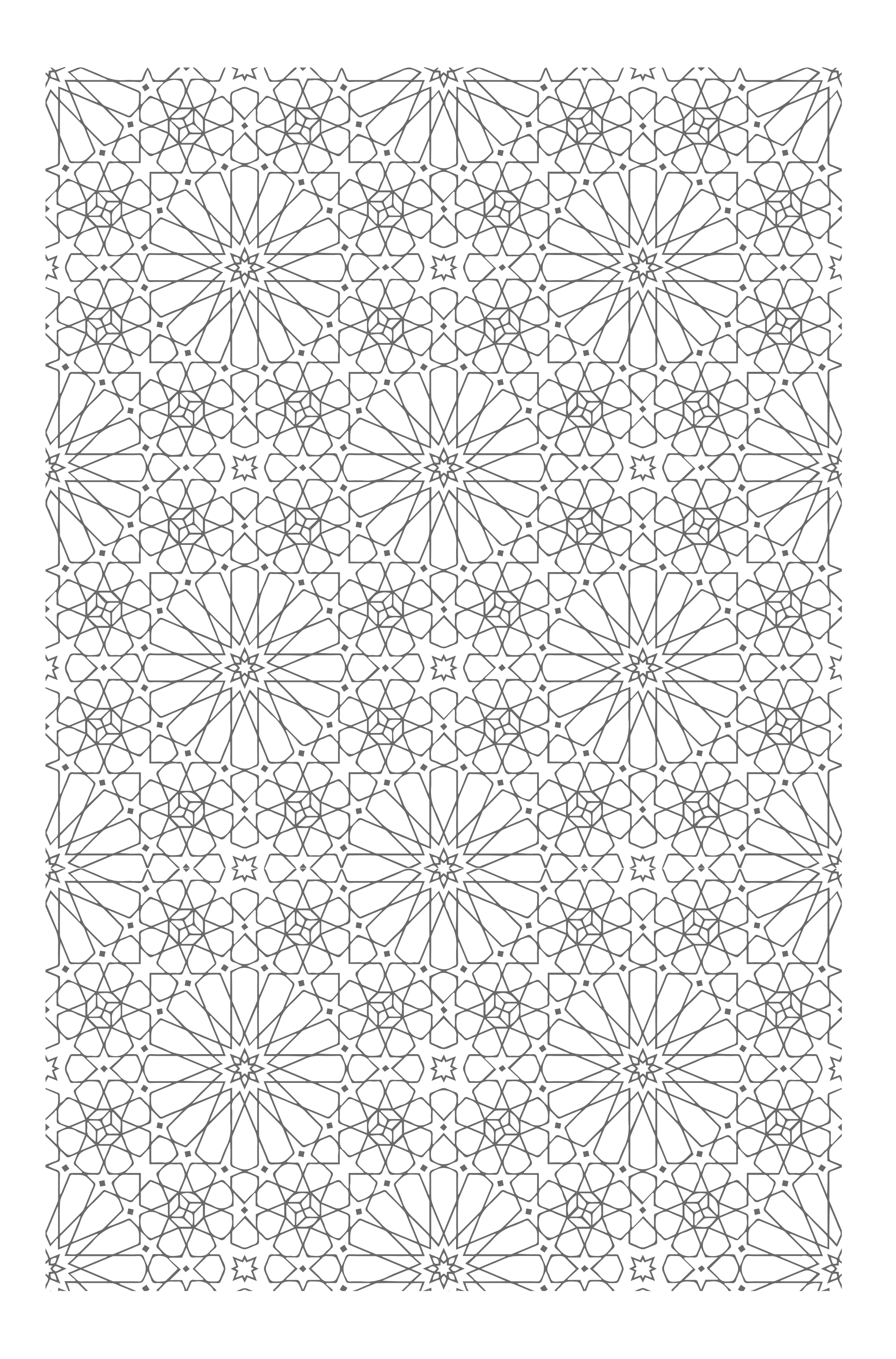
د. عبد المحسن موسىٰ العوكلي

طرابلس، 17 / 11 / 2020م.





البحوث



الختم الأكبر:
أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني
والمناظرة الكبرى بمراكش

د. محمد حمزة بن علي الكتاني
من علماء المغرب



الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد الماحي، وآله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فهذا بحث مختصر، أتحدث فيه عن «المناظرة الكبرى في مراكش»، التي ناظر فيها الإمام الشهيد أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني، رضي الله عنه، المنكرين على الصوفية، وهي مناظرة شهيرة، تحدث عنها المؤرخون المغاربة، وكُتِبَت حولها مؤلَّفاتٌ ومقالاتٌ، وهي تعتبر محطة هامة ليس في تاريخ الطريقة الأحمدية الكتانية فحسب، بل في تاريخ التصوف الحديث بعامة؛ إذ إنها تعتبر أولَ مواجهة بين الصوفية والمنكرين على الصوفية، في المغرب القرن الماضي، واستطاع الطرف الصوفي ممثلا في الإمام الكتاني إخناسَ خصومه، وإفحامَهم، بل وتدوينَ حججه في مؤلف حافل يعتبر سيفا في أيدي الصوفية.

ماهية التصوف والصوفي:

يُعرّف الإمام الكبير، والشيخ المربي، مؤسس الطريقة الأحمدية الكتانية؛ أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني (1290هـ/ 1873م- 1327هـ/ 1909م) الصوفي والتصوف الذي يدافع عنه ويعده من أساسات الشريعة الطاهرة، ويلخص مفهوم الصوفي بأنه «عالم عمل بعلمه على وجه الإخلاص، وكل من رمى ميزان الشريعة عن ملاحظته زمنا ما؛ فهو ممكور به ممقوت، لا قدم له عند القوم، ولا هو منهم، بل هو غالط، لعبت به أيدي الهوى».

فيشترط في التصوف: العلم أولاً، بمعنى: علم الكتاب والسنة، والعمل بالعلم، وأن يكون العمل على وجه الإخلاص، فيجتمع فيه العقل والحواس والقلب، وكل من رمى ميزان الشريعة عن ملاحظته زمنا ما؛ بمعنى: أهمل الحلال والحرام، والواجب والمنهي، وادعى تجاوزه ذلك، أو ادعى استغناءه عن الوسائط الشرعية، وهي: الأصول المستمدة منها؛ خاصة الكتاب والسنة كما يقتضيه ظاهرهما؛ فهو ممكور به ممقوت، لا قدم له عند القوم، ولا هو منهم، أي: اختلطت ميوله النفسية، وأهواؤه الذاتية بمقصده الذي رمى إليه، فلعبت به الوساوس الشيطانية، وخاض عباب المزالق الروحانية بغير سلاح من الشرع الحنيف، فظن ما ليس صحيحا، ومُكِر به من حيث لا يشعر ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾. [الزمر: 47].

ويذكرني في هذا الصدد ما حُكِيَ عن الجنيد أنه ذُكِرَ له أن فلانـًا العابدَ منذ ثلاثة أيام -وهو موله لا يجتمع بأحد- قد غلبته الأحوال، فقال لهم: «انظروا هل يقوم بالفرائض؟»، فرقبوه فجاؤوا إليه أن إنه لا يضيع فرائضه. فاطمأن وقال: «الحمد لله؛ الآن اطمأننت أنه غير ممكور به!».

والمقصود بهذا التأكيد: أن التصوف -بغض النظر عن الاصطلاح الذي ألصق به-؛ هو جزء لا يتجزأ من الدين، بل واجبٌ فرضٌ علىٰ الناس سلوكُهُ؛ إذ هو مراقبة الخطرات والخواطر التي تعاني القلب، وتصفية النية من الشوائب، فيدخل تحت معنىٰ حديث جبريل -كما عند البخاري-: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». وكل من صدق عليه هذا الوصف فهو صوفي، بغض النظر عن موقفه من متصوفة العصر.

ويمكن تلخيص التصوف في أنه: الاتباع للأوامر الإلهية حتىٰ يفنىٰ المؤمن عن شهوات نفسه وحظوظها، وينغمس في الأوامر الإلهية بحيث يكون اتباعها عادة عنده لا عبادة، ويصبح كل أثر من الأثرات الكونية دليلاً له علىٰ الصانع تعالىٰ، إذ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾. [هود: 56]، فلا يشغله شيء عن الحق تعالىٰ، وهو معنىٰ الفناء عند الصوفية، وكل تأويل لذلك المعنىٰ إنما هو شرح بحسب الحال لما ذكرناه.

فتراهُ في كلِّ شيءٍ تراهُ … فهُو الكلُّ دائماً، ما أجلَّهْ!

فافنَ فيه صبابةً وهُياماً … إنما الصبُّ من يعيشُ مولَّهْ

ويجتنب النواهي الإلهية، حتىٰ يكره أن يعود إلىٰ الكفر، بالمعنىٰ العام، والإثم والغفلة عن الله تعالىٰ بالمعنىٰ الخاص، كما يكره أن يقذف في النار كما ورد في الحديث الشريف، فهو يكره المنهياتِ وارتكابَها كرهاً طبيعيًّا لا كسبيًّا وتكلفاً، وفي سبيل ذلك يبتعد عن الشبهات، ويقلل -ما أمكن- من المباحات، إلا أن يقرنها بالنية الصالحة فتصبح مندوبات، وكذا يكثر من النوافل والخيرات، والتهجد والصيام والإحسان إلىٰ الناس، ودعوتهم إلىٰ باب الله تعالىٰ وحضهم علىٰ الخير واجتناب المنكر، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. [فصلت: 33]، وحينئذ يكون عبداً لله خالصاً.

ويجعل النبي ﷺ إمامه، فيقتدي به في الشاذة والفاذة، حتى المنظر والهيئة حتى يصبح وارثا له ﷺ.

فلا شك أننا ما تعرفنا على الله تعالى، ولم يصلنا قرآنه ومعرفته إلا عن طريق النبي ﷺ، لذلك فهو البرزخ بين الله والعبد، بمعنى: أنه لا يصلنا معرفة الحق تعالى اعتقاداً وشريعةً إلا عن طريقه، بل جعل الله تعالى كلامه قسماً من أقسام الوحي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾. [النجم: 3، 4]، «إني أوتيت القرآن وأوتيت مثله معه»، ولذلك فأي طريق لا تمر عن طريق النبي ﷺ لا تعدو أن تكون ضياعا وسفسطة، وأي وارد لا يوافق الكتاب والسنة فهو وارد شيطاني أو نفساني؛ إذ هيكل بوتقة الشريعة الإسلامية إنما هو الكتاب والسنة، فما خرج عنهما خرج عنه.

فمنشأ التصوف هو الاتباع، وكل صوفي غير متبع فلا عبرة به ولا بحاله، ولذلك قال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه: «الطرق كلها مسدودة على الخلق؛ إلا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ»، وقال: «من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث؛ لا يقتدى به في هذا الأمر، لأنَّ علمنا مقيد بالكتاب والسنة»، وقال أبو حفص رحمه الله: «من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره؛ فلا يعد في ديوان الرجال».

وقال السري السقطي: «التصوف اسم لثلاثة معان: لا يطفيء نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله». وقال: «لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات إلى أن يرتفع في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة».

بل ورد عن شيخ الظاهر والباطن أبي السعود عبد القادر الفاسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه جاءه رجل من أهل الأحوال، مشهور عنه الطيران في الهواء والمشي على الماء؛ فقال له: «يا سيدي لا تطر فوق الهواء ولا تمش على الماء، فلن أخاطبك حتى تأتي إلي على قدميك!». بمعنى حتى تخاطبني بظاهر الشريعة، لأنها حجة على باطنها.

من ثمرات التصوف:

ولا شك أن امتثال الأوامر الإلهية، واجتناب النواهي، والابتعاد عن المتشابهات، والتقلُّل من المباحات، والتزامَ السنن وفعل الخيرات يورث العبد شفوفًا وقربًا إلى الله تعالى، بل ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري مرفوعا إلى النبي ﷺ عن رب العزة تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها؛ فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي».

ومن نتائج هذا الشفوف وتلك الرفعة: إطلاع اللهِ تعالى العبدَ على علومٍ ومعارفَ لا يدركها إلا أرباب المجاهدات، هي زيادة فهم في القرآن والسنة، وزيادة دقة في تأمل الكون، وذلك ما يصطلح عليه بالعلم اللدني، نسبة لقوله تعالى عن سيدنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. [الكهف: 65]، ومن دليل ذلك: قوله تعالى عن يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [يوسف: 22]، وقال تعالى عن موسى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [القصص: 14].

العلم اللدُني:

ولا شك أن العلم الذي امتن الله تعالىٰ به علىٰ النبِيَّيْنِ الرسولَيْنِ المذكورين ليس من جنس العلم الدراسي المكتسب، بل علمٌ خاص أضافه الله تعالىٰ لنفسه، وأعلن أنه خصه لأهل الإحسان من عباده، فكل من كان محسنا من نبي وولي يرزقه الله تعالىٰ من ذلك العلم، وهو علم لا يرزقه تعالىٰ سواهما؛ لاختصاصهما به، فبالأحرىٰ يعسر علىٰ غيرهما فهمه وإدراكه إلا بالتبع، لأنه علم لم يُمنحه، إذًا لا يعلمه، إذاً يجهله، إذاً إما أن يسلمه أو ينكره؛ لأن المرء عدو ما جهل، إذاً هو علم شريف، فهو علم جامع، ودقيق، وغامض، وترياق، وعلامة تمييز، ومتعدد بحسب قوة الإحسان وزيادته ونقصانه، وهو علم استنباطي من الكتاب والسنة؛ إذ عليهما المدار، فهو زيادة فهم، وزيادة إدراك، باطن عن أهل البعد، ظاهر لأهل اليقين والإحسان. بل قال -جلَّ مِن قائِلٍ-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾. [البقرة: 282].

من أجل ذلك كثر الإنكار ممن لم يذق ما ذاق أولئك، ولم يجاهد مجاهدتهم علىٰ تلك الأحوال، وتلك العلوم، وما ينتج عنها من أحوالٍ ومعارفَ، وفهمٍ واستنباطٍ، ومن هنا كثُرَ الإنكارُ علىٰ الصوفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كثير من معارفهم وأحوالهم.

إذ إن العلم معرفة، وكلما ارتفع المعرَّف به ارتفع المعلوم المحتاج إليه، ودق معناه، وصار لا سبيل للتقدم إلا به، في وقت قد يكون لا فائدة منه أو مضرة لمن لم يصل ذلك المقام، لذلك أشكل فهمه علىٰ من لم يذق ما ذاقه أربابه، وقصة الخضر مع موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أكبر مثال علىٰ ذلك، وهذا العلم: منه ما لا تقدم للسالك إلا به، ومنه ما هو جائزة لزيادة معرفة، ومنه ما هو إرشاد للطريق... إلخ، فما لم يكن ضروريا لصاحب مقام، قد يكون لا غنىٰ عنه لمن هو أرقىٰ منه، ولذلك بثه القوم وباحوا به، وأعموا لفظه؛ لعلمهم باحتياج طائفة إليه، تفهم الألغاز، وتصعد المراتب.

كما أن مدارس الصوفية وشيوخها تفرغوا لتنقية القلوبِ من الأدران والشوائب المبعدة عن العبودة الحقة لله تعالىٰ، والتي هي أسباب الرياء والسمعة والعجب، والحسد والغيرة والبغضاء، وتنقية الجوارحِ مما يشوبها من الغيبة والنميمة، والبهتان والكذب، والإذاية، والسعاية، والنظرة الحرام، والسماع إلىٰ الحرام، والبطونِ من المال الحرام، والأكل الحرام، وكل تلك شرائع حض عليها الإسلام، ولولاها لا تستقيم عبودية لله تعالىٰ، ولا يُلتَذُّ بعبادة.

من أجل ذلك اطلع فقهاؤهم علىٰ أدلة واستدلالات في مجاهدة النفس وتربيتها، وفي محاسبتها ومراجعتها لم يطلع عليها غيرهم، عادة الله تعالىٰ في كل من اشتغل بعلم وتخصص فيه، فإنه يطلع منه علىٰ ما لم يطلع غيره، والمجتهدون المحققون يحيطون بالجميع علما، فالأصولي يطلع من الشريعة علىٰ ما لم يطلع غيره، والنوازلي كذلك، والمفسر، والمحدث، وفقيه العبادات، وفقيه المعاملات... إلخ، ولذلك كثر إنكار كل فرقة علىٰ الأخرىٰ، وقديما قيل: «لو سكت من لا يعلم لقل الخلاف أو انعدم».

من أسباب الإنكار على الصوفية:

لذلك كثر إنكار أهل الحديث علىٰ أهل الرأي، وأهل الرأي علىٰ أهل الحديث، والفقهاء علىٰ المتصوفة، والسالكين علىٰ العارفين، واختلف المفتون مع القضاة، والأصوليون مع المحدثين... إلخ. واستمر ذلك النزاع جيلا بعد جيل، وأحدث ذلك ثروة فقهية جبارة، تمثلت في كتب الجدل والخلاف.

غير أن العلماء المجتهدين، والأئمة المحققين، يطلعون علىٰ مَلْحَظ كل إمام، وفهم كل صاحب مدرسة، نظرا لما تشبعوا به من معرفة مناط الاستدلال، والتوجه

نحو مقاصد الشريعة، ما دام المنطلق الأساسي هو مصادر الشريعة المجمع عليها.

غير أنه مع تطاول الزمان، وقلة المربي والموجه، انتسب إلىٰ كل دعوىٰ من ليس منها، وتقمص سربالها من هو غريب بالفعل عن سلوكها ونهجها، فتحول كثير من أهل الرأي إلىٰ العلمانية، ومن أهل الحديث إلىٰ التجسيم، ومن أهل الكلام الأشاعرة إلىٰ مرجئة ونفاة وجبرية، وأهمل فقهاء مناط الاستدلال، وانتسب إلىٰ الصوفية أمة لا يعرفون من التصوف إلا شقشقات اللسان، والكلام في المواجيد، والاهتبال بدقائق العلوم والفهوم دون الانطلاق عن ظاهر الشريعة، فأصبح أرباب كل طائفة حجة عليها لا لها، ووسيلة إلىٰ الطعن في أصولها لا نصرتها، بحيث اختلف المتفقون، وانشغل الجميع فيما لا جدوىٰ منه.

ومِن أهمِّ ما أفسد طريق التصوف: فَصْلُ الحقيقة عن الشريعة، واعتبارُ الشريعة مفهوما للعامة، والحقيقة للخاصة، وكذا تلخيص السلوك في أذكارٍ وطلاسمَ وأورادٍ تتردد علىٰ اللسان دون أن تصطبغ في السلوك، فتجد المرء يتكلم في المواجيد والحقائق، ويكثر الذكر آناء الليل وأطراف النهار، ثم يتساهل في أمراض القلوب ومقاتلها مِنَ الحسد، والرياء، والغيبة، والنميمة، والتساهل في المأكل والمشرب الحرام، ومجالسة أهل الدنيا والغفلة ومؤالفتهم، والرضا بما هم فيه، في وقت يتربص لأهل الآخرة من الفقهاء والدعاة إلىٰ الله تعالىٰ الزلات والعورات، وعدم الحب في الله والبغض في الله، وعدم النصيحة لله ورسوله، وعدم التبحر في الحديث النبوي، بحيث لا يكاد يذكر حديثا صحيحا، وعدم الفناء الحقيقي في الله تعالىٰ بانتهاج شرعه وفق ما أمر به، والقيومية بدينه والحياة في خدمته.

بل خالص همه في الطلاسم وتكرارها، والاقتصار علىٰ القبور والاستغاثة بأربابها، وشد الرحال إلىٰ الأولياء الأموات وزيارتهم، والاهتبال بالإنشاد والغناء في

الموالد، والبحث عن المنامات الغريبة، واصطناع الكرامات والمواجيد الزائفة، ولباس ملابس الشهرة والرياء، والطعن في المنكرين لحاله، والملتزمين بظاهر الشريعة من أمة الإسلام.

فلا أضر من هؤلاء على طريق التصوف، ولا أبعد منهم عن منهج الشريعة الحقة وطريق الإحسان الذي وصفه النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وكان أمثالُ هذا المسلك من كل طريق السببَ في طعن الطاعنين، وانتقاص المنتقصين عبر الزمان.

غير أنه من شروط الإنكار: تحديد المناط، وتفصيل ما يحتاج إلى التفصيل، لعدم الوقوع في من لا يستحق الإنكار، ومن شروط ذلك: وسع العلم، وصفاء النية، وغزارة المعرفة، وهي أمور افتقدت خاصة في الأزمان المتأخرة، فأصبح النقاش من أجل النقاش، والجدال من أجل الجدال، لا عن علم، ولا لمقصد ديني سليم.

فنستخلص مما سبق: أن مناط الانتقاد على التصوف والصوفية ثلاثة أمور:

1- العلوم الدقيقة التي وهبهم الله تعالى نتيجة المجاهدة والفناء في الحق تعالى، وهي ما يصطلحون عليها بالعلم اللدني؛ نسبة لقوله تعالى عن سيدنا الخضر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. [الكهف: 65].

2- وأنواع التدريبات والمجاهدات التي ليس لها دليل ظاهر من الكتاب والسنة.

3- والأفعال المخالفة للشريعة التي تصدر عن بعض المتعلقين والمنتسبين إليهم ممن ليسوا منهم.

ولا شك أن الحديث عن الصوفية والتصوف، ونقدهم، يجب أن يتشعب شعبتين:

الأولىٰ: الحديث عن التصوف من حيث هو، لا من حيث ما ألصقه به أعداؤه والمنتسبون إليه، وهو ما يسمىٰ في علم الجدل بتحقيق المناط، فلا يمكن أن أنتقد التصوف وأدخل إلىٰ أفعاله جهالات الزرادشتية والبراهمة، وحماقات الفرق غير المسلمة أو التي تبرأ منها أرباب السلوك، وإلا كان مصادرةً علىٰ المطلوب.

والثانية: الحديث عن الشطحات، والأفعال التي تخالف الأصول والقواعد التي قعدها أئمة الطريق والتصوف.

ومن هنا سقط جل من انتقد التصوف والصوفية؛ من حيث نسبتهم إليه ما ليس منه، وانتقادهم أفعالا أجمعوا علىٰ رفضها، وتأويل كلامهم علىٰ محامل لم تتطرق إلىٰ أذهانهم مصارفها، فحادوا عن الطريق السليم، ووقعوا في أعراض المسلمين، ونشروا الفرقة والخلاف؛ الأمر الذي يظهر جليا في كتب من انتقدوهم من المتأخرين المعاصرين، أضف إلىٰ ذلك قلة العلم بالفقه ومناط الاستدلال، وندرة الاطلاع علىٰ أحوال السلف الصالح وتفهمها، وما خفي كان أعظم.

إرهاصات محنة مراكش:

بعد هذا التصدير المسهب؛ فإن حديثنا يدور حول كتاب جليل عظيم، والواقعة المرتبطة به؛ ألا وهو: «البحر المسجور في الرد علىٰ من أنكر فضل الله بالمأثور»، فإن مؤلِفَهُ أعلمَ أهل زمانه، حجةَ الإسلام أبا الفيض محمدَ بنَ عبدِ الكبيرِ الكتانيَّ الإدريسيَّ الحسنيَّ المولودَ عام 1290/ 1872، والمستشهدَ عام 1327/ 1909 مجموعة من المنكرين علىٰ طريقته الكتانية الأحمدية من علماء الوقت، والذين لم

يريدوا من الانتقاد على التصوف والطريق سوى الطعن في نفوذه الديني، وتحطيم حركته الإصلاحية من أجل أرباح ضيقة لا تتعدى المصلحة الخاصة.

ولتأليف هذه الرسالة قصة طريفة ذكرها نجله الإمام الباقر الكتاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابه «التاج المرصع بالجوهر الفريد في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد»؛ ذلك أنه لما انتشرت دعوة الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في البوادي والأرياف، وهفت إليه قلوب الخاصة والعامة، وتحدث عن مقامات التصوف العليا حديثَ محقِّقٍ ذائق، عارف داهق، خاصة مقام الختمية الأحمدية التي أنكر بعض من تقدمه من المشايخ الدهق منها، ثم انقلب إلى الفقه والتشريع الإسلامي فدعا إلى إحياء الاجتهاد، وابتكار حلول لعوارض الوقت اعتماداً على أصول التشريع، كما دعا إلى إحياء علوم الاجتهاد؛ خاصة التفسير والحديث، وتصدر في ذلك ببراعة في الزاوية الكتانية بفاس وجامع القرويين الأعظم بها.

لما ظهر منه ذلك، على حداثة سنه التي لم تتجاوز الرابعة والعشرين، إضافة إلى هفو قلوب الخلق إليه، واهتداء الألوف الكثيرة من عرب وبربر على يديه؛ خشي أرباب النفوذ من العلماء وأصحاب الزوايا من انسحاب البساط من تحت أرجلهم، وفقدان المناصب الدينية والمكانة الاجتماعية التي كانوا يحظون بها.

وكانت الطريقة الأحمدية الكتانية التي أسسها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عام 1308/ 1890 رائدة الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي في المغرب حينها، ثم من بعد الإصلاح السياسي الذي طالب فيه المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالشورى، وإنشاء المجالس النيابية، ومراقبة حكم السلطان ومدى موافقة قراراته للشريعة الإسلامية ومصالح الأمة.

فرفع المذكورون رسائل من فاس إلى علماء مراكش – حيث الحضرة السلطانية – ينسبون فيها الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى: الزندقة في الاعتقاد، ومحاولة الثورة ضد

الحاكم، وكان كل واحد من ذينك الاتهامين كافيا من أجل القضاء على الإمام ودعوته إذا وفقوا إليه.

قال نجل المؤلف الشيخ الإمام أبو الهدى محمد الباقر الكتاني في «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد»: «وبإشارة من والده الشيخ عبد الكبير – قُدس سره – قصد مراكش الحمراء قصد الاجتماع بالسلطان ووزيره، وتفنيد التهمة الملصقة به، وما إن وصل اليوم الخامس عشر من محرم الحرام، فاتح سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف، حتى أشرقت شمسه عليها، فأحط رحله أولاً بالزاوية الدرقاوية البدوية، التي أقام فيها نحو أسبوع، زار أثناءها الوزير الأول، وشرح له الغاية من زيارته لمراكش، وتحدث له عن الأهداف التي يقصدها من دعوته الإسلامية ومواقف خصومه منه، فرحب به وأخبره أنه سينزل ضيفا على السلطان مدة إقامته».

«وما إن علم أهل مراكش بوجوده بين أظهرهم، حتى صاروا يتواردون عليه زَرَافات ووحدانا يرحبون بمقدمه، ويحضرون دروسه التي صار يعقدها كل يوم بالروض المذكور».

المناظرة الكبرى:

قال الإمام الباقر الكتاني: «ولم تمض إلا أيام قلائل، حتى أخبره الوزير بأن السلطان أمر جمعا من كبار العلماء، بإجراء مناظرة معه بالقصر الوزيري؛ المعروف بـ: «الباهية»، وأن هاته الفكرة كانت بإيحاء منه؛ قائلا: وقد قصدت بها دفع التهمة الملصقة بكم، وحصر نقط الخلاف في مقدار قيمتكم العلمية، وهل أنتم مستحقون للمشيخة بمعناها المعروف عند كبار الصوفية أم لا. فأبدى استعداده لذلك».

«وقد افتتحت الجلسة الأولىٰ بتلاوة ما ورد عليهم في شأنه من فاس، ولم يكد القارئ يأتي علىٰ آخر الكلام، حتىٰ ابتدأ المترجَم الكلام بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: 9]، ثم التفت إلىٰ الوزير قائلا: أنشدك الله! هل ليس في فاس منكر يكتب لكم به إلا التعرض لأهل الله؟».

«فأجابه بعض أعضاء مجلس المناظرة بقوله: لا ينبغي للإنسان أن يخرج عن سَنَن السلف والصحابة. يشير إلىٰ أن التجمل بالثياب الذي كان من عادة المترجَم، ليس من سنن السلف والصحابة. فرد عليه بقوله: أسمعنا شيئا من سيرتهم، لعلنا نعلمها! فسكت».

«وحينئذ أطلق المترجَم عذبة لسانه شارحا حقائق الإسلام، ومنتقداً علىٰ علماء عصره وصوفيته عدة أشياء، وملفتا نظرهم إلىٰ أن الوصف الحقيقي للصوفي، هو: اتباعه للكتاب والسنة ودعوته إليهما».

«وقد تعددت مجالس المناظرة، وشملت جميع العلوم التي يتقنها أعضاء اللجنة وكبار علماء المغرب إذ ذاك، غير أن أغلبها كان في علمي: الكلام والتصوف».

«فمن علم الكلام: الوجود: هل هو صفة نفسية، أو من المعاني المعنوية، أومن السُلوب؟ وهل هو زائد علىٰ الذات أو عينها؟ وما ملحظ القائل بكل؟ وهل توافقا علىٰ محل واحد أو اختلفا؟ وما الفرق بين الوجود العام والخاص؟ وهل هو ماهية؟ والحال عند الأشاعرة؟».

«ومن علم التصوف: الإذن الذي يذكره القوم في كلامهم، وممن هو؟ وكيفيته، وحكم إفشاء الحقائق وبثها للعوام، والحال عند القوم والرقص، والغيبة في الذكر

والقوة من الجهتين، وما ينسب إلىٰ القوم من الكلام المشعر بالحلول والاتحاد، والتفاسير الموهمة... إلىٰ غير ذلك مما يطول أمره».

«وقد جال مناظروه جولات عديدة في ميدان التعصب والجمود، وحاولوا غير ما مرة تعجيزه، ولكنهم باؤوا بالفشل الذريع، واعترفوا في غيبته بعلمه الجم، واطلاعه النادر، ومقدرته الكاملة؛ لأنه كان يدعم كلامه ببراهين عقلية، وشرعية، وحسية، وأدبية، وفتحية... كانت تحظىٰ بالقَبول من بعض الأعضاء وبالجدال المـُحرم من البعض الآخر. ولم يكن قصد المجادلين إلا السعي في تعجيزه وتصديق خصومه الفاسيين، كي يتم لهم ما أرادوا من قتله، أو سجنه، أو منعه من مواصلة نشاطه علىٰ الأقل. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾. [الأنفال: 30]».

«وبلغ بهم التعصب، أو علىٰ الأصح: الجهل بعلم السنة؛ إلىٰ القول بأن جُل أحواله ﷺ خاصة به، فكان إذا استدل علىٰ أصوبية رأيه بأحوال النبي ﷺ؛ قالوا: هذا خاص به ﷺ. فإذا خاطبهم بالدليل؛ عجزوا وانتقلوا لتوجيه سؤال آخر. وفي بعض الجلسات كانوا يوجهون له أسئلة، فإذا تلقوا الجواب الشافي الكافي؛ قالوا: لسنا عن هذا نسألك! فيضطر إلىٰ تعداد الأجوبة حتىٰ لا يجدوا مناصا من إظهار الاقتناع».

«وقد كان جلهم أبواقا ينفخ فيها أعداؤه بفاس. والأمر لله».

«وقد دامت مجالس المناظرة ما يقرب من شهرين، وكانت تستغرق أربع ساعات في أغلب الأحيان، وكم حاولوا فيها التغلب عليه غير ما مرة، أو ترجيح أنظارهم علىٰ أنظاره علىٰ الأقل، ولكنهم كانوا يبوءون بالعجز، ويرجعون القهقرىٰ حينما كان يطالبهم بالدليل أو المرجح».

«قال صاحب «المظاهر»[1] ما لفظه: فكانوا يطالعون ويجتهدون، ويلقون عليه الأسئلة المتنوعة في كل فن؛ فيجيبهم على البديهة فوق ما يتطلبون».

«وقال ابن الطيب في ألفيته[2]:

فاحتف جمع غير مرة به — لم يلتفت واشتد جأش قلبه
ولونوا العلوم والمسائل — لم يأل جهدا كل من يسائل
فلم يبؤ كل بغير العجز — وباء جمع منهم بالرجز

«وقال أبو الحسن علي بن محمد العَدلوني[3] في شرحه لحكم ابن عطاء الله: إنه أجاب عن جميع الأسئلة التي أوردوها عليه؛ حتى أعجزهم».

«وقال المترجَم نفسه في رسالة كتبها لتلامذته بفاس ما لفظه: وتبرأنا من كل شيء يخالف ظاهر الشرع، لا في الماضي ولا في المستقبل، وأما ما في كتبنا؛ فليس بمخالف لظاهر الشرع، وألزمتهم على ذلك إلزامات؛ فأبدوا من عُوارات الجهل ما يُطوى ولا يحكى، ومن وجد خيرا فليحمد الله».

«ولم تخل المحادثات في الجلسات الصوفية من الكلام على مقالات نسبت إليه ولأصحابه، فأقر منها ما قاله في مؤلفاته ودروسه، مستدلا على أصوبيته من الكتاب والسنة، وكلام أيمة التصوف. وأنكر ما لم يقله مما أذاعه عنه خصومه

(1) هو الشيخ عبد الحي الكتاني، والكتاب مخطوط هو: "المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية" في جزأين.

(2) يقصد المؤلف هنا: أحمد بن محمد بن الطيب الجاوزي الفيلالي، المتوفى سنة 1324هـ، والبيتان مأخوذان من ألفيته: "الغنية الفريدة"، وقد سبقت الإشارة إليها في مقدمة الكتاب.

(3) سبقت الإشارة إليه.

وأعداؤه، وزاد فأكد براءته من جميع الأقوال والأحوال، المخالفة لظاهر الشرع المطاع، المنسوبة إليه ولأصحابه».

«ومع كل هذا اشتد النزاع إلىٰ درجة أصبح معها الوفاق مستحيلا. فطالبهم بأن يبحثوا عن رجل صالح عالم عامل زاهد متورع لا تاخذه في الله لومة لائم، ولا ينتصر لنفسه، ويعرف السنة النبوية، وتاريخ الصحابة الكرام والأولياء الأعلام، واصطلاحاتهم ومشاربهم، ليعاشره ويناظره، وحينئذ ينجلي الصبح لذي عينين، وتظهر الحقيقة بدون مين. فواعده الصَدْرُ بإجابة رغبته، فـَشُق وعده علىٰ القوم، واقترحوا عقد جلسة ختامية قالوا عنها: إنها ستكون حاسمة للنزاع. فساعدهم الوزير، ثم رفعت الجلسة علىٰ أمل في الغد».

«وما كاد الليل يرخي سدوله، حتىٰ عقدوا جلسة سرية دونوا فيها رسالة مشتملة علىٰ انتقاداتهم علىٰ تائيته العرفانية[1] المطبوعة بفاس، معتقدين أنهم سينتصرون عليه انتصارا باهرا، ويحظون بتأييد الوزير. ولكنهم ما كادوا يستقرون في المجلس، ويأذن الوزير بافتتاح الجلسة؛ حتىٰ شعروا بالخيبة وباؤوا بالفشل: ذلك أنهم طلبوا من المترجَم أن يُنصت إلىٰ رسالة كتبوها في الرد عليه، فأجابهم

---

(1) تقع التائية في 113 بيتا ومطلعها:

سقتني بثغر الوصل قهوة حسنها   مشعشعة دارت بألحاظ نشأتي

وقد وردت أيضا في كتاب: "من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني" من ص 321 إلىٰ 327 المشار إليه آنفا.

– خمست التائية من طرف الشيخ محمد الباقر الكتاني (المؤلف) واسم التخميس: "الجواهر الفرقانية في تخميس التائية الكتانية". يوجد بخزانته، وله شرح مقتضب عليها اسمه: "تقرير أسرار الفيض علىٰ أبيات والدي أبي الفيض " وهو يتألف من 39 صفحة ولا يخلو من فوائد طريقية هامة.

بقوله: علىٰ رِسْلِكم حتىٰ أُسْمِعَكُم كلمات. ثم شرع في تلاوة مؤلف حافل مشحون بالأدلة العقلية والشرعية والنقلية، أجاب فيه عن انتقاداتهم المدونة في رسالتهم التي أرادوا قراءتها، ألهمه الله إلىٰ تأليفه في نفس الساعة التي كانوا يؤلفون فيها رسالتهم المذكورة؛ وهو المعروف من بين كتبه بـ: «البحر المسجور، في الرد علىٰ من أنكر فضل الله بالمأثور» في أربعة كرارس، وهو برهان واضح علىٰ علمه الجم، ولهجته القوية في مجلس المناظرة، وكيفية دفاعه عن آرائه وأفكاره. وحقيق برجال التصوف الإسلامي أن يتخذوه سلاحا يحاربون به أعداءهم أينما كانوا. وقد كان له تأثير قوي علىٰ الوزير؛ فكان يولي اهتماما كبيرا لما يقرأه المترجم منه، ويبدي علامات الإعجاب والتقدير، وينطق بكلمات في حقه تستحق التدوين».

«وبـ: «البحر المسجور»، سكنت القلاقل في الجملة». انتهىٰ منه باختصار، وبإثبات تعاليق المحققة خالتنا الدكتورة نور الهدىٰ الكتاني -حفظها الله تعالىٰ-.

أبيات من ألفيتي في الطريقة الكتانية:

وفي تلك القصة قلت في ألفيتي التي ألفتها في الطريقة الكتانية، والتي وسمتها بـ: «إماطة البراقع، عن بعض أفضال الطريق الجامع»:

وإذ نظر الإلهُ إلىٰ الحبيب	**وكان الحِب في أمر عجيبِ**
أراد الباري إبراز الغيوب	**بسرٍّ ظاهرٍ لا كالغيوب**
وإلباسَ البواطن لبس ظاهر	**بلِ اُظهار البواطن بالظواهرْ**
فطاح البغضُ في وكر الخَنوس	**عدو الله إبليس النحيسِ**
وصُبّتْ غيرةٌ حسدٌ بفيهمْ	**ونادوا: يا ضلالا؛ بل هُوْ فيهم**

فقـــد جـــاء الكتـــاني بالبـــدائعْ　　وبالأوهـــام، بـــل بـــئس الشـــنائعْ
وصـاحوا كـالحمير الـوحْش جمعـا　　وقــالوا: الانقــلابَ يريــد زمْعــًا
ويعلـــم ربِّـــي أن الكـــل باطـــلْ　　وأظهـــرَ ربـــي أن الكـــل باطـــل
وذا كُـــلٌّ وكـــان الشـــيخُ قـــربَ　　سِـــجِلماسِ ينـــادي النـــاس: قُرْبـــا
فَعَلِـــــمَ المليـــــكُ أن ذاكَ　　هـــراءٌ باطـــل، إبلـــيسُ شـــاكَ
وعـــرف الشـــيخ بمـــا قـــد بطنـــوا　　بفـــاس نحـــوه، ومـــا تفطنـــوا
بـــأن نـــور ربـــي لا يضـــام　　وأن الحـــق مـــا فيـــه ظـــلام
فقـــرر الخـــتمُ وقـــوعَ منـــاظرة　　أصـــر بـــذاك والأعـــلام وافـــرة
وكـــان الأمـــر بعـــد الربـــع قـــرن　　أزل أحـــدا وعشـــرا دون غـــبن
وعُمـــر الشـــيخ قـــد بلـــغ العشـــرينَ　　وأربـــع زد إليهـــا مـــن ســـنين
وكـــان الاجتمـــاعُ بمَـــرَّكُشَّ　　ونـــوديَ باطـــلٌ: كُشَّـــا وكُـــشَّ
ومُـــذ حَـــلّا بمـــراكشْ أتـــاه　　أُهيـــل العلـــم، بـــل كـــلٌّ قَفـــاه
وقـــالوا: وردكـــا خـــتمَ الـــدوائر　　نَواصـــي الكـــل عنـــدكَ حِبـــي خـــائر
وفـــتح التفســـير والبخـــاري　　وفـــاض النـــور مـــن صـــدره جـــاري
وبعـــد الشـــهر كانـــتِ المنـــاظرةْ　　كـــل العيـــون نحـــو حِبـــي نـــاظرة
وابتـــدأ الكـــل بمجلـــس المليـــك　　وخـــاطرُ البغـــاة بالأوهـــام شـــيك
وليـــت الـــبغضَ كـــان في الإلـــهِ　　لقلنـــا: الحُـــبُّ في ذات الإلـــه
وغيـــرتهم علـــىٰ عُمُـــد الشـــريعة　　وجُـــدْرُهُموا بـــدينهموا منيعـــة
ولكـــنَّ البئـــيس بـــذا غـــواهم　　وقـــد عَرفـــوا بأنـــه مـــن هـــواهم
وصـــالوا بالنقـــاش بكـــل علـــم　　وردَّ علـــيهمُ بفهـــم فهـــمِ

وأرسل من علوم الشرع نارا … أبادت شك أوهام جهارا
فحادوا راوغوا رفضوا الجوابا … وقالوا: قلتَ غيرا لا جوابا
وعمَّقوا أسئلتهمْ كُلَّا … وحاولوا إفحام حِبي كَلَّا
ولونوا العلوم والمسائل … واستقبَلوا من فاسهمْ رسائل
وهم ليوث في العلوم حَقا … أُسْدٌ زِعارٌ لا أحيد صدقا
وقالوا: هذا قاله خليلُ … وذاك ابِنُ رُشْدٍ الجليلُ
وذا التأصيلُ قاله ذو الشاطبي … وذاك نصُّ نصَّه ابن الحاجبِ
وهذا قول قد حكاه الأخضري … فشكلوا العلوم كالمجامرِ
فلم يبؤْ كُلٌّ بغير الخُسْرِ … وهربت فُلولهمُ تجري
إذ صَلَتَن عليهمُ سيف العلوم … ودَكَّ من عقولهم كل الفهوم
ولم يبؤ كل بغير العجز … إذ وضع سيفهموا في العجز
واستنبط العلوم إستنباطا … وأظهرنْ بقولهم أخلاطا
وسكتوا حاروا لِما رزقهُ … رب الورىٰ من علم ما أظهرهُ
وكاعوا كالعوام ثم فاهوا … بما يُلقي السَّريَّ علىٰ قفاهُ
من هذرٍ وجَسَرٍ وغَبَرٍ … وغبر وجسر وهذر
فضاق من حيدهمُ الوزيرُ … وإنه في المجلس الأميرُ
وطلب الشيخُ إماما قدوة … رُزق في العلوم كل حظوة
وله في التحقيق سهمٌ صائب … وفي التقاءٍ عُمدةٌ وصاحب
فوافق الوزير قولة الإمام … وصاح أهل الحِسْد: يا بئس المرام
وداروا واستشاطوا قالوا: وا هُزال … فلنختم الجلسة دونما ارتجال

واتفقــوا يومــا علــىٰ المنــاظرة خاتمــــةً بحجــــة للنــــاظرة
واجتمــع الخصــومُ للمكيــدة والفــتحُ فــوق الشــيخ للمكيــدة
ففــتحَ الإلــهُ علــىٰ الشــيخِ أجوبــة الخصــومِ، نِعْــمَ شــيخي
وكتــبَ في ليلــة كتابــا ســيفا علــىٰ الخصــوم بابًــا بابــا
ووسْــمهُ هــو: البحــرُ المســجورُ وفِعْلُــهُ هــو: البحــر المســجور
وعنــد المجلــس ابتَــدا بالحجــة والنــاس تنظــرُ: ألا هــل حُجــة
وعنــدما سُــجر بحــرُ الفــتح تفاقــدَ الخُصُــومُ مــاءَ النَّــتْحِ
وكــاعوا إذ أجــاب عــن ســؤالهمْ ورأوُا الســيفَ علــىٰ جبــاههمْ
مــن قبــل أن يضــعوا ســؤالهم فــانظر إلــىٰ الإلــه قــد دَحَــرَهُمْ
وبــالبحر المســجور الحــقُّ ظَهَــرا وخمَــدَ العُصــا فولــوا ظُهُــرا

... إلخ، وقد تم منها الآن نحو أربعمائة بيت، يسر الله تعالىٰ إكمالها.

كتاب «البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور»[1]:

يعد هذا الكتاب كرامةً من كرامات الشيخ أبي الفيض البينة، وعلامةً من علامات ولايته التي أظهرها الله تعالىٰ لأهل عصره ومن بعدهم، وحجةً دامغة في وجه المنكرين علىٰ الصوفية المعارفَ اللدنية، والعلومَ الدقيقة التي اصطلحوا علىٰ تسميتها بعلوم الباطن؛ نظراً لبطون معناها علىٰ من لم يوهبها، اعتمد فيه المؤلف أسلوب المناظرة، وقواعد علم الجدل.

وقد استهل المؤلف كتابه بتمهيد جعلناه في مراجعتنا فصلاً أوَّلَ؛ صنف فيه المنكرين علىٰ الصوفية، وتحديد كل صنف منهم وسبب إنكاره، وكيفية الرد عليه،

(1) طبع هذا الكتاب في دار الكتب العلمية ببيروت، بتحقيق الدكتور إسماعيل المساوي. سنة 2004م.

ومشروعية رده، وتحدث فيها عن عدة مباحث مهمة لا تخلو من وعظ وإرشاد، ممزوج بمناظرة ومحاججة، ومعدداً أسباب الإنكار على الصوفية.

ثم خصص الفصل الثاني في الاستدلال لعلوم الصوفية وأحوالهم من حيث قصة الخضر مع موسى عليه السلام، فابتدأ بنفي نسخها، ثم بذكر مباحث الشريعة في تعضيد تلك الأحوال حتى في الشريعة الإسلامية، مغلقا الباب في وجه من ادعى أن تلك الأحوال شرع من قبلنا، بل معتبراً إياها حجة لأهل الإسلام. وهو لا يغفل في هذا المبحث تفريع القضية والإتيان بمباحثَ متصلةٍ بالموضوع.

أما الفصل الثالث؛ والذي هو عند المؤلف: المقصد؛ فقد خصصه لنفي القول بالحلول والاتحاد عن الصوفية، استهله بتعريف الإيمان وتقسيمه، والتفريق بين إيمان العوام وإيمان الخواص، ثم رد القول بالحلول والاتحاد من اثني عشر وجها، من حيث علم التوحيد، وعلوم الكتاب والسنة، والتصوف، والعقل، وحقيقة الحال. وفي هذا الفصل تحدث كذلك عن نفي القول برفع التكاليف عن الصوفية، والتمييز بين اصطلاحات الصوفية التي لا يمكن فهم أقوالهم إلا بفهمها، وبين اصطلاحات غيرهم، ومن هنا تتجلى لنا «أوهام السوق» التي تحدث عنها باكون (BACON)، والتي هي السبب في كثير من الأحيان في الإنكار والخلاف، بحيث يفهم كل طرف الاصطلاح بمعنى مخالف للآخر، أو لما هو عليه في نفسه، فيكون السبب في الخلاف إنما هو في فهم الاصطلاح لا في الموضوع. متبرئا فيه من القول بالحلول والاتحاد الذي نسبه إليه أعداؤه.

ثم أردف المؤلف هذا الفصل بتتمة تحدث فيها عن العلم اللدني، مستهلا بأنواع العلوم، والتمييز بين علم النبي وعلم غيره، جالبا مباحث مهمة في هذا

الموضوع، ثم عرف العارف، وذكر صفاته ومميزاته، ابتداء باصطلاحه الخاص، وانتهاء باصطلاح الصوفية العام، وتكمن أهمية هذه التتمة، في أن المؤلف حدد العارف الذي ينافح عنه، ويعتد بمعرفته، وأنه ليس كل من ادعىٰ المعرفة يسلم له ما لم يتصف بشروطها، وهي شروط عزيزة جدا، إذ المعرفة علم شريف لا يعطىٰ لأي كان ما لم يكن منغمسا في الشريعة تعلما وهوىٰ وتحققا.

ثم ختم المؤلف الكتاب بخاتمة أصولية نفيسة حول ضوابط التكفير وشروطه، وهل يكفر مخالف الإجماع أم لا؟ غير أنه -لسوء الحظ- لم يكمل المؤلف تلك الخاتمة، وإن كنا عهدنا عليه في كثير من مؤلفاته أن الخاتمة تكون أكبر من الكتاب نفسه، ونسأل الله تعالىٰ أن ييسر لنا نسخة أكمل من النسخ التي وقفنا عليها علىٰ قلتها.

المؤلف - في العموم - لم يسر بمنهجية تسلسلية في الكتاب، بقدر ما جعله وثيقة جدالية، بحيث يستطرد كثيرا، ويتحدث في الموضوع اقتضابا ثم يفرده بمبحث في موضع آخر، ويناقش في الفرع ثم يعود من بعد للحديث عن الأصل، وكل هذا ميزة من مميزات كتب الجدل والمناظرة، والتي يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في دراستها، بحيث يحرر المؤلف المناط، ثم يورد الإشكالات ويدفعها بالحجج، ثم يقترح للخصم إشكالات أخرىٰ فيردها كذلك.

وهو -من الناحية المنهجية- قلب التسلسل المنطقي للموضوع، فلو قلبنا التتمة تمهيداً والفصل الثاني إلىٰ الأول، لكان الكتاب أقرب إلىٰ المؤلف العادي، ليكون الحديث أولاً عن مشروعية العلم اللدني، ثم صفة العارف، ثم الاستدلال للمعرفة بقصة الخضر، ثم تقسيم المنكرين وأحوالهم، ثم الخاتمة.

ومن أهم المسائل التي تطرق إليها المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويجب التوقف عندها في هذا الكتاب:

- تحديد المناط.
- التأكد من صحة الخبر المنقول.
- فهم المصطلحات والإشارات.
- استيعاب الملاحظ والمناسبات.
- كل من ثبتت عدالته يُتأول ما لم يُفهم من كلامه وفعله.

فالكتاب يعد مدرسة علمية جدلية، وصوفية، يتوقف عندها كل متصوف أو دارس لعلم التصوف وأحوال الصوفية في زمان من الأزمنة.

ومما يؤلم ويحز في البال؛ أن الكثير في هذا الوقت - وهو اتجاه سائد هذا الزمان - يريدون اعتبار التصوف وطقوسه المبتدعة والأصلية ثقافة روحية خاصة، ونمطا فلسفيا بعيدا عن السلوك الرباني، والالتزام الشرعي بالأوامر والنواهي بله الاعتقاد، فصرنا نرىٰ مهرجانات للموسيقىٰ الصوفية، ونتحدث عن مفهوم الحداثة عند ابن عربي، أو مفهوم وحدة الأديان عند ابن سبعين والحلاج، وغير ذلك من الهراء الذي هو نتيجة الوقوف مع ظواهر كلام أولئك الأئمة دون فهم مقاصدهم، أو نتيجة النظر إلىٰ أحوال بعض الطرق دون استيعاب الجلوس إلىٰ شيخ التربية، واحتواء ملاحظهم، والتربي بطرائقهم.

فظُلم التصوف أكثر مما ظُلم، وشوه رونقه ومبتناه، بل اعتُبر الدجل والدجالون، والسحرة والمشعوذون ضروبا من ضروب التصوف، ولله در الإمام أبي مدين التلمساني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال في رائيته الشهيرة:

واعلم بأن طريق القوم دارسة ... وحال من يدَّعيها اليوم كيف ترىٰ

ما بعد «البحر المسجور»:

يحكي لنا الشيخ الباقر – رحمه الله تعالىٰ – تفاصيل نهاية تلك الأزمة، والتي لم تخل هي كذلك من فصول المكر والخداع من طرف علماء السوء الذين لم يكن همهم لا الدين ولا التدين، ولا الأمة ولا المجتمع، بحيث أصبح – فيما بعد – جلهم –إن لم يكن جميعهم– أدواتٍ للاستعمار الفرنسي الذي دخل عام 1330هـ/ 1912م وأفتوا بحرمة حربه ومقاومته، وجل من دبر لهذه القضية في فاس كانوا وراء سفك دم الشيخ وإبطال دعوته الإسلامية والإصلاحية والجهادية، والتي لو نجحت لتغير تاريخ شمال إفريقيا، ولكنْ لله تعالىٰ حكمٌ هو أدرىٰ بنتائجها.

قال الشيخ الباقر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هذا وقد صرح المترجَم للوزير، إثر انفضاض الجلسة الأخيرة، برغبته في العودة لفاس؛ لأن الاتفاق التام بينه وبين مناظريه أصبح من المستحيلات، ورجا منه محادثة السلطان في الموضوع، وإطلاعه علىٰ حقائق الأشياء. وبعد أيام؛ أبلغه موافقته علىٰ ذلك بشرط وقوع إشهاد عليه، يحتوي علىٰ ما صرح به غير مرة في مجالس المناظرة، من أنه: يتبرأ إلىٰ الله من كل ما يخالف الشريعة، ويلتزم بعدم إفشاء علم الحقيقة في مجالسه العامة، ويدفع له مؤلفاته فيه كي يُطْلِعَ عليها العِلْمَ الشريف، ويرىٰ فيها رأيه، ذاكراً أنه مضطر إلىٰ اتخاذ هذا التدبير ليرضي به بعض الأوساط الرسمية بفاس، التي كانت لا ترضىٰ بغير القضاء عليه بديلا».

«وحيث إن الله تعالىٰ حفه بالألطاف الخفية، من أول هذه القضية الهائلة إلىٰ آخرها».

«وحيث إنه انتصر انتصاراً باهراً علىٰ أعدائه، في إقناع الوزير بإلغاء طلب المُلك من قائمة التهم الموجهة إليه».

«وحيث إنه مل من مناظرة أناس لا يمتون إلىٰ العلم الصحيح والأخلاق الفاضلة بصلة، وكلما قهرهم بدامغ الحجج، وروائع البيان، إلا وتلقوا من خصومه بفاس، رسائل يغذونهم بها تغذية كريهة، من نوع جديد، تكون سبباً في امتداد حبل النزاع أسبوعا آخر».

«وحيث إنه يسعىٰ في نشر أفكاره الإصلاحية، ودعوته التجديدية، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وهذا السعي يفرض علىٰ صاحبه استسهال كل صعب في سبيل نجاحه...».

«فقد رأىٰ أن يجيب الوزير إلىٰ اقتراحه، ويقبل وقوع إشهاد عليه بما ذكر، وفعلاً تم أصل الإشهاد في خامس ربيع الثاني، عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف وعند تحرير صيغته النهائية، زيدت فيه مقدمة، اشتملت علىٰ أهم المسائل التي وقعت المناظرة فيها، بأسلوب لم يخلُ من الدس والمكر، بل والكذب أيضاً، كما وقع حرص شديد علىٰ تكرير لفظ: «التوبة»، وتجاهلوا قوله تعالىٰ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: 19]».

«وبعد مضي نحو أسبوع علىٰ الإشهاد؛ أنهىٰ الوزير إلىٰ علم المترجَم، أنه كتب عن الأمر الشريف، رسالة إلىٰ الشيخ الإمام المصلح أبي الفضل محمد مصطفىٰ ماء العينين الشنقيطي الحسني[1] يستدعيه فيها للقدوم لمراكش قصد إعطائه الكلمة الأخيرة في كثير من القضايا الهامة، التي كانت تشغل النفيس من أوقاته، وأهمها: قضية المترجَم، والاطلاع علىٰ مؤلفاته الصوفية بحسب النيابة عن السلطان، وهل ما فيها موافق للشرع؟ وهل صاحبها جدير بحمل لقب المشيخة،

---

(1) الشيخ الشهير، والمربي الكبير، والعلامة المشارك، كان له أتباع كثيرون في جل أنحاء المغرب، له عدة تآليف في فنون عديدة، عمر طويلا، توفي بتزنيت سنة 1328هـ. "شجرة النور الزكية" 1/ 433، "إتحاف المطالع" 1/ 385.

والقيام بأعباء الدعوة إلىٰ الله؟! وأشعره أنه قصد بذلك تحقيق رغبته التي أبداها في بعض مجالس المناظرة؛ فأبدىٰ استعداده لذلك، لما يعلمه من تبحر الشيخ المذكور في علمي الظاهر والباطن، وإخلاصه لله تعالىٰ في السر والعلن، وطهارة قلبه من العلل الظاهرة والباطنة».

«ولما أشرقت شمسه علىٰ مراكش كان أول عمل قام به بعد استراحته من أتعاب السفر، هو: اجتماعه بالمترجم، ومحادثته معه في مختلف المسائل التي اشتد النزاع فيها في مجالس المناظرة، والاطلاع علىٰ مؤلفاته الصوفية. وكان اجتماعاً هامًّا، عرف منه الشيخ ماء العينين حقائق الأشياء، وخُبث نوايا أعداء المترجم، وأبدىٰ إعجاباً كبيراً بعلمه الجم ومعرفته الكبرىٰ، واطلاعه النادر وآرائه الإصلاحية، وجهوده المبذولة لصالح الإسلام والمغرب، وصرح بأنه لا بأس بتلقينه علوم كبار الصوفية لجماعة من تلامذته، وحمل علىٰ مناظريه وأعدائه حملات عنيفة، قرأ علىٰ إثرها قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: 39]، والله يقلب الليل والنهار[1]».

«وأخيراً، رجا منه أن يكتب له شرحا علىٰ صلاته «الأنموذجية»، فألف: «لقطة عجلان» في نحو كراس[2]، وبمجرد اطلاعه عليه كتب تقريظا ضمنه رأيه في المترجم ومؤلفاته، «ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل»[3] كما في الحديث الشريف».

---

(1) يقول تعالىٰ في الآية 44 من سورة النور: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

(2) "لقطة عجلان في شرح الصلاة الأنموذجية "طبع طبعة حجرية سنة 1314هـ.

(3) أخرجه ابن الجوزي عن طريق الخطيب البغدادي كما في تاريخه، بعد إيراده لطرق الحديث وإسناده (7/ 223 رقم: 3704)، قال الألباني في الضعيفة 3227: "فالحديث بهذه الأسانيد موضوع"... قلت: إذا كان الحديث بهذه الأسانيد لايصح؛ فإن لمعناه شواهد صحيحة، قال تعالىٰ في سورة الرحمن الآية 60: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

«وقد كان تقريظُ الشيخ ماء العينين القولَ الفصل في محنة المترجَمِ هاته، قطع ألسنة مناظريه وأعدائه، وعاشوا عدة شهور في غاية الحسرة، ومزيد الألم، مع أنهم كانوا حديثي عهد بانتصار جديد أحرزوا عليه بفاس؛ حيث نجح بعضهم في التأثير على بعض الأوساط الرسمية بفاس، حتى وجهت عدلين إلى والد المترجم ليشهدوا عليه الالتزام بعدم قراءة الصلاة الأنموذجية بالزاوية الكتانية الفاسية».

«ولكنه لم تمض على ذلك إلا أيام قلائل؛ حتى منَّ الله سبحانه على المترجَم، بأكبر انتصار حصل عليه في رحلته المراكشية هاته:

«ذلك أن السلطان مولاي عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أصدر ظهيرين شريفين: أولهما لخليفته بفاس الأمير مولاي عرفة العلوي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ، وثانيهما: لقضاة فاس؛ يحتويان على أمره بقراءة الصلاة الأنموذجية، وقد بلغ من عنايته بالتقريظ العيني، أن أدمجه في ظهيره لقضاة فاس».

وهذا نص المقصود من الظهير الثاني:

(قد أطلعنا الشيخ البركة السنى الأفضل الأجل، سيدي ماء العينين على صلاته المعلومة؛ فسلمها له، حيث لم يجد فيها ما ينكر، وكتب له عليها ما نصه:

«الحمد لله وحده. والسلامان على أفضل من عَبَدَه. هذا؛ وليعلم الواقف هنا من جميع أهل العلم، أني أيها الكويتب لهذه الحروف، غفر الله لي وأعاذني من كل مخوف، تصفحت كلام هذا السيد الجليل، فلم أجد ما أنقم عليه فيه مما لا يحتمل تأويلاً صحيحاً، وأظن أن أحد ثلاثة لا ينقم عليه شيئا مما قال؛

(1) عرفة ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي، الخليفة بفاس في عهد المولى الحسن، توفي بفاس سنة 1324هـ، "إتحاف المطالع" 1/ 369.

«**أحدهم**: رجل ذاق مذاقه، وشاهد مشهده».

والثاني: رجل تبحر في لسان العربية، وعلم دقائقه من مجاز واستعارة، وعموم وخصوص... وغير ذلك من أنواع العلوم العربية التي تحتوي عليه».

«**والثالث**: رجل طالع كتب القوم الذين يتكلمون بمثل هذا الكلام، ولو لم يتركوا لضاع الدين، وضاع كثير من الذين سلكوا هذا المسلك».

«**والأصوب عندي**: أن لا يتعرض له من لم يفهم كلامه، بل قُصارىٰ خبره إن لم يقبله: أن يقول له: الله أعلم بك، وبما تقول. لاسيما ما دام يجد له احتمالا ولو شاذا أو ضعيفا، لكون المومن من شأنه التماس المعاذر، والله يتولانا وأحبتنا بالتمام، علىٰ المحبة والسلام. عبد ربه ماء العينين ابن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين غفر الله لهم، وللمسلمين آمين، وفي 15 رجب عام 1314».

(ولأجل هذا؛ آذنا له في قراءة الصلاة المذكورة؛ لتكونوا من الإذن له علىٰ بال. وقد أجبنا ابن عمنا مولاي عرفة بمثله والسلام).

«وقد وقفت في رسالة لوالد المترجم، علىٰ كلمة قيمة صدرت من الوزير الأول إثر اطلاعه علىٰ التقريظ العيني، وهي: أنَّ جميع من أنكر علىٰ الشيخ الكتاني، أخرجه شيخنا من الأصناف الثلاثة، وأنه ليس له حظ ولا نصيب منها. ومثل شيخنا من يختبر[1]».

«وبمجرد إثبات التقريظ العيني في الظهير السلطاني؛ أصبحت الأوساط الرسمية، تعتقد أن ملك المغرب هو الذي يقول: إن المنكرين علىٰ الشيخ الكتاني

(1) تقريظ الشيخ ماء العينين هذا، مطبوع بآخر "لقطة عجلان" في حياة الشيخين الكتاني والشنجيطي. (المؤلف).

لم يذوقوا مذاقه، ولم يشهدوا مشهده، ولم يتبحروا في لسان العربية، ويعلموا دقائقه من مجاز واستعارة وعموم وخصوص... وغير ذلك من أنواع العربية التي تحتوي عليه، كما أنهم لم يطالعوا كتب القوم الذين قبله، الذين يتكلمون بمثل هذا الكلام، ولو لم يتركوا لضاع الدين، وضاع كثير من الذين سلكوا هذا المسلك». انتهى من «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» باختصار، وبإثبات تعاليق خالتنا المذكورة حفظها الله تعالى.

مؤرخون يزورون التاريخ:

والعجب كل العجب أن بعض المؤرخين؛ كالمختار السوسي في «المعسول»، وعبد الحفيظ الفاسي في معجم شيوخه وغيرهما نصوا في كتبهم على أن الشيخ رضي الله عنه وسم بالزندقة، فناظره علماء مراكش بمحضر السلطان فتاب من زندقته، وتبعهم على ذلك خير الدين الزركلي في «الأعلام»، وكل هذا هذيان وقلب للحقائق بعدما سبق، ومن أسباب ذلك أن السلطان عبد الحفيظ المخلوع عام 1330هـ/ 1912م حينما بطش بالشيخ وأهله وطريقته رضي الله عنهم أعاد نشر وثيقة التوبة المذكورة أعلاه، ومجموعة من الوثائق والدعايات المغرضة التي تبرر له قتل الشيخ رضي الله عنه، مع تزكية علماء السوء له في ذلك، أضف إلى ذلك الحسد الكبير الذي كان يتعرض له الشيخ وعائلته وطريقته من طرف أعلام الوقت، وتربصهم بهم الدوائر والمزالق.

وإن اعتذرت لأحد، فلا أجد عذرا لعبد الحفيظ بن طاهر الفاسي في معجم شيوخه، لأنه ابن عمة الشيخ رضي الله عنه، وقوله في كتابه 1/ 42: «...صدر الأمر باجتماع

العلماء بالحضرة المولوية، وبعد مناظرات معه في تلك المقالات؛ كتب السلطان لقاضي فاس إذ ذاك العلامة الحافظ أبي زيد عبد الرحمن ابن القرشي معرفا فيه بأن المناظرة انفصلت عن رجوع المترجم عن تلك المقالات»، تمويه وافتراء، حيث هو من بيت الشيخ، وتلميذه، والأدرىٰ بالتفاصيل المذكورة أعلاه، مع ما لوث به ترجمته من الدس والسم في الدسم، ولو ذات سوار لطمتني. فقد انغمس في الإدارة الفرنسية منذ دخولها المغرب، وتولىٰ نشر جريدة «السعادة» الناطقة باسم الاستعمار في السنة الأولىٰ التي دخل فيها، وكتب مقالات طوال في مدح فرنسا وسياستها، والهجوم الكاسح علىٰ المجاهدين ضدها؛ كالإمام أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين وغيره.

بل وقفت له علىٰ رسالة بخط يده أرسلها للمقيم العام الفرنسي وقته، تحت عنوان: «تشييد الحصون الهندسية في الدفاع عن الشبيبة العصرية»، في حوالي ثلاثين صفحة، يرسم للاستعمار خطة من أجل قمع الحركات الدينية، والطرق الصوفية، بزعم أنها خطر علىٰ استقرار البلاد، وأن الله تعالىٰ نجىٰ عن طريق فرنسا المغرب من الكتانيين والمعينيين! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وغفر الله لنا وله. فمثل قائل ذلك لا يحتج بقوله في أمثال الشيخ رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ من المجاهدين ضد الاستعمار، والإصلاحيين الحقيقيين[1].

(1) لولا أن الشيخ عبد الحفيظ الفاسي غفر الله له كان يفتخر بتلك المواقف ويعلنها لما تجرأت علىٰ كتابة ما ذكر، ولولا أن المقام يقتضي ذلك للتنبيه، ولا أخفي أنه كان عالما كبيرا، تتسم مؤلفاته بالدفاع عن السنة النبوية، والتحقيق، وسعة العلم والاطلاع، فعفا الله تعالىٰ عنا وعنه، ووهب مسيئنا لمصلحنا، وسبّق رحمته غضبه.

ولذلك قلت في ألفيتي:

وبــئس مـــا نقلــه أعـــلام | في كُتْـــبهم وخَبُـــثَ الكـــلام
جهـــلا أتـــوه، أو بعلـــم، عجَبـــا | وكـــم حَسُـــنَ لـــو توقـــوا جرَبـــا
مـــنهمُ عبـــد الحفـــيظ الفاســـي | في معجـــم الشـــيوخ كـــم يقاســـي
كـــذا محمـــد مُوَقِّـــتُ الحمـــراء | في رحلـــة كـــم ضـــمت مـــن مِـــراء
والعـــالم المختـــار ابـــن علـــيٍّ | مـــؤرخ جزولـــة السوســـي
كلهـــمُ حكـــىٰ بـــأن شـــيخنا | قـد تـاب مـن عصيان مـن قـد أحسنا
مِـــن أنْ ظهَـــر أهـــل مَـــرَّكُشْ | عليـــه فاســـخرن أخـــي وهُـــش
وأن الحبـــر الشـــنقِطِيَّ استشـــفعَ | فيـــه الخليفـــةَ ومنـــه اســـتدفع
وكـــل ذاك مـــن هُـــزال الـــرأي | وقلـــة البحـــث وضـــعف الـــرأي
علـــىٰ أن الفاســـيَّ أدرىٰ بالحـــدثْ | وعـاش كـل مـا مضـىٰ ومـا حـدثْ
فقـل لـي يـا ابـن الطـاهر: التائيـة | مـــا بالهـــا ظلـــت تقـــرا جهريـــة؟
وكـــذا لُنْمذُجيّـــة الغـــرّا | عليهمـــا كـــان الجـــدال تتـــرا؟
بـــل عـــم ذكرهمـــا في الآفـــاق | واســـتَجَزْت الـــذكرين باتفـــاق
وارجـــع إلـــىٰ روضـــاتٍ للجنـــات | تـــر المقـــال في عُـــلا الصـــفْحات
هـــل قـــولكم ضـــرب مـــن الجـــدال | أو حســـد؛ فـــداؤكم عضـــال؟
بـــل عـــد إلـــىٰ وثيقـــة المليـــك | تـــرىٰ حقائقـــا بـــلا تحليـــك

وبالرغم من هذا الكتاب؛ فإن المنكرين لم ينقطعوا عن الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهي عادة الله تعالىٰ مع الرسل وخلفائهم، فألف رضي الله تعالىٰ عنه عدة كتب في إظهار دلائل الطريق، والدفاع عن مذهب أهل الله تعالىٰ من أرباب السلوك؛ ومن ضمن تلك المؤلفات:

«الكمال المتلالي، والاستدلالات العوالي، في محاججة علىٰ أهل التفريط والتغالي، وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا ينقطع بل متتالي». وقد طبع علىٰ الحجر في حياة المؤلف.

و«لسان الحجة البرهانية، في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية». طبع مرتين: علىٰ الحجر بفاس، وبالمطبعة العصرية ببيروت عام 1322.

و«البيان المسدد، لمن أنكر التعبير بأحمد بدل محمد».

و«الأمالي في علم الأمهات». طبع علىٰ الحجر في حياة المؤلف، وطبعناه ضمن سلسلة «النفائس الكتانية» بدار الرازي بالأردن.

و«حديقة الجنان»، أجاب فيها عن أمور تنكر علىٰ الصوفية.

و«سلم الارتقاء، في منشأ طريق التصوف ووجوب شيخ التربية»

علاوة علىٰ ما ضمنه في جل كتبه من الدفاع عن مسائل مهمة في التصوف بلسان تفصيلي، مستمد من أصول التشريع الإسلامي.

وبالرغم من إرجاف المرجفين؛ فإن الطريقة الكتانية انتشرت انتشاراً فريداً في المغرب بحيث كانت تعد أكبر طريقة صوفية فيه، وكان لأئمتها ودعاتها في مختلف أطراف البلاد، إضافةً إلىٰ شيخها ومرشدها، الدورُ الأبرز في تحريك العجلة العلمية والإصلاحية الدستورية، والدينية، والجهادية، والوطنية في المغرب، بحيث لم تكد تبرز حركة من الحركات الإصلاحية بالبلاد إلا وهي ربيبة الطريقة الكتانية ورضيعة لبانها، وانتشرت في حياة شيخها ومؤسسها في الحجاز ومصر، ثم بفضل الشيخ عبد الحي الكتاني وبعض الدعاة في شمال إفريقيا ووسطها، ثم جددها نجل المؤلف الإمام محمد الباقر الكتاني وفتح فروعا لها في مختلف البلاد، وفي مصر

والمشرق، بالرغم من مرورها بأهوال وفتن نتيجة ابتناء منهجها علىٰ عدم التفريق بين الدين والدنيا، وعلىٰ الجهر بالحق ورد الباطل.

الخلاصة:

والمقصود بتلك الكتب المذكورة أعلاه - وجلها مخطوط أو في حكمه- أن التصوف الحق هو الاتباع، ووجوب التزام ظواهر الشرع في كل شيء، والتزام السنة والكتاب، والقيام بالشريعة المطهرة في كل مقام وما يقتضيه، ومن امتثل بذلك فهو الصوفي شاء أم أبىٰ، ومن لم يلتزم بما ذكر في أول هذه المقدمة فليس له في التصوف قدم، ومن التزم بذلك لا يصح الإنكار عليه، إلا بعد استفهامه واستحجاجه، واتخاذ المعاذير له. وأن جل طقوس الصوفية وأحوالهم وأقوالهم ومواجيدهم مستمدة من الكتاب والسنة، غير مبتدعة.

ولسنا نقصد أبداً الردَّ علىٰ فرق المسلمين، أو التنقيص من السلفيين، أو فقهاء الظاهر ونحو ذلك، وحاشا لله تعالىٰ، فكل ميسر لما خلق له، ورب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، فتكون المنة للصغير علىٰ الكبير، والقيام بنشر السنة المحمدية وكتبها، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ونشر الإسلام في مختلف بقاع العالم، والجهاد في سبيل إعلاء راية الإسلام له من الفضل ما لا يكيف ولا تحصره العبارة، فالسلفي له فضل كبير في إحياء السنة، والإخواني له فضل كبير في الرد علىٰ العلمانيين والملاحدة، ونشر الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والفقيه حارس الشريعة، ونأمل أن الصوفي الحق هو من جمع كل تلك الخصال، ولذلك ألف خليفة الشيخ رضي الله عنه ونجله الإمام أبو الفضل محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني المتوفىٰ بمدينة سلا عام 1379هـ/ 1959م رضي الله عنه رسالة في أن الكتاني الحق هو من التزم الكتاب والسنة، وبراءة الطريقة من المتبعين لأهوائهم وشهواتهم، والمتكلين علىٰ الفضائل.

جهود الشيخ الدكتور سعد جاويش في خدمة السنة النبوية

د. إبراهيم عمر الحواسي
أستاذ كلية الدراسات الاسلامية
الجامعة المفتوحة بليبيا



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وخاتم النبيين والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فإنَّ الكلام عن مدرسة الحديث في بلاد مصر حيث الجامع الأزهر العريق، والأعلام الكبار، والنجوم الزاهرة التي لمعت في سماء مصر، والشموس المضيئة التي سطعت فاقتبس من نورها طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربها، فعندما نذكر مصر نذكر أعلام الحديث فيها، مثل: عبد الله بن وهب، وعبد الله بن لهيعة، وأحمد بن صالح المصري، والطحاوي، وعبد الغني بن سعيد، والقضاعي، والسلفي، والمنذري، والدمياطي، وابن دقيق العيد، وابن سيد الناس اليعمري، ومغلطاي، وابن الملقن، والبلقيني، والعز ابن جماعة، والعراقي، والهيثمي، وابن

حجر العسقلاني، وبدر الدين العيني، والسخاوي، والسيوطي، وزكريا الأنصاري، والقسطلاني، وغيرهم ممن يحتاج الحاصر لهم لمجلدات تعتني بالترجمة لهم وذكر أعمالهم في خدمة السنة المطهرة.

كما لا يفوتني أن أذكر المساجد التي كانت عامرة بحلقات العلم، وأعظمها وأرفعها الجامع الأزهر الذي لازال إلىٰ هذا الوقت يعجُّ بطلبة العلم من كافة أصقاع المعمورة للتزود بالعلوم الشرعية، وهو كما قال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة المتوفىٰ (1427هـ): «والأزهر - طول عصور التاريخ - حارس التراث العربي، ومجدد الثقافة الإسلامية، والمشعل الذي يضيء ولا يخبو، والملاذ الذي تهوي إليه أفئدة المسلمين من كل مكان، والضوء الذي ينير لهم الطريق، ويبصرهم سواء السبيل»[1]. ويقول مبينـًا مكانته في العالم الإسلامي: «والأزهر هو أبو الجامعات الدينية، في عالم الإسلام، وهو الذي يمدها بالتوجيه والخبرة، وبالخطط العلمية المدروسة، وبالمناهج والأساتذة، وعلىٰ نمطه قامت مختلف الجامعات الإسلامية الحديثة في أنحاء العالم الإسلامي، وصار هو الصورةَ المشرقةَ لكل الجامعات، وهو الذي يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية»[2]، وقد مدحه أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله:

قم في فم الدنيا وحَيِّ الأزهرا ... وانثر علىٰ سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدر إن فصلته ... في مدحه خرز السماء النيرا
واذكره بعد المسجدين معظمـًا ... لمساجد اللّٰه الثلاثة مكبرا

---

(1) ينظر: الأزهر في ألف عام، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي 1/ 9.

(2) ينظر: نفس المصدر 3/ 491.

واخشع مليّـًا واقـض حـق أئمـة	طلعـوا بـه زهـراً ومـاجوا أبحـرا
كـانوا أجـل مـن الملـوك جلالـةً	وأعـز سـلطانًا وأفخـم مظهـرا
زمـن المخـاوف كـان فيـه جنـابهم	حـرم الأمـان وكـان حصـنهم الـذرا
مـن كـل بحـر في الشـريعة زاخـراً	ويريكـه الخلـق العظـيم غضـنفرا[1]

وجامع ابن طولون؛ حيث كان يدرس فيه التفسير والقراءات، والفقه والحديث والميقات والطب[2]، وجامع السلطان حسن الذي كان يدرس فيه الفقه علىٰ المذاهب الأربعة، وجامع المؤيد الذي كان الحافظ ابن حجر يدرس فيه فتح الباري، وجامع الفكهاني وغيرها من المساجد التي كانت إلىٰ جانب كونها مواطن للعبادة، فهي منارات يشع منها العلم.

كما لا نغفل الكلام عن المدارس التي أنشئت لتدريس الحديث الشريف والفقه، مثل: مدرسة الجمالية التي كان الحافظ ابن حجر يعقد فيها مجالس إملاء الحديث[3]، ومدرسة الشيخونية التي درس فيها الحافظ ابن حجر أيضًا الحديث[4]، ومدرسة المنصور قالوون، والمدرسة الكاملية، والمدرسة الصلاحية، والمدرسة المنصورية، والمدرسة الأشرفية، والمدرسة الفارقية، والمدرسة الناصرية، والمدرسة الباسطية[5] وغيرها.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه 2/ 141.

(2) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي 4/ 43، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي 2/ 249.

(3) ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام، للسخاوي 3/ 581.

(4) ينظر: المصدر نفسه 3/ 591.

(5) ينظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، للدكتورة سعاد ماهر محمد 3/ 117.

ولا ننسىٰ دور الأربطة وخانقاهات الصوفية التي – وإن كانت تهتم بتربية النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتقديم المساعدة والعون للمحتاجين من اليتامىٰ والفقراء والمساكين وأبناء السبيل – إلا أنها لم تغفل مدارسة العلوم الشرعية، من ذلك: خانقاه الجاولية التي كانت تدرس الفقه الشافعي والحنفي، وخانقاه شيخو التي كانت تدرس الفقه علىٰ المذاهب الأربعة والتفسير والقراءات، وكان من ضمن المدرسين فيها في الفقه المالكي الشيخ خليل بن إسحاق الجندي صاحب المختصر[1]، وخانقاه ركن الدين بيبرس التي أُقِرَّ فيها مدرسٌ للحديث[2] وكان الحافظ ابن حجر يعقد فيها مجالس إملاء الحديث[3]؛ وإن كان في الأصل تعميرها بالذاكرين والزاهدين والمتصوفين السالكين المنقطعين لمرضاة رب العالمين.

أما المصنفات في علوم الحديث فحري بها مصنف يتتبع ما سطره علماء مصر فيها، ومع ذلك فلا يمكن عدها وحصرها لكثرتها وتنوعها، ولا بأس من أنْ أعرج علىٰ شروح صحيح الإمام البخاري التي اعتنىٰ به علماء مصر، فمنهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

1. التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، لبدر الدين الزركشي (ت 794هـ).
2. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لسراج الدين ابن الملقن (ت 804هـ).
3. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ).
4. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (ت 855هـ).
5. التوشيح شرح الجامع الصحيح، لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ).

---

(1) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي 4/ 292.

(2) ينظر: المصدر نفسه 4/ 285.

(3) ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام، لشمس الدين السخاوي، 3/ 582.

6. منحة الباري شرح صحيح البخاري، لزكريا الأنصاري (ت 926م).
7. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني (ت 923هـ).

- **عناية علماء الحديث في مصر بالأسانيد:**

الإسناد والسند هو: سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث واحدٌ عن واحدٍ حتى يبلغوا قائله[1]، وللإسناد أهمية كبيرة في علم الحديث، فهو من الدين والأمانة التي يجب على المحدث أنْ يتحلى بها عند أدائه لحديث رسول الله ﷺ، يقول عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: « الإسناد عندي من الدين؛ لولا الإسناد لقال كل من شاء ما شاء»[2]، ويقول أيضاً: «مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد، كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم»[3]، وهو يعد الطريق الموصلة للحديث، فلا ثقة بحديث يذكر دون إسناد، كما أنَّ الإسناد يعد من خصائص الأمة الإسلامية، يقول الحافظ ابن الصلاح رحمه الله: «خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة»[4]، ويقول محمد بن حاتم بن المظفر (ت 246هـ): «إن الله قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد، إنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، فليس عندهم تمييز بين

(1) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث، الدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق ـ سورية ط 3 (1401 هـ -1981 م) ص 344.

(2) ينظر: الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص 393، والمحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، ص 209.

(3) ينظر: الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص 393.

(4) ينظر: معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، ص 255.

ما نزل من التوراة والإنجيل، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي اتخذوها عن غير الثقات. وهذه الأمة الشريفة إنما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة عن مثله حتىٰ تتناهىٰ أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتىٰ يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن هو أقصر مجالسة، ثم يكتبون الحديث الواحد من عشرين وجها فأكثر، حتىٰ هذبوه من الغلط والزلل، وضبطوا حروفه، وعدوه عدا، فهذا من فضل الله علىٰ هذه الأمة، فنستوزع الله شكره هذه النعمة وغيرها من نعمه»[1].

وتظهر عناية علماء الأمة برواية كل شاردة وواردة، فما من شيء له علاقة بالشرع إلا اعتنوا به ونقلوه عمن قاله، يقول ابن حزم الظاهري (ت 456هـ): «وهذا نقل خص الله تعالىٰ به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وبناه عندهم غضا جديدا علىٰ قديم الدهور... يرحل في طلبه من لا يحصي عددهم إلا خالقهم إلىٰ الآفاق البعيدة ويواظب علىٰ تقييده من كان الناقد قريبا منه قد تولىٰ الله تعالىٰ حفظه عليهم، والحمد لله رب العالمين فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم ولا يمكن فاسقا أن يقحم فيه كلمة موضوعة -ولله تعالىٰ الشكر-»[2].

وقد اعتنىٰ علماء الحديث بتحقيق الأسانيد والبحث فيها، ذلك لأنه كثيراً ما يُتَوصَّل عن طريق السند إلىٰ نقد للمتن، الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق البحث في السند، وقد بذل المحدثون غاية الجهد في تتبع الأسانيد وتقصيها

(1) ينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، 3/ 330.

(2) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم 2/ 68ـ 89.

حتىٰ رحلوا من أجلها في البلاد، وجالوا في الآفاق، لكي يعثروا علىٰ سند، أو لكي يبحثوا في سند صعب عليهم أمره(1)، حتىٰ إذا ثبتت نصوص الشريعة، وأصبحت راسخة البنيان، محفوظة من التغيير والتبديل، تسامح العلماء في أمر الإسناد، اعتماداً علىٰ شيوع التدوين، وثبوت معالم الدين(2).

وفي حياتنا اليومية نفتقر إلىٰ الثقة في المصادر التي تنقل المعلومة سواءً من كتب، أو صحف، أو مجلات، أو إذاعة مسموعة أو مرئية، أو مواقع إلكترونية، أو في صفحات التواصل الاجتماعي، هذه الثقة ترتكز علىٰ ما تستند عليه هذه المؤسسات من المصداقية في نقل المعلومة، وهي تتمثل في صدق الأفراد وشهرتهم في نقل المعلومة، وما تميزت به واشتهرت الكثير من القنوات الإذاعية، والصحف الإخبارية؛ إلا بمصداقية مراسليها ووقوفهم ونقلهم الخبر من عين المكان.

وبعد أنْ دُوِّنَ الحديث الشريف في المصنفات المتعددة من صحاح، وسنن، ومسانيد، وجوامع وأجزاء، اعتنىٰ علماء الحديث المتأخرون بوضع كتب جمعت رواياتهم لأصول كتب الحديث وغيرها من تفسير، وقراءات، ولغة، وأدب، حيث يقوم فيها المصنف بذكر أسماء شيوخه، وأسانيد مروياته، وهي تختلف، فمنها ما تم ترتيبه وفق أسماء الشيوخ، ومنها ما رتب وفق العلوم وأسماء الكتب المصنفة فيها، وقد اختلفت التسمية من بلدٍ إلىٰ آخر، ففي بلاد المشرق يسمونها فهارس، أو معجم الشيوخ، مثل: معجم الشيوخ لأبي بكر الإسماعيلي، ومعجم الشيوخ للدمياطي، والمجمع المؤسس للمعجم المفهرس للحافظ ابن حجر، ومعجم السفر للحافظ السلفي، ومعجم الشيوخ للذهبي وغيرها، أو مشيخة، مثل: مشيخة أبي يعلىٰ

(1) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث، الدكتور نور الدين عتر، 345.

(2) ينظر: الإسناد من الدين، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص 11.

الخليلي، ومشيخة أبي يوسف الفسوي، ومشيخة شهاب الدين السهروردي وغيرها، أو ثَبَت -بفتح الباء الموحدة-، مثل: ثبت ابن حجر الهيتمي المكي، وثبت الكزبري، والثبت الكبير للمشاط وغيرها، وفي بلاد الأندلس يسمونها برنامج، مثل: برنامج التجيبي، وبرنامج الوادي آش، وبرنامج أبي جعفر اللبلي، وبرنامج شيوخ الرعيني الإشبيلي وغيرها، والفهارس، مثل: فهرس شيوخ ابن عطية، وفهرسة ابن خير الإشبيلي، وفهرس الفهارس والأثبات للكتاني، وهي كتب ذكر فيها أصحابها طرق رواية كتب الحديث، سواءً كان بطريق الرواية الشفوية أو بطريق الإجازة، وفي هذه الفهارس والأثبات رواية أيضاً لكتب التفسير واللغة والأدب وغيرها من العلوم.

- **أشهر أسانيد المصريين**:

اعتنىٰ علماء الحديث في مصر بالأسانيد والأثبات عناية كبير؛ بل ودار إسناد المتأخرين علىٰ بعض الأثبات، مثل:

1. ثبت شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت 926هـ)، تخريج شمس الدين السخاوي (ت 902هـ)[1].
2. ثبت ابن حجر الهيتمي، للشيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس محمد ابن حجر الهيتمي (ت 974هـ)[2].
3. مشيخة الغيطي، للحافظ نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي المصري الشافعي، (ت 982هـ)[3].

---

(1) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للكتاني 1/ 458.

(2) ينظر: المصدر نفسه 1/ 337.

(3) ينظر: المصدر نفسه 2/ 888.

4. ثبت الزرقاني، لمحدث الديار المصرية أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، (ت 1122هـ)[1].

5. ثبت الشبراوي، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي، (ت 1171هـ)[2].

6. ثبت الحفني، لشمس الدين محمد بن سالم الحفني الشافعي الأزهري، (ت 1181هـ)[3].

7. ثبت أبي الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي (ت 1189هـ)[4].

8. اللطائف النورية في الأسانيد الدمنهورية، للشيخ أبي العباس أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت 1192هـ)[5].

9. مجموع أسانيد الدردير، لأبي البركات أحمد بن محمد المالكي الشهير بالدردير، (ت 1201هـ)[6].

10. سد الأرب من علوم الإسناد والأدب: للشيخ محمد بن محمد بن عبد القادر الأمير الكبير (ت 1232هـ)، يقول فيه الكتاني: «وثبته مدار رواية

---

(1) ينظر: المصدر نفسه 1/ 456.

(2) ينظر: المصدر نفسه 2/ 1065.

(3) ينظر: المصدر نفسه 1/ 353، واتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية، للعلوي، ص 113.

(4) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للكتاني 2/ 713.

(5) ينظر: المصدر نفسه 1/ 404.

(6) ينظر: اتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية، للعلوي، ص 119.

ومعظم الحجازيين والمغاربة، وفهرسه هذا في نحو أربع كراريس مفيد جامع للمصنفات الحديثية والكتب، رتبها على الفنون والمسلسلات والطرق»[1].

11. الدرر السنية فيما علا من الأسانيد الشنوانية، شيخ الأزهر محمد بن علي الشنواني الشافعي (ت 1233هـ)[2].

12. ثبت الشرقاوي، لشيخ الأزهر عبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت 1227هـ)[3].

13. فهرس المبلط، للعلامة مصطفى بن محمد المبلط المصري الشافعي، (ت 1284هـ)[4].

14. الكوكب الدري في أسانيد علي بن محمد البكري (ت 1297هـ)[5].

15. العقد الفريد المنظوم مما تناثر من فرائد جواهر الأسانيد، للشيخ عباس بن محمد أمين رضوان المدني الأزهري الشافعي، (ت 1346هـ)[6].

16. المسعى الحميد في بيان وتحرير الأسانيد، للشيخ أحمد رافع بن محمد الطهطاوي (ت 1355هـ)[7].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه 1/ 134، وأسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 189.

(2) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للكتاني 2/ 1078، وأسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 659.

(3) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للكتاني 2/ 1071، واتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية، للعلوي، ص 112.

(4) ينظر: إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح، محمد بن عبد الله آل رشيد، ص 455.

(5) ينظر: أسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 373.

(6) ينظر: إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح، محمد بن عبد الله آل رشيد، ص 428.

(7) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للكتاني 2/ 605، =

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الدكتور سعد جاويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نسبه الشريف:

هو السيد الشريف سعد بن سعد بن رزق بن عبد الرحمن بن عبد العال بن إبراهيم بن محمد بن علي بن حمد الملقب بجاويش بن غانم بن أبو زيد بن عبد المؤمن بن أحمد بن محمد بن سيدي سليم أبي مسلم العراقي بن يوسف الهمداني بن أيوب بن محمد صدر الدين بن الحسين جلال الدين بن علي أبي المؤيد بن جعفر أبي الحارث بن محمد بن محمود بن أحمد بن عبد الله المنتخب بن علي المختار بن جعفر الزكي بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الإمام علي زيد العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد ﷺ[1].

مولده:

ولد في شهر ربيع الأول سنة (1360هـ) هجرية الموافق (29/ 4/ 1941م) في ريفية صغيرة اسمها علىٰ اسم جده (رزق جاويش) التابعة لمركز سيدي سالم بمحافظة كفر الشيخ من جمهورية مصر العربية[2].

= وأسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 298.

(1) ينظر: شهادة النسب الصادرة عن نقابة السادة الأشراف الصادرة بتاريخ (2/ 4/ 2019م)، وإتحاف الدرويش، ص 5.

(2) ينظر: أسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 453، وإتحاف الدرويش، ص 7.

نشأته:

توفيت أمه وهو لازال طفلاً صغيراً فتولت العناية به أخته الكبرىٰ السيدة فاطمة، فمكث في بيتها وقت التحاقه بالكتاب لحفظ القرآن الكريم، وتربىٰ في كنف والده الرجل الصالح العابد الذي وصفه في كتابه (البكاؤون) بأنه رقيق الدمعة، كثير تلاوة القرآن الكريم، محبٌّ للفقراء والمساكين، مواظبٌ علىٰ الصلاة بالناس بمسجد القرية، يتأثر كثيراً بقصة مقتل سيدنا الحسين عندما يذكرها[1].

في حجر هذا الرجل الشريف الحسيني الصالح نشأ وتربىٰ وترعرع وتزود بالتربية الصالحة والقدوة الحسنة، ومن توجيهات هذا الوالد الصالح أنه في الفترة التي كان يدرس فيها ولده في الثانوية الأزهرية في مرحلة شبابه وشغفه بقراءة الكتب والقصص والروايات، وجده يخبئ قصة في ناحية من نواحي البيت، فسأله عما يكون هذا الذي يخبئه فأخبره بأنها رواية بعنوان: (رد قلبي) للأديب يوسف السباعي، فقال له والده: يا ولدي أنا أدخلتك الأزهر كي تتعلم التفسير والحديث والفقه، ولتكون عالمـاً من علماء الأزهر الشريف، فكانت هذه الكلمة بمثابة الانطلاقة لطلب العلم، وللتوجه إلىٰ علم الحديث، وعلم التفسير[2].

دراسته:

أولاً: حفظ القرآن الكريم: التحق بالكتاب وهو صغير، فعكف علىٰ حفظ القرآن الكريم، فأخذه مجوداً متقناً علىٰ الشيخ حسن سلامة، وأخيه الشيخ محمد سلامة بكتاب قرية (صيفر) ببلدة أمه التابعة لبلدة دسوق بمحافظة كفر الشيخ، ثم

---

(1) انظر: البكاؤون، ص 180.

(2) ينظر: كلمة الدكتور أيمن الحجار في حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) تم بثها في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

انتقل لكتاب الشيخ فتح الله جاويش فأتم حفظ القرآن الكريم وهو في الثانية عشر من عمره سنة (1953م) ثم راجعه علىٰ والده[1].

ثانيًا: معهد دسوق الديني: التحق الشيخ بالمعهد ولبث فيه تسع سنوات نهل من العلوم الشرعية من الشيوخ الذين كانوا يدرسون فيه.

ثالثًا: جامعة الأزهر: التحق الشيخ بجامعة الأزهر وانتسب لكلية أصول الدين ونال شهادة الليسانس سنة (1966م/ 1967م).

رابعًا: الدراسات العليا: اختير الشيخ معيداً بقسم الحديث، وخلال ذلك تحصل علىٰ درجة الماجستير سنة (1971م) في موضوع (موقف السنة من التبرج)، ثم واصل دراسته فتحصل علىٰ درجة الدكتوراه في سنة (1976م) وكان عنوانها الحرج عن الأمة في ضوء الكتاب والسنة)، ومنح درجة الشرف الأولىٰ وأوصت اللجنة بطباعتها[2].

تدريسه:

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ ملتزمـًا بمواعيد الدروس سواء في الجامع الأزهر أو في غيره، لا يتخلف إلا لأمرٍ ضروري قاهر، فدرس في المؤسسات العلمية، في رحاب جامعة الأزهر، وفي كلية أصول الدين بقسم الحديث، ثم تمت إعارته لجامعة أم القرىٰ لتدريس الحديث الشريف من سنة (1978م – 1983م) فتمت له نعمة المجاورة بالحرم المكي والعكوف علىٰ عبادة الحج والعمرة ولقاء العلماء الذين يفدون من سائر الأقطار[3]، وبعد عودته لمصر أعير مرة أخرىٰ لتعليم البنات بكلية التربية

(1) ينظر: إتحاف الدرويش، ص 9.

(2) ينظر: البكاؤون، ص 200، وإتحاف الدرويش، ص 11 ـ 12.

(3) ينظر: إتحاف الدرويش ص 28.

بالرياض سنة (1988م) ثم تمت إعارته للمرة الأخيرة لمدة سنة فقط لجامعة عبد العزيز بجدة سنة (2001م)[1].

أما في المؤسسات الخيرية المفتوحة لعامة الناس، فدرَّس في:

1. المسجد الحرام بطلب من رئيس شؤون الحرمين الشريفين حتىٰ سنة (1403هـ)[2].
2. مضيفة الشيخ إسماعيل صادق العدوي.
3. العشيرة المحمدية.
4. أكاديمية أهل الصفة بالمقطم.
5. معهد الدراسات الإسلامية.
6. مسجد عباد الرحمن بمدينة نصر[3].

الكتب التي درسها:

أقبل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ علىٰ تدريس الكثير من الكتب الحديثية، فمنها ما درَّسه في الجامع الأزهر، ومنها ما درَّسه في رحاب كليات جامعة الأزهر، ومنها ما درسه في بيته، أو في المراكز العلمية التي سبق ذكرها، منها علىٰ سبيل الذكر:

1. صحيح الإمام البخاري.
2. صحيح الإمام مسلم.
3. الموطأ، برواية محمد بن الحسن الشيباني.

---

(1) ينظر: البكاؤون، ص 200، وإتحاف الدرويش، ص 33.

(2) ينظر: البكاؤون، ص 200.

(3) ينظر: إتحاف الدرويش ص 38 ـ 39.

4. الشمائل المحمدية، للإمام الترمذي.
5. الأربعون النووية.
6. الأربعون العجلونية.
7. الأوائل السنبلية.
8. الأربعون التساعية.
9. بهجة النفوس شرح مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري.
10. نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر.
11. الغيث المغيث في علم مصطلح الحديث، للشيخ محمد السماحي.
12. الأحاديث المعللة، لابن المديني.
13. فضائل عاشوراء.
14. فضائل بيت المقدس.
15. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ.
16. عَرف التعريف بالمولد الشريف، لابن الجزري.
17. مولد البرزنجي، للشيخ جعفر بن حسن البرزنجي.

شيوخه:

أخذ عن كثير من الشيوخ، سواء في معهد دسوق الديني، أو في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، أو من غيرهم، منهم من أخذ عنهم في دروسهم، ومنهم من أخذ عنهم إجازةً، وهم علىٰ النحو التالي:

1. الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي، وزير الأوقاف (ت 1397هـ=1977م).
2. الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة (ت 1403هـ=1983م).

3. الشيخ الداعية محمد الغزالي (ت 1416هـ=1996م).
4. الشيخ محمد البهي (ت 1402هـ=1982م).
5. الشيخ محمد إبراهيم أبو العيون، عميد كلية أصول الدين.
6. الشيخ محمد الصادق عرجون (ت 1400هـ=1981م).
7. الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الجامع الأزهر (ت 1397هـ=1978م).
8. الشيخ مصطفىٰ أمين إبراهيم التازي الحسيني (ت 1401هـ=1981م).
9. الشيخ محمد علي السماحي (ت 1405هـ=1984م).
10. الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري (ت 1413هـ=1992م).
11. الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الديروطي المالكي، وكيل كلية أصول الدين بجامعة الأزهر (ت 1390هـ=1970م).
12. الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف التيجاني المالكي الحسيني (ت 1398هـ=1978م).
13. الشيخ المسند محمد ياسين الفاداني (ت 1410هـ=1990م).
14. الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم الحسيني، رائد العشيرة المحمدية (ت 1419هـ= 1998م).
15. الشيخ محمد خليل الخطيب النيدي، شاعر الرسول ﷺ (ت 1407هـ=1986م).
16. زميله الشيخ محمد بن علوي بن عباس المالكي (ت 1425هـ=2005م).
17. الشيخ نجم الدين محمد أمين الكردي الإربلي النقشبندي الحسيني

(ت 1406هـ=1986م).

18. الشيخ محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني.

19. الشيخ محمد ضياء الدين بن محمد نجم الدين الكردي.

20. وتدبج مع الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري.

21. الشيخ عباس بن محمد السقاف الحضرمي[1].

22. الشيخ الدكتور محمد السيد ندا.

23. الشيخ الدكتور الشرباصي الحسنين البصراطي.

24. الشيخ الدكتور أحمد نور سيف حفظه الله.

25. الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم حفظه الله.

26. الشيخ الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب حفظه الله.

27. الشيخ الدكتور مصطفىٰ أبو سليمان الندوي.

مؤلفاته:

عكف الشيخ سعد جاويش علىٰ التأليف في فترة مبكرة من عمره، فبعد أن أنجز رسالته الدكتوراه بدأ في تأليف في مواضيعَ متعددةٍ لا تخرج عن الحديث النبوي، فكان منها:

(1) ينظر: أسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 453، وإتحاف الدرويش، ص 19 ـ 26، والدكتور أيمن الحجار في حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) بثت في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

أولاً: المطبوع:

1. السنن الزكية في الفضائل النبوية (ثمانية أجزاء).
2. السنة المشرفة وعلوم الحديث، دراسة في مصطلح الحديث.
3. تذكرة المحبين بأسانيدي إلىٰ خاتم النبيين ﷺ، وهو ثبت شيوخه.
4. التوجيهات النبوية لسلامة المعاملات الإنسانية.
5. قضايا حديثية.
6. شواهد الإيمان.
7. علىٰ طريق الهجرة، دراسة حديثية.
8. ناشئة الليل.
9. ضوء القمر.
10. توقير أمر الله.
11. ألقاب أهل الله.
12. جبر الخاطر.
13. البكاؤون.
14. المسحة المحمدية.
15. نزع الشيطان.
16. منبر التحرير، وهي خطب منبرية.
17. موقف السنة من التبرج.
18. السنة مسؤولية الأمة، شبهات وردود.
19. آداب الدعاء.
20. أداب العلم.

ثانياً: كتب تحت الطبع:

1. شواهد الإيمان جـ 2.
2. المسحة المحمدية.
3. كشف الهوىٰ.
4. الصبر الجميل.
5. شبهات حول السنة وردود[1].

تلاميذه:

لا يمكن حصر التلاميذ الذين تلقوا عنه العلم الشرعي عامةً وعلم الحديث خاصةً، فقد درس عليه في قاعات جامعة الأزهر من طلبة الكليات والدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه من الطلبة المصريين والعرب والعجم العدد الكثير، كما كان له حلقة في رحاب الجامع الأزهر المعمور في تدريس الحديث وعلومه، كذلك في مواسم الخير مثل المولد النبوي الشريف وعاشوراء، تلقىٰ عنه الطلاب وغيرهم بعض كتب الحديث بإسناده إلىٰ شيوخه الكرام، كذلك أخذ عنه العلم طلاب جامعة أم القرىٰ من العرب والعجم طيلة وجوده هناك، كما أخذ عنه عامة الناس من المعتمرين والحجاج في درسه الذي كان يلقيه في بيت الله الحرام، وكذلك في الأماكن العامة، مثل: مضيفة الشيخ إسماعيل بن صادق

---

(1) ينظر: البكاؤون، ص 201، وإتحاف الدرويش، ص 37، والدكتور أيمن النجار في حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) بثت في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

العدوي، وأكاديمية أهل الصفة بالمقطم برعاية الدكتور محمد عبد الصمد مهنا، والعشيرة المحمدية وغيرها.

عقيدته:

كانت عقيدة الشيخ عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتُردية.

أخلاقه:

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتمثل فيه أخلاق السلف الصالح، وتظهر فيه صفات أهل الله الصالحين، وكانت خلال أهل الحديث وصفاتهم معجونة فيه، فكان كثير الحياء والخوف من الله تعالىٰ، وكان كثير الشفقة علىٰ عباد الله عامة وطلبة العلم خاصةً من العجم، فيتفقدهم عندما يغيبون عن درسه، ويلين لهم القول عند حضورهم، ويلهج لسانه بالثناء عليهم والدعاء لهم، وكان يستقبلهم بقوله: (مرحباً بوصية رسول الله ﷺ) ويؤكد ذلك فيما سطره في مقدمة الجزء الخامس من كتابه (السنن الزكية في الفضائل النبوية) فيقول: «ونكرر هذا الترحيب والحفاوة عملاً بوصية رسول الله ﷺ وإجلالاً للعلم، وإكراماً لطلاب العلم الشريف النبلاء الأوفياء، وتأسياً أيضاً بالصحابي الجليل الوفي سيدنا أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً مرحباً بوصية رسول الله ﷺ وأقنوهم، قلت للحكم ما أقنوهم؟ قال: علموهم)[1]، وما رواه ابن ماجه بسنده، عن أبي هارون العبدي، قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري، قال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ إنَّ رسول ﷺ قال لنا: (إنَّ الناس لكم تبعٌ، وإنهم

(1) انظر: سنن ابن ماجه، المقدمة، باب الوصاة بطلبة العلم، حديث [361] 1/ 81.

سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً)[1]، فمرحباً بكم أيها الطلاب النبلاء في الأزهر الشريف، وحيثما حللتم في قاعته المشرفة، ومعاهده الشامخة، وكلياته الرائدة، وبين علمائه الكرام، وأساتذته الأعلام، ورحب الله بكم ترحيباً، فأنتم في أرحب مكان، وأعرق معهدٍ للعلم»[2].

فلم يكن فظّاً أو ضجراً أو عبوساً أو غضباناً، وإنما كان هيِّناً ليِّناً، هاشّاً باشّاً، مع كرم أصيل، بدون تكلف، يقدم لضيوفه من طلبة العلم ما تيسر من الطعام ويلح عليهم في أكله، ويتفقد طلابه كل واحدٍ منهم عن حاله باسمه، ويسأل عمن غاب منهم.

كما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ باب عظيم من أبواب التواضع، فيتعامل مع الكبير والصغير، والقريب والبعيد، وطالب العلم والعامي، بكل تواضع ولين جانب، فلا يشعر أحدٌ منهم بالحط من منزلته أو الاستنقاص من قدره، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يسمح بتقبيل يده – وهو أهل لذلك – كما لا يسمح لأحدٍ أن يحمل حقيبته، ويرد معتذراً بدعابة فيقول: أنا أخشىٰ علىٰ ما فيها من أموال[3]، وقد لمست تواضعه في أول مرةٍ زرته فيها حيث كنت أرجو نيل الإجازة من حضرته فأقسم عليَّ أنْ أقرأ الأربعين العجلونية علىٰ الحضور وأجيزه بها، ولولا الإبرار بقسمه ما كان لي أنْ أجيزه وهو من هو؟! وأنا من أنا؟!

وفي أثناء رحلة السفر للمنيا لأجل المناقشة، رفض بكل إصرار أن يجلس في المقعد الأمامي، كما رفض أن أحمل له حقيبته، وكان خلال الرحلة يباسط ويمازح

---

(1) انظر: سنن ابن ماجه، المقدمة، باب الوصاة بطلبة العلم، حديث [361] 1/ 82.

(2) ينظر: السنن الزكية في الفضائل النبوية، القسم الخامس، للدكتور سعد جاويش، ص 2 ـ 3.

(3) ينظر: الدكتور أيمن النجار في حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) بثت في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

السائق ويتحدث معه، كما لبىٰ رغبتي عند العودة أن أقرأ عليه الأربعين النووية وأجازني فيها.

ولعل من نافلة القول أنْ أذكر كرامة وقعت لي معه في أول لقاء به، حيث سألني عن دراستي فأخبرته أنني في مرحلة الدكتوراه، وأكتب في موضع بعنوان: (نقد الحديث عند الإباضية) فقال لي: «سوف أناقشك إن شاء الله»، كان ذلك قبل موعد المناقشة بسنتين، وعندما ألتقيت بالمشرف فضيلة الدكتور محمود عبد المجيد – حفظه الله – سألني من أرغب أن يناقشني فأخبرته بالشيخ سعد جاويش فأثني عليه خيراً، وقال بأنه يعرفه منذ كان في مكة، وبهذا اختير عضواً مناقشاً خارجياً، ومن فوائد المناقشة أنه علَّق علىٰ كلمة ذكرتها في حق الإمام جلال الدين السيوطي، حيث صرحت بتخطئته فنبهني عليها، وذكر بأنه يجب أنْ نتعامل مع العلماء -إذا جانبهم الصواب- بالتعظيم والاحترام والتوقير، وطلب مني حذفها من الرسالة، وفعلاً قمت بما أمرني به، جزاه الله خيراً.

حبه للسنة ودفاعه عنها:

وكان من صفاته محبته العظيمة ودفاعه الشديد عن السنة النبوية المطهرة، ووقوفه أمام الشبهات التي تثار حولها، ومن يطالع مؤلفاته يجد بعضها يدور حول نقد الشبهات، ودفع الاعتراضات، وعلىٰ سبيل المثال كتبه التي صنفها، منها: قضايا حديثية، والسنة مسؤولية الأمة شبهات وردود، ومن كلماته الرائعة في هذا قوله: «إنَّ الهجوم علىٰ السنة النبوية المطهرة لا يزيدها إلا قوَّةً وبياناً ووضوحاً في أذهان الناس»[1].

(1) ينظر: الدكتور أيمن النجار في حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) بثت في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

محبته لآل البيت وزوجات الرسول ﷺ:

الناظر في مؤلفات الشيخ سعد يجدها ترشح بمحبة آل البيت، كما يجد مظاهر التوقير والتعظيم لهم، وقد خصص الجزء الثامن في الكلام علىٰ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فقال في مقدمة الكتاب: «فقد شرح الله صدري لكتابة هذا الموضوع، وهو: (أحاديث أمهات المؤمنين زوجات خاتم النبيين ﷺ) وذلك؛ لأن قلبي يمتلئ حبـاً وإجلالاً لهنَّ وإعجاباً بهنَّ، لأنهنَّ المثل العليا للزوجات الوفيات، ولبيان ما لهنَّ من فضل وكرامة، وتميز عن نساء العالمين، ولأنهنَّ زوجات طاهرات، قرينات خير الورىٰ، وإمام الهدىٰ، وسيد الخلق، وإمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين»[1].

رؤيا تدفعه لتصنيف كتاب:

من الأحداث التي نغصت علىٰ الأمة الإسلامية، ظهور فيلم سينمائي في بلاد أوروبا يسيء للنبي ﷺ ويتناول حياته الزوجية، وينتقص من أمهات المؤمنين، كان هذا الفيلم له الأثر الكبير علىٰ الشيخ سعد مما دفعه لتأليف كتاب للدفاع عن السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيقول: «في أعقاب الفيلم المسيء لسيد البشر ﷺ رأيت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في صورة إنسانة غاضبة، رأيتها علىٰ كرسي في ملابس سابغة وافرة، ورأيتها من جانبها لا من المواجهة، وفكرت طويلاً في ذلك هل فيه تقصير من جانبي نحو أمنا رضي الله عنها حتىٰ لقيت بعض من رأىٰ هذا الفيلم المسيء، وذكر لي أنَّ الفيلم ذكر أم المؤمنين، وأنَّ رسول الله ﷺ بنىٰ بها وهي صغيرة، لكنها كانت في الرؤيا كبيرة، عليها المهابة والوقار، فقلت: لابد من الكتابة في هذا الأمر؛ لأنَّ أعداء الإسلام من المستشرقين يتطاولون بين الحين والحين،

(1) ينظر: السنن الزكية في الفضائل النبوية، القسم الثامن، ص 1.

ولم يكفوا عن سيد الكونين من عربٍ وعجمٍ، ورسول الثقلين ﷺ حسداً من عند أنفسهم...»[1].

وهذا ما دعاه لتصنيف كتاب (دفع الاشتباه والالتباس عن تزويج الله عائشة لسيد الناس) ﷺ وقد أدرج هذا المصنف في الجزء الثامن من كتابه (السنن الزكية في الفضائل النبوية) الذي خصصه للكلام عن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما يتناول الكتابة عن أمهات المؤمنين ينطلق من مبدأ التعظيم والتوقير والحب، والتسليم لكل ما له علاقة بالمصطفىٰ ﷺ دون البحث عن مبررات لتسويغ تعدد زوجاته، فيقول: «وهذا أمر لا كلام لأحدٍ فيه، فهي خصوصية لأنبياء الله تعالىٰ، ورسول الله ﷺ لا يشغله شأن عن شأن النبوة والرسالة، فليس ﷺ كآحاد البشر، ولا ينبغي أن نبحث عن علة لتعدد زوجاته الطاهرات، وإن كانت الأسباب كثيرة؛ لكن من الأدب مع الله تعالىٰ ومع رسوله أن لا نناقش هذا الأمر، أما المغرضون فلا كلام معهم، وأما المؤمنون فلا يناقشون هذا الأمر، ولا يتعدون قول الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 191] يغفلون عن قوله تعالىٰ لنبيه ﷺ ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: 51]»[2].

وقد وضع هذا المؤلف لتذكير المسلم من خطورة ما يشوش به أعداء الإسلام من أراجيف وأباطيل حول سنِّ زواج السيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقال: «ونظراً لأنَّ أعداء الإسلام يتناولون هذا الأمر بين الحين والحين، فأرىٰ من واجبي كمسلم أن أرد عن هذا الزيف، وهذا الرد لا يلزم أن يكون لإقناع المشرك المعاند، فإنه وقد استحكم

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 101.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 14.

الكفر في قلبه فلن يقتنع، وإنما هو من باب التذكير للمسلم الذي يطلع على هذه السفاهات من أعداء الإسلام»[1].

وقد سار الشيخ على منهج بديع سلس في تصنيفه لهذا الكتاب معتمداً على أمهات المصادر والشروح للحديث، حيث تناوله على النحو الآتي:

1. يبدأ بحديث من رواية إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
2. يشرح المعنى العام للحديث.
3. يتناول مفردات الحديث من الناحية اللغوية.
4. يبين فقه الحديث، وخلاف العلماء في الاستدلال بالحديث.
5. الترجمة لأم المؤمنين رضي الله عنها.

كرمه:

وكان رحمه الله كريماً شاكراً لنعم الله، من ذلك: أنه بعد إعارته للسعودية وعودته لمصر بنى بيتاً في شبرا الخيمة من عدة طوابق، وخصص الطابق الأول لسكن طلبة العلم من الأزهريين وغيرهم، وتكفل بدفع نفقة الكهرباء والماء، وعندما سئل عن ذلك، قال رحمه الله: «أنا فعلت هذا شكراً لله أن أعطاني نعمة هذا البيت العظيم، فجعلت من باب الشكر أن أكرم طلاب العلم الذين لا يقدرون؛ إننا مررنا بنفس هذه الظروف ونحن طلاب علم»[2].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 105.

(2) ينظر: الدكتور أيمن النجار في حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) بثت في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

تصوفه:

كان حال الشيخ حال التصوف السني الذي يحكم الشرع في كل شأنٍ من شؤونه وفي كل أمر من حياته، وقد سلك طريق التصوف فأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ المحدث المربي نجم الدين محمد أمين الكردي[1] فتردد عليه في مجالسه في شبرا.

وفاته:

بعد أن ختم صحيح البخاري، قال في آخر درس له: «نحمد الله تعالىٰ أن أبقىٰ في أعمارنا وأنا –والله– كنت أتمنىٰ علىٰ الله أن يمدَّ في العمر حتىٰ نكمل صحيح الإمام البخاري»[2]. فمات بعدها بقرابة أسبوعين في صبيحة يوم الأحد بتاريخ 16 محرم الحرام سنة (1441هـجرية الموافق 15/ 9/ 2019م)، وقام علىٰ تغسيله الدكتور أحمد ومحمد، والشيخ عبد المالك المبارك الحمصي، والشيخ خالد محمد الفيتوري الزليطني، والشيخ داود محمد الرفاعي الأردني، وصُلي عليه عقب صلاة الظهر بالجامع الأزهر، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ عطية لاشين، وحضر جنازته الدكتور حسن الشافعي رئيس مجمع اللغة العربية، والدكتور أحمد طه ريان شيخ المالكية بمصر، والدكتور محمد عبد الصمد مهنا رئيس أكاديمية أهل الصفة، والدكتور جمال فاروق الدقاق عميد كلية الدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، والدكتور عبد الفتاح العواري عميد كلية أصول الدين بالأزهر الشريف،

(1) الشيخ المحدث نجم الدين محمد أمين الكردي النقشبندي الشافعي، ولد في سنة (1325هـ = 1907م) بحي بولاق من القاهرة، درس بالجامع الأزهر، وتفقه بمذهب الإمام الشافعي، مع معرفة بالمذاهب الأخرىٰ، مع التمسك بالسنة ومطالعة الحديث الشريف، مات في فجر الجمعة سنة (1406هـ = 1986م). ينظر ترجمته في: جمهرة أعلام الأزهر الشريف، لأسامة السيد 7/ 164.

(2) في آخر درس له في صحيح الإمام البخاري يوم الجمعة بتاريخ (7 محرم 1441هـ= 6/ 9/ 2019م).

والشيخ محمد ذكي وغيرهم، وشيعه آلاف الطلاب والمحبين، ودفن بمدفن العائلة بالسويس بالقرب من مدينة الرحاب، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جنته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

أقوال العلماء فيه:

أثنىٰ عليه العلماء الثناء الحسن؛ لِمَا حباه الله تعالىٰ من خصال حميدة، وخلال شريفة، وصفاء نفس، وصدق في الدعوة، ورحمة بطلاب العلم.

- **قال فيه زميله الدكتور أحمد معبد عبد الكريم شيخ المحدثين بالأزهر الشريف:**

«رجلٌ يعبر عن نفسه بأفعاله لا بأقواله»[1].

«لو لم يكن للشيخ سعد إلا الصلاة علىٰ النبي ﷺ كلما قرأ في الحديث الشريف لكفته»[2].

- **قال فيه الشيخ أسامة السيد محمود الأزهري:**

«العالم التقي الصالح، آية في نقاء السريرة، وسلامة الصدر، مع صلاح الظاهر»[3].

«ورافقته في بعض الأسفار أياماً طوالاً، فرأيت منه من التواضع، ولين الجانب، وهضم النفس ما لا يوصف»[4].

(1) في حفل تأبين الشيخ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكاديمية أهل الصفة بالمقطم يوم الأربعاء بتاريخ (26 محرم 1441هـ= 25/ 9/ 2019م).

(2) في حفل تأبين الشيخ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكاديمية أهل الصفة بالمقطم يوم الأربعاء بتاريخ (26 محرم 1441هـ= 25/ 9/ 2019م).

(3) ينظر: أسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 453.

(4) ينظر: أسانيد المصريين، لأسامة السيد الأزهري، ص 454.

- **قال فيه الشيخ محمد ذكي:**

«عالم جليل، أستاذ موسوعة، منحه الله بسطةً في العلم والتقوىٰ»(1).

- **قال فيه الشيخ الدكتور يسري السيد جبر:**

«كان الدكتور سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتصف بالحلم والأناة، كان يحب الغمور فلا يسعىٰ للشهرة، كان يعرض الحق دون إلحاح، وهي من الصفات القليلة، حتىٰ كان من يخالفونه في الرأي كانوا لا يُعادونه، كان لا يحب المشاحنة ولا التباغض، ولو كان علىٰ الحق، تعلمنا منه الصوت الخفيت، وقلة الكلام»(2).

- **قال فيه الدكتور أيمن الحجار:**

«كتب سيدنا الدكتور سعد جاويش هذه الكتب، لما تأملت فيها تأملاً شديداً وجدت أنها تحكي حاله، فكتاب (البكاؤون) هو كأنه يحكي حاله – رضي الله تعالىٰ عنه – وكتاب (ناشئة الليل) هو كذلك، لأنه كان يحافظ علىٰ ورده من القرآن يوميًّا لا يتركه أبداً، (ضوء القمر) خطبه التي يخطبها حتىٰ يستفيد منها الناس، أيضًا (جبر الخاطر)، هو كان يجبر الخاطر، كل هذه الكتب تحكي حاله»(3).

بَكَىٰ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَهَلْ سَيُجْدِي … بُكَاؤُهُمُ إِذَا آنَ الرَّحِيلُ
وَوَدَّعَتِ الْعَمَامَةُ رَأْسَ شَيْخٍ … لَهُ بَيْنَ الْوَرَىٰ وَزْنٌ ثَقِيلُ
تَرَىٰ فِي وَجْهِهِ نُورٌ تَجَلَّىٰ … عَلَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ مَا يُبِينُ

---

(1) عند تأبينه بعد الصلاة عليه بالجامع الأزهر يوم الأحد 16 محرم الحرام سنة (1441هـجرية الموافق 15/ 9/ 2019م).

(2) في حفل تأبين الشيخ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكاديمية أهل الصفة بالمقطم يوم الأربعاء بتاريخ (26 محرم 1441هـ= 25/ 9/ 2019م).

(3) ينظر: الدكتور أيمن النجار في حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) بثت في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

المبحث الثاني: دروسه والكتب الحديثية التي درسها للطلاب - منهجه في الحديث من خلال درسه في صحيح البخاري.

أما أخلاقه في مجلس صحيح البخاري فكان متواضعاً يستمع للحديث بكل جوانحه، ويحب الذين يقرؤون الحديث مجوّداً، وكان لا يجلس في الدرس إلا على طهارة، وذكر الدكتور أيمن الحجار أستاذ الحديث في جامعة الأزهر، أنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم من الأيام دخل لقاعة المحاضرة في جامعة الأزهر، وعندما جلس على الكرسي خرج مسرعاً، ثم عاد للدرس، وقال للطلاب: تذكرت أنني على غير وضوء، فذهبت وتوضأت؛ لأنني لا أريد أن أشرح حديث رسول الله ﷺ وأنا على غير وضوء، وهو يقتدي بالإمام مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والإمام البخاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]، كما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخصص للطلاب كراسي يجلسون عليها تعظيماً لحديث المصطفى ﷺ ويتوقف في بعض الأحيان ويسأل من عنده علم في معنى الحديث، ولا يستنكف من الفرح بجواب أحد الحضور إذا كان في جوابه حلٌّ لإشكال، أو إزالةٌ لإبهام، كما كان يقف ويسأل ولده الدكتور أحمد - وهو متخصص في اللغة العربية - عن الموضع الإعرابي لكلمة في الحديث ودلالاتها اللغوية.

ومن شدة محبته للمصطفى ﷺ كان يبدأ درسه بقراءة فصل من بردة المديح للإمام البوصيري، ويختم الدرس بقراءة الفصل الأخير من البردة، ودعاء الشيخ عبد المالك المبارك الحمصي، ولا يدعو؛ تواضعاً وهضماً للنفس، كما كان لا يتقدم إماماً في صلاة العشاء، بل يقتدي بأحد الحضور، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعلم بحاله قبل مقاله.

---

(1) ينظر: حلقة تلفزيونية، بعنوان: (منبر الأزهر وفقرة خاصة عن العالم المحدث الراحل الدكتور سعد جاويش) بثت في قناة النيل الثقافية بتاريخ 21/ 9/ 2019م.

وحتىٰ لا أتوسع في دراسة مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسأتناول كتابين من كتبه المفيدة:

أولاً: كتاب السنة المشرفة وعلوم الحديث:

هذا الكتاب يقع في (299) صفحة من الحجم المتوسط، وقد أبدع المؤلف في تصنيفه، فرغم صغر حجمه إلا أنه تناول فيه مواضيع مهمة يدور حولها الجدل والنزاع بين من يعشقون السنة النبوية وعلومها، ويتمسكون بها باعتبارها الأصلَ الثاني من أصول التشريع، وبين من يتتبعون دروب الفتنة، ومغرمون بالمدارس الغربية، وكتابات المستشرقين، ويطعنون في السنة النبوية، ويتلقفون الشبهات ينشرونها بين العامة بحجة البحث العلمي، والنقد العقلي، والتحرر الفكري، وهم أبعد الناس عن البحث العلمي النزيه، والنقد العلمي الدقيق، وجهلهم العميق بما سطره علماء الحديث من موازين دقيقة، وضوابط نزيهة، وقواعد ثابتة، ميزوا به بين الحديث المقبول من المردود، والراوي الثقة الحجة، من الراوي الضعيف الواهن.

عرض الشيخ الفاضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كل ذلك بأسلوب سهل ميسر، دون تعقيد ولا تطويل، فقسم الكتاب إلىٰ شقين:

الأول: تناول فيه موضوعات تتعلق بالسنة النبوية والشبهات التي أثيرت حولها، منها:

1. بيان موقف السنة من القرآن الكريم، ومكانتها في التشريع الإسلامي.
2. بيان أن السنة وحي من عند الله تعالىٰ.
3. احتجاج الصحابة والتابعين بالسنة المطهرة.

4. الرد على شبهة الاكتفاء بالقرآن الكريم عن السنة، واستدلالهم بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

5. بيان أن إنكار حجية السنة موجب للردة.

6. عقب على شبهتهم واستشهادهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

7. الرد على بعض الكتاب المعاصرين في الشبهات التي تمسكوا بها، ومنها:

- شبهة عدم تدوين الحديث في عهد رسول الله ﷺ.
- شبهة النهي عن كتابة الحديث.

8. بداية تدوين الحديث بصفة فردية في عهد النبي ﷺ.

9. إقبال التابعين على تدوين الحديث والعناية بكتابته.

10. تحري الصحابة وعدم الإكثار من الرواية.

11. أخذ الحديث مشافهةً عن شيوخه مسنداً.

12. الحرص على رواية مصنفات الحديث مسندة إلى مؤلفيها.

13. دقة الحفظ والضبط عند الأداء.

14. الرحلة والمشقة في طلب الحديث.

15. عناية علماء الحديث بتدوين الحديث عامة والحديث الصحيح خاصة.

16. حفاوة أهل الحديث في طلب الحديث، والتثبت في سماعه، وروايته بالسند المتصل إلى النبي ﷺ.

17. عناية علماء الحديث بنقد الحديث سنداً ومتناً وفق قواعدَ وأصولٍ ساروا عليها ميزوا المقبول من المردود، ولم تقتصر مهمتهم على نقد السند فحسب، كما يزعم من يشغب من المخالفين الذين لا دراية لهم بقواعد وضوابط علماء الحديث.

والآخر: تناول فيه موضوعات تتعلق بمصطلح الحديث منها، وقسم المصطلحات تقسيماً بديعاً خالف فيه كثيراً ممن صنف في المصطلح من القدامى والمحدثين، وتمثل تقسيمه في الآتي:

أولاً: **مقدمة**:

عرف علم الحديث روايةً ودرايةً، وأهم المصنفات في علم مصطلح الحديث، وفضل علم الحديث وشرف أهله، والحديث القدسي والفرق بينه وبين القرآن الكريم والحديث النبوي.

ثانياً: **الحديث من حيث النسبة لقائله**:

بين الحديث المرفوع المنسوب للنبي ﷺ والموقوف المنسوب للصحابي، والمقطوع المنسوب للتابعي.

ثالثاً: **أقسام الحديث باعتبار عدد رواته هو**:

تحدث عن المتواتر، والعزيز، والغريب، وحكم حديث الآحاد من حيث القبول والرد، وحكم من رد خبر الآحاد.

رابعاً: **أقسام الحديث باعتبار توفر شروط قبوله**:

1. الحديث الصحيح، وشروطه، وأقسامه، ومراتبه، ومصادره.
2. الحديث الحسن، وأقسامه، وبداية ظهور تسمية الحسن، وشرح معنى قول الترمذي: حسن صحيح، وحكم الحديث الحسن.
3. المستدركات والمستخرجات وفوائدهما.

خامساً: أقسام الحديث باعتبار عدم توفر شروط القبول:

1. الحديث الضعيف، وأسباب الضعف المتعلقة بالعدالة والمتعلقة بالضبط، شروط العمل بالحديث الضعيف، المصنفات المؤلفة في الحديث الضعيف.
2. الحديث الموضوع، وكيف يعرف؟ ومتى بدأ الوضع؟ وأسباب الوضع، وحكم وضعه، وحكم روايته.
3. الحديث المتروك، والمنكر، والشاذ، والفرق بين الشاذ والمنكر، والفرق بين الشاذ والمعل، والحديث المعل، والعلة الظاهرة والخفية، وأهم الكتب المصنفة في علل الحديث.
4. الحديث المضطرب، والحديث المدرج، والحديث المقلوب، ونوعهم في المسند والمتن، وحكمهم.

سادساً: ما كان سبب الضعف بفقد الاتصال:

1. الحديث المعلق، وشروطه، والأحاديث المعلقة في الصحيحين.
2. الحديث المنقطع، والفرق بينه وبين المقطوع.
3. الحديث المعضل، وحكمه.
4. الحديث المرسل، وشروط قبول الحديث المرسل، وحكم مرسل الصحابي، والفرق بين المرسل الخفي والمدلس، والمصنفات في الحديث المرسل.
5. الحديث المدلس، وأنواعه، وأشهر المصنفات في المدلس.

سابعاً: الأنواع المشتركة بين الصحيح والحسن والضعيف:

بيَّن فيها المصطلحات، مثل: المتصل، والمسند، والمرفوع، والمعنعن، والمؤنن، والمسلسل، وزيادة الثقة، والمبهم، والتصحيف، والتحريف، واللحن، والعالي، والنازل، والاعتبار، والمتابعات، والشواهد، والمزيد في متصل الأسانيد.

ثامناً: مباحث في علوم الحديث، ومنها:

1. ناسخ الحديث ومنسوخه، تعريفه، وطرق معرفته، المصنفات التي وضعت فيه.
2. شروط من تقبل روايته من: العدالة، والإسلام، والبلوغ، والعقل، والسلامة من أسباب الفسق وخوارم المرؤة، وبم تثبت العدالة؟
3. شروط من تقبل روايته، الضبط، معناه، وأنواعه، كيف يعرف ضبط الراوي؟
4. جرح وتعديل الراوي، وإذا اجتمع في الراوي جرح وتعديل فأيهما يقدم؟
5. شروط الجارح.
6. مراتب التعديل ومراتب التجريح.
7. آداب المحدث.
8. آداب طالب الحديث.
9. ألقاب المحدثين.
10. علم رجال الحديث، أهم الكتب المصنفة في الرجال.
11. طرق التحمل والأداء.
12. المتفق والمفترق.

13. المؤتلف والمختلف.

14. غريب الحديث.

15. مختلف الحديث.

16. التعارض والترجيح.

17. طبقات العلماء والرواة.

18. معرفة الصحابة، وطريق معرفة الصحابي، وعدالة الصحابة، وأفضل الصحابة، وطبقات الصحابة، وأكثر الصحابة روايةً للحديث.

19. معرفة التابعين، وطبقات التابعين، وأشهر المصنفات في الطبقات.

ثانيًا: كتاب السنن الزكية في الفضائل النبوية:

هذا الكتاب اعتنىٰ فيه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالأحاديث التي فيها توجيهات نبوية، وتعليمات ربانية، من خلال صفوة الله علىٰ الخلق أجمعين من الأنبياء والمرسلين وخاصةً سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، فهدف من تأليف هذا الكتاب إلىٰ:

1. حث العقلاء الذين يتطلعون إلىٰ المثل العليا علىٰ التأسي بالمصطفىٰ ﷺ.
2. الشباب الذين ملأ الإيمان قلوبهم وحب النبي ﷺ هو الذي ينير حياتهم، ويزكي أرواحهم.
3. الذين سجدوا علىٰ أعتاب الحب، ودانوا بالولاء لنبيهم في البعد والقرب.
4. الذين قصرت بهم الهمم عن بلوغ هذا المستوىٰ وشغلوا عن المثل العليا، فباتوا مفتونين بأحوال أهل النار، وغدوا لا يميزون بين الخبيث والطيب من الفضائل والمحامد، لما ابتلوا به من الوقوف بعيداً عن مشارق الأنوار[1].

(1) ينظر: السنن الزكية في الفضائل، القسم الأول، ص 2 ـ 3.

طريقته في شرح الحديث:

تمثلت طريقة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الأحاديث على النحو الآتي:

1. تخريج الحديث من كتب السنة المعتبرة.
2. التعريف براوي الحديث من الصحابة الكرام.
3. شرح الحديث والتوسع في تحليل المسائل المتعلقة به.
4. الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في توضيح معنى الحديث.
5. الرد على شبهات وإشكالات الحديث.
6. الاعتماد على المصادر الأصلية في شرح الحديث.

ووصل في هذا الكتاب الذي صدر في حياته إلى ثمانية أقسام، تناول الأحاديث فيها على النحو التالي:

القسم الأول: خصصه للكلام عن أحاديث الفضائل النبوية والشمائل المحمدية، مستعيناً بكتب الشمائل والفضائل والخصائص، والسيرة العطرة، حيث تناول فيها الأحاديث الآتية:

1. بيان فضله ﷺ نسباً وحسباً، وسؤدده وعلو منصبه.
2. خصوصيات فَضَّلَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ بها.
3. كونه خاتم النبيين ﷺ واختصاصه بجوامع الكلم.
4. خزائن الأرض بين يديه ﷺ وأن الله زوى له الأرض.
5. أسماؤه ﷺ.
6. إجابة دعائه في الاستسقاء، والتوسل بنبينا، واستشفاع المشركين به ﷺ.
7. معجزة تكثير اللبن لأهل الصفة، والطعام لأهل الخندق.

8. رفع العلم بقبض العلماء.
9. التنزه عن المحرمات والشبهات.
10. حقيقة المفلس يوم القيامة.
11. المنة الكبرىٰ بيوم مولده الشريف ﷺ.

القسم الثاني: تناول فيه الأحاديث الآتية:

1. حديث جبريل، وما يستخلص منه من فوائد.
2. حديث علامة الإيمان حب الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، وحب الأنصار، وحب المدينة.
3. تعظيم الصحابة للنبي ﷺ والتبرك به وإكرام قرابته وأهل بيته، وسيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله ﷺ.
4. مع الصادقين، سادتنا أبي بكر، وعمر، وعثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول.
5. النبي البشير ﷺ وصفته في التوراة، وصلح الحديبية، والعشرة المبشرون بالجنة، وأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
6. مشروعية الشورىٰ.
7. مآثر الأنصار.
8. خطوات الشيطان، ودور الشيطان في تمزيق الأمة.
9. الأمر بلزوم الجماعة وعدم التنازع، والاعتصام بحبل الله.
10. المقسطون عند الله، وهم في ظل الله، ويحبهم عباد الله.

القسم الرابع: هذا القسم عنونه المؤلف بعنوان: (السنن الزكية في النكاح والمعاملات المالية)، تناول فيه الأحاديث التي تعالج الموضوعات التالية:

أولاً: النكاح:

1. الاعتدال في العبادة.
2. التحريض على الزواج.
3. موجبات نكاح المرأة الأربعة.
4. دفع الاشتباه والالتباس عن زواج السيدة عائشة لسيد الناس ﷺ.
5. الخطبة على الخطبة.
6. لا يطرق الرجل أهله إذا قدم من سفر ليلاً.
7. تحريم طلاق الحائض.
8. حاجة المرأة للرجل.
9. الوصية بالنساء.

ثانياً: أحكام المعاملات:

1. تحريم أنواع من التعامل القائم على الأثرة والتعدي، مثل:

أ- بيع الرجل على بيع أخيه.

ب- سوم الرجل على سوم أخيه.

ت- التناجش في البيع.

ث- تلقي البيوع قبل دخولها الأسواق.

ج- بيع الحاضر للبادي، بيع المصراة.

2. فضل إنظار المعسر والتجاوز في الاقتضاء من الموسر والمعسر.
3. تحريم مطل الغني، وصحة الحوالة.
4. تحريم ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن.
5. التيسير على الناس بمشروعية الرهن.
6. بطلان بيوع الغرر، والتيسير على الناس بإباحة السلم.
7. الربا وخطره في حياة الأفراد والجماعات.

القسم الخامس: في هذا الكتاب تناول فيه موضوعات عامة في شرح أحاديث يحتاج إليها المسلم في حياته اليومية منها:

1. من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.
2. فضل من عَلِمَ وعلَّم.
3. الورع وتوقي الشبهات.
4. حماية الأعراض من التهم.
5. حقوق الأخوة.
6. من سنَّ سنةً حسنة، والبدع المستحسنة والبدع المذمومة.
7. توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله.
8. طواعية الله ورسوله أنفع لنا.
9. أين المتحابون بجلالي؟ وحب الصحابة رضوان الله عليهم وحب الصالحين وأولياء الله المقربين.
10. الصبر على الأذى، وحكم من عرَّض برسول الله ﷺ.

11. الإيمان بالقضاء والقدر.

12. من أسباب إجابة الدعاء.

13. التوبة والاستغفار والمبادرة بالتوبة.

14. ستر الله على العباد والمجاهرون بالمعاصي.

15. المشمرون للجنة.

16. أهل الجنة وأهل النار.

القسم الثامن: خصص هذا الكتاب للحديث عن سيدات بيت النبوة أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، فرتبهنَّ وفق تاريخ زواجه بهنَّ ﷺ:

1. الحكمة من تعدد الزوجات بالنسبة لخاتم المرسلين ﷺ.
2. حديث: «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث..».
3. أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
4. أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
5. أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
6. أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
7. أم المؤمنين أم المساكين السيدة زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
8. أم المؤمنين السيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
9. أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
10. أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
11. أم المؤمنين السيدة ريحانة بنت زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
12. أم المؤمنين السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

13. أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

14. أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

15. فضائل أمهات المؤمنين رضوان الله عنهن.

القسم الثالث والقسم السادس، والقسم السابع:

لم أتمكن من العثور علىٰ هذه الأقسام، ولكن بعد التواصل مع ابنه الدكتور أحمد سعد جاويش عن طريق أخي الفاضل خالد محمد عطية الفيتوري، ذكر بأن هذه الأجزاء لم تطبع، وكان في نية الشيخ أن يخرجها، ولعلها لا زالت ضمن الكتب المخطوطة للشيخ.

خاتمة:

بعد هذه الجولة المباركة في التعريف بالشيخ الدكتور سعد جاويش رَحِمَهُ اللَّهُ خرج الباحث بعدد من النتائج المتمثلة في:

1. التربية الصوفية التي حظي بها الشيخ سعد من شيوخه سواءً الذين أخذ عنهم التصوف، أو الذين أخذ عنهم العلم.
2. الحب الشديد للمصطفىٰ ﷺ والذي تمثل في حبه لآل البيت الأطهار ودفاعه عن زوجاته.
3. عنايته الكبيرة بالحديث تدريساً وتصنيفاً.
4. محبته ورفقه بطلبة العلم، خاصة الأغراب منهم، وفتح بيته لتدريسهم.
5. الاحترام الكبير والمحبة العميقة له من قبل زملائه العلماء الأفاضل في جامعة الأزهر.

منهج العلامة القطعاني
في دراسة السيرة النبوية

أ. فرج شميلة
الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية، جامعة مصراتة، ليبيا



اعتنىٰ علماء الأمة عناية تامة بالسنة الشريفة وعلومها، فصنَّفوا المصنفات لجمعها وتدوينها، وشرحها توضيحها، وتفريع العلوم وتقعيد القواعد لخدمتها، وتوالت جهودهم فيها حبّاً وإعظاماً لحضرة النبي المصطفىٰ ﷺ، إلىٰ أن وصلت لعلماء الأمة في عصرنا الذين واصلوا العناية بها، بدرسها وتدريسها والكتابة فيها.

ومن علماء الأمة المعاصرين الشيخ العلامة أحمد القطعاني، الذي اعتنىٰ بعلوم السنة الشريفة، فجمع أسانيدها واتصل بها ووصل طلاب العلم بها، وصنف في فن الإسناد والأثبات، ودوّن في فروع هذا العلم الشريف كتباً أخرىٰ، ومنها مؤلفات في السيرة النبوية.

وقد رأيت أن أكتب بحثا عن منهجه في دراسة السيرة النبوية، من خلال كتبه: (خصائص السيرة النبوية)، و(موسوعة الأشراف)، وتحقيقه وتصحيحه وإسناده لـ(مولد البرزنجي)، فقسمته علىٰ محاور:

المحور الأول: السيرة منهج علمي:

إن حياة النبي ﷺ لم تكن عبثاً؛ فكلّ ما مرّ به عليه الصلاة والسلام، وما قاله،

أو فعله، أو قرّره، هو لأجل أن يعمل به المسلم في حياته الدينية والدنيوية، وليس لسرده وتذكره، فمن المفارقة الغريبة أنّك ترىٰ من يحفظ سيرته ﷺ، ولا تجده إلاّ متكلماً عن مواقفه عليه الصلاة والسلام في كل مكان؛ ولكن بمجرد أن يخطئ فيه أحدهم فإنّك ترىٰ وجهاً آخر غير الذي كان يتحدّث عن سيرة أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام، فهذا ﷺ، أوذي في سبيل الله أشدّ الإيذاء في مكّة، فكان أبو لهب يرمي القذر علىٰ بابه[1]، ووضعوا الثوب في عنقه وخنقوه خنقاً شديداً[2]، فلمّا تمكن ﷺ منهم يوم بدر، وأشار جمع من الصحابة عليه أن يقتلهم؛ لأنّهم كانوا يؤذونه لم يفعل؛ حتّىٰ يعلمنا أنّ التشفّي والانتقام لا ينبغي أن يكون في أمة خير المرسلين ﷺ.

فقد أشار الشيخ القطعاني[3] رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أنّ المجتمع لا يقام إلاّ علىٰ عنصرين أساسيين، هما: التربية والتعليم، فقال: «التربية تكفلت بالمعنىٰ المشتمل في الإيمان بالقلب، والعمل بالشرائع، وأداء العبادات، والتلبس بالأخلاق، والقيم الفاضلة، والإعانة بأموال الزكاة والصدقات للفقراء والأيتام والمعوزين وما في حكمها»[4] وكأنّ الشيخ رحمه الله تعالىٰ يتحدّث عن واقعنا، فإنّنا نرىٰ اهتماماً واضحاً بحفظ المتون وختم مصنفات العلماء، وشروحهم؛ ولكنّنا ابتعدنا عن العمل بها، كذلك دراستنا لسيرة الحبيب ﷺ، قلّ ما تجد من يتلبس بأخلاقه، وقيمه التي نشرها بين المجتمع.

---

(1) طبقات ابن سعد، علىٰ محمد عمر، من حديث عائشة، مكتبة الخانجي، ط الأولىٰ، 1/ 201.

(2) صحيح البخاري، ت محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولىٰ، (5/ 46/ 3856).

(3) إينما ذكرت في بحثي هذا لفظة "الشيخ" مطلقة دون تقييدها باسم، فأعني بها الشيخ أحمد القطعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(4) خصائص السيرة النبوية الشريفة، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2007، ص3.

قال الشيخ رحمه الله تعالىٰ: «هو ﷺ وآله شرف المسلمين الفخيم، وفخرهم العظيم كان يرقد علىٰ الحصير؛ حتّىٰ يترك أثراً في جنبه الشريف، ويتوسد رأسه الكريم الليف، وفي أمته تيجان كسرىٰ وأمراء الزمان، يعصب علىٰ بطنه الحجر من الجوع، وتمضي ثلاثة أهلة علىٰ أهله ولا يوقدون في دارهم ناراً، وإنّما طعامهم الأسودان التمر والماء، وجالت خيول أصحابه في عروش قيصر منتصرة»[1].

ومن أخلاقه التي نسردها دومـًا أنه ﷺ، لا يتكلّم في غير حاجة، وإذا غضب أعرض وأشاح، دائم البشر، سهل الخلق، لَيِّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ[2].

نبينا ﷺ وضع لنا منهجـًا نسير عليه في حياتنا مع أنفسنا ومع أهلينا، بل ومع البيئة التي تحيط بنا، قال شيخنا رحمه الله تعالىٰ: (فمن أركان البيئة الهامة في كوكبنا تلك الفرقة الموسيقية ذات الألوان البديعة المزركشة، التي تقف عند نافذتك وكانت قبلك عند نافذة جدّك وجد جدّك من قبله، تستيقظ فتجدها قد سبقتك إلىٰ الاستيقاظ لتقدّم لك نشيد الصباح، ثمّ توالي عزف مقطوعاتها الخالدة لك طوال يومك بلا انقطاع؛ لتخفف عنك تعب الحياة ومشقة السعي، إنّها العصافير بأنواعها وأحجامها؛ لذا كان الحفاظ عليها وعدم قتلها وأذيتها موضوعـًا كبيراً هامـًا يستحق من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أن يتوقّف عنده ويحدّد موقفه منه[3] فيقول: «من قتل عصفوراً بغير حقّه سأله الله عنه يوم القيامة»[4].

(1) موسوعة الأشراف، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ كلثوم، طرابلس، 2017، ص18، 19.

(2) موسوعة الأشراف، ص 21.

(3) السابق، ص 50.

(4) مسند الإمام أحمد، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، (6550،108،11).

هذا هو ديننا الحنيف الذي أراده الله لنا، ووضحه لنا النبي ﷺ، فإذا أراد المسلم أن يدرس سيرته فعليه أن يسير علىٰ منهجه في شتّىٰ مجالات الحياة، فحثّنا علىٰ أن نتعامل مع الحيوانات بكلّ رأفة، فما بالك مع البشر!

وأشار الشيخ رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أنّ المسلمين ابتعدوا عن منهجهم القويم في شتّىٰ المجالات سواء كانت سياسيَّةً، أو فكريَّةً، أو اقتصاديَّةً، فأبعدوا عن العالم حولهم، وتخلفوا عن جميع الحضارات، فنبينا ﷺ رسم لنا سياسة، لو سرنا عليها لأصبحنا في مصافِّ الأمم المتقدمة، ألا وهي الشورىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(1) فكان ﷺ يستشير أصحابه في كلّ صغيرة وكبيرة، وفي مجال الفكر لم ينفرد النبي ﷺ برأيه ولم يمنع أحداً من التفكير، فلمّا قال ﷺ لأصحابه لا يصلّينّ أحدكم العصر إلاّ في بني قريظة، اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في فهم أمر النبي ﷺ؛ فمنهم من أدّىٰ الصلاة فمر وقتُها، ومنهم من لم يصلِّ حتّىٰ وصل بني قريظة، فلم يعنّف ﷺ أيّا من الطرفين، وإنّما أجاز الفعلين؛ إيذانا منه بإعمال العقل في فهم النصوص استنادا علىٰ قاعدة صحيحة، فعن عبد الله، قال: (نَادَىٰ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ انْصَرَفَ عَنْ الْأَحْزَابِ أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ فَصَلَّوْا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَقَالَ آخَرُونَ لَا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ قَالَ فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنْ الْفَرِيقَيْنِ)(2)، وكذلك في مجال الاقتصاد لم يجعل النبي ﷺ الأمر له خاصةً يتصرّف فيه، وإنّما قال لهم: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، فعن أنس رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ، قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا فَمَرَّ بِهِمْ، فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتَ كَذَا

(1) سورة الشورىٰ 38.

(2) صحيح البخاري، (2/ 15/ 946).

وَكَذَا، قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)[1] ولذا قال الشيخ رحمه الله تعالىٰ: «ما لم تنهض دول المسلمين سياسيًّا، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا، علىٰ أسس التربية والتعليم؛ فإنّ الدعوة إلىٰ دين الله تعالىٰ ستبقىٰ معطلة حقيقة وسيبقىٰ الميدان خاليًا لكلّ صاحب دعوة أخرىٰ»[2].

المحور الثاني: من معجزات النبي ﷺ وصفه لحال العالم:

تجلّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نبينا ﷺ بكلّ صفاته وأسمائه؛ فأيده بشتىٰ المعجزات الدالة علىٰ صدق نبوّته ﷺ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالىٰ عنه، قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة، ما ترك فيها شيئًا إلىٰ قيام الساعة إلا ذكره»[3] ومنها: وصفه لحال العالم بعد انتقاله للرفيق الأعلىٰ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».[4] فأخبر ﷺ عن وفاة سيدنا عمر وسيدنا عمر وأنهما شهيدان.

ومن هذا الإخبار المعجز عن المغيبات، قوله ﷺ وآله عن انتشار المواصلات الحديثة من طائرات وسيارات وحافلات وقطارات وسفن[5]: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ

---

(1) صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (4/ 1836/ 2363).

(2) خصائص السيرة النبوية الشريفة، ص8.

(3) صحيح البخاري، (8/ 123/ 6604).

(4) سنن الترمذي، ت محمد أحمد شاكر، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي/ مصر، ط الثانية، (5/ 624/ 3697).

(5) موسوعة الأشراف، ص 40.

كَـالْيَوْمِ، وَيَكُـونُ الْيَـوْمُ كَالسَّـاعَةِ، وَتَكُـونُ السَّـاعَةُ كَالضَّـرَمَةِ بِالنَّـارِ»[1]، وهـذا هـو ما نعيشـه اليـوم فيمضـي الوقـت بسـرعة رهيبـة، حتىٰ يكـاد الإنسـان لا يـدرك في أيّ الأيام هو، ولا في أيّ شهر، لتقارب الزمان.

وإخباره ﷺ في مجتمع قلّ فيه من يعرف القراءة والكتابة عمّا سيكون مـن انتشـار المـدارس والمعاهـد والجامعـات وتوسـع التعلـيم وكثـرة المتعلمـين[2] فقـال ﷺ: قال الله تعالىٰ: «أبث العلم في آخر الزمان؛ حتىٰ يعلمه الرجل والمرأة، والعبد والحـر، والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم؛ أخذتهم بحقي عليهم» أي: إذا لـم يقومـوا بمـا يوجبه العلم الذي يسر الله انتشاره بينهم من حق لله تعالىٰ يأخذهم سبحانه بذلك.

وهذا هو حالنا، فكَثُرَ المتعلمون، وكثرت وسائل التعليم، ففـي كـلّ علـم تجـد المعاهـد المتوسـطة والعليـا، والجامعـات والأكاديميات، ففـي كـل مدينـة عشـرات المدارس والثانويات، وفي كلّ مدينـة جامعـة، بـل وانتشـر التعلـيم عـن بعـد بواسـطة برامج التواصل الاجتماعي، ففي كل فن من فنون العلم أنشِئَت المـدارِسُ العلميّـة، فمـثلا في الماضـي كـان يسـافر طلبـة العلـم الشـرعي الـدول المختلفـة، ويقطعـون المسافات، ويقضون الأشـهر هنـاك، ليأخـذوا حـديثـاً أو مصـنّفـاً عـن أحـد العلمـاء، ولكن الآن وأنا في البيت أتصل بأحـد العلمـاء رفقـة طلبـة العلـم ونـدرس عليـه أحـد المؤلفات في خلال أيام، ولا أبالغ إن قلت: ساعات، وهذا من معجزاته ﷺ.

ويصف ﷺ وآله زمننـا هـذا الـذي نحـن فيـه أبلـغ وصـف ذاكـراً تطـور الطباعـة وظهور آلات التصوير الفوتوغرافي والهندسة وأدوات البنـاء الحديثـة، فيقـول: «مـن اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة– فذكرها إلىٰ أن قـال: – وحليـت المصـاحف

(1) سنن الترمذي، (4/ 567/ 2332).

(2) موسوعة الأشراف، ص 41.

وصوّرت المساجد وطولت المنائر -المآذن -»[1]فحليت المصاحف بالطبع الحديث الملوّن المجلّد المزخرف، وصوّرت المساجد بأجهزة التصوير الحديثة، وطولت المآذن بالهندسة واستعمال الحديد والخراسانات[2].

وهذا هو الحاصل في زمننا فتصرف الأموال الطائلة على المساجد، بالمقابل يكثر الفقراء في تلك الأحياء التي تنشأ في المساجد، وتطبع المصاحف بشتّى الطبعات، وتوضع في المساجد حتّى يتخللها الغبار للأسف، وإذا جئت لأحد المتصدقين، وقلت له: إنّ المصاحف ملئت المسجد فلو تصدّقت بثمنها، قال: هذا عمل صالح لا ينقطع! ونسي أنّ لقمة في فم جائع خير من بناء جامع.

ومن ذلك ما أخبر به ﷺ عن انتهاء عصر ركوب الإبل وسيلة المواصلات الأفضل والأسرع في وقته ﷺ مشيراً بذلك إلى ظهور وسائل المواصلات الحديثة فقال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»[3].

ومما أخبر به ﷺ وساد في زمننا هو تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال، فقال الشيخ رحمه الله تعالى: (ومنه تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال؛ فلا يخرج بعض هؤلاء من داره إلاّ بسلاسل الذهب في رقبته ومعاصمه وقد سكب على جسده العطور الفواحة، ونتف شعر وجهه، ولمعه بأنواع المساحيق والكريمات، كما ارتدت الفتيات ملابس الرجال؛ حتى اختلط علينا

---

(1) حلية الأولياء، أبونعيم، 410/ 3.

(2) موسوعة الأشراف، ص43.

(3) صحيح مسلم، (1/ 133/ 155).

الأمور[1]، فقال ﷺ: «من اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال»، بل وصل الحال بالمتشبهين إلىٰ أن تفتح لهم جمعيات تتحدّث باسمهم، وتدافع عن حقوقهم المزعومة، وتجرىٰ معهم المقابلات في الصحف والمجلات، وتقام لهم المهرجانات، فيفتخر الواحد منهم أنه أجرىٰ عملية جراحية؛ حتىٰ يغير من جنسه، والذي يزيد الطين بلّة أنّك تجد من هؤلاء من عاش بين مسلمين! ممّا يجعلنا نطرح سؤالا مهمّا، ألا وهو: أين المؤسسات الدينية في بلدان هؤلاء؟ ولعلها سنة الله في كونه ليطبق قول الله تعالىٰ علىٰ لسان إبليس: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[2].

المحور الثالث: الشرف عملا بما جاء به النبي ﷺ:

آل البيت هم الأشراف الدين اتصلوا إلي سيدنا رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم نسباً، وبين ساداتنا العلماء خلاف في تعريفهم.

يقول الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ:«اسم الشريف يطلق في الصدر الأول علي كل من كان من أهل البيت سواء كان حسنيّاً، أم حسينيّاً، أم علويا من ذرية محمد بن الحنفية أو غيره من أولاد علي بن أبي طالب، أم جعفريّاً، أم عقيليّاً، أم عباسيّاً» .

والبعض يقول بأن الشرف يتصل أيضا عبر سيدات آل البيت، وهو المسمىٰ بنسب البطون ومن أشهر القائلين بهذا الرأي الشيح جلال الدين السيوطي نفسه الذي ألف كتابا في إثبات ذلك أسماه: (العجاجة الزرنيبة في السلالة الزينبية) .

---

(1) موسوعة الأشراف ص45.

(2) سورة النساء 119.

وأهم أدلة القائلين بهذا الرأي أن حتي الحسنين الشريفين لم يصح نسبهما إلا بأمهما السيدة فاطمة الزهراء رغم أن والدهما المبجل كرم الله وجهه هو ابن عم سيد الخلق صلي الله عليه وآله وسلم مباشرة، وجدهما معا هو عبد المطلب بن هاشم لذا فينبغي عندهم تعميم لفظ الشريف ليشمل هؤلاء أيضا.

وحيث إننا في القرن الخامس عشر الهجري، ولم يخل عام من مصاهرات تمت بين عموم الناس مع آل البيت، فلن تجد مسلما اليوم قط إلا وله وشيخه قربىٰ مباركة بسيدنا محمد صلي الله عليه واله وسلم عبر أب أو جد –وإن علا– أو أم أو جدة –وإن علت– بما في ذلك حتي أعاجم المسلمين خصوصا، وإن آل البيت رضوان الله عليهم انتشروا في كل ديار الإسلام بسبب ما تعرضوا له من حروب واضطهاد طوال قرون مضت، فأحسنت وفادتهم حيثما حلوا وصاهروا وأصروا لهم، وبذا تتسع صفحات موسوعة آل البيت لتشمل ما يزيد عن مليار نسمة هو عدد من توالد من كل المسلمين علي وجه كوكب الأرض اليوم، وهنيئا لهم جميعا التنعم بحديث سيد الخلق صلي الله عليه وآله وسلم القائل: (الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري) رواه أحمد والحاكم.

بينما يقصر بعض ساداتنا العلماء لقب الشرف علي ذرية الحسنين الشريفين وأحفادهما من الذكور فقط، وهو المسمىٰ عندهم بـ: نسب الظهور، والقائلون بهذا الرأي هم من الكثرة بمكان.

وقد انتشرت –أسوة بباقي حواضر العرب والإسلام عندنا في ليبيا– بعضُ الأنساب الشريفة النقية وهي أسر وعائلات وقبائل معروفة محدودة ونتفهم أسباب هذه المحدودية بالنظر إلي قلة كثافة البلاد السكانية، وما مر بها من حروب وفتن وقلاقل واستعمارات ومعسكرات اعتقال وإبادة جماعية، وقد وثقت هذه الأنساب

الليبيـة الشـريفة بأيـدي النسـابة والعلمـاء في ليبيـا وخارجهـا ودونوهـا في كنانيشـهم ومؤلفاتهم ما بين مخطوط ومطبوع، ويجمعها جميعا مائز هام، أنها كلها حسنيه؛ إذ لا يوجد -علىٰ حد علمي القاصر- نسبٌ حسينيٌّ صحيحٌ في ليبيا، والله أعلم.

وقد دخلت هـذه الأنسـاب عـبر بوابـات الشـرق والغـرب والجنـوب، وتحظـي بتـاريخ موثـق في البـلاد والمـدن التـي تنقلـت بهـا، وبعـض مـبررات وأسـباب تنقلهـا وتـراجم لـبعض أعلامهـا، وإن كـان هـذا لا يغنـي عـن مزيـد توثيـق وتـدوين لهـذه المعلومـات وإعـادة اسـتقراء ومراجعـة، خصوصـاً وقـد يسـر الله سـبحانه القلـم والكتاب ووسائل العلـم والاتصـال علـي أيـدي المختصـين العـارفين بهـذه العلـوم، أعتقد أننا نحتاج مزيد اهتمام أكاديمي بهذا الأمر، وقد أمرتنا شـريعتنا الغـراء بحـب آل البيت وتقديرهم، بل جعلت حبهم دلالة علي حب جدهم صـلي الله عليـه وآلـه وسـلم، وحـب البـارئ الـذي أرسـله سـبحانه، قـال صـلي الله عليـه وآلـه وسـلم: (أحبوا الله لما يغدوكم من نعمة، أحبوني بحب الله، أحبوا آل بيتي بحبي)[1] .

كما أن جدهم المبجل صلي الله عليه والـه وسـلم قـد أوصـىٰ بهـم أيمـا وصـية، وواجب علي كل مسلم الامتثال الكامل لوصيته، فقال: (أذكـركم الله في أهـل بيتـي) رواه مسلم.

ليس هذا فقط، بل حضنا صلي الله عليه وآلـه وسـلم علـي المبالغـة في إكـرامهم، وقضاء حوائجهم، والسعي في مصالحهم، وحبهم، فقال -أَكرِم به مِن قائل-: (أربعـة أنا شفيع لهم يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهـم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه). رواه الديلمي.

---

(1) سنن الترمذي، (3766،664،5).

وقد مرت الأمة الإسلامية بانهيارات كثيرة، وكان من بين مظاهر هذه الانهيار الاهتمام بالأذوقة اللمَّاعة، والمظاهر البرَّاقة دون المضمون الصحيح في كل شيء، وليست أنسابنا عن ذلك ببعيد، وصرنا نرىٰ من ينفق الأموال للحصول علي ورقة بيضاء أو صفراء تفيد أنه حفيد لفلان شريف، أو إنه كان شريفا فيما مضي ثم أخفي الأمر لبعض الأسباب حتي أعلن الآن، كما استغل بعض الحذاق والشطار هذه الظاهرة، فصارت بعض نقابات الأشراف -خصوصـًا في ليبيا والمغرب ومصر- تبيع بطاقات تفيد أن حاملها شريف النسب ابن شريف.

إذ ظهر عندنا في ليبيا بعض المنتفعين الذين ركبوا الموجة، وصاروا يكتبون شهادات شرف لمن جاءهم، ثم أعلن آخر أنه وجد بالصدفة صندوقا مدفونا في الأرض تحت التراب فيه أنساب كل الأشراف في ليبيا، ويكتب منه لمن قصده بمقابل مبلغ مالي، وكل هذا حرام شرعـًا لا يجوز بحال، فمن ادعىٰ نسبا ليس له، ويخالف الحقيقة متعمداً هو ملعون علي لسان خير الخلق ﷺ القائل: (من ادعىٰ إلىٰ غير أبيه، أو تولىٰ غير مواليه، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف أو عدل)[1] .

والحقيقة التي يجب أن نعتقدها عقيدة راسخة لا تقبل الجدال بحال، أن الشرف هو ما وافقه العمل بمقتضاه، وبهذا جاء النص القرآني الكريم، حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ فآل البيت بموجب هذه الآية الكريمة هم الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أما من انغمس في الرجس ظاهراً أو باطنـًا أو بهما معا، فاعتقادنا في انتساب لآل البيت لورقة يحملها يوقعنا في تكذيبنا -لا سمح الله - لهذه الآية الكريمة؛ إذ

(1) سنن الترمذي، (2127،6،4).

هي قضية منطقية واضحة جلية قطباها ضدان لا يصدقان معا ولا يكذبان معا، وإحداهما فقط صادقة والأخرىٰ كاذبة، ولا مجال لتصديق غير كتاب الله الكريم أصلا الذي أفاد طهارة الشريف من الرجس...

كذلك فإن الأساس الذي بني عليه ديننا الحنيف هو تعظيم النسب الديني، أي: الانتساب إلي الإسلام نفسه، والالتزام بأوامره ونواهيه، فهو الذي عليه المدار، وهو الذي نحاسب عليه يوم بعثنا، والله سبحانه لن يطالبنا يوم نلقاه بورقة تفيد نسبا إنما سيسألنا عن دينه الذي أودعه عندنا وما فعلنا في حياتنا حيال أوامره ونواهيه، أما النسب الطيني فهو قرينة تؤكد الشرف الديني الذي عليه المعول قبل وبعد وإلي هذا يشير الشيخ أحمد زروق دفين مدينة مصراته بقوله: «المعتبر النسب الديني فإن انضاف إليه الطيني كان مؤكدا له».

وإلىٰ هذا يشير أهل العلم الذين قال قائلهم:

خليلي ما الإنسان إلا ابن دينه　　　فلا تترك التَّقوىٰ اتكالا علىٰ النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس　　　وقد وضع الكفر النسيب أبا لهب

وبنظرة فاحصة لتاريخنا المجيد نجد أن الأمة كانت إبان تسنمها ذروة الكون مجداً وعلوّاً تفتخر بمثقفين إسلاميين عظام، أختار لك منهم أئمة في عجالة كشاهد يفي بالغرض، أما جميعهم فيحتاج مجلدات موسعة وموسوعات، فمنهم: البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، والبيهقي، والدارمي، وابن ماجه في الحديث الشريف، والجنيد، وأبو يزيد البسطامي، ومعروف الكرخي، والحسن البصري، والغزالي، وابن عربي، والسهروردي في التصوف، والزمخشري، وابن كثير، والقرطبي، والواقدي، ومزاحم، ومقاتل في التفسير القرآني الكريم، وابن جني، وابن فارس، وسيبويه، والأخافشة الثلاثة، والمبرد، والأصمعي في اللغة

العربية، وأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل في الفقه، والجاحظ، والمتنبي، والمعري في الأدب... إلىٰ آخر أسماء أفذاذها وأعلامها! لماذا؟

لأنهم جسدوا -فعلًا- حقيقة الشرف المحمدي، وصنعوا بأخلاقهم ومزاياهم الشخصية والعلوم الجمة شيم ومكارم أهل البيت الشريف، وصدق عليهم الشرف بلا شك ولا ريب؛ لأنهم ولدوا من رحم شريعة سيد الخلق ومكارم أخلاقه وجميل شيمه، فصدق عليهم قوله صلي الله عليه وآله وسلم: (سلمان منا آل البيت) راوه الطبراني في الكبير.

أما إن ذكر الشرف والأشراف فالبذور النائرة والكواكب الزاهرة، كالحسنين الشريفين، وأمهما، وزين العابدين، ومحمد الباقر، وموسي الكاظم، وجعفر الصادق، وعموم هذه الكوكبة المباركة كانوا مثالاً كاملاً للمؤمن الصادق، ولك أن تنظر في كل تاريخ حيواتهم، ولن تجد قط إلا الخير والفضل والطيبة والصدق والورع وكل صفات الطيبات التي أمرنا بها شرعنا الشريف، حتي إنه قال قائل: كونوا كجدكم صلىٰ الله عليه وآله وسلم قرآنا يمشي علىٰ الأرض فما أخطأ من الحقيقة حرفا.

فسيدنا الحسن بن علي رضوان الله عليه حج عشر حجات ماشيا، ويقول: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلي بيته، وقاسم الله تعالىٰ ماله ثلاثه مرات، أي: يجمع كل ماله من نقد وماشية وعقار وحرث ونخل وكل ما عنده، فيمسك نصفه ويتصدق بالنصف الآخر، ثم لم يكتف بذلك، فيخرج عن كل ماله لله تعالىٰ مرتين يعطيه لوجه الله كله، فلا يمسي عنده شيء علىٰ الإطلاق.

وعندما توفي سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم أجمعين ووضعوه علي المغسل وجدوا في ظهره دبرا سوداء، فسألوا ابنه سيدنا محمد الباقر عنها، فقال:

كان إذا حصل عنده مال أو طعام جعله في صرر كبيرة، وحمله إلي الفقراء والمساكين واليتامىٰ والمحتاجين علىٰ ظهره.

فقالوا له: أما كنت تحمل عنه؟

فقال: كلما مددت يدي لأحمل عنه نهاني، وقال: أأنت تحمل عني ذنوبي يوم القيمة؟

وكانت الشقيقتان الطاهرتان (ثناء وسناء) وهما شريفتان من أحفاد سيدنا جعفر الصادق تقرأ إحداهما القرآن الكريم كاملا وأخته تسمعه منها حتي تتمه، ثم تبدأ الأخرىٰ القراءة وتسمع الأولي منها هكذا طوال عمرهما، حتي إذا توفيت إحداهما قرأت الأخرىٰ القرآن عند رأسها فلما أتمته توفيت عند رأس أختها، ودفنتا معا بسفح المقطم بمصر.

وسيدي عبد السلام الأسمر هو شريف الأرومة المباركة الطاهرة أخرج ظلما وعدوانـًا من مدينته وأهله ومحل إقامته سبع مرات، وقتلوا نجله الكريم غيلة، ومع هذا لم يجاز بالسيئة السيئة، وإنما جازىٰ بالسيئة الحسنة، وما غادر دنيانا إلىٰ رحمة ربه حتي ترك فيهم مدرسةً كبيرةً أوقف عليها الأوقاف والأحباس، وعمَّرها بصفوة العلماء تعلمهم دينهم، وتحفظهم كتاب ربهم إلي يومنا...

وهذا هو الذي أعنيه تمامـًا، فالشرف عندي هو أن يتصل الشريف بصفات جده صلي الله عليه وآله وسلم وأخلاقه ما استطاع إلي ذلك سبيلاً، وذلك هو أكبر دليلٍ علي صدق انتسابه إلىٰ هذه الأرومة الطاهرة، أما الأوراق والبطاقات فهي عندي لا تثبت منفيّـًا، ولا تنفي مثبتـًا، والتقوىٰ هي الدليل الأكيد علي صدق الانتساب، وآل البيت هم الأتقياء فقط دون غيرهم، وذلك الذي أثبته جدهم صلي الله عليه وآله وسلم بقوله في الحديث الذي روته عنه السيدة عائشة

أم المؤمنين، قال: (آل محمد كل تقي) رواه الطبراني، ولا قبول لحرف واحد يخالف نص حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

المحور الرابع: حسدا من عند أنفسهم:

عاش النبي ﷺ في قريش، وكان محبوباً لديهم، أمّنوه علىٰ أرزاقهم وأسرارهم، يقدّمونه في كلّ شيء، ومن ذلك لمّا أرادت قريشا تجديد بناء الكعبة، واتفقوا علىٰ ألّا يدخلوا في بنائها إلّا طيباً، ولمّا وصلوا موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمرّ النزاع بينهم لعدّة أيام، واشتدّ حتّىٰ كاد يتحوّل إلىٰ حرب ضروس في أرض الحرم، إلىٰ أن اتفقوا أن يحكموا أوّل داخل عليهم من باب المسجد، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ؛ فلمّا رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمّد، فلمّا انتهىٰ إليهم، وأخبروه الخبر، طلب رداء فوضع فيه الحجر وسطه وطلب رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه؛ حتّىٰ إذا أوصلوه إلىٰ موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه، وهذا حلّ حصيف رضي به القوم[1]؛ ولكن لمّا جاءهم النبي ﷺ، ودعاهم إلىٰ عبادة الله وحده سبوه ورموه بكلّ العيوب -حاشاه ﷺ-، ألم يقولوا: إنّه الصادق! وإنه الأمين! وفور أن جاءهم بالحقيقة انقلبوا رأساً علىٰ عقب، لا لشيء إلّا أَنَّ منهم من كان يريد أن تكون الرسالة فيهم، فعاندوا وتكبّروا.

وكما ابتلىٰ الله المسلمين في مكة بمشركي قريش، ابتلاهم في المدينة بيهودها؛ فإنهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنّه الحق، وكانوا قبل مجيء الرسول يستفتحون علىٰ المشركين من العرب إذا شبّت

---

(1) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباكفوري، دار الغد الجديد، ط 1، ص 67.

الحرب بين الفريقين بنبيّ يبعث قد قرب زمانه؛ فلمّا جاءهم ما عرفوا استعظم رؤساؤهم أن تكون النبوّة في ولد إسماعيل، فكفروا بما أنزل الله بغياً، مع أنّهم يرون أنّ رسول الله محمّداً لم يأت إلاّ مصدّقاً لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين، مبيّناً ما أفسده التأويل منها؛ ولكنّهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون(1)، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(2).

وما قاله الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في كلمة ألقاها في جامعة أكسفورد بمناسبة افتتاح مركز الدراسات الإسلاميّة، حيث قال: «إنّ الإسلام يتعرّض لحملة حاقدة، فصحفنا تعشق الخوض في هذه الأحقاد؛ ولكن الوضع غير ذلك، إذ يمكن التفاهم مع الإسلام، وإقامة علاقة وثيقة معه على أساس من التسامح، كما أنّ أساس الإسلام هو العدل والرحمة، إنّ القرآن نصّ على حقوق المرأة في الإرث والتملّك وشيء من الحماية عند الطلاق، وهذه الأنظمة طبقت قبل 14 قرناً، أي: قبل أيّ آخر في العالم، ولم تطبّق في إنجلترا إلاّ في عهد الملكة؛ أمّا بالنسبة لموضوع التطرّف فيجب ألاّ تنزلق أفكارنا بالاعتقاد أن التطرّف هو جوهر الإسلام»(3).

ولكن يأبى الله إلاّ أن يتم نوره، أراد كفار قريش أن يطفئوا نوره فخسروا، وأراد يهود المدينة أن يفعلوا فخابوا، وأراد أتباعهم من بعدهم والذين ساروا على نهجهم أن يكملوا مسيرة أسلافهم فعادوا الإسلام جهاراً نهاراً، بمالهم وقوّتهم وأبنائهم، فها هو رئيس فرنسا ماكرون لمّا جاء بالرهائن المحررين من مجوعة إرهابية

(1) نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين، محمد الخضري، مؤسسة الرسالة، ط 1، ص 59.

(2) سورة البقرة 89.

(3) خصائص السيرة النبوية، ص 2.

خطفتهم في دولة مالي، أعلن أنه نجح في التفاوض، وأنّ المحررين سيصلون، وأنّه سيستقبلهم بنفسه، أعدوا له منصة حتىٰ يخطب منها يعادي الإسلام بكلماته، جعل الله كيده في نحره، وانقلب الأمر انتصاراً للإسلام، فإحدىٰ الرهائن تعمل في منظمة للأطفال في مالي، وهذه المنظمة تجعل من التنصير ومعادة الإسلام عملها الرئيس –ولو كانت تظهر العمل الإنساني– اختطفت منذ أربع سنوات وظلت هي وثلاثة غيرها لدىٰ الخاطفين، ظهرت هذه العجوز علىٰ باب الطيارة، وقد وضعت علىٰ رأسها (وشاحا) أبيضًا لتصفعه بكلمات واضحة «أنا مسلمة، تقولون: صوفي، لكن مريم هي التي أمامكم، وسأعود لمالي من جديد» وقف مخزيا هو ومرافقوه، ولم ينطق بكلمة للصحافة، ثم غادر مسرعًا.

كانت من أعداء الإسلام؛ لأنها مغيبة عن حقيقته ولمّا عرفته عن قرب أحبته، عاشت حياتها تعمل في التنصير، فلمّا جاوزت السبعين أسلمت.

وهذه أبيات علىٰ لسانها وهي تخاطبه:

لا لست (صوفي)إنّني أنا مريم	عانقتُ دين الحقّ وهو المغنمُ
أسلمت إسلامًا ينير بصيرتي	وبه أنا بعد الجهالة أنعمُ
قد عدتُ من (مالي) بدين طاهرٍ	فيه العدالة وهو دينٌ محكَمُ
(مكرون) هذا الدين أقنعني لذا	إني به وهو المحبّبُ أعرمُ
دين به نلت السعادة كم أنا	....
قد عدت من مالي بدين طاهر	فيه العدالة وهو دين محكمُ
مكرون هذا الدين أقنعني لذا	إني به – وهو المحبب – أغرمُ
دين به نلت السعادة كم أنا	عنها أفتش وهي كنز يغنمُ
فيه السماحة فيه كل مزية	ما فيه قطعا ما تظن وتزعمُ

فيـه الجـواب لكـل أسـئلتي لـذا — هـو السـعادة والكرامـة سـلمُ
ديـن جميـل لـيس يبصـر نـوره — مـن قلبـه بالحقـد مثلـك مظلـمُ
مكـرون هـذا الـدين لـيس يضـره — مكـر الغـدا مـن يزدريـه سـيندمُ
حاربتـه فـرآه غيـرك نعمـة — يسـمو بـه وبهذيـه يتـنعمُ
لـن تسـتطيع دفاعـة عـن قلـب مـن — كسـر الصـليب وقـال: إني مسـلمُ[1]

المحور الخامس: الصلاة على النبي ﷺ:

إن مفتاح كل خير، ومغلاق كل شرّ، الصلاة على خير البشر؛ فبه ﷺ فتح الله آذانـًا صمًّا، وهدى قلوبـًا غلفـًا، إذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[2]، فبالصلاة عليه يصل المسلم إلى مبتغاه، ويرضي مولاه، فهو سفينة النجاة، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)[3]،

---

(1) محمد بن علي إيهوم اكادير، مساء يوم السبت 22 صفر 1424، الموافق 10 أكتوبر 2020م.

(2) سورة الأحزاب 56.

(3) سنن الترمذي، تحقيق أحمد بشار وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي/ مصر، الطبعة الثانية، (4/ 536/ 2457) حديث حسن.

فمن قوله ﷺ: تكفى همك، يكفى المسلم ما أهمه من أمور دنيوية من معاش ونحوه، وهم الآخرة وهو رضى الله عَزَّوَجَلَّ، ومن رضي عنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غفر ذنبه، من هنا قال شيخنا رحمه الله تعالى: «ها قد انشرح صدرك وشعرت بحب رسول الله ﷺ ينساب بين حنايا فؤادك الطيب، اشتقت إلى صلة قربى تصلك بحضرته الشريفة ﷺ، وتكون ذخراً في الآخرة، ونفعاً في الدنيا؛ فأهديك حديثاً شريفاً، وهو قوله ﷺ: «من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب»[1]، فلا تتركنّ هذه الفائدة تفوتك، واحرص على تزيين رسائلك وكراساتك وعموم ما تخطه يدك بالصلاة على حبيبك سيدنا محمد ﷺ»[2].

ومن أهمّ ما يسعى إليه المحب هو رؤية النبي ﷺ؛ فالذي يراه لا يشقى في دنيا ولا في أخرى، ومن الوسائل التي توصل إلى هذه الغاية هي كثرة الصلاة والسلام على النبي ﷺ، فرحم الله شيخنا إذ نصح من يتشوّق لرؤيته ﷺ بكثرة الصلاة والسلام عليه، فقال: «فلك عندي نصيحة ثمينة نفيسة وهي[3] قوله ﷺ: «من قال اللهم صل على روح محمّد في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، وعلى قبره في القبور، رآني في منامه، ومن رآني في منامه رآني يوم القيامة،[4] ومن رآني يوم القيامة شفعت له، ومن شفعت له شرب من حوضي وحرم جسده على النار».

وبعد أن سار بنا الشيخ رحمه الله تعالى، وتكلّم عن سيرته وشمائله وفضله على العالمين، دعانا إلى الصلاة على خير البرية، فقال: «هذه بعض صلوات مأثورة لها فوائد عظيمة، اجعلها في مناجاتك ودعائك، علّ الله سبحانه ينفعك بها».

---

(1) شرف أصحاب الحديث، للخطيب، (60).

(2) موسوعة الأشراف، ص 46.

(3) موسوعة الأشراف، ص42.

(4) السابق ص 43.

فقد كان سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: اللهم تقبل شفاعة سيدنا محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى، كما آتيت سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى.

وعن الحسن البصري أنه كان يقول: من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فليقل: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته، وعلينا معهم جميعا يا أرحم الراحمين.

وجاء في كتاب القربة لابن بشكوال عن محمد بن وضاح، أنه قال: بلغني أنه من قال عشية يوم الخميس بعد العصر: اللهم رب الشهر الحرام والمشعر الحرام والركن والمقام ورب الحل والحرام أقرئ محمدا مني السلام.

إلا بعث الله ملكا يبلغه عنه، فيقول: فلان بن فلان يبلغك السلام.

وذكر الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء:

رأى أبو الحسن الشافعي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله كم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة: اللهم صلِّ على سيدنا ومولانا محمد عدد ما غفل عن ذكره الغافلون؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: جوزي عني بأن لا يوقف للحساب.

وعن عبد الله بن الحاكم قال: رأيت الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النوم فقلت له: ما فعل الله بك.

قال: رحمني وغفر لي وزففت إلي الجنة كما يزف العروس، ونثر عليَّ كما ينثر على العروس.

فقلت: بم بلغت هذه الحالة؟

فقال لي قائل: بقولك في كتاب الرسالة: وصلىٰ الله علىٰ محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، قال: فلما أصبحت نظرت الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت.

وأخرج البزار في مسنده، والطبراني في الكبير والأوسط، وأحمد، وابن أبي الدنيا بأسانيد حسنها الحافظان المنذري والهيثمي، عن الصحابي سيدنا رويفع الأنصاري دفين مدينة البيضاء بليبيا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «من قال اللهم صلِّ علي محمد وأنزله المقعد المقرب منك يوم القيامة، وجبت له الشفاعة»[1].

وممّا يؤكّد لنا أنّ شيخنا رحمه الله تعالىٰ كان مهتمّـًا بالصلاة علىٰ النبي ﷺ، فقد اشتغل بالاعتناء بالقصائد المولدية التي تنشد في ذكرىٰ مولده ﷺ في بلادنا، وهي ما يسمّىٰ (تخميس البغدادي، البهلول، البرزنجي) كما وزّعها بالمجان علىٰ المحبين، وبأسانيد متصلة إلىٰ مؤلفيها.

الخاتمة:

1. إن دراسة السيرة النبوية بعمق هي دراسة للتراث الإسلامي بمجمله.
2. علىٰ البحّاث أن يبتعدوا عن السرد التاريخي لسيرة النبي ﷺ؛ بل يدرسوها دراسة علمية فاحصة، فهي الملاذ لكلّ مختص في مجاله، سواء اقتصاديّـًا، أو سياسيّـًا، أو اجتماعيّـًا.
3. علىٰ جميع مؤسسات الدولة أن تجعل من سيرته ﷺ نبراسـًا تنطلق منه.
4. اهتمّ شيخنا رحمه الله تعالىٰ اهتمامـًا واضحـًا بسيرته ﷺ، وبيّن أنّه باتباعها نصل إلىٰ مصاف الأمم المتقدمة.

(1) موسوعة الأشراف، ص44،45،46.

الأربعون القادرية، التعريف بها ووصل أسانيدها، وروايتها بأسانيد العلامة القطعاني

د. علي فاضل الحسيني
شيخ الزاوية العيساوية ببغداد، العراق



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ورضي عن أصحابه التابعين له بحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فقد كثُرت مصنفات أهل العلم من المحدثين في جمع أربعين حديثًا للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في موضوعات شتىٰ ومقاصد متعددةٍ، فرأيت من المناسب دراسة الأربعين القادرية بهذه الدراسة، مع وصل أسانيدي لها عن علماء العراق وغيرهم، وسآتي بذلك كله بإذن الله.

التعريف بالأربعينات لغةً واصطلاحًا:

الأربعون في اللغة عددٌ معروف، وهو أربع عشرات[1]. والأربعونات - بغير ياء النسب-: عدةُ وحداتٍ يتكون كلٌّ منها من أربعين عنصرًا[2].

---

(1) لسان العرب (8/ 99)، المعجم الوسيط (1/ 324).

(2) معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر وفريقه (1/ 33). وتُفارق التعبير بالأربعينيات: بأن إضافة ياء النسب تدل علىٰ جمعِ أعدادٍ منسوبةٍ إلىٰ لفظ العقد، وهي هنا من أربعين إلىٰ تسعة وأربعين. وقد صدر بصحة التعبير بذلك قرار لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية بمصر، انظر: القرارات المجمعية من 1934 - 1987م (ص120)، كتاب الألفاظ والأساليب =

والأربعونات في اصطلاح المحدّثين: أجزاءٌ حديثية جمع فيها مؤلفوها أربعين حديثًا أو بابًا، أو نحو هذا العدد[1].

ويمكن توضيح مضامين هذا التعريف بما يأتي:

1- الأربعونات نوع من الأجزاء الحديثية.

2- أحاديث الأربعينات قد تكون مسندةً، وقد تكون محذوفة الأسانيد.

3- العنصر المميِّز للأربعينات عن غيرها هو العدد، وذلك ببلوغها الأربعين، أو بزيادتها عليها قليلًا، أو نقصها عنها قليلًا، فإن من عادة العرب الاقتصار على العقود، وحذف الكسر، اكتفاءً بالأهم[2]. وواقعُ أربعيناتٍ عديدةٍ زادت في العدد على أربعين يدلُّ على هذا.

4- قد يكون المعدود في الأربعينات: الأحاديث، وقد يكون: الأبواب. والغالب في الحالة الثانية أن تزيد الأحاديث على أربعين حديثًا. وهو مقصدٌ من مقاصد التأليف في الأربعين عندهم.

5- اختلاف مناهج تأليف الأربعينات وجمعها لا يخرجها عن هذا النوع من التأليف.

= الصادر عن المجمع (ص77).

(1) انظر: لسان المحدثين (مادة: أربعينات)، مدرسة الحديث في مصر (ص126)، مقدمة تحقيق «الأربعون الصغرى»، للبيهقي (ص11).

(2) في المسند (3981) من حديث عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود، قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورةً من الثلاثين، من آل حم. قال: يعني الأحقاف. قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين. وسنده حسن، ولعل آخره مِن كلام بعض مَن دون ابن مسعود.

المبحث الأول: الأربعون القادرية التعريف بها، وتحقيق اسمها.

المطلب الأول: التعريف بالأربعين القادرية.

الأربعون القادرية هي أربعون حديثاً لأربعين شيخاً من مشايخ المسلمين، انتخبها الشيخ الحافظ سيدي عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهي ليست لوالده الكريم كما ذكر في أكثر من كتاب ومرجع بل وحتىٰ في غالب طبعاتها المتداولة في الأسواق، والحديث الوحيد لسيدي عبد القادر الجيلاني -قدس الله سره- في هذه الأربعين هو الحديث الأول لا غير.

ويشبه هذا كتاب (فتوح الغيب)؛ فبالرغم من أن مادته وهي ثمان وسبعون مقالة تربوية إضافة إلىٰ فوائد وملاحظات وضبط لنسبه الشريف كلها لسيدي عبد القادر الجيلاني بما فيها تقييدات هامة جدا ألقاها في آخر أيامه علىٰ فراشه الذي توفي فيه، إلا أن جامعها -في الحقيقة- هو نجله الكريم سيدي عبد الرزاق الذي لازم أباه الكريم يخدمه ويسمع منه ويقيد عنه رضوان الله عليهم من آل طيبين مباركين[1].

ولأهمية هذه الرسالة حرص الأستاذ «زهير الشاويش» علىٰ أن يخرجها، ويعيد أحاديثها إلىٰ المصادر المعروفة من كتب السنة المطهرة، مكتفياً بذلك من غير إطالة، إلا في ثلاثة أحاديث وجد فيها ضعفاً فأطال الكلام عليها.

لماذا أربعون تحديدا؟

مشايخ سيدي عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني -علىٰ ما ذكره المترجمون له- أكثر من الأربعين بكثير، وإنما اقتصر حضرته علىٰ هذا العدد؛ امتثالاً لنصح جده رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، القائل:

---

(1) إجازة الأربعون القادرية للقطعاني، ص2.

«مَنْ حَفِظَ علَىٰ أمَتِّيَ أرْبَعِيَن حِديثَاً منْ أمْرِ دِيْنِهاَ بعَثَه اَللهُ يْومَ الْقِيَامَةِ فيُ زمْرَةِ الْفُقَهَاءِ والُعلَمَاء»، وفي رواية: «بعثهُ اللهُ فقيهاً عالماً». وفي رواية أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكنتُ لهُ يومَ القيامةِ شافعًا وشهيداً». وفي روايةِ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «قيلَ له: ادخلْ من أيّ أبوابِ الجنةِ شئتَ». وفي روايةِ ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُتبَ في زمرة العلماءِ، وحُشِرَ في زمرةِ الشهداءِ».

ولهذا تجد في المكتبة الحديثية الكثير من أربعينات الحديث، ومنهم من يختارها بحيث تكون شاملة غالب أبواب العلم، ومنهم من تخصص في فرع بعينه، ومنهم من ينتخبها من أربعين كتاب حديث، ومنهم أيضاً من جمعها حسب ما تيسر أو اتفق له، أو غير ذلك من الصنوف، ولكل مجتهد نصيب[1].

سبب تأليف العلماء للأربعينيات ومنها الأربعون القادرية:

يظهر جليّاً من خلال تتبع كتب الأربعينات أن سبب تأليف العلماء لها يرجع إلىٰ ثلاثة أمور:

الأول: استنادهم علىٰ حديث: «مَن حَفِظَ علَىٰ أمَتِّيَ أرْبَعِيَن حِديثَاً منْ أمْرِ دِيْنِهاَ بعَثَه اَللهُ يْومَ الْقِيَامَةِ فيُ زمْرَةِ الْفُقَهَاءِ والُعلَمَاء». وغيره مما أوضحناه سابقاً.

الثاني: حرصهم علىٰ تبليغ أحاديث الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وبيانها للأمة.

الثالث: اقتداؤهم بجمع من الأعلام وحفاظ السنة، الذين يقتدىٰ بهم ممن جمع في هذه الأربعينات، كما هو حال الإمام النووي - رحمه الله تعالىٰ - في تأليفه للأربعينات؛ وممن سبقه، ومنهم سيدي عبد الرزاق في الأربعين القادرية.

(1) إجازة الأربعون القادرية للقطعاني، ص6.

من سمات الأربعين القادرية:

أما سيدي عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني -قدس الله أسرارهم- فقد اختار أن تكون أربعيناته متميزة دراية ورواية، من حيث المشيخة، والأسانيد، والموضوع، حيث هي أربعون طريقاً تمثل أربعين سنداً لأربعين حديثاً تربويّاً تحديداً منسجماً في هذا مع المدرسة التربوية الرائعة العريقة التي أسسها والده الكريم -رضوان الله عليه- وحمل أنجاله وأحفاده وتلامذته ومريدوه من بعده مشعل نورها الوهاج في أصقاع الأرض إلىٰ يومنا وإلىٰ أن تقوم الساعة إن شاء الله تعالىٰ، والتي أساسها كتاب الله تعالىٰ، وصحيح سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، ومنهجها أخلاق الإسلام من حب، وصدق، وأمانة، وحسن معاملة، ووفاء بالعهد، وتواضع، ورفق ويسر، ومودة، ونصح، وكل ما جاء به ديننا الحنيف من الشمائل النبيلة الكريمة.

إذاً، هي أربعون أخلاقية بامتياز كما ستجدها ويجدها كل متمعن، ابتدأها مستفتحاً أول حديث فيها بالرواية عن أبيه الكريم سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره مترضيا عليه، وفي هذا ما فيه من توجيه أخلاقي رفيع بالأدب مع الوالدين، وتقديمهما، وإظهار احترامهما، والدعاء لهما، وربط كل ذلك بموضوع الحديث الأول، وهو: الأدب مع الصحابة، وكأنه يقول:

إن كان الأدب مع الصحابة مطلباً أخلاقيّاً ضروريّاً، فالأدب مع أبيك مطلب لا يقل أهمية عنه، وإن كان الصحابة هم من تحلوا بأكرم الأخلاق وأطيب الشيم أخذا عن نبيهم صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فأبو الأسرة حري بنقل هذه الشمائل لأبنائه وأسرته.

ثم ختم أربعيناته بألمعية واضحة بالجنة ونعيمها، وهو نعم الختام.

فتراه عاش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عمره ناصحا مربيّاً، وأبقى كتابه هذا بيننا ليستمر في تربيته ونصحه[1].

تنبيه: إلى أن عناوين كل الأحاديث الأربعين كـ(لا تسبُّوا أَصْحابي) في الحديث الأول -على سبيل المثال- هي ليست من أصل المتن.

وكذلك التخريجات الملحقة بكل حديث، وتصنيفه من حيث الصحةُ، أو الحسنُ، أو الضعفُ هي أيضاً ليست من أصل الكتاب، إنما من إضافة المحققين كـ الشيخ زهير شاويش، والشيخين الفاضلين: الشيخ حارث الجبوري، والشيخ عبد الستار المشهداني في تحقيقاتهم.

المطلب الثاني: **تحقيق اسمها.**

اشتهرت في المغرب العربي باسم: «الأربعون القادرية» وعند المشارقة باسم: «الأربعون الكيلانية» إلا أن اسمها الصحيح هو: «الأربعون عن أربعين شيخا»[2]، وكما مر معك أنها من جمع سيدي عبد الرزاق بن سيدي عبد القادر الكيلاني جمعها عن أربعين من مشايخه، وليست لسيدي عبد القادر الكيلاني، وأورد سيدي عبد الرزاق حديثاً واحداً عن والده بسنده.



(1) إجازة الأربعون القادرية للقطعاني، ص7. بتصرف.

(2) إجازة الأربعون القادرية للقطعاني، ص2. بتصرف.

المبحث الثاني: ترجمة سيدي عبد الرزاق صاحب الأربعين القادرية، وترجمة والده سيدي عبد القادر الكيلاني:

المطلب الأول: ترجمة سيدي عبد الرزاق صاحب الأربعين القادرية.

سليل الأكرمين الشيخ القدوة المحدث الحافظ، لقبه: تاج الدين، وكنيته: أبو بكر، ولد في بغداد سنة 528هـ 1134 م، وتفقه علىٰ والده الكريم وسمع منه كما سمع الكثير بإفادة والده وإشرافه، حتىٰ صار من أعلام الأمة.

وسمع أيضاً من أبي الحسن بن صرما، والقاضي أبي الفضل محمد، وسعيد بن البناء، وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وأبي المظفر محمد الهاشمي، والحافظ أبي الوقت، ومن في طبقتهم.

كما قرأ الكثير علىٰ أصحاب أبي الخطاب بن البطر، وأبي عبد الله بن طلحة، وغيرهم.

كان صوفيّاً كبيراً من أكبر رجال القادرية مقاما، يقول: التصوف الصحيح هو عين التوحيد، سكن منطقة حلبة شرق بغداد، وخلف والده الكريم في مشيخة الطريقة.

زاهداً ورعاً كثير العبادة، حافظاً، متقناً، ثقةً، صدوقاً، متضلعاً في علوم الحديث الشريف، فقيهاً علىٰ مذهب ابن حنبل، ورعاً، منقطعاً في منزله عن الناس، لا يخرج إلا في الجمعات، محبّاً للرواية، مكرماً لطلاب العلم، سخيّاً، صاحبَ مروءة، صابراً، فقيراً من المال، عزيزَ النفس، عفيفاً.

ويعد كتاباه: «جلاء الخاطر» و«الأربعون عن أربعين شيخا» من أشهر مؤلفاته.

حدث، وأملىٰ، ودرَّس، وأفتىٰ، وناظر، وتخرج به غير واحد من الأعلام، منهم:

نجله الكريم أبو صالح نصر المشهور بقاضي القضاة، وإسحاق بن أحمد بن غانم، وعلي بن علي خطيب زوبا، وروىٰ عنه الحافظ الضياء المقدسي صاحب المختارة، والدبيثي، والحافظ ابن النجار صاحب التاريخ، والنجيب عبد اللطيف، والتقي البلداني، وغيرهم.

قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية: كان ثقة عابداً زاهداً ورعـاً، لم يكن في أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني خيرٌ منه، ثم أضاف قائلاً: كان متقللاً من الدنيا مقبلاً علىٰ أمر الآخرة، وقد سمع الكثير، وسمع عليه أيضا.

وتوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بغداد سنة 595هـ الموافق 1199م، ودفن بباب حرب، وذكر البعض وفاته في 603هـ، والصواب ما ذكرناه، والله أعلم[1].

وترجم له الذهبي في **سير أعلام النبلاء** فقال[2]:

«عبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ شَيْخِ الإِسْلاَمِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ أَبِي صَالِحٍ الجِيْلِيُّ الشَّيْخُ، الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، أَبُو بَكْرٍ الجِيْلِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، الزَّاهِدُ، وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ. وَسَمِعَ مِنَ: القَاضِي أَبِي الفَضْلِ الأُرْمَوِيّ، وَمُحَمَّد بن أَحْمَدَ بنِ صِرْمَا، وَابْن نَاصِر، وَأَبِي الكَرَمِ ابْنِ الشَّهْرُزُوْرِيِّ، وَعُنِي بِهَذَا الشَّأْن، وَكَتَبَ الكَثِيْر. حَدَّثَ عَنْهُ: ابْن الدُّبَيْثِيِّ، وَابْن النَّجَّارِ، وَالضِّيَاء، وَالتَّقِيّ اليَلْدَانِيّ،

(1) إجازة الأربعون القادرية، للقطعاني، ص3-4. بتصرف.

(2) سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفىٰ: 748هـ) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ/ 1985 م 21/ 426- 427.

وَالنَّجِيْب عَبْد اللَّطِيْفِ، وَجَمَاعَة. وَأَجَازَ: لِلشَّيْخِ شَمْس الدِّيْنِ، وَأَحْمَد بن شَيْبَان، وَخَدِيْجَة بِنْت رَاجِح، وَالفَخْر عَلِيّ. وَيُقَالُ لَهُ: الحَلْبِيُّ؛ نِسبَة إِلَىٰ مَحَلَّة الحَلْبَةِ.

وَقَالَ الضِّيَاء: لَمْ أَرَ بِبَغْدَادَ فِي تيقُّظه وَتحرِّيه مِثْله. وَقَالَ أَبُو شَامَةَ: كَانَ زَاهِداً، عَابِداً، ثِقَة، مُقْتَنِعاً بِاليَسِيْر. وَقَالَ ابْن النَّجَّارِ: كتب لِنَفْسِهِ كَثِيْراً، وَكَانَ خطّه رديئاً. قَالَ: وَكَانَ حَافِظاً، مُتْقِناً، ثِقَة، حسن المَعْرِفَة، فَقِيْهاً، وَرِعاً، كَثِيْر العِبَادَة، مُنْقَطِعاً فِي مَنْزِلِهِ، لاَ يَخْرُج إِلاَّ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَكَانَ مُحِبّاً لِلرِّوَايَةِ، مكرماً لِلطَّلَبَة، سخيّاً بِالفَائِدَة، ذَا مُروءة، مَعَ قلّة ذَات يَده، صَابراً عَلَىٰ فَقره عَلَىٰ مِنْهَاج السَّلَف، وَكَانَتْ جِنَازَته مَشْهُوْدَة، وَحُمِلَ عَلَىٰ الرُّؤُوس رَحِمَهُ اللهُ.

مَاتَ: فِي شَوَّالٍ، فِي سَادِسِه[1]، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَستِّ مائَةٍ.

وَمَاتَ فِيْهَا: أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْدَلاَنِيّ، وَمُحَمَّد بن مَعْمَر بن الفَاخِرِ، وَمَكِّيّ بن رَيَّانَ المَاكِسِيْنِي».

وفي **ذيل طبقات الحنابلة** لابن رجب[2]:

«عَبْد الرزاق بْن عَبْد القادر بْن أَبِي صَالِح الجيلي البغدادي، الحلبي، المحدث الحافظ، أبو بكر ابن الزاهد أبي محمد وقد سبق ذكر والده وأخيه، عَبْد الْوَهَّاب.

ولد عَبْد الرزاق عشية يَوْم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ببغداد.

---

(1) في ليلة السادس منه كما ذكر المنذري في (التكملة).

(2) ذيل طبقات الحنابلة المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفىٰ: 795هـ) المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض الطبعة: الأولىٰ، 1425 هـ - 2005 م 3 / 75-78.

وسمع الكثير بإفادة والده، وبنفسه من: أَبِي الْحُسَيْن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن صرما، وأبي الفضل الأرموي، وابن ناصر الحافظ، وأَبِي بَكْرِ بن الزاغوني، وأبي الكرم الشهرزوري، وَأَحْمَد بْن طاهر الميهني، وسعيد بْن البناء، وأبي الوقت وطبقتهم، وعني بِهَذَا الشأن، وحصل الأصول، وتفقه عَلَىٰ والده. وكانت لَهُ معرفة بالمذهب، ولكن معرفته بالحَدِيث غطت عَلَىٰ معرفته بالفقه.

قَالَ ابْن نقطة: كَانَ حافظا ثقة مأمونا.

وَقَالَ الحافظ الضياء: لم أرَ ببغداد أحداً فِي تيقظه وتحريه مثله، وأثنىٰ عَلَيْهِ الدبيثي. وغيره.

وَقَالَ ابْن النجار: كَانَ حافظاً متقناً، ثقة صدوقاً، حسن المعرفة بالحَدِيث، فقيهاً عَلَىٰ مذهب أَبِي عَبْد اللهِ أَحْمَد بْن حنبل، ورعاً متديناً، كثير العبادة، منقطعاً فِي منزله عَنِ النَّاس، لا يخرج إلا في الجمعات، محبّاً للرواية، مكرماً لأهل العلم، سخيا بالفائدة، ذا مروءة، مَعَ قلة ذَات يده، وأخلاق حسنة، وتواضع وكيس، وَكَانَ خشن العيش، صابراً عَلَىٰ فقره، عزيز النفس عفيفاً، عَلَىٰ منهاج السلف.

قَالَ أَبُو شامة فِي تاريخه: كَانَ زاهداً عابداً ورعاً، لَمْ يكن في أولاد الشيخ مثله، كان مقتنعاً من الدنيا باليسير، وَلَمْ يدخل فيما دَخَلَ فِيهِ غيره من إخوته.

قَالَ الذهبي: حدث عَنْهُ أَبُو عَبْد اللهِ الدبيثي، وابن النجار، والضياء المقدسي، والنجيب عَبْد اللطيف، والتقي البلداني، وابنه قَاضِي القضاة أَبُو صَالِح، وآخرون.

وتوفي ليلة السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمائة، وحمل من الغد علىٰ الرؤوس، وصُلِّي عَلَيْهِ بالمصلىٰ، ثُمَّ بجامع الرصافة، وبمواضعَ متعددةٍ، وشيعه الخلق الكثير. وَكَانَ يوماً مشهوداً. ودفن بمقبرة الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ».

المطلب الثاني: ترجمة سيدي عبد القادر الكيلاني.

اسم الإمام ونسبه وشيوخه ومكانته العلمية:

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي شيخ بغداد، لقبه محيي الدين[1]، مولده في جيلان[2] من بلاد ما وراء طبرستان عام 471هـ/ 1078م، وفيها كانت نشأته وبداية طلبه للعلم.

أما نسبه من جهة أبيه: هو الشيخ الكامل والجهبذ الواصل، خزينة المعارف، ومرجع كل قطب وعارف، ذو المقامات العالية والقدم الراسخة والتمكن التام، علم الشرق، سلطان الأولياء والعارفين، أبو صالح السيد محيي الدين عبد القادر بن السيد أبي صالح موسىٰ جنكي دوست بن السيد عبد الله بن السيد يحيىٰ الزاهد بن السيد محمد بن السيد داود بن السيد موسىٰ بن السيد عبد الله أبي المكارم بن

(1)وقد توقف ابن كثير وأبو الفداء الحموي عند هذا النسب، في حين أن ابن الوردي والصفدي والشعراني ينسبه إلىٰ آل البيت، وأنه من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب: قال الذهبي: (وزاد بعض الناس في نسبه إلىٰ أن وصله بالحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: ابن أبي عبد الله بن عبد الله بن يحيىٰ الزاهد بن محمد بن داود بن موسىٰ بن عبد الله بن موسىٰ بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص252.

(2) كورة فارسية تقع جنوبي بحر الخزر وشمالي جبال البرز ويحدها من الشرق طبرستان أو مازندران، ومن الشمال ملتقىٰ نهر (الكر) بنهر (الرس)، وهذه الكورة حافلة بالمستنقعات، ومنه اشتق اسمها (جيل) وهو الطين أو الوحل وتعرف البقاع الجبلية منه باسم الديلم. انظر ابن شمائل: مراصد الاطلاع، ج1، ص368. وذكر الاستاذ جمال فالح الكيلاني في كتابة جغرافية الباز الاشهب ان جيلان هي في بغداد واستدل علىٰ هذا بأمور كثيرة والله اعلم.

السيد الإمام موسىٰ الجون بن السيد الإمام عبد الله الكامل المحض بن السيد الإمام بن السيد الإمام الحسن السبط عليه السلام بن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بضعة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم عليهم السلام[1].

وأما نسبه من جهة أمه: فهي السيدة الشريفة والدرة المنيفة الحسينية أم الخير أَمَةُ الجبار فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها ابنة السيد عبد الله الصومعي الزاهد بن السيد أبي جمال الدين محمد بن السيد محمود بن السيد أبي العطا عبد الله بن السيد كمال الدين عيسىٰ بن السيد الإمام أبي علاء الدين محمد الجواد عليه السلام بن السيد الإمام علي الرضا عليه السلام بن السيد الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام بن السيد الإمام جعفر الصادق عليه السلام بن السيد الإمام محمد الباقر عليه السلام بن السيد الإمام علي زين العابدين عليه السلام بن السيد الإمام الهمام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام بن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بضعة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم عليهم السلام.

وقد نشأ في كنف أسرة عُرفت بالزهد والصلاح والتقوىٰ، وقد وصف الشيخ عبد القادر عائلته بقوله: «أهَّلني الله عز وجل ببركات متابعتي للرسول صلى الله عليه وسلم وبري بوالدي ووالداتي رحمهما الله عز وجل، والدي زاهد في الدنيا مع قدرته عليها، ووالدتي وافقته علىٰ ذلك ورضيت بفعله، كانا من أهل الصلاح والديانة والشفقة علىٰ الخلق»[2].

(1) ذكر هذا النسب السخاوي في نتيجة التحقيق، والحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخه الكبير الجامع للأعيان، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، ونور الدين الشطنوبي في بهجته، والعسقلاني في غبطته، والتاذفي في قلائده، وغيرهم من الأعيان.

(2) انظر: ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص298.

وفي سن الشباب رحل الشيخ إلىٰ بغداد عام 488هـ/ 1095م، وهي يومئذ العلماء، حيث تتلمذ علىٰ شيخه في المذهب ابن عقيل الحنبلي، وعنه أخذ فقه المذهب، كما تتلمذ علىٰ الشيخ أبي سعيد المخرّمي صاحب المدرسة.

عاش سيدي عبد القادر الجيلاني تسعين سنة وتوفي عام 561هـ/ 1165م، كثير الولدان، فكان له من الذكور سبعة وعشرون، ومن الإناث واحد وعشرون، وكان من أولاده أحد عشر حملوا رسالته وفقهه إلىٰ العالمين[1].

أقوال العلماء في الشيخ عبد القادر الجيلاني:

حظي سيدي الجيلاني بثناء العلماء، سواء من معاصريه أم ممّن جاء بعدهم، فقال عنه السمعاني – وهو من معاصريه –: «إمام الحنابلة في زمانه»، وقال عنه الذهبي (ت 748هـ): «الشيخ الإمام العالم الزّاهد العارفُ القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء محيي الدين»[2]، وقال ابن رجب (ت 795هـ) في وصفه: «شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات»[3].

ويقول الإمام النووي: ما علمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله تعالىٰ عنه، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، وانتهىٰ إليه أكثر أعيان مشايخ العراق، وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب

(1) جهود الإمام عبد القادر الجيلاني وتلامذتهِ في الإصلاح السُّني وبناء المدارس، الدكتور: أيمن يزبك – دكتوراه في التاريخ الإسلامي – محاضر في جامعة دمشق سابقًا.

(2) سير أعلام النبلاء، ج20، ص439.

(3) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص290.

المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلىٰ قوله والمصير إلىٰ حكمه، وأُهْرِع إليه أهل السلوك من كل فجٍ عميق، وكان جميل الصفات شريف الأخلاق. كامل الأدب والمروءة، كثير التواضع، دائم البشر، وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه، معظماً لأهل العلم، مُكرِّماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء، محبّاً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة ولزوم المراقبة إلىٰ الموت، وكان له كلام عالٍ في علوم المعارف، شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله ﷻ، سخي الكف، كريم النفس علىٰ أجمل طريقة، وبالجملة، لم يكن في زمنه مثله رضي الله تعالىٰ عنه[1].

ويقول سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام: إنه لم تتواتر كرامات أحدٍ من المشايخ، إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت بالتواتر[2].

ويقول الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: الشيخ عبد القادر، الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي شيخ بغداد.

ويقول شيخ الإسلام بن حجر العسقلاني: كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها، ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة، ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالباً كالأزواج والأولاد، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره لأنها صفة صاحب الشريعة[3].

---

(1) قلائد الجواهر ص 137 نقلا عن بستان العارفين.

(2) كتاب الذيل علىٰ طبقات الحنابلة لابن رجل 134 - سير أعلام النبلاء للذهبي ج 20 ص 443، المرشد الأقصد ج2 ص 150.

(3) قلائد الجواهر ص 23.

ويقول سيدي القطب الكبير الشيخ أحمد الرفاعي: الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه؟ ومن يبلغ مبلغه؟ ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء اقترف، لا ثاني له في وقتنا هذا[1].

ويقول الإمام ابن قدامة المقدسي: دخلنا بغداد سنة إحدىٰ وستين وخمسمائة، فإذا الشيخ عبد القادر بها، انتهت إليه بها علماً وعملاً وحالاً واستفتاءً، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر علىٰ المشتغلين وسعة الصدر، كان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة، وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله، ولم أسمع عن أحد يحكىٰ عنه من الكرامات أكثر مما يحكىٰ عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه[2].

يقول الشيخ أبو أسعد عبد الكريم السمعاني: كان عبد القادر أبو محمد من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيهٌ صالحٌ دَيِّنٌ خَيِّرٌ كثيرُ الذكرِ، دائمُ الفكرِ، سريعُ الدمعةِ، تفقه علىٰ المخزومي وصحب الشيخ حماداً الدباس، وكان يسكن باب الأزج في مدرسة بُنِيت له، مضينا لزيارته، فخرج وقعد بين أصحابه وختموا القرءان، فألقىٰ درساً ما فهمت منه شيئاً، وأعجب من ذا أن أصحابه قاموا وعادوا الدرس، فلعلهم فهموا لإلفهم بكلماته وعبارته، وقال: هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، كثير الذكر، دائم الفكر، وهو شديد الخشية، مجاب الدعوة، أقرب الناس للحق، ولا يرد سائلاً ولو بأحد ثوبيه.

ويقول محب الدين النجار في تاريخه: عبد القادر الجيلاني ابن أبي صالح جنكي دوست من أهل جيلان أحد الأئمة الأعلام، صاحب الكرامات الظاهرة كان

---

(1) طبقات الأولياء، لابن الملقن ص 10 وقلائد الجواهر ص 66.

(2) قلائد الجواهر ص 6-7.

من الأولياء المجتهدين، والمشايخ المرجوع إليهم في أمور الدين، وأحد أئمة الإسلام العالمين العاملين[1].

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية: الشيخ عبد القادر الجيلي بن أبي صالح أبو محمد الجيلي ولد سنة سبعين وأربعمائة، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه علىٰ أبي سعيد المخزومي الحنبلي، وقد كان بَنَىٰ مدرسة ففوضها إلىٰ الشيخ عبد القادر فكان يتكلم علىٰ الناس بها ويعظهم، وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن وصمت، غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالاة وقد كان صالحاً ورعاً.

ويقول ابن رجب في طبقاته: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة، محيي الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره، وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوىٰ من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم.

ويقول الإمام العلامة اليافعي اليمني المكي الشافعي: قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام، ركن الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ ،قدوة الأولياء العارفين الأكابر، أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلىٰ رضي الله عنه بحلي العلوم الشرعية، وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص بالكتاب والسنة خطيباً علىٰ الأشهاد، ودعا الخلق إلىٰ الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلىٰ الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من

(1) تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والألقاب تحت رقم 337.

بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفىٰ الخواطر من أوهامها وكم رد إلىٰ الله عاصياً، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء[1].

ويقول الشيخ حسن قضيب البان شيخ الموصل: الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالىٰ قائد ركب المحبين، وقدوة السالكين، وإمام الصديقين، وحجة العارفين، وصدر المقربين في هذا الوقت[2].

ويقول عنه الشيخ بقا بن بطو: كانت قوة الشيخ عبد القادر الجيلاني في طريقته إلىٰ ربه كقوىٰ جميع أهل الطريق شدة ولزوما، وكانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً[3].

ويقول عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني: طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً[4].

ويقول عنه الشيخ علي بن الهيتي: كان قدمه التفويض والموافقة مع التبرؤ من الحول والقوة، وكانت طريقته تجريد التوحيد وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية لا بشيء ولا لشيء[5].

ويقول الإمام الإشبيلي: عبد القادر الجيلاني فقيه الحنابلة والشافعية ببغداد وشيخ جماعتها له القبول التام عند الفقهاء والفقراء والعوام، وهو أحد أركان الإسلام، انتفع به الخاص والعام، كان مجاب الدعوة، سريع الدمعة، دائم الذكر،

---

(1) قلائد الجواهر ص 136.

(2) قلائد الجواهر ص 22.

(3) الطبقات الكبرىٰ، الشعراني 1/ 127.

(4) الطبقات الكبرىٰ، الشعراني 1/ 129.

(5) الطبقات الكبرىٰ 1/ 128.

كثير الفكر، رقيق القلب، دائم البشر، كريم النفس، سخي اليد، غزير العلم، شريف الأخلاق، طيب الأعراق، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد[1].

ويقول عنه الشيخ عدي بن مسافر: طريقته الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح، واتحاد الباطن والظاهر، وانسلاخه من صفات النفس[2].

ويقول مفتي العراق محيي الدين أبو عبد الله محمد بن حامد البغدادي في وصف السيد عبد القادر الجيلاني، بأنه سريع الدمعة، شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، كريم الأخلاق، طيب الأعراق، أبعد الناس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله، وكان التوفيق رأيه، والتأييد صناعته، والذكر وزيره، والفكر سميره، وآداب الشريعة ظاهره، وأوصاف الحقيقة سرائره.

يقول عنه الإمام العليمي الحنبلي: الشيخ الإمام العالم السيد الكبير الزاهد، شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، محيي الدين أبو محمد، صاحب المقامات، والمواهب والكرامات، والخوارق الباهرات، والعلوم والمعارف، والأحوال المشهورة[3].

وقد كابد الشيخ الجيلاني مصاعب الحياة في سبيل طلب العلم الشرعي الذي سيؤهّله -فيما بعد- للانضمام لصفوف عظام الدعاة المنافحين عن دين الله وشريعته، ولم يكن الإمام عبد القادر بدعًا في ذلك، فقد أصابه من المشقة والعنت ما أصاب الذين سبقوه في العلماء العاملين، كابن جرير الطبري، وأبي حاتم الرازي ونظام الملك، والغزالي.

---

(1) قلائد الجواهر ص 7.

(2) الطبقات الكبرى، الشعراني 1/ 127.

(3) المنهج الأحمد ج2 ص183 طبعة دار الكتب العلمية.

وقد وصف الإمام الجيلاني معاناته في سبيل طلب العلم فقال: (وكنت أقتات بخرنوب الشوك، وقمامة البقل، وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلىٰ أن بقيت أيامًا لم آكل فيها طعامًا، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها، فخرجت يومًا من شدة الجوع إلىٰ الشط لعلي أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك فأتقوّت به. فما ذهبت إلىٰ موضع إلا وغيري قد سبقني إليه وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حُبًّا، فرجعت أمشي وسط البلد لا أدرك منبوذًا إلا وقد سبقت إليه، حتىٰ وصلت إلىٰ مسجد ياسين بسوق الريحانيين ببغداد وقد أجهدني الضعف، وعجزت عن التماسك، فدخلت إليه وقعدت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبزٌ صافٍ وشواء، وجلس يأكل، فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فمي من شدة الجوع، حتىٰ أنكرت ذلك علىٰ نفسي: فقلت ما هذا؟ وقلت: ما ههنا إلا الله أو ما قضاه من الموت، إذ التفت إلىٰ العجمي، فرآني، فقال: بسم الله يا أخي! فأبيت فأقسم علي فبادرت نفسي فخالفتها، فأقسم أيضًا فأجبته، فأكلت متقاصرًا، فأخذ يسألني: ما شغلك؟ ومن أين أنت؟ وبمن تعرف؟ فقلت: أنا متفقّهٌ من جيلان! فقال: وأنا من جيلان فهل تعرف شابًّا جيلانيًّا يسمىٰ عبد القادر يُعرف بسبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد؟ فقلت: أنا هو، فاضطرب وتغير وجهه، وقال: والله لقد وصلت إلىٰ بغداد معي بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحد ونفذت عقَّتي، ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي، إلا مما كان لك معي، وقد حلت لي الميتة وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيبًا فإنما هو لك، وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي، فقلت له: وما ذاك؟ فقال: أمُّك وجهت لك معي ثمانية دنانير

فاشتريت منها هذا للاضطرار، فأنا معتذر إليك! فسكَّتُّه وطيّبتُ نفسه، ودفعت إليه باقي الطعام، وشيئًا من الذهب برسم النفقة، فقبله وانصرف)[1].

شيوخه:

استقى الشيخ عبد القادر العلم والمعرفة من ينابيع عدة، وكان أولها في بغداد:

أ- شيخه أبو سعيد: المبارك بن علي المخرمي شيخ الحنابلة، وهو الذي بنى مدرسة في باب الأزج وجلس فيها للتدريس ثم تولى المهمة بعده تلميذه عبد القادر، وكانت وفاة أبي سعيد عام 510هـ/ 1116م[2].

ب- أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي شيخ الحنابلة في عصره، وصاحب التصانيف، وصفه الذهبي بقوله: (بحر المعرفة)[3].

ج- حماد بن مسلم الدبّاس، وكان على درجة عالية من العلم والاستقامة.

د- أبو محمد جعفر بن أحمد البغدادي السراج محدث بغداد، وصاحب التصانيف، كان من يلتقي به من التلاميذ ويأخذ عنه يتفاخر بذلك وتصبح هذه منقبة له بين طلبة العلم[4].

هـ- أبو عبد الله يحيى بن الإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي، وكان من أكثر من أثنى عليه من العلماء وذكروا فضائله كبنائه للمساجد[5].

---

(1) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص298.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص428.

(3) الذهبي: المصدر السابق، ج19، ص446.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص228.

(5) الذهبي: المصدر السابق، ج20، ص6.

يلاحظ من ذكر هؤلاء أن الإمام عبد القادر الجيلاني قد أخذ فقه الحنابلة عن أكثر من شيخ مما جعله على قدر كبير من العلم والإحاطة بفروع المذهب واجتهادات أئمته ومصنفاتهم في ذلك.

مكانته العلمية:

ومن رحم المعاناة وضيق الفاقة، وُلِد هذا الفقيه النحرير الشيخ عبد القادر الجيلاني فقيهًا محدّثًا مفسّرًا واعظًا، جمع بين صنوف العلم والتبحر فيها، وتشهد له تصانيفه بذلك، إضافة إلى ثناء كبار علماء الإسلام عليه، فهذا تلميذه موفق الدين بن قدامة المقدسي صاحب المغني يقول: (دخلنا بغداد سنة (561هـ) فإذا الشيخ الإمام محي الدين عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علمًا وعملًا وحالًا وافتاءً، وكان يكفي طالب العلم عن قصده غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر، وكان ملء العين وجمع الله فيه أوصافًا جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء)[1].

وهذا ابنه عبد الوهاب الذي ورث أباه عبد القادر في المذهب، يقول: «كان والدي رَحِمَهُ اللهُ يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات: بكرة الجمعة، وعشية الثلاثاء، وبالرباط بكرة الأحد، وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم، ومدة كلامه على الناس أربعون سنة، أولها: 521هـ، وآخرها: 561هـ، ومدّة تصدره والفتوى بمدرسته 33 سنة، أولها: 528هـ، وآخرها: 561هـ، وكان يكتب ما يقول مجلسه أربعمائة محبرة»[2].

(1) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص294.

(2) الشطنوفي: بهجة الأسرار، ص95.

المطلب الثالث: مشايخه الذين روى عنهم الأربعين.

الشيخ الأول: والده الشيخ عبد القادر الكيلاني.

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: عبد القادر بن موسىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ بن محمد بن داود بن موسىٰ بن عبد الله بن موسىٰ.

الشهرة: عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ، الكنية: أبو محمد.

النسب: الحسني، الجيلاني، البغدادي، الجيلي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: جيلان، بغداد.

مات في: بغداد.

الوظيفة: الفقيه.

ولد عام: 471

توفي عام: 561[1].

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الأَوَّلُ: (لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي)[2]:

(لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ...).

---

(1) أخذت المعلومات عن الشيوخ الذين روىٰ عنه سيدي عبد الرزاق، من موسوعة الحديث علىٰ الموقع الرسمي لها، سوىٰ ما أضفته من أنه روىٰ الحديث كذا الأول مثلا وجزء منه فهو من وضعي.

(2) هذا ومثله من وضعي وترتيبي.

الجرح والتعديل:

- أبو سعد السمعاني: إمام الحنابلة وشيخهم، فقيه صالح دين خير.
- ابن رجب الحنبلي: شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته.
- الذهبي: الشيخ الإمام، العارف، العالم، الزاهد، القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء.
- تقي الدين الغزي: الإمام الحبر الكبير، والولي الشهير.
- خليل بن أيبك الصفدي: صاحب المقامات والكرامات، وشيخ الحنابلة.
- خير الدين الزركلي: من كبار الزهاد المتصوفين.
- عبد المؤمن بن خلف الدمياطي: أحد الأئمة الأعلام، صاحب الكرامات الظاهرة.
- عز الدين بن عبد السلام: ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر.
- محمد بن شاكر الكتبي: صاحب المقامات والكرامات وشيخ الحنابلة.
- موفق الدين المقدسي: لم أسمع عن أحد يحكى عنه الكرامات، أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحداً يعظم من أجل الدين أكثر منه.

الشيخ الثاني: الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّلامِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر.

الشهرة: أبو الفضل بن ناصر السلامي، الكنية: أبو الفضل.

النسب: الفارسي، البغدادي، السلامي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: بغداد.

الوظيفة: الحافظ، اللغوي، الأديب.

ولد عام: 467

توفي عام: 550

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّانِي [فَضْلُ الْعَمَلِ]:

(مَنْ بَلَغَهُ فَضْلٌ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْنِي فَعَمِلَ بِهِ...).

الجرح والتعديل:

- أبو الفرج بن الجوزي: ثقة، حافظ، ديِّن، متقن، ثبت، لغوي، عارف بالمتون والأسانيد.
- أبو سعد السمعاني: كان يحب أن يقع في الناس.
- أبو طاهر السلفي: ثبت إمام.
- أبو موسىٰ المديني: هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد.
- ابن الأخضر: أكثر الثناء عليه ووصفه بالحفظ والإتقان والديانة.
- محب الدين بن النجار: ثقة ثبت حسن الطريقة متدين فقير متعفف.
- محمد بن علي بن سكينة: أكثر الثناء عليه ووصفه بالحفظ والإتقان والديانة.

الشيخ الثالث: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الزَّاغُونِيِّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن عبيد الله بن نصر بن السري.

الشهرة: أبو بكر بن الزاغوني ، الكنية: أبو بكر.

النسب: البغدادي.

الرتبة: ثقة.

الوظيفة: المجلد.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّالِثُ [الْعَمَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ]:

(غَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).

الجرح والتعديل:

- **أبو سعد السمعاني: شيخ صالح متدين مرضي الطريقة.**

الشيخ الرابع: الشَّرِيفُ الْخَطِيبُ أَبُو الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ التُّرَيْكِيِّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن أحمد بن علي بن الحسن.

الشهرة: محمد بن أحمد الهاشمي ، الكنية: أبو المظفر.

النسب: العباسي، الهاشمي.

الرتبة: ثقة.

الوظيفة: الخطيب: خطيب جامع المهتدي.

ولد عام: 470

توفي عام: 555

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الرَّابِعُ [شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّتِهِ]:

(إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً يَدْعُو بِهَا لأُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: كان من كبار العدول ببغداد، وله إسناد عال، ومرة: الشيخ الإمام المسند العدل.

الشيخ الخامس: **الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ دَعْوَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمَّادٍ الْجَبَائِيُّ**:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: دعوان بن علي بن حماد بن صدقة.

الشهرة: دعوان بن علي الجبي ، الكنية: أبو محمد.

النسب: الجبائي، البغدادي، الجبي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: بغداد.

الوظيفة: المقرئ، الفقيه.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْخَامِسُ [أَهْلُ الْقُرْآنِ]:

(إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ...).

الجرح والتعديل:

- **محمد بن الجزري المقرئ: إمام عارف.**

الشيخ السادس: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ السَّمَّاكُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: علي بن عبد العزيز.

الشهرة: علي بن عبد العزيز السماك ، الكنية: أبو الحسن.

الرتبة: صدوق حسن الحديث.

الوظيفة: السماك.

توفي عام: 546

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّادِسُ [تَنَاصُحُ الْمُؤْمِنِينَ]:

(الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَصَحَةٌ وادُّون وَإِنِ افْتَرَقَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ).

الجرح والتعديل:

- **أبو بكر بن نقطة الحنبلي: سماعه صحيح وهو من أهل السنة.**

الشيخ السابع: أَبُو الْمَعَالِي أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ السَّمِينِ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: أحمد بن علي بن علي بن عبد الله بن السمين.

الشهرة: أحمد بن علي الخباز ، الكنية: أبو المعالي.

النسب: البغدادي.

الرتبة: متروك الحديث.

الوظيفة: الخباز.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّابِعُ [حِفْظُ الْجَوَارِحِ]:

(مَنْ يَتَوَكَّلْ لِي بِمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَتَوَكَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ).

الجرح والتعديل:

- خليل بن أيبك الصفدي: فيه غفلة، وكان قليل العلم، وحدث بالكثير.
- محب الدين بن النجار: قليل العلم، وفيه غفلة.
- محمد بن ناصر السلامي: كاذب، لا يجوز السماع منه.

الشيخ الثامن: أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَبَّانُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ اللَّحَّاسِ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الجبان.

الشهرة: محمد بن محمد الحريمي ، الكنية: أبو المعالي.

النسب: الحريمي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: بغداد.

الوظيفة: العطار.

ولد عام: 468

توفي عام: 562

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّامِنُ [الْتِزَامُ الْجَمَاعَةِ]:

(مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ...).

الجرح والتعديل:

- أبو نصر بن ماكولا: ثقة.
- الذهبي: الشيخ الثقة المسند.
- محب الدين بن النجار: شيخ صالح عفيف صدوق، حسن الأخلاق، لطيف، روىٰ الكثير.
- محمد بن أبي المعالي الدبيثي: ثقة، صحيح السماع.

الشيح التاسع: **الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ السُّلَمِيُّ**:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: عبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق.

الشهرة: عبد الله بن عبد الصمد السلمي ، الكنية: أبو محمد.

النسب: البغدادي، السلمي.

الرتبة: مجهول الحال.

عاش في: بغداد.

توفي عام: 570

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ التَّاسِعُ [بِرُّ أَصْحَابِ الْوَالِدَيْنِ]:

(هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرٍّ وَالِدَيَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمَا شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ قَالَ الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا).

الشيخ العاشر: أَبُو الْقَاسِمِ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْبَنَّا:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: سعيد بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن البناء.

الشهرة: سعيد بن أحمد البغدادي ، الكنية: أبو القاسم.

النسب: البغدادي.

الرتبة: صدوق حسن الحديث.

عاش في: بغداد.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْعَاشِرُ [خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ]:

(أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ).

الجرح والتعديل:

- أبو الفرج بن الجوزي: كان خيِّراً.
- الذهبي: شيخ، صالح، خيِّر، من أولاد الشيوخ.

الشيخ الحادي عشر: أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّائِغُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ صَرْمَا:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن صرما.

الشهرة: محمد بن أحمد الصائغ ، الكنية: أبو الحسن.

النسب: البغدادي، الأزجي.

الرتبة: صدوق حسن الحديث.

عاش في: بغداد.

الوظيفة: الدقاق، الصائغ.

ولد عام: 460

توفي عام: 538

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْحَادِيَ عَشَرَ [طَبَقَاتُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ]:

(طَبَقَاتُ أُمَّتِي خَمْسُ طَبَقَاتٍ كُلُّ طَبَقَةٍ مِنْهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً).

الجرح والتعديل:

- أبو الفرج بن الجوزي: كان شيخاً صالحاً ستيراً.
- الذهبي: المسند، وكان شيخاً صالحاً سيِّداً.
- خليل بن أيبك الصفدي: كان صحيح السماع.

الشيخ الثاني عشر: أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف.

الشهرة: عبد الخالق بن أحمد اليوسفي ، الكنية: أبو الفرج.

النسب: اليوسفي، البغدادي.

الرتبة: ثقة إمام.

عاش في: بغداد.

ولد عام: 464

توفي عام: 548

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّانِي عَشَرَ [فَضْلُ سُورَةِ الإِخْلاصِ]:

(مَنْ قَالَ أَحَدَ عَشَرَ مَرَّةً لا إِلَهَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ أَحَدًا صَمَدًا).

الجرح والتعديل:

- أبو الفرج بن الجوزي: من المكثرين سماعـًا وكتابة، له فهم وضبط ومعرفة بالنقل، وهو من بيت النقل.
- أبو طاهر السلفي: من أعيان المسلمين فضلاً ودينـًا وثبتـًا ومروءةً.
- الذهبي: الشيخ الإمام الحافظ المفيد.
- محب الدين بن النجار: صدوق فاضل متدين، كتب بخطه الكثير، ولـم يـزل يطلب ويفيد إلىٰ وفاته.
- محمد بن ناصر السلامي: أثنىٰ عليه وعلىٰ بيته.
- يوسف بن تغري بردي: إمام حافظ محدث.

الشيخ الثالث عشر: **الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ عَتِيقُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ صِيلا الْحَرْبِيُّ**:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: عتيق بن عبد العزيز بن علي بن صيلا.

الشهرة: عتيق بن عبد العزيز ، الكنية: أبو بكر.

النسب: الحربي.

الرتبة: مقبول.

الوظيفة: الخباز.

ولد عام: 488

توفي عام: 573

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّالِثَ عَشَرَ [الدُّعَاءُ عِنْدَ الْمَضَاجِعِ]:

(عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ وَضَعَ رِجْلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ فَاطِمَةَ فَعَلَّمَنَا مَا نَقُولُ إِذَا أَخَذْنَا مَضْجَعَنَا...).

الشيخ الرابع عشر: أَبُو الْبَرَكَاتِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبُزُوغَانِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: أحمد بن عبد الملك بن الحسين.

الشهرة: أحمد بن عبد الملك البزوغاني ، الكنية: أبو البركات.

النسب: البزوغاني.

الرتبة: مجهول الحال.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الرَّابِعَ عَشَرَ [طَمَعُ ابْنُ آدَمَ]:

(لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنَ مِنْ مَالٍ لابْتَغَىٰ وَادِيًّا ثَالِثًا....).

الشيخ الخامس عشر: أَبُو الْقَاسِمِ يَحْيَى بْنُ ثَابِتِ بْنِ بُنْدَارِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَقَّالُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: يحيىٰ بن ثابت بن بندار بن إبراهيم.

الشهرة: يحيىٰ بن ثابت الدينوري ، الكنية: أبو القاسم.

النسب: الدينوري، البغدادي.

الرتبة: مجهول الحال.

الوظيفة: البقال، الوكيل.

ولد عام: 484

توفي عام: 565

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْخَامِسَ عَشَرَ [الْجَنَّةُ لِمَنْ لا يُشْرِكُ بِاللهِ]:

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمُعَاذٌ بِالْبَابِ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ...).

الشيخ السادس عشر: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَرَّانِيُّ الْمُعَدَّلُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد.

الشهرة: محمد بن عبد الله الحراني ، الكنية: أبو عبد الله.

النسب: الحراني، البغدادي، الأزجي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: أصبهان، حران، بغداد.

الوظيفة: المعدل، الشاهد، المزكي.

ولد عام: 484

توفي عام: 560

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّادِسَ عَشَرَ [خَيْرُ النَّاسِ]:

(قَالَ لأَصْحَابِهِ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ [ص: 34] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مُؤْمِنٌ غَنِيٌّ يُعْطِي الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ...).

الجرح والتعديل:

- أبو الفرج بن الجوزي: لطيف ظريف.
- أحمد بن أبي جعفر القطيعي: ثقة مأمون، عالم لطيف صاحب نادرة، حسن المعاشرة.
- ابن رجب الحنبلي: من أعيان عدول بغداد.
- الذهبي: أحد العدول الكبار ، كيس ، متودد.
- برهان الدين بن مفلح: أحد أعيان عدول بغداد.
- خليل بن أيبك الصفدي: من عدول بغداد ، فاضل ، لطيف الطبع ، ظريف ، صاحب نشوار ومحاضرة.
- عبد الحي بن العماد الحنبلي: أديب فاضل ظريف.
- عماد الدين بن كثير الدمشقي: سمع الحديث وكان لطيفا ظريفا.

الشيخ السابع عشر: أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ الْغَاسِلُ الدَّارَقُطْنِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: حسن بن أحمد بن محبوب.

الشهرة: الحسن بن أحمد الغاسل ، الكنية: أبو علي.

النسب: الدارقطني.

الرتبة: مجهول الحال.

الوظيفة: الغاسل.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّابِعَ عَشَرَ [رُؤْيَةُ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ]:

(إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نودوا يأهل الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا...).

الشيخ الثامن عشر: أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعِزِّ الْمُبَارَكِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ الْمُرَقَّعَاتِيِّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: أحمد بن المبارك بن سعد.

الشهرة: أحمد بن المبارك المرقعاتي ، الكنية: أبو العباس.

النسب: البغدادي.

الرتبة: ضعيف الحديث.

الوظيفة: المقرئ.

روى عنه الْحَدِيث الثَّامِنَ عَشَرَ [الدَّعَوَاتُ الْمُسْتَجَابَةُ]:

(ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ...).

الجرح والتعديل:

- محمد بن أبي المعالي الدبيثي: كان عسراً في الرواية.

الشيخ التاسع عشر: أَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَادِحِ ، وَالنَّاسِخُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن محمد.

الشهرة: أبو محمد بن المادح التميمي ، الكنية: أبو محمد.

النسب: البغدادي.

الرتبة: مجهول الحال.

توفي عام: 556

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ [أَصَابِعُ الرَّحْمَنِ]:

(جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ...).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: شيخ معمر عالي الرواية.

الشيخ العشرون: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَوْزَقَانِيُّ الْهَمَدَانِيُّ الْحَافِظُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: حسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر.

الشهرة: الحسين بن إبراهيم الجورقاني ، الكنية: أبو عبد الله.

النسب: الجورقاني، الهمذاني.

الرتبة: ثقة.

رُوِيَ عنه الحديثُ العشرون [مداراة النَّاسِ]:

(مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: الإمام الناقد.
- خليل بن أيبك الصفدي: سمع الكثير، وكتب، وحصل، وصنف عدة كتب في علم الحديث.
- خير الدين الزركلي: من حفاظ الحديث.
- محب الدين بن النجار: كتب وحصل وصنف.

الشيخ الحادي والعشرون: أَبُو الْبَرَكَاتِ سَعْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدِيٍّ الْبَزَّازُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: سعد الله بن محمد بن علي بن أحمد بن حمدي.

الشهرة: سعد الله بن محمد البغدادي ، الكنية: أبو البركات.

النسب: البغدادي.

الرتبة: صدوق حسن الحديث.

الوظيفة: البزاز، الدقاق.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ [ثِيَابُ النَّبِيِّ ﷺ]:

(كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَمِيصٌ مِنْ قُطْنٍ....).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: كان من أهل الخير.

الشيخ الثاني والعشرون: الشَّرِيفُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبَّاسِيُّ الْمَكِّيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي بن إسماعيل بن سليمان بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس.

الشهرة: أحمد بن محمد العباسي ، الكنية: أبو العباس، أبو جعفر.

النسب: المكي، العباسي، البغدادي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: بغداد.

مات في: مكة.

الوظيفة: الخطيب.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ [عَذَابُ الْقَبْرِ]:

(قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ خَرِبًا لِبَنِي النَّجَّارِ فَخَرَجَ...).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: من كبار المسندين.
- محب الدين بن النجار: لم يكن محمودا.

الشيخ الثالث والعشرون: أَبُو الْوَقْتِ عَبْدُ الأَوَّلِ بْنُ عِيسَى بْنِ شُعَيْبٍ السِّجْزِيُّ الْهَرَوِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: عبد الأول بن عيسىٰ بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق.

الشهرة: عبد الأول بن عيسىٰ السجزي ، الكنية: أبو الوقت.

النسب: السجزي، الماليني، الهروي، الهمذاني.

الرتبة: ثقة محدث.

عاش في: أصبهان، كرمان، بغداد، خراسان.

ولد عام: 458

توفي عام: 553

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالْعُشْرُونَ [صَلاةُ اللَّيْلِ]:

(سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَلاةِ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ...).

الجرح والتعديل:

- خليل بن أيبك الصفدي: مسند الوقت.

الشيخ الرابع والعشرون: أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ النَّقُّورِ الْبَزَّازُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن النقور.

الشهرة: عبد الله بن محمد البغدادي ، الكنية: أبو بكر.

النسب: البغدادي.

الرتبة: ثقة ثبت.

الوظيفة: البزاز.

ولد عام: 483

توفي عام: 565

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ [الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ]:

(قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً).

الشيخ الخامس والعشرون: أَبُو الْكَرَمِ الْمُبَارَكُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَتْحَانَ بْنِ مَنْصُورٍ الشَّهْرَزُورِيُّ الْمُقْرِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: مبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان بن منصور.

الشهرة: المبارك بن الحسن البغدادي ، الكنيه: أبو الكرم.

النسب: الشهرزوري، البغدادي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: بغداد.

مات في: بغداد.

الوظيفة: المقرئ.

ولد عام: 462

توفي عام: 550

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ [دُعَاءُ الصَّبَاحِ]:

(كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ إني أقدم بين يَدَيَّ عَجَلَتِي وَنِسْيَانِي فِيمَا اسْتَقْبَلَ....).

الجرح والتعديل:

- أبو بكر اليافعي: صالح خير.
- أبو سعد السمعاني: شيخ صالح، ديِّن، خيِّر، قيِّم بكتاب الله، عارف باختلاف الروايات والقراءة، حسن السيرة، جيد الأخذ على الطلاب، له روايات عالية.
- ابن الخشاب: شيخ ثبت، يقظ، صحيح السماع، عارف ،حسن الأداء لها.
- الذهبي: الإمام المقرئ، المجود، الأوحد، شيخ القراء، صالح، خيِّر.

- محب الدين بن النجار: عالم، فاضل، أديب، ديِّن، حسن الطريقة، ذو مروءة وسخاء، وَصُولٌ لأهله، كانت له دنيا واسعة، فأنفقها كلها على أهل الخير.
- محمد بن الجزري المقرئ: إمام كبير متقن، محقق، أحد مشايخ هذا العلم، ثقة، صالح.

الشيخ السادس والعشرون: الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامَةَ بْنِ مَخْلَدٍ الْكَرْخِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الرُّطَبِيِّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن عبيد الله بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد.

الشهرة: محمد بن عبيد الله بن الرطبي ، الكنية: أبو عبد الله.

النسب: الكرخي، الرطبي، البغدادي.

الرتبة: مقبول.

الوظيفة: المعدل، الشاهد، المزكي.

ولد عام: 468

توفي عام: 551

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ [فَرَحُ اللهِ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ]:

(قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ يَجُرُّ زِمَامَهَا...).

الشيخ السابع والعشرون: أَبُو الْقَاسِمِ صَدَقَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمَحْلَبَانِ سِبْطُ ابْنِ السَّيَّافِ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: صدقة بن محمد بن الحسين بن المحلبان.

الشهرة: صدقة بن محمد البغدادي ، الكنية: أبو القاسم.

النسب: البغدادي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: بغداد.

مات في: بغداد.

الوظيفة: الكاتب.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ [التَّحْجِيلُ فِي الْوُضُوءِ]:

(مَا مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَحَدٍ إِلا وَأَنَا أَعْرِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...).

الجرح والتعديل:

- أبو بكر بن نقطة الحنبلي: ثقة صالح.
- الذهبي: شيخ متجمل، ظاهره الخير، وكان على العمائر.

الشيخ الثامن والعشرون: أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْغَزَّالُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: يحيىٰ بن عبد الباقي بن محمد.

الشهرة: يحيىٰ بن عبد الباقي الغزال ، الكنية: أبو بكر.

النسب: البغدادي.

الرتبة: مجهول الحال.

الوظيفة: الغزال.

توفي عام: 551

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ [النَّهْيُ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ]:

(لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ...).

الشيخ التاسع والعشرون: أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هِبَةِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن علي بن هبة الله بن عبد السلام.

الشهرة: محمد بن علي البغدادي ، الكنية: أبو الفتح.

النسب: البغدادي.

الرتبة: صدوق حسن الحديث.

الوظيفة: الكاتب.

ولد عام: 481

توفي عام: 551

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ [إِفْشَاءُ السَّلامِ]:

(لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ النَّاسُ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ، فَخَرَجْتُ إليه، فلما نظرت إِلَيْهِ...).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: من بيت رئاسة ورواية، وكان صدوقا.

الشيخ الثلاثون: **الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُوسُفَ الأُرْمَوِيُّ**:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن عمر بن يوسف بن محمد.

الشهرة: محمد بن عمر الأرموي ، الكنية: أبو الفضل.

النسب: الأرموي، البغدادي.

الرتبة: ثقة.

الوظيفة: القاضي، الفقيه.

توفي عام: 550

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّلاثُونَ [الْمُرَابُونَ سَوَاءٌ فِي الإِثْمِ]:

(لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ...).

الجرح والتعديل:

- أبو الفرج بن الجوزي: كان ثقة ديِّناً.
- أبو سعد السمعاني: فقيه إمام متدين ثقة صالح.

الشيخ الحادي والثلاثون: أَبُو الْفُتُوحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَلْمَانَ يُعْرَفُ بِابْنِ الْحَاجِبِ، ابْنُ الْبَطِّيِّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان.

الشهرة: محمد بن عبد الباقي البغدادي، الكنية: أبو الفتح.

النسب: البغدادي.

الرتبة: ثقة.

الوظيفة: الحاجب.

ولد عام: 477

توفي عام: 564

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالثَّلاثُونَ [مَا يُقَالُ عِنْدَ الْحُزْنِ]:

(لَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ ابن رَسُولُ اللهِ ﷺ بَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ...).

الجرح والتعديل:

- أبو بكر بن نقطة الحنبلي: ثقة صحيح السماع، سمع منه الأئمة والحفاظ.
- الذهبي: الشيخ الجليل، العالم الصدوق، مسند العراق.
- محب الدين بن النجار: كان حريصاً علىٰ نشر العلم، صدوقاً، حصل أكثر مسموعاته شراء ونسخا ووقفها.

الشيخ الثاني والثلاثون: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ نَغُوبَا الْوَاسِطِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: علي بن المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب بن نغوبا.

الشهرة: علي بن المبارك الواسطي ، الكنية: أبو الحسن.

النسب: النغوبي، الواسطي.

الرتبة: صدوق حسن الحديث.

عاش في: بغداد.

الوظيفة: المعدل، الشاهد، المزكي.

ولد عام: 486

توفي عام: 568

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالثَّلاثُونَ [صَلاةُ الْعِيدِ]:

(شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْعِيدِ، فَبَدَأَ بِالصَّلاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ...).

الجرح والتعديل:

- ابن حجر العسقلاني: من الثقات.
- الذهبي: صدوق، من بيت حديث وميزة.

الشيخ الثالث والثلاثون: أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُبَارَكُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ السَّرَّاجِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ التَّعَاوِيذِيِّ الصُّوفِيُّ الْجَوْهَرِيُّ الْخَبَّازُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: مبارك بن المبارك بن صدقة.

الشهرة: المبارك بن المبارك السمسار ، الكنية: أبو الفضل.

النسب: البغدادي.

الرتبة: مجهول الحال.

الوظيفة: السمسار، الخباز.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ [الْبِشَارَةُ بِالْجَنَّةِ]:

(كُنْتُ مَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيقَةِ بَنِي فُلانٍ وَالْبَابُ عَلَيْنَا مُغْلَقٌ...).

الشيخ الرابع والثلاثون: بُو الْخَيْرِ شَادِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الشَّرِيفِ الأَنْصَارِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: شادي بن عبد الله.

الشهرة: شاد بن عبد الله الأنصاري ، الكنية: أبو الخير.

النسب: الأنصاري.

الرتبة: مجهول الحال.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ [رَدُّ الْمَظَالِمِ]:

(مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ فِي عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيُحَلِّلْهَا مِنْ صَاحِبِهَا...).

الشيخ الخامس والثلاثون: أَبُو الْمُظَفَّرِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشِّبْلِيُّ الْقَصَّارُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: هبة الله بن أحمد بن محمد بن الشبلي.

الشهرة: هبة الله بن الشبلي ، الكنية: أبو المظفر.

النسب: الشبلي.

الرتبة: مجهول الحال.

الوظيفة: المؤذن، الدقاق، القصار.

ولد عام: 470

توفي عام: 557

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالثَّلاثُونَ [دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ]:

(سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ بَيَّنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ...).

الشيخ السادس والثلاثون: أَبُو الْمَكَارِمِ الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعَمَّرِ الْبَاذَرَائِيُّ الزَّاهِدُ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: مبارك بن محمد بن المعمر.

الشهرة: المبارك بن محمد الباذرائي ، الكنية: أبو المكارم.

النسب: البغدادي، البادرائي.

الرتبة: صدوق حسن الحديث.

توفي عام: 567

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ [عَدَمُ التَّشَدُّدِ]:

(دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ عَلَىٰ رَسُولُ اللهِ، ﷺ فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ قَامَ إِلىٰ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَبَالَ...).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: الشيخ الصالح الصدوق.
- ياقوت بن عبد الله الحموي: شيخ صالح صحيح السماع.

الشيخ السابع والثلاثون: **أَبُو الْقَاسِمِ الْمُبَارَكُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بِنْ قَفَرْجَلٍ**:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: أحمد بن المبارك بن عبد الباقي بن محمد بن قفرجل.

الشهرة: أحمد بن المبارك القطان ، الكنية: أبو القاسم.

النسب: البغدادي.

الرتبة: مقبول.

الوظيفة: الذهبي، القطان.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ [رِضَاءُ الْوَالِدَةِ]:

(بَيْنَا نَحْنُ قُعُودٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ أَتَاهُ آتٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ههنا شابا يكيد بنفسه...).

الجرح والتعديل:

- **الذهبي: شيخ مسند مستور.**

الشيخ الثَّـامِنُ وَالثَّلاثُـونَ: أَبُـو شُـجَاعٍ مُحَمَّـدُ بْـنُ أَبِـي الْعِـزِّ الْحُسَـيْنُ بْـنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْمَارَدَانِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: محمد بن الحسين بن أحمد بن عمر.

الشهرة: محمد بن أبي العز بن عمر ، الكنية: أبو شجاع.

النسب: المارداني.

الرتبة: مقبول.

توفي عام: 569

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ [صِيَامُ عَاشُورَاءَ وَرَمَضَانَ]:

(مَا رَأَيْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَحَرَّىٰ صِيَامَ يَوْمٍ يَلْتَمِسُ فَضْلَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ....).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: أحد الحُجَّاب الأعيان بالديوان العزيز.

الشيخ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ: أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْمُقَرِّبِ بْنِ الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: أحمد بن المقرب بن الحسين بن الحسن.

الشهرة: أحمد بن المقرب الكرخي ، الكنية: أبو بكر.

النسب: الكرخي، البغدادي.

الرتبة: ثقة.

عاش في: بغداد، مكة.

الوظيفة: الفقيه.

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ [أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ]:

(إِنَّ لِيَ أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي...).

الجرح والتعديل:

- أبو الفرج بن الجوزي: ثقة.
- أبو سعد السمعاني: شيخ كيس متودد، سمعت منه أحاديث.
- الذهبي: الشيخ الجليل الثقة المسند.
- خليل بن أيبك الصفدي: كان صدوقاً حسن الأخلاق، متواضعاً محبّاً للرواية، صبوراً على أصحاب الحديث.
- عبد الحي بن العماد الحنبلي: كان ثقة متودداً.
- محب الدين بن النجار: كان صدوقاً متواضعاً.

الشيخ الأَرْبَعُونَ: أَبُو الْمُظَفَّرِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ الأَشْعَثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ:

معلومات عن الراوي:

عن حياة الراوي:

الاسم: هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث.

الشهرة: هبة الله بن عبد الله البغدادي ، الكنية: أبو المظفر.

النسب: البغدادي.

الرتبة: ثقة.

ولد عام: 488

توفي عام: 564

رُوِيَ عنه الْحَدِيثُ الأَرْبَعُونَ [أَهْلُ الْجَنَّةِ]:

(أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، ولا يمتخطون....).

الجرح والتعديل:

- الذهبي: شيخ من بيت الحديث والثقة والرواية.

المبحث الثالث: وصل أسانيدِ الأربعين القادرية.

أشير هنا إلى بعض الأسانيد الموصلة إلى الأربعين القادرية، بروايتي عن مشايخي الأكارم بسند عراقي، ثم بعد ذلك بعض الأسانيد عن غيرهم من المشايخ في البلدان الأخرى.

روايتي لها بالأسانيد العراقية:

1 - أرويها بالإجازة العامة عن شيخي وأستاذي العارف بالله تعالى الشيخ العلامة محمد صالح العبيدي الحنفي البغدادي القادري، عن شيخة العلامة الفقيه السيد شاكر البدري، عن العلامة مفتي بغداد قاسم القيسي، عن العلامة عبد الوهاب النائب، عن العلامة عبد السلام الشواف، عن العلامة المفسر محمود

الآلوسي أبو الثناء صاحب تفسير روح المعاني، عن العلامة علي السويدي البغدادي، عن الشمس بن عقيلة المكي، عن أحمد النخلي، عن عبد الله بن سعيد باقشير المكي، عن عمر بن عبد الرحيم البصري، عن شمس الدين الرملي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، قال:

أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيىٰ الأنصاري السبكي الشافعي إذناً مشافهة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة العدوي، وأبو بكر بن علي بن عمر بن شبل الصنهاجي سماعاً عليهما بسماع الأول وإجازة الثاني، من أبي إبراهيم إسحاق بن محمود بن بلكويه بن أبي الفياض البروجردي، وبسماع الثاني وإجازة الأول من النجيب أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، قالا: أخبرنا الحافظ ناصر السنة أبو بكر عبد الرزاق بن الشيخ الإمام قدوة العارفين أبي محمد عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالىٰ.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخي وأستاذي العارف بالله تعالىٰ الشيخ العلامة الشيخ محمد صالح العبيدي الحنفي البغدادي القادري، عن شيخة العلامة الفقيه السيد شاكر البدري، عن العلامة مفتي بغداد قاسم القيسي، وَهُوَ عَنِ المُلَقَّبِ بِالنَّائِبِ الشَّيْخِ عَبْدِ الوَهَّابِ نَائِبِ الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةُ فِي مَدِينَةِ بَغْدَاد المَحْمِيَّةِ، وَهُوَ عَنْ مُفْتِي الإِسْلَامِ الشَّيْخ مُحَمَّد فَيْضِيّ أَفْنِدِي الزهاويِّ، وَهُوَ عَنْ الملا مُحَمَّد أَفْنِدِي الساوجبلاغيِّ، وَهُوَ عَنْ صَالِح أَفْنِدِي التلنباريِّ، وَهُوَ عَنْ الملا إِسْمَاعِيلُ أَفْنِدِي، وَهُوَ عَنْ صِبْغَةِ اللهِ الحيدريِّ، عَنْ وَالِدِهِ إِبْرَاهِيمَ أَفْنِدِي، وَهُوَ عَنْ وَالِدِهِ حَيْدَر أَفَنِدِي، وَهُوَ عَنْ وَالِدِهِ الملا أَحْمَدَ أَفَنِدِي بنِ حَيْدَر، وَهُوَ عَنْ وَالِدِهِ حَيْدَر الأَوَّل، الملقب بالشعراني، عن شيخه عبد الملك العصامي، عن والده الشيخ جمال الدين محمد بن عصام الإسفراييني، عن الحافظ آحمد بن محمد بن حجر

الهيتمي، عن الحافظ زين الدين زكريا الأنصاري الشافعي، عن عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، قال: أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيىٰ الأنصاري السبكي الشافعي إذنـًا مشافهة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة العدوي وأبو بكر بن علي بن عمر بن شبل الصنهاجي سماعـًا عليهما بسماع الأول وإجازة الثاني، من أبي إبراهيم إسحاق بن محمود بن بلكويه بن أبي الفياض البروجردي، وبسماع الثاني وإجازة الأول من النجيب أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، قالا: أخبرنا الحافظ ناصر السنة أبو بكر عبد الرزاق بن الشيخ الإمام قدوة العارفين أبي محمد عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالىٰ.

3- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العبيدي محمد صالح، عن العلامة جلال الحنفي البغدادي، عن العلامة محمد درويش الآلوسي، عن عمه نعمان الآلوسي، عن أبيه أبي الثناء، عن علاء الدين الموصلي، وهو يروي عن محمد بن عمر بن شرف الدين الجيلاني -عامة-، عن عبد الرحمن السخاوي المقرئ، عن مشايخ منهم: العشماوي، عن الديري، عن أحمد البشيشي، عن النور الزيادي، عن عميرة، عن أحمد بن حجر، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، قال:

أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيىٰ الأنصاري السبكي الشافعي إذنـًا مشافهة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة العدوي وأبو بكر بن علي بن عمر بن شبل الصنهاجي سماعـًا عليهما بسماع الأول وإجازة الثاني، من أبي إبراهيم إسحاق بن محمود بن بلكويه بن أبي الفياض البروجردي، وبسماع الثاني وإجازة الأول من النجيب أبي الفرج

عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، قالا: أخبرنا الحافظ ناصر السنة أبو بكر عبد الرزاق بن الشيخ الإمام قدوة العارفين أبي محمد عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالىٰ.

4- أرويها بالإجازة العامة عن شيخي وأستاذي العارف بالله تعالىٰ الشيخ العلامة محمد صالح العبيدي الحنفي البغدادي القادري، عن شيخه العلامة الفقيه العارف بالله تعالىٰ عبد القادر الخطيب البغدادي الحنفي، عن العلامة عبد الوهاب النائب، عن العلامة عبد السلام الشواف، عن العلامة المفسر محمود الآلوسي أبو الثناء صاحب تفسير روح المعاني، عن العلامة علي السويدي، عن والده العلامة عبد الله السويدي البغدادي، عن شيخه العلامة سلطان بن ناصر الجبوري، عن الشيخ عثمان، عن الشيخ عبد الباقي، عن النجم الغزي، عن أبيه البدر، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، قال:

أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيىٰ الأنصاري السبكي الشافعي إذناً مشافهة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة العدوي وأبو بكر بن علي بن عمر بن شبل الصنهاجي سماعاً عليهما بسماع الأول وإجازة الثاني، من أبي إبراهيم إسحاق بن محمود بن بلكويه بن أبي الفياض البروجردي، وبسماع الثاني وإجازة الأول من النجيب أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، قالا: أخبرنا الحافظ ناصر السنة أبو بكر عبد الرزاق بن الشيخ الإمام قدوة العارفين أبي محمد عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالىٰ.

5- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة السيد رافع الرفاعي مفتي الديار العراقية، عن الشيخ عبد الكريم المدرس بن محمد بن فتاح (ت 1426هـ، مفتي الديار العراقية، وهو يروي عن الشيخ عمر بن محمد أمين بن معروف الشهير

بابن القرة داغي (ت 1355هـ) وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وهو عن الشيخ نجيب القرة داغي، وهو أخذ الإجازة عن عمه الشيخ حسن بن عبد الله بن عثمان القره داغي (ت 1315هـ) تقريباً، عن مفتئ العراق مولانا محمد فيضي بن أحمد أفندي بن حسن بك الزهاوي (ت 1308)، وهو أخذ عن العلامة محمد بن رسول الساوجبلاغي ت بالطاعون سنة (1246هـ)، عن العلامة صالح التلنباري، عن صالح أفندي بن إسماعيل بن إبراهيم بن حيدر الحيدري، عن الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الحيدري، عن العلامة الفقيه صبغة الله أفندي الحيدري الحسين آبادي نسبة إلئ مدينة حسين آباد (ت 1178هـ)، عن والده الشيخ إبراهيم بن حيدر (ت 1151هـ)، عن والده الشيخ حيدر بن أحمد، عن والده الشيخ أحمد بن وهو يروي عن والده حيدر الأول، عن شيخه عبد الملك العصامي، عن والده الشيخ جمال الدين محمد بن عصام الإسفراييني، عن الحافظ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، عن الحافظ زين الدين زكريا الأنصاري الشافعي، عن عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، قال: أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيئ الأنصاري السبكي الشافعي إذنا مشافهة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة العدوي وأبو بكر بن علي بن عمر بن شبل الصنهاجي سماعا عليهما بسماع الأول وإجازة الثاني، من أبي إبراهيم إسحاق بن محمود بن بلكويه بن أبي الفياض البروجردي، وبسماع الثاني وإجازة الأول من النجيب أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، قالا: أخبرنا الحافظ ناصر السنة أبو بكر عبد الرزاق بن الشيخ الإمام قدوة العارفين أبي محمد عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالئ.

6 - أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة السيد رافع الرفاعي مفتي الديار

العراقية، عن الشيخ عبد الكريم الدبان التكريتي الشافعي رحمه الله تعالىٰ (ت 1414هـ)، وهو يروي عن:

أ- الشيخ العلامة أستاذ الجيل السيد عبد الوهاب بن السيد حسن البدري السامرائي (ت 1371هـ)، عن الشيخ محمد سعيد بن عبد القادر النقشبندي المدرس بمدرسة الإمام الأعظم، عن محمد فيضي الزهاوي بسنده المتقدم.

ب - ويروي الشيخ عبد الكريم بن السيد حمادي الدبان عن الشيخ السيد داود بن السيد سليمان بن إبراهيم الناصري التكريتي ت 1360هـ، عن العلامة عبد السلام الشواف (ت 1318هـ) المدرس في الحضرة القادرية، عن الشيخ العلامة ابو الثناء الالوسي بسنده المتقدم.

7- أرويها بالإجازة العامة عن مسند العراق العلامة الدكتور أكرم بن عبد الوهاب الموصلي، وهو عن الشيخ مصطفىٰ بن أبي بكر الهرشمي عن الشيخ عبد الفتاح بن ملا محمود الخطي(الختي)، عن الملا أبي بكر أفندي الثانِي الأربيلي، عن والده الملا عُمر الأربيلي، عن والده الملا أبي بكر أفندي المعروف (كجك ملا) الأول، عن الملا عبد الرحيم الزياري عن ملا صبغة الله بن الملا مصطفىٰ الزياري الأربيلي، عن السيد صالح الحيدري، عن والدِ السيد إسماعيل الحيدري، عن والده السيد إبراهيم الحيدري، عن والده السيد حيدر الثانِي، عن والده السيد أحمد الملقب بالشعرانِي، عن شيخه عبد الملك العصامي، عن والده الشيخ جمال الدين محمد بن عصام الإسفراييني، عن الحافظ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، عن الحافظ زين الدين زكريا الأنصاري الشافعي، عن عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، بالسند المتقدم.

و مسند العراق العلامة الدكتور أكرم بن عبد الوهاب الموصلي، عن مصطفىٰ كمال الدين النقشبندي قدس الله سره، عن شيخه عبد الحميد الآلوسِي، عن شيخه محمود الآلوسِي مفتي بغداد، عن شيخه يحيىٰ المزوري العمادي، عن شيخه علي بن عُمر بن محمد الحسيني الشافعي الخلوتي القناوي، عن شيخه عبد الخالق أبي بكر المزجاج اليمانِي، عن شيخه أبي طاهر محمد الكردي، عن والده الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي، عن أبي العزائم سلطان بن أ حمد المزاحي، عن أحمد بن خليل السبكي، عن نجم الدين الغيطي، عن زين الدين زكريا الأنصاري بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء لبنان:

- أرويها عن شيخنا العلامة المسند الدكتور يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسىٰ الفاداني، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحٍ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الغَنِيِّ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِي بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه الغَزِّي (984)، عنْ زَكَريَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

- الشَّيْخ يُوْسُفَ بن عبدِ الرَّحمنِ المَرْعَشْلي، عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بنِ مُحَمَّدٍ الخَطِيب الحُسْنيِّ الدِّمَشْقِيِّ، عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ الخَطِيْبِ (1253-1324)، عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بن مُحَمَّد آلتَّليِّ، عَنْ عَبْدِ الغَنِيِّ بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسيِّ (1143)، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء الحجاز:

1- أرويها عن شيخنا العلامة المسند السيد مُحمَّدِ بنِ أبي بَكْرٍ الحبشيِّ إجازة عامة، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحٍ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُصْطَفىٰ بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه البَدْرِ الغَزِّي (984)، عنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2- وعن السيد أحمد بن أبي بكر الحبشي بالسند المتقدم.

3- وَأَخْبَرَنِي الشيخ المُعَمَّرِ أحمَد بن أبي بكرٍ حُسَيْنِ الحِبشيِّ إجَازَةً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي اللِّكْنَوِيِّ الْمَدَنِيِّ[1]، وَعُمَرَ بْنِ حَمْدَانَ الْمَحْرَسِيِّ، كِلاهُما:

الأَوَّلُ عَنْ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السِّنَارِيِّ عَنْ أَبِي الْمَحَاسِنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلِيلٍ الْقَاوقَجِيِّ، وَالثَّانِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ ظَاهِرٍ الْوَتْرِيِّ الْمَدَنِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الدِّهْلَوِيِّ، وَهُوَ وَالْقَاوقَجِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ عَابِدٍ السِّنْدِيِّ (ت 1257)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَجَّامِ، عَنْ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ الزَّيْنِ بْنِ الصِّدِّيقِ الْمِزْجَاجِيِّ الزَّبِيدِيِّ (ت 1152)، عَنْ عَمِّهِ عَلاءِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ

(1) الدليل المشير ثبت أبي بكر الحبشي ص 129 عند أخذه من الشيخ شاه ولي الله الويلوري اللكنوي، وذكر فيه إجازته لابنه أحمد الحبشي في الإربعاء 21 شعبان 1361 هجرية بالمحبة وبالعامة.

الصِّدِّيقِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الْمِزْجَاجِيِّ، عَنِ الْبُرْهَانِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَنِ الْكُورَانِيِّ (ت 1101)، عَنِ الصَّفِيِّ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُشَاشِيِّ (ت 1071)، عَنِ الشَّمْسِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْزَةَ الرَّمْلِيِّ (ت 1004)، عَنِ الزَّيْنِ زَكَرِيَّا بْنِ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيِّ بالسند المتقدم.

4- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة محمد عبد الله آل رشيد، عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسى الفاداني، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحِ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الغَنِيِّ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُصْطَفَى بنِ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِي بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، عَنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه البَدْرِ (984)، عنْ زَكَريَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء سوريا:

1- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشَّيْخِ المُحقِق مُحَمَّد مُطِيع وَاصِل الحَافِظ، عَنِ الشَّيْخِ المُعَمَّرِ عَبْدِ المُحْسِنِ بنِ عبدِ القادرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأُسْطُوَانِيِّ (1275 -1383هـ)، عَنِ الشَّيْخِ مَحمُوْدِ بنِ مُحمَّد نَسِيْبٍ بنِ حَمزَةَ الحُسَيْنِي الحَمْزَاوِي (1236-1305)، عَنِ الوَجِيْهِ عَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحمَّدِ (1262)، عَنْ مُصْطَفَى بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِيِّ بنِ

إسْماعِيْلَ النَّابُلُسيِّ (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدٍ الغَزِّي (1061)، عَنْ أَبِيْه الغَزِّي (904 ـ 984)، عَنْ الحافظ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدِ الأنْصَارِي (926) بالسَّنَدِ

و الشَّيْخِ مُحَمَّد مُطِيع وَاصِل الحَافِظ، قرأها على الشَّيْخِ مُحَمَّد بِنْ مُحَمَّد المشهور بَأَبِي الخَيْرِ المَيْدَانِيِّ (1293–1380هـ)، عَنْ شيخِهِ الولي الزاهد الشَّيْخ المسوتي (1324هـ)، عنِ الوَجِيْهِ عَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحمَّدِ الكُزْبَرِي (1262)، عَنْ سَعِيدُ السُّوَيْدِيِّ البَغْدَادِي (1223هـ)، عن ابن عقيلة بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة زكريا أحمد الطالب الحلبي عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسى الفاداني، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحِ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الغَنِيِّ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُصْطَفَى بنِ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِي بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، عَنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ الغَزِّي (1061)، عَنْ أَبِيْه البَدْرِ (984)، عنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

3- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة المُعَمَّرِ المفسر محمد علي الصابوني الحلبي الحنفي، عَنْ العلَّامة مُحمَّد رَاغِبِ بن محمود الطَّبَّاخ الحلبيِّ (1293–1370)، عنْ أبي بَكْرٍ بنِ مُحمَّد عَارِفٍ خُوْقِيْر المَكِّي (1349)، عَنِ الشَّيْخ حُسَيْنِ بنِ مُحْسِنِ الأنْصَارِي (1245 – 1327)، عَنِ الشَّرِيْفِ مُحمَّدِ بنِ نَاصِرٍ الحَازِمي(1283)، عَنِ الوَجِيْه عَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ سُلَيمانَ الأهْدَلِ (1179 – 1250)، وَالِدِهِ سُلَيْمانَ بنِ مُحمَّدِ الأهْدَلِ (1197)، عَنْ شَيْخِه صَفِيِّ الدِّيْنِ أحمَدَ بنِ مُحمَّد شَرِيْفٍ الأهْدَلِ (1160)، عَن عَبْدِ اللهِ بنِ سَالِمٍ البَصْرِي (1049 – 1134)، عَنْ

البَابِلِيِّ، عَنْ الْشَمْس الرَّمْلِيِّ، عن زَكَرِيَّا الأنصاري بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء الأردن:

1- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشيخ عهد بن محمد نورالدين الكيلاني، عن العلامة المعمَّر يوسف العتوم، عن محدث الجامع الأموي محمد بدر الدين الحسني الدمشقي (1267 - 1354)، وهو عن إبراهيم السقا (1298)، الشيخ ثعيلب (1239)، عن الشهاب الملوي (1182)، عَن عَبْدِ اللهِ بنِ سَالمٍ (1049 - 1134)، عَنْ الْشَمْس البَابِلِيِّ، عَنْ الْشَمْس الرَّمْلِيِّ، عن زَكَرِيَّا الأنصاري بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشيخ فواز الطباع الحسني، عن العلامة المعمَّر يوسف العتوم، عن محدث الجامع الأموي محمد بدر الدين الحسني الدمشقي (1267 - 1354)، وهو عن إبراهيم السقا (1298)، عن الشيخ (1239)، عن الشهاب الملوي (1182)، عَن عَبْدِ اللهِ بنِ سَالمٍ البَصْرِي (1049 عَنْ الْشَمْس البَابِلِيِّ، عَنْ الْشَمْس الرَّمْلِيِّ، عن زَكَرِيَّا الأنصاري بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء فلسطين:

أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة أحمد سالم أبي عمرة، عن شيخنا العلامة المُعَمَّرِ الكياهي ميمون بن زبير، عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسىٰ الفاداني، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحٍ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُصْطَفىٰ بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ

أحمَـدَ الغَـزِّي (1061)، عَـنْ أَبِيْـه البَـدْرِ الغَـزِّي (984)، عـنْ زَكَرِيَّـا بـنِ مُحمَّـدٍ (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء مصر:

1- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة نور الدين علي جمعة الأزهـري مفتي الديار المصرية الأسبق، عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسىٰ الفاداني، وهـو إجازةً عَنْ عُمَرَ بـنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُـو عَـنْ أبـي النَّصْـرِ مُحمَّـدِ بـنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحٍ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بـنِ عَبْـدِ الغَنِيِّ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُصْطَفىٰ بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَـنْ عَبْـدِ الغَنِـي بـنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بـنِ مُحمَّـدِ بـنِ أحمَـدَ الغَـزِّي (1061)، عَـنْ أَبِيْـه البَـدْرِ الغَـزِّي (984)، عـنْ زَكَرِيَّـا بـنِ مُحمَّـدٍ (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة أسامة بن السيد التيدي الحنفـي، وهو عن العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري، عن شقيقه الحافظ الشهاب أحمد الغماري، عن محمد بن إبراهيم السقا، عن أبيه عاليا، عن ولي الله محمد ثعيلب بن سالم بن ناصر الفشني، عن الشهاب أبي العباس أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر الملوي، عن أبي العز محمد بن أحمد بن احمد العجمي، عن الشمس محمد بن أحمد الخطيب الشوبري، عن الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرملي، عن الزين زكريا بن محمد الأنصاري، بالسَّنَدِ أعلاه.

3- أرويهـا بالإجـازة العامـة عـن شـيخنا العلامـة سـيدي محمـد إبـراهيم عبد الباعث الكتاني، عن مُحمَّد عَبْدِ الحَي الكَتَّاني (1382)، عَنِ المُسْنِدِ المُعَمَّرِ

عَبْدِ اللهِ بـنِ دَرْوِيْشٍ السُّكَّرِي (1329)، عَـنْ الوَجِيْـهِ عَبْـدِ الـرَّحمَنِ بـنِ مُحمَّـدِ (1262)، عَنْ مُصْطَفَىٰ بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِيِّ بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسيِّ (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدٍ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه الغَزِّي (904 – 984)، عَنْ الحافظ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدِ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ

روايتي لها عن علماء تونس:

أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة شيخ الحديث بدار الحديث الزيتونية الشريف فريد بن علي الباجي، عن عبد اللطيف الشريف الشابي، عن الطاهر بن عاشور، عن سالم بو حاجب، عن إبراهيم الرياحي، عن حسن الشريف، عن محمد بن علي الغرياني، عن ابن عقيلة، عن حسن بن علي العجيمي، عن النجم الغزي، عن أبيه البدر الغزي، عنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء الجزائر:

1- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا إلياس آيت سي، عن العلامة المعمَّر عبد الرحمن بن محمد عبد الحي الكتاني، عن والده مُحمَّد عَبْدِ الحَي الكَتَّاني (1382)، عَنِ المُسْنِدِ المُعَمَّرِ عَبْدِ اللهِ بنِ دَرْوِيْشٍ السُّكَّرِي (1329)، عَنْ الوَجِيْهِ عَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحمَّدِ الكُزْبَرِي (1262)، عَنْ مُصْطَفَىٰ بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِيِّ بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسيِّ (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه البَدْرِ الغَزِّي (904 – 984)، عَنْ الحافظ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدِ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا ومجيزنا الشيخ المسند الشريف

عبد العزيز بن محمد بن علال الشريف الإدريسي الحسني الأشعري المالكي، وهوعن الشيخ المربي الولي الصالح العارف بالله المعمَّر سيدي أحمد الحبال الرفاعي الدمشقي، عن والده الشيخ محمّد صالح بن عبد الفتاح الحبال (ت 1380هـ) ، يروي عن الشيخ المعمَّر محمّد سعيد بن عمر الرفاعي الشهير بالحبال الدمشقي (ت 1325هـ) وعمره مائة وخمس سنوات، يروي عن الوجيه الكُزبري (الصغير) عن والده محمّد بن عبد الرحمن الكزبري، عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري، عن الشمس ابن عقيلة، عن أحمد النخلي، عن عبد الله بن سعيد باقشير المكي، عن عمر بن عبد الرحيم البصري، عن شمس الدين الرملي، عن شيخ الإسلام عنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء المغرب:

1 - أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشَّريفِ محمّدِ حمزةَ بنِ المحدّثِ محمدِ المنتصرِ الكَتّانيّ الإدريسيّ الحسنيّ، وهو عن جده الإمامِ مُحَدِّثِ الحرمينِ الشريفينِ محمّدِ المنتصرِ بنِ المحدثِ الشَّريفِ محمّد الزمزميّ بن الحافظِ محمدِ بنِ جعفرِ الكَتّانِيّ صاحبِ «الرِّسالةِ المُسْتَطْرَفَةِ»، عن العلامة مُحمَّد عَبْدِ الحَي الكَتَّاني (1382)، عَنِ المُسْنِدِ المُعَمَّرِ عَبْدِ اللهِ بنِ دَرْوِيْشٍ السُّكَّرِي عَنْ الوَجِيْهِ عَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحمَّدِ الكُزْبَرِي (1262)، عَنْ مُصْطَفَىٰ بنِ مُحمَّدٍ الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِيِّ بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسيِّ (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدٍ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه البَدْرِ الغَزِّي (904 - 984)، عَنْ الحافظ زَكَرِيَّا بنِ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

و شيخنا العلامة الشَّريفِ محمّدِ حمزةَ بنِ عليّ بنِ المحدّثِ محمدِ المنتصرِ

الكَتّانيّ الإدريسيّ الحسنيّ، وهو عن جده الإمامِ مُحَدِّثِ الحرمينِ الشريفِ محمّدِ المنتصرِ بنِ المحدثِ الشَّريفِ محمّد الزمزميّ عاليا، عن جده الشيخ محمد بن جعفر الكتاني (ت 1345هـ)، عن الإمام المحدث العارف عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت 1333هـ)، عن العلامة العارف عبد الغني المجددي الدهلوي (ت 1296هـ)، عن الإمام المحدث الكبير محمد عابد السندي (ت 1257هـ)، عن الإمام الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (1250هـ)، عن (ت 1197هـ)، عن الإمام عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي (1181هـ)، عن محمد بن أحمد بن سعيد الشهير والده بابن عقيلة المكي الحنفي (1150هـ)، عن أحمد النخلي، عن عبد الله بن سعيد باقشير المكي، عن عمر بن عبد الرحيم البصري، عن شمس الدين الرملي، عن شيخ الإسلام زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشَّريفِ عبد المنعم بن سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري، عن عمه العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري، عن شقيقه الحافظ الشهاب أحمد الغماري، عن محمد بن إبراهيم السقا، عن أبيه عاليا، عن ولي الله محمد ثعيلب بن سالم بن ناصر الفشني، عن الشهاب أبي العباس أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر الملوي، عن أبي العز محمد بن أحمد بن أحمد العجمي، عن الشمس محمد بن أحمد الخطيب الشوبري، عن الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرملي، عن الزين زكريا بن محمد الأنصاري، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء ليبيا:

1- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشَّريفِ أحمد بن سالم

الليبي مؤرخ ومحدث ليبيا، وهو عن الشيخ محمد الصادق بيوض المتوفىٰ سنة 1997م الذي أجازه سنة 1993م، وهو أخذ عن الشيخ محمد سعيد المسعودي سنة 1961م، وكان كتب له الاجازة سنة 1955 م عن والده الشيخ أحمد المتوفىٰ سنة 1897 م، عن والده الشيخ محمد المسعودي المتوفىٰ سنة 1871 م، الشيخ محمد بن عبد النور المتوفىٰ بعد سنة 1834 م، عن عمه أبي إسحاق إبراهيم بن عبد النور المتوفىٰ سنة 1814 م.

وأخذ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد النور، عن أبي الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي، عن أحمد النخلي، عن عبد الله بن سعيد باقشير المكي، عن عمر بن عبد الرحيم البصري، عن شمس الدين الرملي، عن شيخ الإسلام زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة الخاصة عن شيخنا العلامة أسامة بن هامل الفيتوري الإدريسي الحسني، عن شيخنا العلامة الشَّريفِ أحمد بن سالم القطعاني الليبي مؤرخ ومحدث ليبيا بسنده المتقدم.

روايتي لها عن علماء اليمن:

1- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشَّيْخِ المُعَمَّرِ قَاسِمِ بنِ إِبْرَاهِيمَ بِن حَسَنِ البَحْر القديميِّ المَوْلُوْدُ سَنَةَ (1363)، عَنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ إدرِيسِي بنِ مُحَمَّدٍ بنِ سُلَيْمَان (الأَوْسَط) بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ سُلَيْمَانَ بنِ يَحْيَىٰ بنِ عُمْرَ مَقْبُول الأهدل الزبيديِّ، عَنْ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ إدرِيسِي (1281-1354)، عَنْ أَبِيهِ جَدِّهِ لأمِّهِ وَجِيْه الدِّيْنِ عَبْدِ الرَّحمَنِ الأَهْدَلِ (1179 - 1250)، ومُحُمَّدِ بنِ مُحمَّدِ الشَّوْكَاني (1172 - 1250) كِلَاهُمَا، عنْ عَبْدِ القَادِرِ بنِ أحمدَ بنِ

الكَوْكَبَانِيِّ (1135 – 1207)، عَنْ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ الزَّيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الصِّدِّيقِ الْمِزْجَاجِيِّ الزَّبِيدِيِّ (ت 1152) ومُحمَّد حَيَاةِ سِنْدِي، كِلَاهُمَا عَن أبي البَقَاءِ عَلِيٍّ العُجَيْمِيِّ الحَنَفِيِّ (1049 – 1113)، عَنْ أبي مَهْدِي عِيْسَىٰ بنِ مُحمَّدٍ الجَعْفَرِي الثَّعَالبي (1020 – 1080)، عَنْ علي بنِ زينِ العابدين مُحَمَّد الدِّينِ الأُجْهُوريّ (ت 1066)، عَنْ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّد بنِ أحمَدَ بنِ حمزة الرَّمْلِيِّ (919 –1004)، عَنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدِ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2– أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العَلامة الُمقرئ الشيْخ علي صغير زوبر الأهدل اليمني، عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسىٰ الفاداني، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحِ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الغَنِيِّ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُصْطَفَىٰ بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِي بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه البَدْرِ الغَزِّي (984)، عنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء اندنوسيا:

1– أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الُمعَمَّرِ الكياهي ميمون بن زبير الأندونيسي، عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسىٰ الفاداني، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحٍ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الغَنِيِّ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِي بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْه

الغَزِّي (984)، عنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة المُعَمَّرِ الكياهي عبد الرزاق إمام خليل الجاوي الأندونيسي، عن العلامة مسند الدنيا محمد عيسىٰ الفاداني، وهو إجازةً عَنْ عُمَرَ بنِ حَمْدَانَ المَحْرَسِيِّ (1368)، وهُو عَنْ أبي النَّصْرِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ القَادِرِ بنِ صَالِحِ الدِّمِشْقِيِّ الخَطِيْبِ (1324)، عَنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الغَنِيِّ الغَزِّي (1277)، عَنْ مُصْطَفَىٰ بنِ مُحمَّدٍ الشَّامِي الرَّحْمتِي (1205)، عَنْ عَبْدِ الغَنِي بنِ إسْماعِيْلَ النَّابُلُسِي (1143)، عَنِ النَّجْمِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّد بنِ مُحمَّدِ بنِ أحمَدَ الغَزِّي (1061)، عَنْ أبِيْهِ البَدْرِ الغَزِّي (984)، عنْ زَكَرِيَّا بنِ مُحمَّدٍ الأنْصَارِي (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

روايتي لها عن علماء باكستان:

1- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة الشيخ السيد كفايت البخاري الباكستاني حفظه الله، قال: أخبرنا الشيخ مولانا السيد لعل شاه البخاري، عن الشيخ مولانا المفتي رياض الدين والشيخ مولانا عبد الشكور العثماني كليهما، عن الشيخ مولانا غلام رسول البفوي، عن شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندي، عن الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي، عن الشيخ مولانا أحمد علي السهارنفوري، عن الشيخ مولانا الشاه محمد إسحاق الدهلوي ثم المكي، عن سراج الهند مولانا الشاه عبد العزيز الدهلوي، عن الشيخ مسند الهند مولانا الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكوراني المدنيّ، عن والده البرهان إبراهيم بن حسن الكردي المدني، عن الشيخ أحمد القشاشيّ، عن الشيخ أحمد بن عبد القدوس الشناوي، عن شمس الدين أحمد بن محمد الرملي، عن زين الدين

زكريا الأنصاريّ (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

2- أرويها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة سعيد الرحمن الخطيب الهندي، عن عبيد الله الأشرفي، عن أشرف على التهانوي، عن فضل الرحمن الكنج مرادأبادي، عن عبد العزيز الدهلوي، عن الشيخ مسند الهند مولانا الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكوراني المدنيّ، عن والده البرهان إبراهيم بن حسن الكردي المدني، عن الشيخ أحمد القشاشيّ، عن الشيخ أحمد بن عبد القدوس الشناوي، عن شمس الدين أحمد بن محمد الرملي، عن زين الدين زكريا الأنصاريّ (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

- وشيخنا العلامة سعيد الرحمن الخطيب الهندي، عن محمد إدريس الكاندهلوي، عن خليل أحمد السهارنفوري، عن محمد مظهر النانوتوي، عن مملوك العلي النانوتوي، عن رشيد الدين خان الدهلوي، عن عبد العزيز الدهلوي، عن الشيخ مسند الهند مولانا الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكوراني المدنيّ، عن والده البرهان إبراهيم بن حسن الكردي المدني، عن الشيخ أحمد القشاشيّ، عن الشيخ أحمد بن عبد القدوس الشناوي، عن شمس الدين أحمد بن محمد الرملي، عن زين الدين زكريا الأنصاريّ (926)، بالسَّنَدِ أعلاه.

هذه جمله من الاتصال بالأربعين القادرية، ولم أستوعب جميع الشيوخ، إنما أشرت إشارة لكيفية الاتصال بها.

خاتمة: تشتمل على أهم النتائج:

بعد هذه الجولة يمكن أن نخلص إلى أهم نتائج البحث، وهي:

1 – اعتداد المحدثين بالحديث الكثير الطرق، وإن كانت طرقه كلها شديدة الضعف، للعمل به في فضائل الأعمال؛ دل على ذلك قيامهم بهذا النوع من التصنيف الحديثي عبر قرون متطاولة بناء على الحديث الوارد فيه الموصوف بذلك.

2 – تنوع الموضوعات في هذا اللون من التصنيف نابع من تعدد فهوم المصنِّفين لتلك الأربعين المقصودة بالحديث.

3 – صنّفت كثير من الأربعينات الحديثية تجاوبا من المصنف مع حاجات مجتمعه لجانب خاص من جوانب التوجيه.

4 – فَتحت الأربعينات باب التنافس في طلب العلو وسعة الرحلة والإكثار من الشيوخ، من خلال اشتمالها على العوالي والبلدانيات ونحوها.

5 – كانت الأربعينات فرصة لمعرفة الطبقات، وكذلك أعلى الشيوخ لشيخ ما، من خلال تصنيفٍ سهل الأخذ والانتشار.

6 – سهلت الأربعينات التواصل بين علماء العصر الواحد؛ إذ من الممكن أن يُأخَذَ عن شيخ تصنيفٌ له في الأربعين، في حين لا يتيسر ذلك دائما في المطولات من التصانيف(1).

7 – اهتمام الصوفية بالعلوم الشرعية، ومنها الحديث الشريف.

8 – اتصال أسانيد علماء الصوفية بعلوم الحديث الشريف، وغيرها من العلوم.

9 – تناقل العلماء، والصوفية منهم للأربعين القادرية بالسند والمحافظة عليها.

10 – خصص سيدي عبد الرزاق الكيلاني أربعين حديثاً عن أربعين

---

(1) مستفادة الأربعينات الحديثية.

من مشايخه.

11- خصص سيدي عبد الرزاق الكيلاني أربعين حديثاً للطلاب والمجتازين به رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: (فهذه أربعون حديثاً عن أربعين شيخا نبلاء من مشايخنا رحمهم الله، انتخبتها للمجتازين بنا من الطلاب، والقاصدين لنا من أولي الألباب).

إلىٰ هنا انتهىٰ ما أردت تسطيره وبيانه، راجياً أن تكون نافعة، وتثري المكتبة البحثية، وعلوم السنة المطهرة، وعلم الإسناد الشريف، ونحن نخط بأقلامنا الخطوط الأخيرة لهذا البحث بعد رحلة كبيرة من الجهد والتعب والسهر، وقد عرضنا هذا البحث بعد بحث وجهد في الأربعينات عموماً، والأربعين القادرية خصوصاً، هذا وقد كانت رحلة ممتعة تستحق التعب والعناء، وهي رحلة ارتقت بالفكر والعقل، وقد عرجت بالأفكار الهامة لهذا الموضوع، وما هذا الجهد إلا نقطة في بحر العلم، وجهد العلماء الذين سبقونا في العلم والبحث، وهذا الجهد هو قليل في ساحة البحث العلمي، ولكن يكفينا شرف المحاولة، فإن أخطأنا فمن أنفسنا، وإن وفقنا فمن الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد قال عماد الدين الأصفهاني: «رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه، إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل علىٰ استيلاء النقص علىٰ جملة البشر...». وأخيراً، نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا المؤلَّف، وينال رضاكم، وأسأله تعالىٰ بجاه الحبيب المحبوب أن يكتب له القبول والرضا، وأن ينفع به، ويجعله في ميزان أعمالي ووالدي ومشايخي.

وصل اللهم وسلم علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلىٰ آله

صلاةً دائمةً بدوام ملكك.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.



عناية العلامة القطعاني بصحيح البخاري سماعا وإقراء وتأريخا

فضيلة الشيخ محمد خليفة الجنيد

أ. أسامة علي بن هامل



وصلى الله على نور الحق وسيد الخلق، وآله وصحبه وسلم.

لم يحظ كتاب بعد كتاب الله تعالى بالعناية ما حظي به صحيح الإمام البخاري، وكانت هذه العناية جهوداً بلغت المدى في التنوع والشمول في خدمة هذا الكتاب، واستمرت حتى وصلت لعصرنا، فشارك فيها علماء الأمة، ومنهم: العلامة أحمد القطعاني، الذي توجه في شطر كبير من جهوده للعناية بكتب السنة الشريفة، رواية ودراية، مما لا يخفى على أي مطالع لكتبه ومؤلفاته، ومجالسه في التربية والإرشاد والتعليم، في إطار جهوده الكاملة لإحياء رسوم السنة في البلاد الليبية.

وحيث إن الإحاطة بجهوده في خدمة السنة الشريفة أمر تستحيل الإحاطة به في ورقات، خصصت ورقتي هذه للحديث عن عنايته بصحيح البخاري، من خلال كتبه ومؤلفاته، ومن الإقراء والإسناد والرواية، مبرزا بعضاً من مظاهر هذه العناية في أربعة عناصر:

1 - التأريخ للصحيح في ليبيا.

2 - التاريخ لنسخة الصدفي.

3 – استخراج سند ليبي مسلسل بالسماع للصحيح.

4 – الاعتناء بثلاثيات البخاري.

وسنأتي على هذه المظاهر الأربعة بالتفصيل، حتى تتجلى صورة عناية العلامة القطعاني بصحيح البخاري:

أولاً: التأريخ لصحيح البخاري في ليبيا:

لا يخلو بحث أو كتاب يوثق لتاريخ دخول صحيح البخاري إلى المغرب العربي من القول بأنه دخل في القرن الرابع الهجري، وعلى يد أبي الحسن علي القابسي عام 357هـ، وهو عام عودته من رحلته للحج التي سمع فيها الصحيح في مكة المكرمة[1]، لكن الشيخ القطعاني يرد على ذلك، في معرض تأريخه لدخول الصحيح إلى ليبيا قائلاً: «هذا وهم كبير وخطل مُضير، فالصواب أنه دخل ليبيا قبل تونس»[2]، واستشهد في ذلك بكتاب (النصيحة) للشيخ أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي (ت 402هـ)[3]؛ إذ «هو أول كتاب في المغرب العربي قاطبة، وثاني كتاب على مستوى العالم يشرح صحيح البخاري بعد «أعلام الحديث» للخطابي»[4].

(1) ينظر ترجمة أبي الحسن القابسي في ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، القاضي عياض، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1981م، ج7، ص 92. ووفيات الأعيان، أحمد بن خلكان، دار صادر، بيروت، 1900م، ج3، ص 320.

(2) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج1، ص 21.

(3) ينظر ترجمة الداودي في ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج2، ص 102 –103. والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج1، ص 165. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج1، ص 164.

(4) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 21.

ويسوق العلامة القطعاني العديد من الشواهد في ذلك، ودون شك لم يسقها إلا بعد بحث وتدقيق، ولكننا؛ لقفل الباب أمام أي جدل حول شاهد أسبقية وجود صحيح البخاري في طرابلس على غيرها من أقطار المغرب العربي، وأظهرها شرح الداودي للبخاري في طرابلس، يمكننا توضيحُ المزيدِ حول ذلك، خصوصاً وأن القضية لا تزال مثارة في أغلب الدراسات التي تحاول توجيه علاقة الداودي بمسقط رأسه في مسيلة، ووفاته في تلمسان الجزائريتين، وعلاقته بالقيروان التي حل فيها لفترة، للقول بأن تأليفه لكتبه، ومنها: النصيحة، كان في إحدى هذه المدن، وغضّ الطرف عن نشاطه العلمي الثابت في طرابلس.

ولفك كل هذه الالتباسات يمكن المرور بإيجاز سريع في محطات حياة الداودي، وهي أربعة: مرحلة ولادته في شرق الجزائر، إما في مسيلة أو بسكرة على خلاف بين من ترجموا له، ومرحلة الدراسة والتعلم بين مسقط رأسه شرق الجزائر والقيروان، ومرحلة نشاطه العلمي تدريسا وتأليفا في طرابلس، ومرحلة وفاته في تلمسان بالجزائر.

وفي المرحلة الأولى لا ترد الكثير من التفاصيل في مصادر ترجمته، إلا أنه يمكننا القول بأنه رحل إلى القيروان في سن مبكرة من حياته بعد أن حفظ القرآن، وأخذ أوليات العلوم في مسقط رأسه شرق الجزائر، فاستناداً إلى ثبوت وفاته عام 402هـ، وتتلمذه في القيروان على يد الشيخ ربيع القطان القرشي في القيروان، المتوفى عام 333هـ، يمكننا ترجيح ولادته في بداية العقد الثاني من القرن الرابع الهجري، خصوصاً وأننا نجد الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام وضعه في طبقة واحدة مع محمد بن أبي زيد القيرواني المولود عام 310هـ.

كما يفيدنا تعلمه علىٰ القطان في معرفة مدة بقائه في القيروان، فالراجح أنها لم تكن طويلة بناء علىٰ العديد من القرائن، أولها: أن القطان المشارك البارز في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد علىٰ العبيديين عام 333هـ[1]، لابد وأنه تأثر بموقفه الرافض للعبيدين، ولا يستبعد أيضاً مشاركة شيخه في الثورة، فكل من أرخ له أكد أن القطان عمدة شيوخه وأكثر من ملازمته[2]، ويبعد أن يكون استقراره في تونس قد استمر بعد استشهاد شيخه عام 333هـ في مقاومة العبيديين، ومن دلائل تأثره بمواقف شيخه في معارضة العبيديين رسالته التي وجهها إلىٰ علماء القيروان ينتقد فيها عليهم «سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم»[3]، فلا يستقيم أن ينكر إقامتهم في القيروان تحت حكم العبيديين ويوجد هو فيها، خصوصاً وأنه رأىٰ بشاعة ما فعلته سلطة العبيديين بشيخه الآخر إبراهيم بن عبد الله القلانسي الذي حبس وضرب بسبب تأليفه كتاباً في الرد علىٰ الرافضة[4].

وبسبب قصر فترة وجوده في القيروان لم يكن له نشاط علمي فيها، كما لم يترجمه أغلب من أرخ للقيروان ضمن علمائها، كالدباغ في معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ومن جاء بعده أيضا، كما أن المحققين من المؤرخين لم يتحدثوا

(1) انظر عن هذه الثورة البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أحمد بن عذاري، الدار العربية للكتاب، ط 3، 1983م، ج1، ص 216. إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي ضياف، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1950م، ج1، ص 124.

(2) ينظر ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج5، ص 311. أطال القاضي عياض في ترجمة القطان وذكر أن له حلقة بجامع القيروان، لكنه لم يذكر من تلاميذه إلا الداودي، قال "كان يتفقه عنده أحمد بن نصر، ولازمه، وكان من كبار أصحابه".

(3) ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج7، ص 103.

(4) الديباج المذهب، مصدر سابق، ج1، ص 268.

-ولو عرضا- عن إقامته في القيروان، كالقاضي عياض الذي قال: «كان بطرابلس، وبها أملىٰ كتابه في شرح الموطأ، ثم انتقل إلىٰ تلمسان»[1]، والذهبي الذي قال: «كان بطرابلس المغرب، فأملىٰ بها كتابه في شرح الموطأ، ثم نزل تلمسان»[2]، كما أن المتأخرين من فقهاء المالكية الذين اعتنوا بكتب الداودي لم ينسبوه إلا إلىٰ طرابلس محل نشاطه العلمي، دون أي نسبة لمحل ميلاده أو وفاته، يقول العدوي في شرحه علىٰ كفاية الطالب: «أحمد بن نصر الداودي الأسدي من أئمة المالكية بالمغرب بطرابلس المغرب، توفي بتلمسان سنة اثنتين وأربعمائة»[3].

وحيث إن المؤرخين لم يذكروا له إقامة خارج القيروان إلا في طرابلس، فمن المؤكد أنها كانت وجهته بعد استشهاد شيخه القطان وفشل ثورة ابن أبي يزيد، خصوصاً وأن سلطة العبيديين في طرابلس تكاد تكون اسمية أكثر منها واقعا في تلك الآونة، فبينما كانت كتب السنة تدرس سرّاً في بيوت القيروان، حتىٰ إن تلاميذ أبي بكر اللباد، شيخ السنة في القيروان، كانوا يخفون كتبهم في ثيابهم حتىٰ تبتل من العرق خوفا من العبيديين[4]، كانت حلق العلم تعقد في طرابلس جهاراً نهاراً، ويتصدرها علماء السنة، منهم أحمد بن خلف الأجدابي (ت 391هـ)[5]، ومحمد بن حسن الزويلي السرتي(ت 383هـ) الذي كان متفرغا للتدريس والإفتاء[6]، وغيرهم.

---

(1) ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج7، ص 102 – 103.

(2) تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، المكتبة التوفيقية، ج 28، ص 37.

(3) حاشية العدوي علىٰ كفاية الطالب الرباني، دار الفكر، بيروت، 1994م، ج1، ص 148.

(4) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبد الرحمن الدباغ، المكتبة العتيقة، تونس، 1969م، ج3، ص 35.

(5) أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط3، 2004م، ص 77.

(6) نفس المصدر، ص 328.

ويحسن بنا التوقف عند شخصية طرابلسية هامة للتوسع في جلب الشواهد علىٰ متانة علاقة الداودي بطرابلس، والظروف التي تهيأت لاستقراره طويلا، وهي شخصية علي بن أحمد بن الخصيب المعروف بابن زكرون (ت 370هـ) أبرز علماء السنة في عصره ومصره، فقد عثرت أثناء بحثي علىٰ ملامح قد تفتح آفاقا لتأكيد ما أزعمه من وجود علاقة بينه وبين الداودي سبقت وصول الداودي إلىٰ طرابلس، وربما كانت أحد أسباب لجوئه إليها، فمترجمي ابن زكرون ألمحوا إلىٰ تتلمذه علىٰ القطان شيخ الداودي في القيروان، لكن القاضي عياض يؤكد أنها لم تكن علاقة تتلمذ فحسب، بل صحبة طويلة، حتىٰ إن ابن زكرون «شق القفار وسلك الشامات»[1] مع القطان، وبعد رجوعه من القيروان إلىٰ طرابلس «كانت بينه وبين الربيع مراسلات»[2]، للدلالة علىٰ استمرار العلاقة بينهما، ولا يمكن أن لا يعرف من ارتبط بالقطان بعلاقة طويلة ومستمرة تلاميذه الآخرين، خصوصـًا الداودي الذي أكدت المصادر أنه ألزم تلاميذ القطان.

وفي طرابلس واصل الداودي تعلمه علىٰ يد علمائها، وهنا أجدني أتوقف عند تفسير القاضي عياض جواب علماء المالكية في القيروان للداودي، عندما أرسل إليهم منكرا: «سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم»[3]، فأجابوه «اسكت لا شيخ لك»[4]، إذ يفسر القاضي عياض الجواب بقوله: «أي: لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلىٰ ما وصل

(1) ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج6، ص 274.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ج7، ص 103.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

بإدراكه، ويشيرون أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنهم لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرّق من بقي فيها من العامة الألف والآلاف، فرجحوا خير الشرين»[1].

وأعتقد أن الجواب على رسالة الداودي لم يصدر عن علماء المالكية الذين لهم الصدارة، بل صدر عن طائفة منهم كانت توالي العبيديين، ففي تراجم شيخه القطان نجد الغالبية من علماء القيروان خرجوا رفقة القطان للمشاركة في الثورة على العبيديين، لكننا نجد فيها حديثاً عن لوم بعضهم للقطان في ذلك، وبسبب هذا الاختلاف في المواقف بين علماء القيروان، أرجح أن يكون الجواب صدر عمن يوالي العبيديين، وهم –قطعاً– لا يرون شيوخ الداودي معتبرين.

وذكرت عديد المصادر أن من بين علماء القيروان الموالين للعبيديين خلف بن أبي القاسم البراذعي (ت نحو 400هـ)، الذي كتب في تصحيح نسب العبيديين[2]، ومالك بن عيسى القفصي[3]، بل مال عدد غير قليل من القيروانيين لمولاة العبيديين حتى لاحظ بعض المؤرخين التونسيين المتأخرين كثرة النشاطات العلمية في عهد العبيديين، وبلغ ببعضهم، ومنهم: حسن حسني عبد الوهاب، وهند شلبي، اعتبار أن البلاد عاشت أزهى عصورها الفكرية في أحضان العبيديين[4].

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج1، ص 77.

(3) نفس المصدر، ج4، ص 96.

(4) ينظر الورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، حسن حسني عبد الوهاب، مكتبة المنار، تونس، ط1، 1981م، ج2، ص 153. القراءات بإفريقية، هند شلبي، الدار العربية للكتاب، 1983م، ص 61.

وبالتالي فإن جواب القيروانيين للداودي جاء في إطار خلاف فكري بخلفية سياسية، مضمونها عدم اعتراف شطر من علماء القيروان بشيوخ الداودي الرافضين للسيطرة العبيدية، وربما ليس شيوخه القيروانيين بل حتىٰ في طرابلس التي لجأ إليها.

ويبدو أن تلك المواقف والخلفيات السياسية ذات الطابع العقدي ألقت بظلالها علىٰ أوضاع الداودي اللاجئ في طرابلس، فلم تشتهر مشيخته فيها، ونشاطه التعليمي فيما بعد، لكننا نجد في تراجم من روىٰ عنه ما يؤكد أنه أخذ عن شيوخ في طرابلس، ومنها رواية بعضهم عنه موطأ الإمام مالك برواية أبي مصعب الزهري، ورواية القعنبي، ورواية يحيىٰ بن يحيىٰ، فمِنْ أَينَ سمعها -إن لم يكن عن شيوخ له في طرابلس-؟!، خصوصاً وأن دراسة ورواية مثل هذه المطولات الحديثية لا تكفيها إقامته القصيرة في القيروان وفي موطنه الأصلي شرق الجزائر، وربما كانت مشيخته في طرابلس أوسع من ذلك، حتىٰ إنها لفتت انتباه كبار أعلام عصره فحرصوا علىٰ الرواية عنه كابن عبد البر، الذي راسله ورد عليه الداودي مجيزاً، وابن خير الإشبيلي يروي عن كثر عنه[1]، وقد أحصت بعض البحوث ما يزيد عن العشرين عالماً من تلاميذ الداودي، واعتمد أغلب شراح البخاري علىٰ كتابه النصيحة بروايتهم لها، بل قال عنها ابن حجر العسقلاني: «وأما رواية الداودي فهي أعلىٰ الروايات لنا من حيث العدد»[2]، وسرد سند روايته له إلىٰ الداودي من طريق ابن عبد البر[3]، فكيف يقبل كل هؤلاء الأئمة الأعلام علىٰ الأخذ والرواية عنه -إن كان بلا شيوخ-؟!

---

(1) فهرسة ابن خير الإشبيلي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2003م، ص 123.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1960، ج1، ص 4.

(3) المعجم المفهرس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1998م، ص 398.

ويبدو أن نشاطه العلمي في طرابلس كان كبيراً؛ إذ التحق به الكثير من طلابه، وأبرزهم: أبو عبد الملك بن علي القطان المعروف بالبوني، الذي أجمعت المصادر على أنه لازم الداودي خمسة أعوام، ووهم بعض المؤرخين فجعل صحبته وملازمته له في القيروان، إلا أن ابن خير الاشبيلي يصرح بأن تتلمذ البوني للداودي هذه المدة كانت في طرابلس؛ إذ يقول إنه يروي شرح الداودي على الموطأ عن أبي بكر بن محمد بن أحمد الطاهر، عن أبي علي الغساني، «قال: حدثنا به أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، قال: حدثني به أبو عبد الملك مروان بن علي القطان ويعرف بالبوني صاحبنا الفقيه بطرابلس، وسكن معه مدة من خمسة أعوام»[1].

ورفقة هذه القرائن والشواهد التي تعرفنا من خلالها على مراحل حياة الداودي، إلا أنها لا تسعفنا في التعرف على تفاصيل حياته في سنواتها الأخيرة، خصوصاً سبب تركه لطرابلس، وتوجهه إلى تلمسان للاستقرار فيها في سنوات حياته الأخيرة، لكنني أرجح بشكل كبير أنها كانت في السنوات القليلة الأخيرة من القرن الرابع الهجري، ومر على القيروان؛ إذ تخبرنا كتب التراجم أن عبد الرحمن بن سعيد بن جرج الأندلسي التقاه في القيروان عام 399هـ، ومما يؤيد أن مغادرته كانت في تلك السنوات شاهد ذكره القاضي عياض يتعلق بلقاء الداودي بأبي بكر بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة، في القيروان وأخذه عنه علم والده، إذ يقول القاضي عياض: إن أبا بكر أدرك والده صغيرا[2]، وغنيٌّ عن البيان أن وفاة عبد الله بن أبي زيد القيرواني كانت في عام 386هـ، وبالتالي لن يتأهل أبو بكر لإقراء علم والده إلا في نهاية القرن الرابع الهجري، وهو التاريخ المناسب للقاء الداودي به.

(1) فهرسة ابن خير الإشبيلي، مصدر سابق، ص 123.

(2) ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج7، ص 272.

وبالإضافة لذلك فسلطة العبيديين التي كان الداودي يرفضها وغادر القيروان بسببها، كانت قد تراجعت بشكل كبير أواخر القرن الرابع الهجري، بل بدأت بوادر استقلال الدولة الزيرية عن العبيديين في الظهور، وتحديدا في عهد باديس بن منصور، واكتملت بإعلانها في عهد المعز بن باديس الذي تبنىٰ المذهب المالكي مذهباً لدولته.

إذا كانت فترة إقامة الداودي الأطول في طرابلس، ففيها أكمل تعلميه، وفيها جلس للتعليم والتأليف أيضاً، وإذا ثبت بإجماع المؤرخين أنه صنف «النامي» في شرح الموطأ في طرابلس ودرّسه فيها، فسياق المراحل والأحداث يثبت أن النصيحة في شرح البخاري ألفه أيضا في طرابلس، وما قيل من أنه ألف أكثر كتبه في تلمسان، فالمدة التي قضاها فيها لا تبدو كافية لتصنيف مؤلف كالنصيحة الذي يبدو أنه كان مطولا.

وشاهد الشيخ القطعاني من تأليف الداودي للنصيحة في شرح البخاري في طرابلس، هو أن صحيح البخاري كان معروفاً ومتداولاً في طرابلس، وإلا من أين جاءته نسخة البخاري التي قام بشرحها -إن لم تكن معروفة في طرابلس-؟!، خصوصا وأن الداودي لم تكن له رحلة مشرقية، والقيروان التي استقر فيها لفترة - وإن كانت قصيرة- لم تعرف البخاري إلا علىٰ يد القابسي عام 357هـ، وهي فترة متأخرة عن وجود الداودي في طرابلس.

ويسوق العلامة القطعاني الكثير من الشواهد علىٰ معرفة أهل طرابلس مبكراً لصحيح البخاري، ومنها دورهم في الحفاظ علىٰ إحدىٰ روايات الصحيح، وهي رواية أبي ذر الهروي، علىٰ يد أبي الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي الشهير بمسند الحرم، ويضيف: «ويحضرني شاهد آخر علىٰ اهتمام الليبيين بصحيح البخاري ومعرفتهم إياه حق المعرفة ذكره أبو طاهر السِلَفِي (ت 576هـ) في معجم

السفر، قال: سمعت أبا حفص عمر بن عبد العزيز بن عبيد الطرابلسي المالكي بالإسكندرية يقول: سمعت يكنول بن الفتوح الجيمالي الزناتي بطرابلس المغرب يقول: رأيت في المنام كأني أتيت إلىٰ موضع فيه جماعة من الناس ووقع في نفسي أن فيهم أبا داود السجستاني، فقال لي رجل من الجماعة: كل حديث لم يروه محمد بن إسماعيل البخاري فاقلب عنه رأس دابتك»، ويعقب بعد إيراده هذا الشاهد بالتنبيه علىٰ أن «عمر بن عبد العزيز طرابلسي، ويكنول فاسي دخل طرابلس، والشاهد في النص معرفة أهل ليبيا لصحيح البخاري وقتها وتوجههم لتقديمه علىٰ غيره»[1].

ويواصل العلامة القطعاني توثيقه لتاريخ صحيح البخاري في ليبيا، مؤكداً أن الاهتمام المتزايد به والمتراكم في معرفته أدىٰ إلىٰ أن تكون تلاوته «من سمات المساجد الكبيرة ودور العلم المختلفة»[2]، حتىٰ خُصص لتلاوته موسم سنوي في مدن بنغازي، ودرنة، ومصراتة، وزليتن، ومرزق، وغدامس لـ«املاء وإسماع صحيح البخاري طوال شهور رجب، وشعبان، ويكون الختم في حفل معلوم كبير ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان»[3]، ودرج الليبيون علىٰ تسمية يوم الجمعة الأخيرة في شهر رمضان بـ«جمعة البخاري»[4]، لقربها من يوم السابع والعشرين من ذات الشهر الذي يحتفل فيه بختم الصحيح.

---

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 21 – 22.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 22.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) "بين يدي صحيح البخاري"، محاضرة ألقها الشيخ أحمد القطعاني ضمن الملتقىٰ الرابع للائمة والخطباء ومشايخ الزوايا في طرابلس عام 2004، مؤرشفة لدىٰ مركز العلامة الليبي أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية بليبيا.

وبتحديد ودقة يوثق عناية أهل طرابلس بالصحيح وتلاوته، منفردا بذلك، فيقول: «أما طرابلس فتعددت مساجد عقد هذه المجالس بها، وآخرها جامع قرجي الذي استفتح فيه مجالس إسماع صحيح البخاري طوال الشهور المذكورة نقيب الأشراف بها المُحدث الشيخ محمد العربي، وذلك منذ افتتاح الجامع في 1247هـ، 1831م ويكون الختم في حفل معلوم كبير ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، وهو ما كان عليه العمل في جل دول الإسلام العربية والأعجمية تقريباً، وبقي على ذلك إلى وفاة الشيخ محمد العربي، فخلفه الشيخ محمد كامل باشا بن مصطفى (ت 1315هـ، 1897م) ، وربما عاونه الشيخ عبد الرحمن البوصيري الغدامسي (ت 1354هـ، 1935م)، ثم الشيخ عمر بن محمد بن أحمد بن عمر المسلاتي (ت 1342هـ، 1923م) إلى أن أعجزته ظروفه الصحية عن مواصلة نشاطه فكلف في 1338هـ، 1920م نجله الكريم الشيخ محمود بن عمر المسلاتي بأن يحل محله (ت 1406هـ، 1986م) ليتوقف عن ذلك ربما في سنة 1955م إثر تجرؤ بعض السفهاء بكلام غير لائق على حضرته، فتوقف المجلس لسنوات، حتى أحيا هذه المكرمة الحميدة الشيخ علي الغرياني إلى وفاته في (1395هـ، 1975م)، ليخلفه شيخنا العلامة محمود صبحي (ت 1434هـ، 2013م) ، بيد أن الجو السياسي السائد لم يكن متقبلا لمثل هذه الأعمال فتقلص النشاط على التراخي، حتى اقتصر على حفل بسيط بالمناسبة ليلة السابع والعشرين من رمضان، وكان آخرها في رمضان من عام 1419هـ 1999م»[1].

لكن العلامة القطعاني، ومنذ عقد الثمانينات، بدأ في عقد مجالس إسماع وإقراء كتب الحديث، ومن بينها صحيح البخاري، وكان آخر مجلسٍ أعلن فيه عن عثوره على سند سماعي ليبي خالص، سيأتي بيان تفصيله لاحقًا.

---

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 22 – 23.

لكن لابد لنا من وقفة عند اهتمام شيخنا القطعاني بأحد الشخصيات التي وردت في هذا السرد لمجلس إقراء وإسماع البخاري بجامع قرجي، وهو الشيخ عبد الرحمن البوصيري الذي اهتم بتاريخه وآثاره اهتماماً خاصاً، فترجمه بشكل موسع في العديد من كتبه، سيما في موسوعته عن تاريخ ليبيا[1]، أما في ثبته الكبير فوثق له ترجمة تعد الأكثر تفصيلاً من بين التراجم الأخرىٰ التي كتبها له المؤرخين، حلاه فيها بـ«الأستاذ العلامة الفقيه الأصولي المحدث الأديب قاضي قضاة طرابلس نيقد البضاعة وإمام الجماعة المسبح الذاكر ملازم الصون والتعفف مجافي الرياء والتكلف»[2]، ووثق لشيوخه، سيما عمدته علامة ليبيا الكبير محمد كامل باشا بن مصطفىٰ، الذي كان يقدم تلميذه في مجالس العلم ولقاءاته بالعلماء، ومنها ما رواه الشيخ القطعاني قائلا: «أخبرني شيخنا محمد صباكة تلميذ الشيخ عبد الرحمن الأخضري البوصيري بها، وهي: أن فارس الشدياق كان حائراً في كيفية وقوف العرب علىٰ حرف به شدة وإن كان له من شواهد، فرد الشيخ عبد الرحمن البوصيري علىٰ الفور بقوله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]، ففرح فارس الشدياق بهذه الإجابة وشاهدها القرآني ومن يومها توطدت العلاقة بينهما»[3].

وأثناء توثيقه لمؤلفاته، ومنها: الدرر المجنية من حديث خير البرية علىٰ الجامع الصغير للإمام السيوطي في أربعة أجزاء، وشرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث، وغيرها، عقب بقوله: «أما أشهرها فهو كتاب: مبتكرات اللآليء في المحاكمة بين العيني وابن حجر».

---

(1) موسوعة القطعاني – الإسلام والمسلمون في ليبيا منذ الفتح الإسلامي إلىٰ سنة 2000م، أحمد القطعاني، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2011م، ج3، ص 170.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 139.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 140.

وقد أولىٰ في أغلب مجالسه ومحاضراته داخل البلاد وخارجها اهتماماً بهذا الكتاب ومؤلفه البوصيري الغدامسي، منبها علىٰ بعض الأبعاد في شخصية البوصيري، ومنها أنه «كان –أصلا– يعمل في القضاء، وهو في هذا الكتاب يتوسط محاكما بين العيني وابن حجر في اختلافهما في شرحهما علىٰ البخاري، فتجده يقول: قال البدر العيني، ويرجح قوله ويحكم له، ويقول: قال ابن حجر، ويرجح قوله ويحكم له، أقول: من ذا الذي سيقف بين جبلين كالعيني وابن حجر، ويقول: قلت، مع الصعوبة الكبيرة في ملاحظة الفرق في استشهاداتهما واستنباطاتهما وكلامهما في الدراية والرواية في شرحيهما؟!»[1].

ويلفت إلىٰ أن «محل الافتخار ومحل الشرف والتعظيم أن الشيخ عبد الرحمن البوصيري الغدامسي قرأ في ليبيا ودرس فيها، ولم تكن له رحلات تذكر إلا زيارات عادية ربما تدرج في باب السياحة»[2].

ثانيا: التأريخ لنسخة الصدفي:

ورغم كثرة من كتب حول نسخة الصدفي[3]، إلا أنهم أشاروا إلىٰ وجودها في

(1) "بين يدي صحيح البخاري"، محاضرة، مصدر سابق.

(2) نفس المصدر.

(3) أبو علي الحسين الصدفي (ت 514 هـ) روىٰ البخاري عن ابي الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي عن ثلاثة هم المستملي والحموي والكشميهني هم الفربري عن البخاري، ونسخة الصدفي بالنسبة للمغاربة لما لنسخة شرف الدين اليونيني من الأهمية للمشارقة، فهي أصل من أهم من أصول صحيح البخاري وقوبلت عليها الأصول الأخرىٰ، ونسخت عنها عدة نسخ أشهرها نسخة ابن سعادة صهر الصدفي، وأجرت عن تاريخ ومسار تنقلاتها بين الأقطار والعواصم عديد الدراسات. للمزيد ينظر: روايات الجامع الصحيح ونسخه، جمعة فتحي عبد العليم، دار الفلاح، بيروت، 2013م.

ليبيا في إطار سعيهم لرصد محطات تنقلاتها بين العواصم والبلدان[1]، بل واقترن حديث بعضهم عنها في طرابلس بالتقليل من شأن تاريخ البلاد العلمي، وأعني محمد بن عبد السلام الناصري الذي كان معاصراً لانتقال نسخة الإمام الصدفي إلىٰ طرابلس علىٰ يد علامة البلاد المحدث المتفنن في كل العلوم سيدي أحمد أبي طبل، ففي رحلته للحج عام 1211هـ، زار سيدي أبو طبل الذي أطلعه علىٰ النسخة في مكتبته، فأبدىٰ عن تحسره علىٰ وجودها في طرابلس، وعرض علىٰ سيدي أبي طبل «مائة دينار ذهب» لبيعها، وإثر يأسه قال: «وما هي إلا مضيعة بهذا البلد»، وفي موضع آخر قال: «وقد بذلت لم اشتراه، من أهل طرابلس المغرب من إسطنبول بثمن تافه، صرة من ذهب، فأبىٰ بيعه وبقىٰ ضائعاً في ذلك القطر ولا حول ولا قوة إلا بالله»، بل وحث الناصري سلطان المغرب في وقته، علىٰ شراء النسخة، فبذل فيها

---

(1) ذكر عديد المحدثين والمؤرخين أن أهمية نسخة الصدفي تمكن في ضبط صاحبها وتحريرها من روايته العالية لصحيح البخاري، وكانت أصلا أصل سماع طلابه عليه، الذين ذكر منهم ابن الابار في معجم أصحاب الصدفي 315 عالما، ولأهميتها وضعت حولها بحوث ودراسات اهتمت برصد تنقلاتها وتوثيق رحلتها، ومنها:

– التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة، العلامة المغربي سيدي عبد الحي الكتاني، تحدث فيه عن نسخة الصدفي وأهميتها وتتبع تاريخها والتملكات والسماعات والخطوط عليها.

– أصل أبي علي الصدفي، مفتي الديار التونسية سيدي الطاهر بن عاشور، مجلة أخبار التراث العربي، معهد المخطوطات العربية، العدد 22.

– مخطوطة وحيدة في العالم: صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصدفي، الهادي التازي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مصر، المجلد 19 1973م.

– صحيح البخاري في الدراسات المغربية، من خلال رواته الأولين، ورواياته، وأصوله، محمد المنوني، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 49، 1974م.

– تعليقات أبي علي الصّدفي علىٰ نسخته المخطوطة من الجامع الصحيح، محمد بن زين الدين رستم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، العدد 39.

السلطان ألف ريال، إلا أن سيدي أبا طبل اعتذر للسلطان المغربي مبديًا أسبابًا تتعلق بالمخاطر التي تعترض طريقه للوصول إليه في المغرب، ولم يجب طلبه(1).

ولم يتلفت الناصري، ومن جاء بعده ممن اعتنوا بدراسة تاريخ هذه النسخة، إلىٰ حرص علماء ليبيا عليها والاستمرار في المحافظة عليها من أيدي العابثين، والمفترض بهم، وهم يقدرون قيمة هذه النسخة، كتابة فصول مطولة عن حرص الليبيين علىٰ اقتنائها بجلبها إلىٰ بلادهم، ولا أدل من معرفتهم المسبقة بأهميتها حتىٰ أنهم اعتنوا بإبرازها دون غير من الكتب التي اشتراها أبوطبل مع نسخة الصدفي من استنبول، فكان الأولىٰ بهم اعتبار هذا لعلماء هذه البلد، لا التقليل من شأنهم، ويكفي أنهم كانوا أمناء علىٰ أهم وثائق تراث الأمة، سيما صحيح البخاري الذي أجمعت الأمة علىٰ أنه في أعلىٰ درجات الصحة بعد كتاب الله تعالىٰ!

ولو كان علماء ليبيا الكرام العظام ممن يضيع مثل هذه الأصول، لما ردوا من طرق بابهم يعرض صرر الذهب لبيعها، ولما تأخروا في قبول عروض الشراء التي بذلها علماء إسطنبول، عندما قالوا لأبي طبل: «أخليت إسطنبول».

وإن أورد العلامة القطعاني كل هذه النقول عن الناصري، وأشار إلىٰ عناية من جاء بعده بالبحث عنها، وآخرهم صديقه المؤرخ المغربي الأستاذ الهادي التازي، إلا أن دافعه للعناية بالتأريخ للنسخة كان ضمن جهوده في توثيق وحفظ التاريخ العلمي والثقافي للبلاد، ولاستمرار سريان أمداد أسانيده في الأجيال الحالية واللاحقة.

---

(1) ينظر في تفاصيل ما نقله الناصري عن النسخة وعن سيدي أبو طبل: مخطوطة وحيدة في العالم: صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصدفي، مصدر سابق، ص 24 – 25.

ولم يفرد العلامة القطعاني فصلاً خاصّاً بنسخة الصدفي، وإنما تحدث عنها ضمن ترجمته الموسعة لسيدي أحمد أبي طبل، ما يعني أن دراسته للنسخة كانت في إطار ليبي، عكس غيره ممن اهتم بها في إطار البحث عنها، ومحاولة الدلالة على ملكيتها لغير الليبيين، فبعد ترجمته لسيدي أبي طبل بتوسع لم يُسبق إليه[1]، فصل فيها حياته ورحلاته ومشيخته ومن أخذ عنه، وأثره العلمي في الداخل والخارج، ومشاركته السياسية ومكانته لدى قادة البلاد، فصل أيضاً في الحديث عن مكتبه، وباعتبار نفائسها قال عنها: «من أغنى المكتبات الخاصة ذلك الوقت»[2]، وذكر من بين ما احتوته هذه المكتبة «تآليف لكل من: محمد بن أبي بكر الرازي، وللحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، ولابن العماد، وللشيخ عبد الوهاب الشعراني، ورسائل للشيخ أحمد زروق، وغيرها»، «كما كان عنده كتاب بخط يد الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وآخر بخط يد الفجر الرازي»[3].

لكن أهم محتوياتها التي ركز العلامة القطعاني على وصفها، هي نسخة الصدفي، ثم رصد تنقلاتها ورحلاتها إلى مستقرها الأخير في المملكة المغربية، ففي وصفها يقول: إنها «مجموعة في مجلد واحد من الجلد كتب على ظهرها: كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عنه رحمه الله لحسين بن محمد الصدفي أ.هـ، وعلى ظهرها أيضاً هذه النسخة

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 84 وما بعدها. وموسوعة القطعاني – الإسلام والمسلمون في ليبيا منذ الفتح الإسلامي إلى سنة 2000م، أحمد القطعاني، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2011م، ج2، ص 376.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 84.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 85.

جميعها بخط الإمام أبي علي الحسين بن محمد الصدفي شيخ القاضي عياض، وهي أصل سماع القاضي عليه كما ترىٰ في الطبقة المقابلة لهذه، وهي الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف إليه، وقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه فتح الباري أ.هـ»[1].

يضيف أن أول هذه النسخة «بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد نبيه، كيف كان بدء الوحي إلي رسول الله ﷺ؟ وعند تمام كل حديث صورة أ هـ، أي إلي هنا»، ويقول: «وهي مدونة في 16 كراسة وفي كل صفحة خمسون سطرا، وكلها مكتوبة بالسواد لا حمرة بها أصلا، وبهامشها دونت ملاحظات تشير إلي بعض الاختلافات بينها وبين النسخ الأخرىٰ، ورموز حديثية وعلمية، وفي آخر هذه النسخة توثيق لسماع القاضي عياض ت 544هـ - 1149م صاحب الشفا في جملة من الفقهاء بسماعهم لها في المسجد الجامع بمرسية بالأندلس، وغيره من كبار العلماء عليها بل دونت عليها إجازة الصدفي للقاضي عياض نفسه، كما وثقت في أولها ملاحظة تاريخية هامة دونت بخط يد الحافظ ابن جماعة، والحافظ الدمياطي، والحافظ ابن العطار، والحافظ السخاوي، تقول عن النسخة: هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني، وبنىٰ عليه شرحه الفتح، واعتمد عليه لأنه طيف به في مشارق الأرض ومغاربها الحرمين ومصر والشام والعراق والمغرب، فكان الأولىٰ بالاعتبار»، ويوثق أيضاً عبارة ختام النسخة، ليقول: «وختامها: آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبوعبد الله البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ والحمد لله علىٰ ما من به وإياه أسأل أن ينفع به، وكتبه حسين بن محمد الصدفي من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود مقروءة علىٰ أبي ذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعليها خطه،

(1) نفس المصدر، ج2، ص 87.

وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة 21 محرم عام ثمانية وخمسمائة، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلواته على محمد نبيه ورسوله ﷺ كثيراً اثيراً»[1].

وعن تنقلاتها إلى أن وصلت ليد سيدي أبي طبل، قال: «في العشر الأول من رجب سنة 802هـ شهر 2 / 1400م رصدت هذه النسخة في دمشق بسوريا ثم ارتحلت إلى إسطنبول دار الخلافة العثمانية، ومنها اشتراها الشيخ الحاج أحمد بن عبد الرحمن أبو طبل الورفلي بصرة ذهب وقرر الرجوع بها إلى بلده طرابلس، فاجتمع علماء إسطنبول، وقالوا له: أخليت إسطنبول، ولكنه أمضى قراره، وبهذا انتقلت إلى طرابلس عن طريق البحر، وكان الشيخ الطبولي يبرزها للعلماء والرحالة، فيرونها ويذكرونها في كتب رحلاتهم»[2].

وعقب بسرد محاولات إخراج النسخة من ليبيا على يد الرحالة الناصري، التي سبق وأن أشرنا إليها سابقا، وأوضح معنى جواب سيدي أبي طبل للسلطان المغربي الذي نقله الناصري، ومضمونه أنه وافق على المجيء إلى السلطان مولاي سليمان، لكن القلاقل الحادثة وقتها في تونس، والجزائر، بسبب الترك حالت دون ذلك، يقول الشيخ القطعاني: «إذاً، لقد اعتذر الشيخ أحمد أبو طبل للأمير المنصور بذلك العذر الأمني ولا نية عنده لبيع النسخة»[3].

ومنذ ذلك الحين «بقيت هذه النسخة في طرابلس معززة مكرمة، تأبى البيع والشراء والتنقل، رغم بذخ العروض، بيد أن الأزمات السياسية والحروب الداخلية

(1) نفس المصدر، ج2، ص 78 – 88.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 88.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 89.

والفتن ووباء الطاعون الذي فتك بطرابلس وقتها جعلتها في غير مأمن، فانتقلت علىٰ يد الشيخ محمد بن علي السنوسي إلىٰ زاوية الجغبوب وبقيت بها»[1].

وينفرد شيخنا القطعاني برصد محطات وأعوام تنقلات النسخة داخل ليبيا، إذ يقول: «وفي سنة 1895م نقل السيد محمد المهدي السنوسي نجل الإمام محمد بن علي السنوسي مركز الطريقة السنوسية من الجغبوب جنوبا إلي الكفرة، ونقل معه هذه النسخة ضمن مكتبة الجغبوب، وأخفيت في مكان بعيد عن أي أذىٰ محتمل، وعندما احتل الإيطاليون الكفرة سنة 1931م عاثوا في المكتبة بالحرق والسرقة والتمزيق، ولم يبق منها سوىٰ 17000 مجلد، خزنها الإيطاليون في ليبيا ونجت هذه النسخة، وأرسلت من جديد إلىٰ الجغبوب، وفي سنة 1937م اتصلت إدارة أوقاف بنغازي بالسلطات الإيطالية الحاكمة لإرجاع ما تبقىٰ من المكتبة، فأرجعت بعضها، بيد أنها عادت واسترجعتها سنة 1941م، ونقلتها إلىٰ سلوق وأحرقتها في نفس السنة، وأشاعت إيطاليا أن الحريق كان بسبب غارة جوية بيد أن النسخة كانت محفوظة في الجغبوب بعيدة عن أيديهم كما أسلفنا»[2].

ويتابع شيخنا رصده: «وفي سنة 1956م استعارها الشيخ التونسي العلامة الطاهر بن عاشور مفتي تونس من ناظر مكتبة الأوقاف ببنغازي، ثم نشر العلامة الطاهر بن عاشور في ((أخبار التراث العربي)) بحثاً مركزاً مفصلاً عن هذا الأصل، الذي ظل بيده عن طريق الإعارة أكثر من 10 سنوات، ليخرج منه ببحثه ((أصل أبي علي الصدفي)) ، ويعيدها إلىٰ بنغازي سنة 1966م»[3].

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 89 – 90.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 90.

أما عن مستقر النسخة الأخير، وهو ما ينفرد به شيخنا أيضاً عن كل من نقب وبحث عنها، أنها وبعد «إرجاعها بعامين وذلك سنة 1968م وخوفاً عليها ضمها ملك ليبيا السيد محمد إدريس المهدي السنوسي إليه، ثم، ونتيجة لأسباب أوجبت اضطر لأن يبعث بها إلىٰ المغرب، ولا تزال بحمد الله محفوظة»[1].

إذاً، درس الشيخ القطعاني نسخة الصدفي ضمن تأريخه وتوثيقه لمحطات حركة التاريخ الثقافي والعلمي للبلاد، فلم يفرد لها فصلاً خاصّاً، كما أسلفنا، وإنما ضمن الحديث عن مكتبة ليبية هي من أهم المكتبات الخاصة، وهي مكتبة سيدي أبي طبل، ثم تنقلاتها ضمن المجال الليبي، حتىٰ أصبحت ملكاً ليبيّاً خالصاً، خصوصاً وأن مفتي البلاد التونسية سيدي الطاهر بن عاشور استعارها وردها لأصحابها بعد أن استفاد منها، وقبله سيدي أبو طبل الذي كان يخرجها للعلماء المارين علىٰ البلاد، وقطعاً هم كثر، استفادوا منها، وربما هناك من سمعها منه، وإن كنا لم نعرف منهم إلا ابن عبد السلام الناصري، والشيخ أحمد بن محمد الفاسي، الذي مر علىٰ ليبيا هو الآخر في رحلته للحج ودونها، لأنهما فقط كتبا عنها، وإلا فهناك مئات العلماء مروا علىٰ ليبيا ولم يدونوا رحلاتهم.

وفي طريقة تأريخ الشيخ للنسخة، جوانب مهمة ضمنها دراسته عنها، ومنها:

– حديثه عن النسخة في إطار الحركة العلمية الليبية منذ بداية وصولها علىٰ يد سيدي أبي طبل واقتنائه لها ضمن مكتبته، ثم انتقالها إلىٰ مكتبة الجغبوب، وصاحبها سيدي محمد بن علي السنوسي.

– لفت الأنظار إلىٰ حرص الليبيين علىٰ الحفاظ عليها، فنقلها سيدي المهدي بن محمد بن علي السنوسي إلىٰ الكفرة لإبعادها عن المخاطر، وحتىٰ بعد

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

تعرضها لخطر الإيطاليين الغزاة، تمكنوا من حفظها في مكتبة جامعة بنغازي، قبل أن يرجعها الملك سيدي إدريس السنوسي إلىٰ ملكية المكتبة السنوسية، وقبل هذا رفض علماء ليبيا كل الإغراءات، ومنها: الذهب والأموال، للتفريط فيها.

– التأكيد علىٰ استمرار معرفة الليبيين بقيمة صحيح البخاري، وأهميته، فسيدي أبو طبل محطة جديدة من محطات عناية الليبيين بصحيح البخاري، بعد محطات سيدي أحمد بن نصر الداودي صاحب أول شرح للبخاري، ومسند الحرم سيدي علي بن حميد الطرابلسي الذي لولاه لاندثرت رواية أبي ذر للصحيح.

– وإن كان وصفه للنسخة متابعة لمن وصفها في السابق من العلماء الذين تمكنوا من رؤيتها، إلا أننا نجده أول عالم ليبي يهتم بتوثيق وصفها، وفي سرده لمحطات تنقلاتها، انفرد بأمرين:

الأول: تنقلاتها داخل البلاد الليبية.

والثاني: تحديد مستقرها الأخير، وبذلك أسدل الستار بشكل نهائي أمام محاولات الباحثين عنها وعن مصيرها، وعلىٰ الرغم من أنه لم يفصل في كيفية نقل الملك إدريس السنوسي للنسخة إلىٰ المغرب، وتحديد مكانها الحالي، إلا أنني أرجح علمه بتفاصيل ذلك، وأن نقلها للمغرب كان وفقا لاتفاق يحافظ علىٰ ملكيتها الليبية.

ثالثا : استخراج العلامة القطعاني سماعًا ليبيًّا لصحيح البخاري:

استخرج العلامة القطعاني عددا من الأسانيد الليبية لعدة متون ومؤلفات، الليبية وغير الليبية، لكن استخراجه لسند ليبي لصحيح البخاري يعد من أهم أعماله الحديثية والتاريخية، كما أن هذا العمل تتويجٌ لجهوده وسعيه للحفاظ علىٰ منقبة

عناية البلاد بصحيح البخاري، ولهذا السبب يبدو أنه أجل عقد أول مجلس لسماع البخاري، إذ افتتحه ببيته يوم 31/ 12/ 2016م، وختمه يوم 11/ 1/ 2017م[1].

والمعروف أن شيخنا القطعاني يروي البخاري عن عدة من الليبيين، منهم[2]:

- الشيخ محمود صبحي، عن الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي صاحب كتاب زاد المسلم.
- سيدي الشيخ مختار محمود السباعي، وشقيقه سيدي بشير السباعي.
- الشيخ بلقاسم عبد الرحمن أبو القاسم الغدامسي.
- الشيخ محمد بركان.

ومن غير الليبيين، عن:

- الشيخ محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني.
- الشيخ محمد مطيع بن محمد واصل الحافظ.
- الشيخ أحمد علي الأجبوري سورتي الهندي.

إلا أنه أشار إلىٰ أنها رواية بالإجازة أو السماع الجزئي، وفضل أن يستخرج سنداً ليبيّاً خالصاً مسلسلاً بالسماع الكامل، أنقله بتمامه لأهميته:

«سمعته كاملا من شيخنا الحبيب البخاري الغدامسي، وهو سمعه مراراً من الشيخ بلقاسم عبد الرحمن بلقاسم، وهو سمعه مراراً من كل من الشيخ المُعمر مصطفي بن محمد مهلهل، والشيخ عبد الرحمن محمد الأنصاري، والشيخ البخاري بشير شلِّيد، وثلاثتهم سمعوه كاملاً من قاضي غدامس الشيخ الهاشم ضوي، والشيخ بشير محمد شلِّيد، وكلاهما سمعاه كاملا من كل من الشيخ محمد

---

(1) نفس المصدر، ج1، ص 275.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 290.

الحبيب بن عز الدين الغدامسي، والشيخ محمد شليد، والفقيه بوزيد بن محمد بن عبد الله بن مهلهل الغدامسي، وأخيه محمد الشهير باسم (الفقي حمد)، وأربعتهم سمعوه كاملاً من كل من عبد الله بن عز الدين الغدامسي، وعمه الشيخ مصطفي عزالدين، والشيخ محمد بن عبد الله بن مهلهل الغدامسي، وثلاثتهم سمعوه كاملاً من الشيخ عبد الله بلقاسم مهلهل الغدامسي، الذي سمعه كاملاً من أبيه بلقاسم بن موسىٰ مهلهل، وابن عمه الشيخ محمد بن محمد بن موسىٰ صاحب كتاب (تذكير الناسي) ، وكلاهما سمعاه كاملا من الشيخ عبد الرحمن ضوي الغدامسي، والشيخ علي زين العابدين بن عبد الله بن أبي بكر الغدامسي، وكلاهما سمعاه كاملاً من أخوي الثاني الشيخ محمد الزاهد، وأخيه الشيخ عبد الرحمن أبناء الشيخ الكبير ولي الله عبد الله بن أبي بكر الغدامسي، وهما سمعاه كاملاً من أخيهما الشيخ أحمد، ووالدهما الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن بلقاسم بن محمد بن إبراهيم بن موسىٰ بن صلة، الذي سمعه كاملاً من الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن عثمان الغدامسي.

وإلىٰ هنا ينتهي الليبيون في هذا السند، حيث سمعه الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن عثمان الغدامسي كاملاً من الشيخ أبي مهدي عيسىٰ بن محمد بن محمد بن أحمد الثعالبي، الذي سمعه كاملاً من أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي، الذي سمعه كاملاً من أحمد بن محمد المقري، الذي سمعه كاملاً من عمه سعيد بن محمد المقري، الذي سمعه كاملاً من محمد بن محمد التنسي التلمساني، الذي سمعه كاملاً من والده، الذي سمعه كاملاً من محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد.

وإلىٰ هنا ينتهي رجال المغرب العربي في هذا السند، حيث سمعه بن مرزوق الحفيد كاملاً من إبراهيم بن محمد بن صديق الرسام، الذي سمعه كاملاً من أَبُي الْعَبَّاس أحمد بن أبي طالب الصَّالِحِي الحَجَّار الْمَعْرُوف بِابْن الشِّحْنَة، الذي

سمعه كاملاً من الْحُسَيْن بن أبي بكر الْمُبَارك بن مُحَمَّد ابْن يحيىٰ الرَّبعي الزَّبيدِيّ، الذي سمعه كاملاً من شيخ الإسلام الصّوفيّ الحافظ مسند الآفاق أَبي الْوَقْت عبد الأول بن عِيسَىٰ بن شُعَيْب السِّجْزِي ثم الْهَرَوِيّ الماليني، الذي سمعه كاملاً من أَبُي الْحسن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن المظفر بن دَاوُد الداودي البوشنجيّ من أصحاب إمام الصوفية أبي عبد الرحمن السلمي، الذي سمعه كاملاً من أَبي مُحَمَّد عبد الله بن أحمد بن حمُّوية الْحَمُّوِيّ السَّرخسيّ، الذي سمعه كاملاً من أبي عبد الله مُحَمَّد بن يُوسُف بن مطر بن صَالح الْفَربرِيّ، الذي سمعه كاملاً من أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجُعفيّ مولاهم صاحب الصحيح»[1].

وفيما ذكر العلامة القطعاني بعض خصائص هذا السند قائلاً: إنه «لا يوجد في البلدان العربية سند بهذه الصفة، إلا في ليبيا واليمن»[2]، وإنه «سند نادر كريم جليل تضرب له أكباد الإبل؛ إذ كلهم سمع ممن قبله سماعاً كاملاً»[3]، إلا أنه يمكننا رصد المزيد من الخصائص ونقاط الأهمية فيه:

- استخراج هذا السند، عمل حديثي انفرد به شيخنا، ولم يسبق إلىٰ إحيائه، واخراجه للوجود.

- يندرج هذا العمل ضمن الجهود الكبيرة في إحياء السنة الشريفة، ومجالس إقراء كتبها بعد أن كادت أن تندرس في البلاد.

---

(1) نفس المصدر، ج2، ص 288.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 290.

- للعمل وثيق الصلة باستمرار عناية الليبيين بصحيح البخاري، وبالتالي فشيخنا القطعاني يشكل محطة من محطات علاقة البلاد بالصحيح التي شكلتها شخصيات حديثية علمية، بدءاً من عمل سيدي أحمد بن نصر الداودي صاحب أول شرح للصحيح، ومروراً بأبي الحسن علي بن عمار الطرابلسي الذي لولاه لاندثرت رواية أبي ذر الهروي، وسيدي أحمد أبي طبل الذي عزز مكانة الصحيح في ليبيا بأن جلب نسخة الصدفي أعظم الأصول الصحيحة للصحيح، ثم جهود عدد آخر من علماء البلاد ممن استنوا سنة إقراء الصحيح، وانتهاء بمحطته هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي تعد علامة فارقة في تاريخ البلاد في علاقتها بالصحيح.

- العمل وثيقة هامة تؤرخ لرحلة أخرىٰ من رحلات صحيح البخاري في ليبيا، عبر سلسلة من الرجال غطوا مساحة زمنية امتدت لفترة طويلة.

- العمل يعد وثيقة هامة تضاف لتاريخ غدامس العلمي، المدينة التي عدها شيخنا من المدن الليبية النشطة في علوم التحديث والرواية، فأغلب رجال السند غدامسيون.

- تدارك السماع الليبي للبخاري من الاندثار والانقطاع، وربما يحاول وحاول غيره، لكن إحيائه علىٰ يده يختلف عن غيره، فهو مسند الديار الليبية ومحدثها وصاحب تاريخها العلمي والثقافي، وكتبه تحولت لمصادر ووثائق هامة في هذا التاريخ.

رابعا : ثلاثيات البخاري:

وهو من مظاهر عنايته بصحيح البخاري أيضـًا، فقد جمع لها رسالة مختصرة، بين في مقدمتها أنه أراد أن يجمع فيها شرحه وحديثه عنها الذي دوما ما يردده في مجالسه ومحاضراته، خصوصـًا بعد أن طلب منه طلاب دار الحديث الزيتوينة

بتونس إملائها عليهم، بيد أنه لاحظ بعض الأخطاء في النسخة التي جلبها طلاب الدار للسماع منها، ما دفعه أكثر لإعداد هذه الرسالة بعد رجوعه إلى بيته، وعنونها بـ«ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري»[1]، طالبا ممن يرغب في أخذها عنه أن يطلع عليها «قبل حضوره مجالس إملائنا لها»[2].

كما ذكر من الأسباب الأخرى لتصنيفه لهذه الرسالة، أنه وثق سنده «لهذه الثلاثيات ما يغني عن إعادة سرده كل مرة وضبطا وصيانة عن ما قد ينتاب الآخذ من خطأ في السمع أو في التقييد»[3].

وبعد مقدمة تخصصية عن معنى الثلاثيات وعددها، واهتمام المحدثين بجمعها، وجمع الوحدانيات إلى العشاريات في الصحاح والسنن والمسانيد، نبه إلى عدم معرفة أول من صنف في ثلاثيات البخاري، لكنه قام بحصر عدد منها، تبدأ بأبي الخير محمد بن موسى الصفار (471هـ)، وختم بذكر ثلاثياته هذه.

وإن ذكر تسميته لثلاثياته بهذا الاسم، قائلا: «وسبب التسمية لا يخفى على ذوي الأبصار سائلاً الله تعالى أن يطلب ببلادنا كلها من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ببركة حديث سيد الأبرار صلى الله عليه وآله وسلم ويبدل خوفها أمنًا، وتشتتها اجتماعًا، وقلقها سكينة، ويصرف عنها كيد الأشرار، وأذى الفجار، ويعجل سلخ ليلها بشمس نهارها»[4]، إلا أن اختيار أسماء ثلاثة مدن ضمن اسم الثلاثيات، غربًا وشرقًا وجنوبًا، يشعر بأنه اختيار يأتي ضمن سعيه لتعزيز

(1) ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري، نشرتها دار بشرى وكلثوم، طرابلس، عام 2016.

(2) ثلاثيات البخاري، نقس المصدر، ص 2.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، ص 1 – 2.

وجود الصحيح في البلاد، وتوثيق ارتباط هويتها بأصول الثقافة الإسلامية المتجذرة في عمق تاريخها، ومنها صحيح البخاري.

وفي هذا السياق نجده استخرج سنداً ليبيّاً لرواية ثلاثياته، وهو من الخصائص والميزات التي ميزت عمله عن عمل سائر إخوانه من محدثي الأمة الذين اعتنوا بالثلاثيات، زيادة في تمتين علاقة البلاد بالصحيح في مختلف فنونه، فكما استخرج للصحيح سنداً سماعيّاً ليبيّاً، استخرج للثلاثيات سنداً ليبيّاً أيضا، أنقله عنه بتمامه:

«أحمد القطعاني، عن شيخنا المعمر أ.د. إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني، عن المجاهد الليبي الشهير العلامة الشيخ أحمد الشريف السنوسي، عن والده محمد الشريف، وعمه محمد المهدي، والشيخ عمران بن بركة الفيتوري الشيخ أحمد بن عبد القادر الرّيفي أربعتهم عن:

والد الأولين ولي الله علامة الدنيا العارف بالله سيدي الشيخ محمد بن علي السنوسي، عن الشيخ أبي طالب محمد بن علي بن الشّارف المازوني، عن قريش الطبرية ، عن عبد الواحد بن إبراهيم الحصاري، عن شرف الدين عبد الحق السنباطي، عن أحمد بن حجر العسقلاني، عن أَبِي إِسْحَاق إِبْرَاهِيم التّنوخي البعلي، عن ابن الشحنة، عن أَبي عبد الله الْحُسَيْن الرَّبعي الزَّبيدِيّ، عن عبد الأول السِّجْزِي ثم الْهَرَوِيّ الماليني، عن أَبي الْحسن عبد الرَّحْمَن الداودي البوشنجيّ، عن أبي مُحَمَّد عبد الله الْحَموِيّ السَّرخسيّ، عن أبي عبد الله الْفَربرِيّ، عن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح.

وبإضافة الثلاثة رواة ما بين الإمام البخاري، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون المجموع عشرين راوياً»[1].

---

(1) نفس المصدر، ص 6.

وهـذا السـند فريـد عزيـز في عصـره، إذ هـو «سـند عشـريني مسلسـل بالسـادة الصوفية به كوكبة مباركة من أعلام التصوف الليبيين المسـندين»[1]، وعـلاوة علىٰ ذلك هو «أعلىٰ ما يوجد في الدنيا الآن؛ إذ بيننا وبين رسول الله صلىٰ الله عليـه وآلـه وسلم فقط عشرون واسطة لا غير، ولا يساوينا فيه إلا من أخذ عن طبقـة مـن أخـذنا عنه»[2]، بل نبّه علىٰ أن «كل من ادعىٰ أعلىٰ من ذلك في وقتنا، إمـا ينقصـه التحقيـق، أو مدع، أو في سنده مغامز، كالإجازة العصرية، أو إجازة المعدوم وأمثالها»[3].



(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ص 5.

جهود العلامة أحمد القطعاني
في علم الحديث الشريف
لتكريس الوطنية
«الرد على حديث الافتراق نموذجاً»

د. رمضان بشير امحمد
باحث في الدراسات الإسلامية، إندونيسيا



الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجا، الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى أصحابه المباركين، وآل بيته المطهرين، ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، ربِّ اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، أما بعد:

لقد تشرفت بالدعوة الكريمة الموجهة إليّ للمشاركة في هذا المؤتمر الذي يقام تحت عنوان: (العلامة القطعاني وجهوده في خدمة السنة الشريفة)، فكان لزامًا عليّ أن أجيب داعي الله إلى الخير، لأنها دعوة تتعلق بذكرى وفاة فضيلة الشيخ أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويسرني هنا أن أضع ورقتي المتواضعة هذه التي بعنوان: (جهود العلامة أحمد القطعاني في علم الحديث الشريف في تكريس الوطنية «الرد على حديث الافتراق نموذجًا») بين أيديكم، عسى أن تنال منكم القبول، فإن قدمت هذه

الورقة شيئاً من الفائدة فهو من الله عَزَّوَجَلَّ، وهو ما أرجوه، وإن أخطأت فمن نفسي، ولا تستقيم النفس إلا بالتقويم، والدعاء، فلا تحرموني منهما، ولا يسعني إلا أن أشكر مركز العلامة الليبي الشيخ أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية علىٰ إقامته هذا المؤتمر وعلىٰ حسن إدارته له، وأخص بالشكر رئيس المركز الأستاذ أسامة بن هامل علىٰ دعوته الكريمة، والشكر موصول لكافة العاملين في هذا المركز الرائد، ولكافة العلماء المفكرين والمشاركين والحاضرين في هذا المؤتمر.

أ. **خلفية الموضوع**:

يعتبر مفهوم الوطنية من المفاهيم التي شهدت اهتماماً واسعاً في الفترة الأخيرة، وأصبح البحث فيها ذا أهمية كبيرة، بسبب عوامل مارست ضد وجودها وترسيخها صنوفاً من الإضعاف الممنهج، بقصد القضاء علىٰ أي فكرة وطنية تخالف فكرة الوطنية الأم من قبل القوي، أو ما يمكن أن يسميه البعض بالمستعمر، أو المتطرف المجافي لحقيقة الدين، أو صاحب الفكر المنحرف المفرق للوطن، والجامع لكل فكر هدّام وضال، أو المستبد بالرأي والحكم وما إلىٰ ذلك.

في المقابل انبرىٰ عدد ليس بالكثير من المفكرين والعلماء في الدفاع عن مفهوم الوطنية بأنفسهم وبأقلامهم، وبما خلفوه من تراثهم بقصد الحفاظ علىٰ الوطنية جذوة حية في نفوس أهلها، وحين أستذكر أمثلة من هؤلاء فلا أذهب بعيداً، في ليبيا يطالعنا المناضل الشيخ أحمد الشريف بن محمد السنوسي (ت 1933م)، وقبله الشيخ عمر المختار (ت 1931م) اللذَين جسَّدا مفهوم الوطنية بمعناه الجهادي ضد المستعمر، وكافحا من أجل التحرر، لأن الفترة التي وجدا فيها اقتضت الكفاح المسلح، ولم تمضِ سنوات كثيرة حتىٰ أنجبت ليبيا الولادة مفكراً آخرَ لا يقل عنهما

وطنية ووفاءً لبلده ودينه، قد حمل لواء الوطنية، وقدم أروع الأمثلة لإحياء المواطنة في نفوس خفت فيها روحها، بسبب عوامل متعددة علىٰ رأسها اختزال الوطنية في أشخاص وكيانات، وليس في وطن يحمل تاريخاً وجغرافيا وتراثاً أصيلاً وعريقاً.

لقد كان الشيخ أحمد القطعاني رحمة الله عليه بالفعل وطنيّاً من جهة، وعالماً إسلاميّاً من جهة أخرىٰ، جمع بين هذين الهدفين النبيلين، وأظهر الوطنية في صورتها وفي مفهومها الأصيل المتفق مع سماحة الإسلام وكرامته. يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الانتماء هو حصن الأمة المنيع الذي يقيها الشرور والأخطار ويدرأ عنها التشتت والذوبان.. تراب الوطن المقدس الغالي تسيل الدماء في سبيله أنهاراً، فإذا ما أخذته الرياح معها عن أديمه صار ذرة بغيضة يمسحها متأففين متذمرين عن ثيابهم وأثاثهم، والأسد إنما هو أسد بانتمائه للأسود، والأبطال ما خانوا بلدانهم فجلدوا بالسياط وعُلقوا علىٰ المشانق، فما فرطوا في شبر من أوطانهم، وما أبطال الصوفية الكرام أمثال: سيدي عمر المختار، وسيدي يوسف بورحيل من ذلك ببعيد[1].

ونحن نستذكر مفهوم الوطنية في تراث الشيخ أحمد القطعاني قدس الله سره، فنجده قد ناضل في سبيل تكريسه وتوضيحه ونقله لأجيال علىٰ مستوىٰ جبهات عدة، وعرف بذكائه وحنكته ضد كل من يعمل علىٰ إضعاف الوطنية، وكان دخوله وبشجاعة منقطعة النظير في نقد النصوص الضعيفة وردها المجال الأرحب في استخلاص الفوائد من فكره وتراثه، فلم يكتفِ رَحِمَهُ اللهُ بالتنبيه علىٰ خطورة الأحاديث التي يساء فهمها، بل نبه لأهم وأخطر تلك الأحاديث، محدداً لها، ومنبهاً لكل واحد منها بشكل مستفيض، وكان حديث الافتراق (الفرقة الناجية) من أشدها تأثيراً، هذا حسب علمي المتواضع، فهو أخطرها وأشدها أثراً في إضعاف الوطنية

---

(1) أكذوبة الدعوة للإسلام، احمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص32.

وفي تفريق الأمة ككل، فضلاً عن البلد المسلم الواحد، ولا نبالغ إذا قلنا بأنه لم يسبق لحديث منسوب للنبي ﷺ أن نال شهرة من البحث والجدل خلال تاريخ الإسلام عمومًا، وخلال العقود القليلة الماضية خصوصًا، وحتىٰ الآن، كما ناله حديث الفرقة الناجية من حيث الجدل علىٰ إسقاط المدلول، واختلاف الحكم المعني بالفرقة المحظوظة، أو بالمقابل تحديد الفرق المحظورة، كل ذلك كان ساحة صراع بين العلماء علىٰ اختلافهم، وكان محل استغلال لغير العلماء من أتباع الفرق والجماعات المنحرفة، وكان مضمون الحديث الشريف مختلطًا مع جوانب تاريخية وفلسفية وعقائدية كثيرة.

بالإضافة إلىٰ المجادلة المستمرة حول الحديث، وأقصد به من حيث سنده، وصحة الرواية من عدمها، لكن المهم ما ارتبط به من الجدال حول تطبيقات الحديث، فكل الجماعات والفرق الإسلامية اعتمدت بشكل كبير علىٰ الاستدلال به، في إثبات موقعها وفكرها بين الفرق والاتجاهات الأخرىٰ.

عندما نستذكر تراث الشيخ أحمد القطعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث، نصاب بحيرة من أمرنا، لكنها حيرة محمودة، وهي أننا لا نطرق بابًا من العلم الشرعي إلا وجدناه ممسكًا ببابه، ولقد عمل الشيخ أحمد علىٰ التنبيه لخطورة بعض الأحاديث الضعيفة، والتي لم يصح سندها كما هو الحال في هذا الحديث، أو تلك التي صححت من البعض وردت من البعض، وخالفت في نفس الوقت مقاصد الدين وكلياته، وخالفت أيضًا آياتٍ وأحاديثَ صحاحًا أخرىٰ، لذا رأيت تسليط الضوء علىٰ هذه القضية الشائكة؛ لارتباطها بمجال البحث في أعمال هذا المؤتمر المنيف، مستفيداً من دروس تعلمناها من شيخنا أحمد القطعاني، وما خلفه من تراث ضخم، وميراث فخم، في إنارة العقول، وصقل القلوب، محذراً من أي وسيلة لإضعاف الوطنية لدىٰ المسلم، أو أي خلل يطرأ علىٰ الأمة سبب افتراق شعوبها، أو عدم

وجود تنبيه مستمر يقابل ويلجم التيار الذي يدعو إلىٰ التفرق، والذي يمتطي أحاديث، الكثير منها ضعيف، والكثير منها يعد فهمها بعيداً عن الصواب عن عمد أو غير عمد، ومنها هذا الحديث.

لقد أصبح حديث الافتراق الوقود الدائم والمتجدد لتلك الجماعات المتناحرة فكريًّا وحتىٰ سياسيًّا أو عقديًّا، ونجد منها من لا يؤمن بالآخر أو بالفكر المقابل، وترىٰ فيه الضلالة لكونه ليس من فرقتها أو منهجها، ولكن بفضل الله تعالىٰ قيض وسخر في هذه الأمة وفي عصرنا الحالي علماء أجلاء، ومشايخ مجددين، ومحدثين ربانيين، كشفوا غمامة الفهم السقيم، وأولهم العلامة قطب رحىٰ العصر، وعماد راية العلم، سيدي أحمد القطعاني الذي نستذكر ذكرىٰ رحيله الثانية من دنيانا دار الغرور إلىٰ الآخرة دار الحبور، فعليه رحمة الله ورضوانه، وله دعوات صادقة نسأل الله تعالىٰ أن ترقيه لأعلىٰ المراتب والدرجات، إن هذا النص الذي يحمله هذا الحديث المزعوم -كما سماه شيخنا أحمد- مخالف لمقاصد الدين، ومؤَدٍّ للفتنة والاقتتال والمفترض للحديث الشريف أن يوحد لا أن يفرق، ويفترض أنه قد صدر من المنبع الذي لا يخرج منه إلا النور والهدىٰ، قال تعالىٰ: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ)[1].

أعتقد أن هذا الحديث المختلف فيه من حيث الفهم والإسقاط والصحة في المقام الأول، ساهم مساهمة بالغة في تكوين نمط تفكيري تكفيري من جانب، وإقصائي من جانب آخر، وكأن الأمة تناست وهي متشبثة فرقًا وأفراداً بهذا الحديث المختلف في صحته أصلاً قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ

(1) النجم: 3.

عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]
وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[2].

ج. أهداف الورقة:

تهدف الورقة إلىٰ توضيح أن الأدلة المعتمدة لدىٰ الفرق المتعصبة في الفكر الإسلامي، والتيارات المتصارعة عبر تاريخه الطويل، والتي تتبنىٰ حديث الفرقة الناجية، هي -في الحقيقة- أدلة واهنة وضعيفة، ولا يصح جعلها وسيلة، فضلاً عن أنه لا يصح تركها غاية في أيدي العابثين، كما هو مشاهد اليوم، كونها غاية لهدم الوحدة الإسلامية والوطنية داخل البلد الواحد، كما هو الحال في بلدنا ليبيا، وباقي الدول المسلمة بهدف تفريق الأمة الواحدة بشكل عام.

ويعد الحديث مضاداً لمقاصد الدين، التي تهدف -كما ذكرنا- للحفاظ علىٰ وحدة الدين، وعدم التفرق كل ذلك -وأنا العبد الفقير بعلمي وحالي- مستعيناً بفكر العلامة أحمد القطعاني، وتراثه حول هذا الحديث، وحول موضوع الاختلاف المترتب عليه، ولذا كان هذا هدفي مبني علىٰ أساس أن يساهم هذا البحث في أن يكون حجر بناء في جدار التماسك والتعاضد بين أهل القبلة الواحدة، وقبل ذلك بين أهل البلد الواحد، ولا يكون حجر عثرة في طريق المسلمين الفكري والعقدي والعقائدي، متلبساً فهماً لحديث مروي عن المصطفىٰ ﷺ يقول فيه: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا)[3].

(1) آل عمران: 103.

(2) الأنبياء: 92.

(3) رواه الإمام البخاري / كتاب الإيمان باب الدين النصيحة ورواه الإمام مسلم / كتاب الإيمان.

د. أهمية الورقة:

إن لهذا البحث -حسب رأيي المتواضع- أهمية كبيرة، فهو يسهم ولو بقدر ضئيل في إزالة اللبس الذي علق في أذهان الكثير من المسلمين عبر قرون كثيرة من حديث فرَّقَ ولم يوحد، وجعل للجماعات المتعصبة مرجعية، والتي تتكاثر يوماً بعد يوم تحت مسميات عديدة، لكنها ترتدي عباءة واحدة أساسها هذا الحديث المراد بحثه.

كما أن لهذا البحث أهمية في توعية المهتم بعلم الحديث الشريف ولفت نظره بقدر الإمكان إلىٰ الاحتراز، والتثبت عند ولوجه في بحر الحديث الشريف، وأن الأخذ المباشر بدون تفحص واقتداء، قد يوصله إلىٰ غير جادة الطريق، فيضيع ويضيع غيره، وأخيراً، إن للدين مقاصدَه وكلياتِه التي يتفق عليها العلماء الربانيون، وهي ما يجب أن ندافع عنه وننقله عبر الأجيال، وأن دعم مفهوم كالوطنية من المقاصد التي توطد المقصد في عمارة الأرض، وتعين خير إعانة علىٰ حسن وصلاح الخلافة الإنسانية للمسلمين فيها، وكان من أهم أسباب اختيار الموضوع:

1. انتشار ظاهرة التعصب في الأمة، خصوصاً إقصاء المخالفين، وأقله رميهم بالبدعة والضلالة، ويصل الأمر إلىٰ تكفيرهم وجهادهم.

2. تناسي المسلمين الروابط الموحدة للأمة المسلمة، أمة التوحيد وليس التفرق، أمة لا اله الا الله، وألهتهم إلىٰ الاقتناع بمعاول التفريق، وعدم تركيزهم علىٰ نصوص الوحدة والترابط.

3. عدم ترتيب الأولويات في الأخذ من مصادر التشريع المعروفة، وبمقاصد الدين المتفق عليها، والأخذ بدون اكتراث بنصوص حديثية ضعيفة، أغلبها متعارض مع المصدر الأول للتشريع، وهو القرآن الكريم.

هـ. عرض الورقة:

المبحث الأول: نص حديث الفرقة الناجية وحكمه.

أخرج أبو داود والدارمي كل منهما في السنن له، وأحمد في المسند – وابن أبي عاصم والمروزي كل منهما في السنة له، ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ – والآجري في الشريعة – والطبراني في المعجم الكبير – ومن طريق أبي العلاء العطار في فتيا له – والطبراني في الكبير أيضاً – وفي مسند الشاميين– واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد – والحاكم في المستدرك – وابن بطة العكبري في الإبانة – والبيهقي في دلائل النبوة– والأصبهاني في الحجة– من طريق صفوان بن عمرو، قال: حدثنا أزهر بن عبد الله، عن أبي عامر عبد الله بن لحي الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان، أن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: (إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَىٰ اثنتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَـٰذِهِ الأمة سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً -يَعْنِي الْأَهْوَاءَ- كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فلا يَبْقَىٰ مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ)[1]. قال معاوية: الله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به

(1) أورد الشيخ حسن بن علي السقاف شرحا عن صحة الحديث من عدمه، وكذا تناول الأمر نفسه عن متنه فقال: رُوِيَ هذا الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً وفي إسناده محمد بن عمرو بن علقمة وهو ضعيف. قال يحيىٰ بن سعيد ومالك: (ليس هو ممن تريد) وقال ابن حبان: (يخطئ) وقال ابن معين (ما زال الناس يتقون حديثه). وقال ابن سعد (يُسْتَضْعَف). وروي عن معاوية مرفوعاً وفي السند أزهر بن عبد الله الهوزني أحد كبار النواصب الذين كانوا ينتقصون سيدنا علياً عليه السلام وله طامات وويلات، قال الأزدي: يتكلّمون فيه وأورده ابن الجارود في كتاب الضعفاء. وروي عن أنس بن مالك من سبعة طرق كلها ضعيفة لا تخلو من كذاب أو وضاع أو مجهول. وروي عن عوف بن مالك مرفوعاً وفي سند روايته عباد بن يوسف وهو ضعيف أورده الذهبي في ديوان الضعفاء برقم =

نبيكم، لغيركم من الناس أحرىٰ أن لا يقوم به، وفي رواية ابن ماجه وأحمد وغيرهما: (كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة) وفي روايةٍ للطبراني: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

بالنّسبة إلىٰ سند الحديث، وإذا نظرنا لأكبر فرقتين في العالم الإسلامي، فالحديث غير نقيّ، سواء من طُرق السنّة، أو طُرق الشّيعة، أمّا من طرق السنّة، نظراً لاشتماله علىٰ ما قيل علىٰ الضّعاف بحسب موازينهم الحديثيّة، وأمّا من طرق الشّيعة، فهو أيضـًا غير نقيّ السند، علىٰ أنَّ ثمّة ملاحظة أساسيّة هنا لا بدّ من التوجّه إليها، وهي أنّ المورد هو من أمّهات القضايا العقديّة التي يتحدّد بموجبها المصير الأخروي لغالبيّة الفرق الإسلامية، حيث ينصّ الحديث علىٰ أنهم من أهل النار، ومن المعلوم أنّ قضايا الاعتقاد لا يمكن إثباتها والاستدلال عليها بأخبار الآحاد، حتىٰ لو كانت صحيحة السند، فضلاً عن الضّعيف منها[1].

= (2089). وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي مرفوعـًا عند الترمذي في السنن، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، وروي عن أبي أمامه مرفوعـًا عند ابن أبي عاصم في (السنة) وفي إسناده قطن بن نسير وهو ضعيف منكر الحديث، وروي عن ابن مسعود مرفوعـًا عند ابن أبي عاصم في سنته وفي سنده عقيل الجعدي، قال الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان)، (قال البخاري منكر الحديث) وروي عن سيدنا علي كرّم الله وجهه ممن رواه ابن أبي عاصم في كتابه (السنة) وفي إسناده ليث ابن أبي سُلَيم وهو ضعيف جداً، وحاله معروف عندهم. قال ابن حجر في التقريب برقم (5685): (اختلط جداً ولم يتميَّز حديثه فَتُرِك) أنتهي. حسن بن علي السقاف، **تنبيه الحذاق إلىٰ بطلان حديث الافتراق**، http://hasan-alsaqqaf.tripod.com

وقد صحح الحاكم أبو عبد الله في المستدرك والإمام الذهبي في التلخيص الحديث، وجوّده الحافظ العراقي في تخريج الإحياء، وحسّنه ابن حجر العسقلاني في تخريج الكشاف، وصحّحه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم.

(1) مناقشة فقهيَّة حول حديث الفرقة النّاجية، حسين الخشن، موقع مؤسسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، 27-3-2014م، http://arabic.bayynat.org.

من حيث المتن: رأى جمهرة من المحدثين بطلان هذا الحديث، سواء بزياداته أم بدونها، والتي منها: (كلها في النار إلا واحدة) ، فبعد النظر في هذه الزيادات قد رأوا ببطلانه متنا، والحكم في المتن كما هو معلوم قد يرد الحديث، ويسقط صحته، خصوصاً إذا تعاوض مع أصل من الأصول، ونلخص المعارضات كما يلي:

1. يقول فضيلة الشيخ أحمد القطعاني: إن هذا الحديث المزعوم، يخالف نص القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1]. وهو المعيار الحقيق الأول والميزان الدقيق لتقييم أي نص ينسب لدين الإسلام من حديث شريف أو رأي فقهي أو اجتهاد ديني[2].

2. يوجد سبب تاريخي، وهو ما أشار إليه فضيلة الشيخ أحمد القطعاني أيضاً، يتمثل في توظيف الحديث لشخص بعينه، من طرف من روى الحديث وطائفته أثناء الصراع المعروف في زمن معاوية بن أبي سفيان، والإمام علي بن أبي طالب، فيقول: وسعي من خالفه إلى اختراع نصوص دينية ونسبتها إلى النبي ﷺ لتدعم بها موقفها، وتقنع الجميع أنّ الافتراق والتشتت على فرق عدة دينٌ وإيمانٌ، وأنه لا توجد إلا فرقة واحدة ناجية هي فرقة راوي الحديث[3].

3. إن الله تعالى يقول عن هذه الأمة المحمدية في كتابه العزيز: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[4] ويقول أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[5] فهذه الآيات تقرر أن هذه الأمة هي خير الأمم، وأنها أوسطها، أي:

---

(1) الأنبياء: 92.

(2) الحب القذر، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص79.

(3) الحب القذر، مرجع سابق، ص80.

(4) آل عمران: 110.

(5) البقرة: 143.

أفضلها وأعدلها، وأما هذا الحديث فيقرر أنَّ هذه الأمة شر الأمم، وأكثرها فتنة وفساداً وافتراقاً، فاليهود افترقوا علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، ثمَّ جاء النصارىٰ فكانوا شراً من ذلك وأسوأ حيث افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، ثمَّ جاءت هذه الأمة فكانت أسوأ وأَسوأ حيث افترقت علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، فمعنىٰ الحديث باطل بصريح القرآن الكريم الذي يقرر أن هذه الأمة خير الأمم وأفضلها.

4. يؤكد بطلانَ هذا الحديث من حيث متنه ومعناه أيضاً، أن كل من صنف في الفِرَقِ كتب أسماء فِرَق بشكل يغاير في كتابه لما كتبه الآخر، ولا زالت تحدث في كل عصر فِرَقٌ جديدة بحيث أن حصرهم لها غير صحيح ولا واقعي، فمثلاً: كتب الشيخ عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ) كتابه في الفِرَق وهو (الفَرْقُ بين الفِرَق) ذكر فيه ثلاثاً وسبعين فرقة، وقد استجدت من زمانه إلىٰ اليوم فرق أخرىٰ وعديدة ربما تزيد علىٰ ما ذكر سلفاً.

5. أن هذا الحديث خاصة بزيادته والتي هي (كلهم في النار إلا واحدة) ، مخالف للأحاديث الكثيرة المتواترة في معناها التي تنص علىٰ أنَّ من شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله وجبت له الجنة ولو بعد عذاب، ومن تلك الأحاديث ما رواه الإمام مسلم: (ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، إلا حرمه الله علىٰ النار) وعند الإمام مسلم أيضاً: (لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه)[1].[2].

(1) رواه الإمام مسلم / كتاب الإيمان بأب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعا.

(2) دراسة أسباب التقّدم والتأخر والفرقة في العالم الإسلامي، حسن السقاف، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ص12.

المبحث الثاني: النتائج السلبية المترتبة على هذا الحديث والعمل به.

1. مرجعية للفرق الإسلامية:

من المعلوم أن من درس تاريخ الفرق الإسلامية علىٰ اختلافها يجد ربطاً واضحاً ومتيناً بين سيرة تلك الفرق ومرجعياتها، وبين تأصيل تلك المرجعيات علىٰ نبذ الفرق الأخرىٰ وتكفيرها في أحيان أخرىٰ، كل ذلك بواسطة عدة نصوص حديثية، لعل هذا الحديث أبرزها، والذي جعل مطية لتحقيق ذلك.

وفي فترة مبكرة من تاريخ الإسلام أفرزت هذه النزاعات العديد من الأحاديث الموضوعة لرمي طائفة من الناس بسمة ما، تنفّر الآخرين منها، وتقصيها عن دائرة الإسلام والتوحيد، ولئن وضع الكثير من المحققين القدماء والمحدثين أناملهم علىٰ طائفة من هذه الأحاديث، إلا أنها ما زالت هي الأكثر رواجاً في تصنيف عدد غير قليل من الطوائف الإسلامية، الأمر الذي يستدعي المزيد من التحقيق في إرجاع كل شيء إلىٰ أصله.

ولسنا هنا في معرض الحديث عن الفرق الإسلامية، أو تقييم الصالح منها، أو الطالح، فهناك كتب ألفت علىٰ الفرق ونشأتها، وبينت كل المبادئ التي قامت عليها، إلا أن ما يهمنا هنا هو أن جل تلك الفرق استغلت حديث الفرقة الناجية وسيلة لتكوينها واستمراريتها، وزيادة إثبات أحقيتها، وكوسيلة أيضاً لرمي الطرف الآخر بما رمىٰ به الحديث المشار إليه، وهو أن الفرقة المحظوظة في الجنة، والبقية المنبوذة في النار، فأين يمكن أن يجد رؤساء وأساطين تلك الفرق وصفة متكاملة وذات مفعول قوي وسريع كمثل هذا الحديث.

يقول فضيلة الشيخ أحمد القطعاني عن هذا الحديث: إن حديث الفرقة الناجية يعتبر النص المقدس الأساس لكل فرقة إسلامية سياسية، أو قتالية، أو ثقافية ظهرت في البلاد الإسلامية قديماً أو حديثاً، فكل فرقة من هؤلاء تحرص على روايته وتلقينه لعناصرها على أنه نص ديني مقدس واجب النفاذ، لتقنعهم بأن من يسمون أنفسهم المسلمين هم ليسوا كذلك فعلاً، وإنما هم جزء من مجموع ثلاث وسبعون فرقة، كلها ضال في النار إلا واحدة فقط، هي فرقتهم وجماعتهم تحديداً الناجية التي تمثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه[1].

إن الكثير من المسلمين وعلى مستوى الجماعات المختلفة اليوم، وعلى اختلاف مستوياتهم الفكرية أو المعرفية يقيمون من حديث الفرقة الناجية جسراً للوصول إلى ما يهدفون إليه من تكوين جماعات خاصة بهم، تهدف لتكريس قناعة التفرق، ونبذ الآخر، وقد تجسدت واستقرت في أذهانهم، وترسخت نتيجة عوامل مختلفة، منها ما يرجع إلى الموروث الثقافي الإقصائي، نتيجة التعصب، وحب المذهبية، وعدم الاقتناع بالحوار، وعدم احترام وجهة نظر المخالف، ومنها عوامل خارجية غذتها مؤسسات هدفت -ولا زالت- إلى توسيع الهوة والفجوة بين المسلمين، وخلق نوع من التشتت بين أبناء المجتمع المسلم، فكان هذا الحديث مثل سم تم دسه في أطيب دسم، وهو العلم الشرعي، وأقصد به علم الحديث الشريف، المرجع والأساس الثاني بعد القرآن الكريم لدى المسلمين. هنا يشير فضيلة الشيخ أحمد القطعاني رضي الله عنه لهذه القوى، وهي إما قوى خارجية معادية هدامة، أو قوى داخلية سلبية ومنهزمة، حيث يقول: إن الإسلام بمنهجه الوسطي المعتدل بما يحويه من قيم الحب والخير ومد يد العون، وقبول الآخر بلا تفريط،

---

(1) الحب القذر، مرجع سابق، 78.

ولا إفراط، ولا إرهاب، هو وحده الذي يستطيع أن يقف ندّاً متفوقـاً بوجه هذه القوىٰ في جميع المجالات والميادين، وللأسف، وضعت هذه القوىٰ برنامجها لمجابهة الإسلام، وأهم أسلحتها هو تخلف المسلمين أنفسهم، مما يسهل عليها التلاعب بهم باسم الإسلام نفسه[1].

2. افتراق المسلمين:

إن هذه الرواية في هذا الحديث المزعوم شرّعت لتقسيم الأمة إلىٰ شيع وأحزاب، وهذا الصنيع أوقعنا فيما حذّرنا الله منه نحن المؤمنين، وتوعد عليه المشركين عندما قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2]. كما أنها جعلت من الرسول الرحيم عليه الصلاة والسلام مؤسِّساً للتفرقة بين الأمة، وحاشاه أن يكون كذلك، عندما نصت الروايات علىٰ نجاة فرقة بعينها وما خلاها هالك، وقسمت الأمة شطرين: شطر ناجٍ، وشطر هالك، بل مزقتها إلىٰ أشلاء تجاوزت السبعين، ومن وراء السبعين عدد لا يحصىٰ من التفرق والتحزب، وهذا مخالف لطبيعة الرسول الرؤوف، فقد كان يتألف الناس، ويحسن لهم القول، ويلين لهم الجانب[3].

---

(1) الكرامة الإسلامية، متطلبات الكرامة الإنسانية وعواقبها في النظام السياسي الإسلامي، أحمد القطعاني، طرابلس، 2016م، ص2.

(2) الروم: 30–32.

(3) قراءة في رواية الفرقة الناجية، خميس بن راشد العدوي، مؤتمر الوحدة الإسلامية وديعة محمد ﷺ، مملكة البحرين: 28 إلىٰ 30 ديسمبر 2007م.

إن النتائج المترتبة على الأخذ بأحاديث تناقض المبادئ السمحاء التي جاء بها القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1] يؤدي إلى زيادة تمزيق الأمة الواحدة، وفي ذلك نشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[2].

يقول فضيلة الشيخ أحمد القطعاني إن هذا الحديث المزعوم يخالف نص القرآن الكريم، وهو المعيار الحقيقي الأول، والميزان الدقيق لتقييم أي نص ينسب لدين الإسلام من حديث شريف أو رأي فقهي أو اجتهاد ديني، وأورد الآية السالفة الذكر، ويقول فضيلته: والله لا يخبرنا أننا الثلاث وسبعون فرقة متحاربة كلها ضالة، واجب قتلها وقتالها إلا واحدة مثالية مختارة، بل يؤكد لنا أننا أمة واحدة، وأعتقد أن كلمة واحدة لا تحتاج شرحاً لغوياً، لأنها لا تقبل الثنائية، ولا التعدد، كما يناقض هذا الحديث المزعوم بزاوية مائة وثمانين درجة فكرة الإسلام الجلية الناصعة في كل أوامره ونواهيه التي تحض على التآلف، والتحاب، والتآزر، والتآخي، كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[3][4].

ويقول العلامة أحمد القطعاني: أُمِرنا أن نعرض كل ما ينسب إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، على القرآن الكريم، فإن وافقه كان صحيحاً، وإلا رددناه، فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد الموثوق المحفوظ من كل تغيير أو تحريف بفضل الله

(1) آل عمران: 110.

(2) الأنبياء: 29.

(3) الشورى: 13.

(4) فضيلة الشيخ أحمد سالم القطعاني، **الحب القذر**، مرجع سابق، ص80.

وحده، حيث لم تترك مسؤولية حفظه لأحد من الخلق، نبيّاً كان أم صحابيّاً أم عالماً أم حاكماً أم سواهم، بل تكفل بها الله ﷻ بذاته الكريمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1] وعن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: إنها تكون بعدي رواة يروون الحديث، فاعرضوا حديثهم على القرآن، فما وافق القرآن فخذوا به، وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به. وهذا الحديث المشهور عند علماء الحديث باسم حديث العرض يكاد يكون من الأحاديث التي اتفقت عليها أقطاب الأمة الإسلامية المعاصرة، فقد رواه العديد من أهل السنة، والشيعة، والإباضية[2].

فلا يجوز أن يفترق المسلمون تحت شعارات حزبية، أو عصبية، أو مادية، أو غيرها، ولو تسمّت بالإسلام، فيعادي بعضهم بعضاً، ولا يوالي أحدهم ولا يحب إلا من كان منتمياً إلى حزبه أو جماعته، فتراه يستبيح غيبة مخالفه، ويسيء الظن به، ويصل الأمر إلى تكفيره وتبديعه وقتاله، ولا شك أن ذلك مما نهى الله عنه في قوله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

وقال تعالى محذراً من الوقوع في هذا الفخ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[4]. فهذا خطاب محذر لنا من شرور وعواقب الخلافات، والفتن،

---

(1) الحجر: 9.

(2) فضيلة الشيخ أحمد سالم القطعاني، **الحب القذر**، الطبعة الأولى، طرابلس، دار بشرى وكلثوم للطباعة والنشر والتوزيع، 2018م، ص32.

(3) آل عمران: 103.

(4) الأنعام: 65.

والتشتت، والفرقة التي يصفها لنا القرآن الكريم بوصف رباني بليغ، فيجعلها مماثلة للكوارث المروعة، كزلزال تسونامي، وإعصار ميانمار، وفيضانات بنغلاديش، وحمم براكين اليابان[1].

فالواجب أن يُعْلَم أن التعصب مقيت، ولهذا المعنىٰ السيئ حذر النبي ﷺ من فساد ذات البين، وبين خطرها، وأنها تحلق الدين الذي هو أعظم شيء عند المسلم، فسماها الحالقة، وهي التفرق والاختلاف المقيت، فعن أبيٰ هريرة ضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتىٰ تسلموا، ولا تسلموا حتىٰ تحابوا، أفشوا السلام تحابوا، وإياكم والبغضاء فهي الحالقة، لا أقول لكم: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)[2]. وعند الإمام الترمذي: (إياكم وسوء ذات البين، فإنها الحالقة)[3] ومعنىٰ قوله: «وسوء ذات البين» يعني العداوة والبغضاء، وقوله: الحالقة أي: «إنها تحلق الدين».

إن التمسك بمثل هذه الأحاديث الضعيفة السند، والمتعارضة المتن مع دستور المسلمين الأساس، وهو القرآن الكريم، ساهم، ولا يزال يساهم في إدخال الأمة في أتون دوامة من الاقتتال الفكري والمذهبي، ورغم الفهم السليم والصحيح لسلف الأمة للحوار والاختلاف، إلا أن هناك أيدي كثيرة من أعدائنا، وبعضها من أيدينا ليست بالخفية، وبعضها كذلك تعمل علىٰ إشعال الفتنة بين المسلمين والتضييق عليهم بجعلهم شيعاً وأحزاباً كل ذلك باسم الدين واتباع الصراط

---

(1) الحب القذر، مرجع سابق، ص80.

(2) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها.

(3) أخرجه الإمام الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع.

المستقيم. وكان الواجب على أولئك المفتونين أن يدرسوا سيرة وأقوال السلف في هذه المسألة، ومن ذلك ما روي عن الإمام أحمد أنه بلغه أن رجلاً صنف كتاباً في الخلاف، فقال أحمد: لا تسمه كتاب الاختلاف، بل سمه كتاب السعة. وكان بعض العلماء يقول: إن إجماعهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وكان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يقول: «ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول وخالفهم فيه رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا، فكان في الأمر سعة» وربما استند سيدنا عمر بن عبد العزيز في قولته هذه على الحديث النبوي الذي قال فيه المصطفى ﷺ: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)[1].

يقول الشيخ أحمد رضي الله عنه في كتابه الكرامة الإسلامية: متحدثاً عن الاختلاف وتوظيفه من قبل أطراف سياسية ومصالح فئوية ضيقة: المجتمع الذي يريد أفراده جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام، لا ينبغي أن يثير مثل هذه المسائل، كلنا أخوة، وكلنا نعيش قلباً واحداً، غاية الأمر أن المالكي يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعي والحنفي.. وهذا لا يبرر أبداً وجود الاختلاف، خصوصاً وأنهم أساتذة لبعض أئمة مذاهب السنة، ولا ينبغي أبداً أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تنافض، كلنا أخوة، وعلى الجميع اجتناب كل اختلاف، فالحقيقة التي لا تحب لك الأيدي الخبيثة أن تراها، هي أن الاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسنة ولا بالشيعة معاً، وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك، فهدفهم بث الفرقة بيننا، ولا ينبغي أن ننسى أننا جميعاً مسلمون، وأهل لشهادة التوحيد – رغم أنف السياسة، ومعارك المصالح– كل شيء، القرآن، وسنة النبي العظيم،

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده والإمام الطبراني في الكبير وابن ماجه في مسنده والحاكم في مستدركه.

والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وحب نبينا الكريم، وآل بيته الكرام... وما عداه هو خلاف حول فروع لا أصول[1].

3. إضعاف مفهوم الوطنية:

لقد شكل حديث الفرقة الناجية من جهة أخرىٰ طعناً في مفهوم الاستقرار والوطنية، فهو أفضل أداة تم ممارستها عبر القرون، وعبر تاريخ الإسلام لهدم الوطنية، مارسها أعداء الدين، سواء من الداخل أو الخارج بتفريق الأمة، وتفريق المفرق منها أصلاً، بدعوىٰ أن جل من يقول: لا إلا الله في النار، نعم، بهذا الوصف تماماً يوصف المخالفون، مخالفين الآيات الواضحة الدلالة، وصحيح الأحاديث المشهورة. وقالوا إن جزءاً من المسلمين ضئيل هم الفرقة الناجية، لكن عندما نرجع لتراث الشيخ أحمد القطعاني قدس الله روحه، وحسب ما رأيناه في مسيرة حياته، ومواقفه اتجاه هذا الأمر، ومعايشتنا له وأخذنا عنه، نجده رضي الله عنه لم يقف عنده مكتوفَ اليدين، فقد حرك قلمه كتابة للرد علىٰ هذا الفهم المخالف لقواعد الدين، وكلياته ومقاصده التي طعنت في وحدة ووطنية البلدان المسلمة، وتحرك داعياً بكل صنوف الدعوة المتاحة لديه حينها، وعلىٰ قِلَّتها، للتنبيه لخطورة هذا الأمر.

لقد ألغىٰ هذا النص مفهوم وحدة الأمة الواحدة الذي جاء الإسلام ليرسخه، ليس في الأمة الخاتمة فحسب، بل في إطار الإنسانية جمعاء، وذلك عندما اعتبر أتباع الرسل جميعاً أمة واحدة، ودعاهم إلىٰ عبادة ربهم ولزوم تقواه، ولكن، للأسف، وقعنا فيما وقعت فيه الأمم السالفة، ومضينا علىٰ سنة الأولين، فأخذت كل فرقة منا تدّعي أنها علىٰ الحق، وما سواها هالك في النار، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ

(1) الكرامة الإسلامية، مرجع سابق، ص6.

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾[1][2].

لقد أشار فضيلته إلىٰ معنىٰ الوطنية بوضوح، وأبان لنا أن من أهم العوائق التي تحول دون الكرامة الإنسانية في النظام السياسي الإسلامي في كتابه الكرامة الإسلامية، حيث يقول: بسبب عوامل وإحباطات اقتصادية، وثقافية، وسياسية، ودسائس خارجية غرباً وشرقاً، وفشل الأنظمة الإسلامية في توفير الكرامة الإنسانية فقد انتكس وعي المواطن، وأصبح مجرد آلة، فلا رأي حقيقي، أو إبداع له، أو مساهمة فعلية، لقد ساهم بالتالي المواطن في هذا التخلف، فتجد المئات من شبابنا الذين خيبوا آمالنا، قد شمروا سراويلهم واعتقوا لحاهم، وتجهزوا للحوار لمدة ساعات والعراك والاقتتال، وتكفير مخالفيهم في المذهب أو الطائفة أو الرأي، ودرسوا الكتب والمراجع المفرقة في التكفير أو المذهبية النابذة للآخر، الرافضة لفكره وقيمه، وربما حتىٰ وجوده، المنسوبة ظلماً وزوراً للإسلام، التي تفرق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني، والتي أخرجت من أكفانها، لا لأنها الصواب، بل لأنها تلائم أهدافاً مشبوهة، وما عادت صالحة في يومنا هذا[3].

إذا أردنا موقف الشيخ أحمد القطعاني من مفهوم الوطنية، يمكن القول أولاً: إن الشيخ القطعاني برز في حقبة كانت ليبيا تمر بتجاذبات قوية، بسبب السياسات التي تبناها النظام السياسي السابق في ليبيا، وخوض ذلك النظام في صراعات كان شعارها الظاهري الوطنية، لكن أثبت الوقت -كما يؤمن الشيخ نفسه- بأن شعارات النظام كانت شعارات زائفة، وليست حقيقة اتجاه الوطنية، ولذلك كان الشيخ

(1) المؤمنون: 51 – 53.

(2) قراءة في رواية الفرقة الناجية، مرجع سابق.

(3) الكرامة الإسلامية، مرجع سابق، ص11.

معارضاً لظاهرة التظليل والدعاية الفجة التي كان يدعمها النظام السابق، رغم أنه لم يكن موصوفاً، أو مشهوراً بمعارضته للنظام، ليس حبّاً في النظام، بل لانشغاله بالإصلاح والدعوة والتربية، وهي أهم عنده من أمور المعارضة، والخوض في مسالكها التي قد تشغله، وكشاهد على هذه الحقبة، فالشيخ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن له صدام مباشر مع النظام، ولكنه أقام تصوره عن الوطنية بطريقته الخاصة من خلال عدة مناشط تبناها، ومن خلال نشاطه الدعوي والصحفي، وحتى الفني والتربوي، بيد أن الشيخ كان كثيراً ما يبدي آراءه وفتاويه على العلن إذا استدعى الأمر ذلك، دون مجاملة أو محاباة.

قد جسد فضيلة الشيخ القطعاني مفهوم جهاد الكلمة، حيث أصدر مجلة صوفية هي الأولى من نوعها في ليبيا، وبعد الأحداث الدامية التي مرت بها ليبيا سنة 2011م لم يقف الشيخ أحمد القطعاني موقف المتفرج حيالها، بل قام بأول خطوة وهي إيقافه إصدار مجلة الأسوة الحسنة التي كان يديرها، والتي كان يصدرها، احتجاجاً على الأعمال الدامية في بلده، ولم يختزل الشيخ القطعاني الوطن في نظام، أو شخص معين، بل كانت مكانة الوطن بالنسبة له أكبر من أي ولاءات، مهما كان سطوتها أو جبروتها.

ولم يتوقف ناصحاً أو ناقداً لما آلت إليه الأمور بعد تلك الأحداث حتى تاريخ رحيله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة 2018م، كما نجد صورة الوطنية في الشيخ أحمد من خلال ما قام به في حياته من مشاريع أهلية تخدم العلم وتخدم الوطن والمواطن، من ذلك قيامه بإنشاء أول متحف أهلي في ليبيا سنة 2002م، وافتتاح أول مكتبة أهلية في ليبيا سنة 2001م، ثم تأسيسه لمهرجان طرابلس الدولي للمديح النبوي سنة 2003م، كما أحيا المسرح الليبي، وأوقد جذوته ليؤسس سنة 2004م فرقة غفران للأعمال الفنية والمسرحية.

كما أن للشيخ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ مواقف وطنية أخرى، فقد كان من أكثر العلماء في ليبيا حديثاً وتحذيراً من الخطر الصليبي التنصيري، ودوّن ذلك في عدة كتابات، وفي لقاءات صحفية وغيرها، منها ما نشر في موقع الجزيرة نت بعد مقابلة القناة معه، حيث تحدث فيها عن التنصير، وخطره الداهم على المسلمين، وتناول بالأرقام الكم الهائل من المسلمين، الذين يتم تحويلهم من الإسلام إلى النصرانية كل عام في آسيا وأفريقيا وغيرها من الأماكن[1].

كما بيّن ذلك في كتابه: «الحجة المؤتاة» حيث ذكر أن ثقل الإسلام وكثافته تقع في قارتي أفريقيا وآسيا، ولهذا فإنه تجري حالياً بدهاء وصمت محاولة للالتفاف حوله وتقليصه شيئاً فشيئاً، تمهيداً للقضاء عليه بزعمهم، ناهيك عما يجري من محاولات لاحتواء المسلمين المهاجرين أو الوطنيين في أوروبا وأمريكا، ولا يخفى أن الإسلام اليوم يواجه أشد الهجمات شراسة، فالنصرانية واليهودية والملاحدة اتفقوا –على اختلافهم– على الكيد للإسلام والمسلمين[2]. ويفرق رَحِمَهُ اللَّهُ بين التبشير والتنصير، حيث يقول: إن التبشير شيء، والتنصير –الذي هو بذل الجهود واستغلال الظروف لتغيير دين المسلمين إلى المسيحية– شيء آخر، نرفضه وندينه بشدة[3].

إننا نلاحظ أولئك الذين ينشدون ويسعون إلى افتراق الأمة الإسلامية وإضعاف الوطنية فيها، يتبنون أحاديث تجمع ولا تفرق، كمثل هذا الحديث الذي نتناوله، ولعلنا هنا نشير إلى ما ألفه فضيلة الشيخ أحمد القطعاني قدس الله سره لكتابه النفيس، ذلك الذي أشار فيه لحديث الرحمة المسلسل بالأولية، وهو خير

---

(1) لقاء تلفزيوني مع فضيلة الشيخ أحمد سالم القطعاني، التنصير في أفريقيا، قناة الجزيرة الفضائية، 2000م.

(2) الحجة المؤتاة، أحمد القطعاني، طرابلس، ليبيا: مكتبة النجاح، 1992م، ص11.

(3) خصائص السيرة النبوية الشريفة، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2007م، ص8.

رد علىٰ هذه الدعوات المفرقة، ففي هذا الكتاب، وهو عبارة عن ثبت ليبي يخص حديث الرحمة، ويوطن فيه هذا الحديث علىٰ شهرته في بلاد الإسلام ومراجع الحديث، وفي طيات مقدمته ذكر سبب التسمية، وكونه نوّار الذي يعرف في كل دول المغرب العربي بجماله ويقول: «خصائصها تحملها قسوة الظروف ونجاح زراعتها بكل قوة وثقة»، في إشارة لدور قيم الأحاديث النبوية التي يسعىٰ لزرعها في ظروف البلاد الصعبة، ولكنه كله ثقة في نجاح زراعتها... وهي، في الحقيقة، مسعىٰ كريم منه كرد عملي، وتلميح مليح علىٰ بطلان حديث الفرقة الناجية، وتوحيد لشعوب مسلمة جمعتها الجغرافيا والتاريخ، ورابطة الدم والدين، وأقصد بها الدول المغاربية، يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليت من جعلوا دين الإسلام دماءً، وقتلاً، وغدراً، وتفجيراً، وذبحاً، ورعباً، جلسوا بين أيدي العلماء الربانيين، لا لحلقات مشايخ السوء» في إشارة لمضمون هذا الحديث[1].

ولعل أول ما يسمعه الشيخ القطعاني لطلابه ومريديه هو حديث الرحمة المسلسل بالأولية، لتترسخ هذه القيمة فيه، وليفهم أن الرحمة أساس ككل العلوم، سيما حديث النبي، وهو الرحمة المطلقة ﷺ، ولذا فهو يوطن هذا الحديث الشريف بقيمه النبوية بين الليبيين، ليكون أساساً لتلقيه للعلوم، ليكون أساساً لوجود هذه القيمة كعامل يدعم ويعزز الوطنية والهوية ويحملها علىٰ التلاحم بالرحمة المطلقة، بالمقابل نبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما سبق ذكره لأحاديث التفرقة، كمثل هذا الحديث الذي نبحثه، وقال فضيلته ناصحاً -بعد أن عرض لتجارب دول وخبرات شعوب في تنمية الوطنية لدىٰ أبنائها-: يا بني وبنيتي! إنك لست أقل من أولئك ممن ذكرنا في شيء، كما أحب أن أضيف حديثاً شريفاً قاله حبيبك رسول الله ﷺ

(1) نوار العشية أسانيدنا في الحديث المسلسل بالأولية، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص3.

يعلمنا به الدرس الأول في حب الوطن والعناية به، فأرضك مسجد كبير ينبغي أن نتعبد فيه بالصيانة والرعاية والتعمير، لا الفساد والتدمير. وأورد الحديث، وهو: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[1].

4.انتشار التكفير:

من أخطر الظواهر التي ألمت بنا وابتليت بها الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً ظاهرة تكفير الآخر وإخراجه من الملة، فأصبحنا نرى أناساً لا كلام ولا هم لهم إلا تكفير المسلمين، بل واستباح البعض منهم دماء الآخرين بدعوى خروجهم عن الملة ومروقهم من الدين، فالله المستعان، يا ترى من أين غذيت هذه الظاهرة؟ وكما نقلنا قول فضيلة الشيخ أحمد قدس الله سره آنفاً في الفقرة السابقة، نجد التكفير أحد النواتج مضافاً للتفريق بين المسلمين، حيث قال: تجد المئات من شبابنا الذين خيبوا آمالنا، قد شمروا سراويلهم، واعتقوا لحيهم، وتجهزوا للحوار لمدة ساعات، والعراك والاقتتال، وتكفير مخالفيهم في المذهب أو الطائفة أو الرأي، ودرسوا الكتب والمراجع المفرقة في التكفير أو المذهبية النابذة للآخر، الرافضة لفكره وقيمه وربما حتى وجوده، المنسوبة ظلماً وزوراً للإسلام، التي تفرق ولا تجمع وتهدم ولا تبني[2].

لقد نشأ التكفير في الأمة من عوامل مختلفة، وأصبح التكفير من السهولة واليسر أن يطلق على المخالف في مسائل فرعية من الاعتقاد لا يترتب عليها إيمان أو كفر حتى وصل الأمر بالتكفير في مسائل خلافية، زج بها في هذا الأمر الخطير، ولويت أعناق بعض الأدلة القرآنية وبعض الأحاديث الصحيحة أو الضعيفة،

---

(1) لماذا أبكيتم عصام، أحمد القطعاني، الطبعة الأولى، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص13.

(2) الكرامة الإسلامية، مرجع سابق، ص11.

لإخراج أكبر قدر ممكن من الأمة المسلمة من دائرة الإيمان، يقول المصطفىٰ ﷺ مشنعـًا تكفيرَ المسلم: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما)[1].

فحكم التكفير يحتاج لنظر مستفيض وشروط حددها العلماء، من أهمها: ثبوت أن قوله، أو فعله، أو تركه كفر من دلالة الكتاب والسنة الصحيحة، وثبوت قيامه بالمكلف، فلا يحق الرمي بالكفر لمجرد الظن، ثم بلوغ الحجة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2]. وأخيراً قالوا بشرط العلم، فلا بد أن يكون عالمـًا بمخالفته التي أوجب من خلالها إطلاق حكم الكفر عليه، قال حجة الإسلام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 505هـ) في كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة: «ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة، أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد»[3].

إن مصطلح التكفير يعني وصف المسلم بالكفر، وهو حكم شرعي، وهو حق لله تعالىٰ، ولا يثبت إلا بنص صريح أو قياس علىٰ نص صحيح بشرط توافر الشروط وانتفاء الموانع، وهو ليس بالبساطة التي نرىٰ انتشارها اليوم، ولقد ساهم تطبيق هذا الحديث المزعوم، للأسف، في انتشار ظاهرة التكفير، فكل من ليس بالفرقة الناجية هم في النار، أي: من الكفار.

ولذا شكل هذا الحديث مورداً سهل الوصول، ودليلاً واضح الدلالة لمن أراد رمي الآخر المخالف بالكفر، بدون عناء أو جهد في التأويل، فالنص واضح بأن كل مخالف للفرقة الناجية ولما جاء به النبي ﷺ مصيره النار، ولذا سهل علىٰ كثير من

(1) متفق عليه.

(2) الإسراء: 15.

(3) نداء الإيمان، رضوان سليمان حمدان، دار المأمون للنشر والتوزيع، الاردن، 2012م، ص87.

الفـرق أن تكفـر بمجـرد ارتكـاب الـذنوب، فضـلاً عـن التكفيـر في مسـائل تتعلـق بالاعتقاد أو المسميات لمن يخالف رأيها واسمها ونظرتها التي تراها طبعـًا.

5. انتشار ظاهرة الإرهاب:

الإرهاب ليس مصطلحـًا حـديثـًا بـل مصـطلح تطـوّر عـبر التّـاريخ، ويعنـي بـثّ الخوف والرّعب في نفوس المسلمين، وهو ما تفعله الفرق التي تتوالىٰ كل عقد مـن الزمن تقريبـًا، مثل القاعدة وداعش وغيرها، فمن النتائج الوخيمة التي أفرزها الفكر التكفيـري كمـا مـر بنـا آنفـًا انتشـار ظـاهرة الإرهـاب التـي أصـبحت أخطـر الظـواهر المعاصـرة، والتـي تهـدد الأفـراد والمجتمعـات اليـوم في كـل أرجـاء العـالم، وهـذه الظاهرة الخطيرة تعد من الظواهر التي غذيت من الفكر التكفيري المنحرف، وبنـت الجماعات الإرهابية في كل أصقاع العـالم فكرهـا علىٰ تكفيـر المخـالفين، ورمـيهم بالضلالة كمرحلة أولىٰ ومن تم وجوب قتالهم لأنهم خـارجون عـن الملـة كمرحلـة ثانية، إنه القتل باسم الدين والصراع من أجل السيادة، مـن خـلال إخـراج المخـالف مـن دائـرة الإسـلام، وبـالطبع، لجـأ أصـحاب الفكـر الإرهـابي لنصـوص دعمـوا بهـا موقفهم، ومن بينها هذا الحديث موضع البحث.

يقول فضيلة الشيخ أحمد القطعاني: كـل الفـرق الإسـلامية قـديمـًا وحـديثـًا بـلا استثناء، والفتن والحروب منذ تلك التي خاضها عتاة الأعراب ضد سيدنا أبـي بكـر الصديق والمشهورة باسـم حـروب الـردة، إلىٰ مـا يجـري الآن في العـراق والجزائـر والمغرب ولبنان وليبيا والصومال وسواها من سفك دماء وهتك أعراض، وخطـف وقتـل ومجـازر، كلهـا يتعلـل أصـحابها بنصـوص حديثيـة منسـوبة لرسـول الله ﷺ يبررون بها ما يرتكبون من أفعال مشينة[1].

(1) الحب القذر، مرجع سابق، ص77-78.

لقد شوه أبناء من هذه الأمة -بدعوة التمسك بأحاديث معينة- نقاء وصفاء هذه الأمة العظيمة، فأصبح ينسب الإرهاب اليوم -أكثر ما ينسب- للمسلمين، وأصبح المسلم المتهم رقم واحد في العالم فقط لأنه مسلم، وكل ذلك سببه الأفهام الخاطئة والضيقة والمخالفة لقواعد الدين الحنيف دين الرحمة والعدالة والرفق، والحديث عن الإرهاب يقودنا إلىٰ الحديث عن التشدد في الدين الذي تزامن مع وجود الإرهاب وكلاهما وجهان لعملة واحدة، وهي الغلو والتنطع في الدين والتي حذر الرسول ﷺ منها، فقال: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[1]. يقول فضيلة الشيخ أحمد القطعاني في استخدام هذا الحديث: بذلك يجوز لكل عنصر من المخالفين الذين يمثلون الثلاث والسبعين مخالفة، أو تكفير، وحتىٰ قتل باقي المسلمين، والفتك بهم، وترويعهم، وتفجيرهم بالسيارات المفخخة، واستباحة أعراضهم وأموالهم، لأنهم مارقون عن الدين جزاؤهم في الدنيا القتل، وفي الآخرة جهنم والعذاب الشديد، وأن الناجي الوحيد هو فرقته الناجية التي ينتمي إليها كما تأكد له من الحديث المذكور[2].

و. الخاتمة:

1. شكل حديث الفرقة الناجية المزعوم مرجعية متاحة للفرق الإسلامية، واستغلت هذا الحديث وجعلته وسيلة لتكوينها واستمراريتها وزيادة إثبات أحقيتها، ولرمي الطرف الآخر بما رمىٰ به هذا الحديث، كما قال فضيلة الشيخ أحمد القطعاني: إن حديث الفرقة الناجية يعتبر النص المقدس، والأساس لكل فرقة

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(2) الحب القذر، مرجع سابق، ص78

إسلامية سياسية، أو قتالية، أو ثقافية ظهرت في البلاد الإسلامية قديماً أو حديثاً، فكل فرقة من هؤلاء تحرص على روايته وتلقينه لعناصرها على أنه نص ديني مقدس واجب النفاذ، لتقنعهم بأن من يسمون أنفسهم المسلمين هم ليسوا كذلك فعلاً، وإنما هم جزء من مجموع ثلاث وسبعون فرقة كلها ضال في النار إلا واحدة فقط، هي فرقتهم وجماعتهم تحديداً الناجية التي تمثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

2. ساهم حديث الفرقة الناجية في زيادة افتراق المسلمين، فكل فرقة لا تقبل الفرق الأخرى وترى أنها على حق وغيرها على باطل، وكما قال فضيلة الشيخ أحمد القطعاني: إن هذا الحديث المزعوم يخالف نص القرآن الكريم، وهو المعيار الحقيقي الأول، والميزان الدقيق لتقييم أي نص ينسب لدين الإسلام من حديث شريف، أو رأي فقهي، أو اجتهاد ديني، فالله لا يخبرنا أننا ثلاث وسبعون فرقة متحاربة كلها ضالة، واجب قتلها وقتالها إلا واحدة مثالية مختارة، بل يؤكد لنا أننا أمة واحدة، وأعتقد أن كلمة واحدة لا تحتاج شرحاً لغوياً، لأنها لا تقبل الثنائية، ولا التعدد.

3. إن التمسك بمثل هذه الأحاديث الضعيفة السند، والمتعارضة المتن مع دستور المسلمين الأساس، وهو: القرآن الكريم ساهم، ولا يزال يساهم في إدخال الأمة في أتون دوامة من الاقتتال الفكري والمذهبي، ورغم الفهم السليم والصحيح لسلف الأمة للحوار والاختلاف، إلا أن هناك أيادي كثيرة من أعدائنا وبعضها من أيدينا ليست بالخفية، تعمل على إشعال الفتنة بين المسلمين والتضييق عليهم بجعلهم شيعاً وأحزاباً، كل ذلك باسم الدين، واتباع الصراط المستقيم، قال فضيلة الشيخ أحمد في كتابه الكرامة الإسلامية متحدثاً عن الاختلاف وتوظيفه من قبل أطراف سياسية ومصالح فئوية ضيقة: المجتمع الذي يريد أفراده جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام، لا ينبغي أن يثير مثل هذه المسائل، كلنا أخوة، وكلنا نعيش قلباً واحداً.

4. ساهم هذا الحديث في إضعاف مفهوم الوطنية، فهو أفضل أداة تم ممارستها عبر تاريخ الإسلام لهدم روح الوطنية، مارسها أعداء الدين سواء من الداخل أو الخارج، ولقد أشار فضيلة الشيخ أحمد القطعاني إلىٰ معنىٰ الوطنية بوضوح وحدد أهم العوائق التي تحول دونها، وأهمها تراكم إحباطات اقتصادية وثقافية، وسياسية، ودسائس خارجية غرباً وشرقاً، وفشل الأنظمة الإسلامية في توفير الكرامة الإنسانية، فقد انتكس وعي المواطن وأصبح مجرد آلة، فلا رأي حقيقي، أو إبداع له، أو مساهمة فعلية، كما ساهم بالتالي المواطن في هذا التخلف، فتجد المئات من شبابنا الذين خيبوا آمالنا، قد شمروا سراويلهم واعتقوا لحاهم، وتجهزوا للحوار لمدة ساعات، والعراك، والاقتتال، وتكفير مخالفيهم في المذهب، أو الطائفة، أو الرأي، ودرسوا الكتب والمراجع المفرقة في التكفير، أو المذهبية النابذة للآخر، الرافضة لفكره وقيمه، وربما حتىٰ وجوده، المنسوبة ظلماً وزوراً للإسلام، التي تفرق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني، والتي أخرجت من أكفانها، لا لأنها الصواب، بل لأنها تلائم أهدافاً مشبوهة، وما عادت صالحة في يومنا هذا.

5. من النواتج لهذا الحديث انتشار التكفير، فشكل هذا الحديث مورداً سهل الوصول، ودليلاً واضح الدلالة لمن أراد رمي الآخر المخالف بالكفر بدون عناء أو جهد في التأويل، فالنص واضح بأن كل مخالف للفرقة الناجية ولما جاء به النبي ﷺ كما يزعمون بأن مصيره النار.

6. من النتائج الوخيمة التي أفرزها الفكر التكفيري انتشار ظهرة الإرهاب، يقول فضيلة الشيخ أحمد القطعاني: كل الفرق الإسلامية قديماً بلا استثناء والفتن الحروب منذ تلك التي خاضها عتاة الأعراب ضد سيدنا أبي بكر الصديق والمشهورة باسم حروب الردة، إلىٰ ما يجري الآن في العراق والجزائر والمغرب

ولبنان وليبيا والصومال وسواها من سفك دماء وهتك أعراض وخطف ومقتل ومجازر، كلها يتعلل أصحابها بنصوص حديثية منسوبة لرسول الله ﷺ، يبررون بها ما يرتكبون من أفعال مشينة، ويقول فضيلته: بذلك يجوز لكل عنصر من المخالفين الذين يمثلون الثلاث والسبعين مخالفة أو تكفير، وحتىٰ قتل باقي المسلمين، والفتك بهم، وترويعهم، وتفجيرهم بالسيارات المفخخة، واستباحة أعراضهم وأموالهم، لأنهم مارقون عن الدين جزاؤهم في الدنيا القتل، وفي الآخرة جهنم والعذاب الشديد، وأن الناجي الوحيد هو فرقته الناجية التي ينتمي إليها، كما تأكد له من الحديث المذكور.



أثر اشتغال العلامة القطعاني بالسنة وإسنادها في إرساء قيم الانتماء وترسيخ الهوية الليبية «الحديث المسلسل بالليبيين» أنموذجاً

أ. أسامة علي بن هامل



تكشف قائمة مؤلفات العلامة أحمد القطعاني عن مشاركته ومساهمته الواسعة، في علوم الحديث والسنة، تحديثاً ودرساً وإسناداً، فقد احتوت على ثمانية كتب[1] في هذا الحقل المعرفي، تنوع اشتغاله فيها في عدة اتجاهات، لكن يمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات متداخلة ومتكاملة: في التأريخ، والإسناد، والتحديث.

وقد يعين هذا التحديد في أبعاده الثلاثة الباحث على رسم ملامح خارطة الاشتغال الحديثي لدى شيخنا، من خلال كتبه التي بينت جهوداً غير مسبوقة في

---

(1) هي: كرائم المسلسلات، وغنائم المسلسلات، ونوار العشية أسانيدنا في حديث الرحمة المسلسل بالأولية، أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، الأربعون العيساوية، إجازة في الأربعين القادرية، الإجازات العشر، ثلاثيات البخاري طرابلس وبنغازي وأوباري.

ينظر للاطلاع على قوائم عناوين كامل كتب الشيخ:

أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، ط1، 2021م، ج2، ص 510 وما بعدها.

موسوعة القطعاني، الإسلام والمسلمون في ليبيا، أحمد القطعاني، دار الغريب، القاهرة، ط1، ج 4، ص 320 وما بعدها.

إحياء مدرسة الحديث الشريف الليبية، ووصل أسانيدها، وربطها بمحيطها العربي والإسلامي، وأخرىٰ ركزت اهتمامها علىٰ التأريخ للطبقة الأولىٰ ممثلة في الصحابة الكرام الذين دخلوا إلىٰ ليبيا أو دُفنوا فيها، واستمر هذا التركيز في كتب أخرىٰ توفرت علىٰ كم كبير من تراجم أعلام هذا العلم من الليبيين، توازيًا مع جهود أخرىٰ ذهب فيها للمشاركة في جهود الدفاع عن السنة والحديث الشريف، من خلال عشرات المقالات ناقش فيها نصوصًا حديثية علىٰ صلة بالواقع الليبي والعربي والإسلامي، وفق قواعد المحدثين وطرقهم في نقد الحديث.

لكني قد أُلفِت، في إطار اهتمامي برصد ملامح مشروع شيخنا الوطني والفكري، إلىٰ مضامين توفر عليها اشتغاله في حقل علم الحديث والسنة الشريفة علىٰ صلة بجهوده الأخرىٰ الهادفة إلىٰ إرساء قيمة الانتماء وترسيخ الهوية الليبية، يؤكدها قوله: «لقد قضيت ردحًا طويلاً من عمري أجري خلف الأسانيد الليبية للسادة المحدثين الليبيين داخل وخارج ليبيا، أضعها نصب عيني حيثما حللت حتىٰ جمعتها - بفضل الله وعونه -، ورجعت بها من دار هجرتها إلىٰ موطنها الأصل، والله أسأل ألا تهاجر من عندنا مرة أخري»[1]، وفي عدة مواضع أخرىٰ يشير إلىٰ جهوده في توطين الأسانيد الليبية بين طلابه الليبيين، يقول: «جمعت أسانيد المحدثين الليبيين الأوائل، ووصلت من أخذ عنه بهم، فحفظ بفضل الله بذلك تاريخ محدثي ليبيا وجهدهم من الضياع»[2]، وأيضًا جمع «الأسانيد من دول عدة وسماعات حديثية عالية كثيرة بعضها أندر ما يكون مستهينًا بالتعب والجهد والمال والمشقة حتىٰ غرس جذورها في ليبيا وأورقت وأثمرت، وعقدت مجالس سماع الحديث الشريف ناشراً علومه دراية ورواية علىٰ الآخذين والراغبين داخل

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 50.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 48.

ليبيا وخارجها، وكتبت الإجازات وبذلت جهدي للتوسع في ذلك حتىٰ تجاوز عددهم المئات ذكوراً وإناثاً»[1].

وفي وضوح لتأكيد هذا الهدف لديه، قوله: «ووثقت اسم بلدي ليبيا بين دول الحديث الشريف بعد أن اختفىٰ، أو كاد، علم الحديث وإسناده في ربوعها، فصار طلاب الحديث من بقاع مختلفة يقصدوننا ويقصدون تلاميذنا وتلاميذهم بها للأخذ والرواية وطلب الإجازة»[2]، وفي إطار جهوده الحديثية المتصلة بإحياء الليبيين المحدثين، يقول: «ووفقني الله تعالىٰ إلىٰ الوصول إلىٰ أسانيد ليبية توارت وعفىٰ عليها الزمن وكادت تموت»[3]، وذكر منها سند علي بن زياد الطرابلسي، وعبد الله الشعاب، ومحمد الخروبي، ومحمد الحطاب، وغيرهم، وهي شخصيات ليبية توسع في بحث أسانيدها وتاريخها في عدة فصول في ثبته الكبير «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر».

ولست في مقام التوسع في الحديث عن مشروعه الفكري والوطني الذي قد تبينه قائمة مؤلفاته التي زادت عن الثمانين، أرخ فيها ووثق كل ما هو ليبي، بداية من التأكيد علىٰ عمق جذور وجود العلوم الإسلامية في ليبيا، مروراً بتحقيق المخطوط الليبي، والغوص عميقاً في ذهنيات الأدب الليبي، مفرداً له كتباً ومقالات ومحاضرات ودروسا، لكن ما لفت انتباهي تركيزه، في إطار أعماله في حقل الحديث الشريف وإسناده، علىٰ «الأسانيد الليبية للسادة المحدثين الليبيين»، ما يعكس

(1) ترجمة الشيخ علىٰ صفحته الرسمية (موسوعة القطعاني):
https: //www.facebook.com /alqatani.encyclopedia /photos /a.330910403656535 /9041.51849665718

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 48.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 49.

انشغاله بقضية الهوية والانتماء، وأكثرها قرباً لهذه القضية عمله على استخراج «المسلسل بالليبيين» في إطار مشاركته ومساهمته في حقل «الاستخراجات» الحديثية، وهي كثيرة، خصوصاً في ثبته الكبير «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر».

والملاحظ أن قضية إرساء قيمة الانتماء وتعزيز الهوية الليبية، قضية انشغل بها في أكثر كتبه، ففي بعضها عمل على إثبات دور العلماء والزوايا في البلاد في ترسيخ قيم مجتمعية حافظت على ترسيخ وتعزيز الانتماء، بل وشدد على ضرورة التمسك بها، خصوصاً في عصرنا الذي تشتد فيه «الحملة على إسلامنا الذي بات يصور كرديف للإرهاب في الإعلام العالمي، فهي تتزايد يوماً عن يوم بسبب من يعتقد أن قتل الأبرياء دينٌ وعبادةٌ مقبولةٌ ثوابها الجنة عند رب الخلق جميعاً، سبحانه الذي خلق خلقه وحرم قتلهم، وعروبتنا التي صارت تتآكل بسبب أجيال وأجيال يعيشون في الغرب بعقولهم، وبيننا بأجسادهم»[1].

وكنتاج لاهتزاز القيم في المجتمع الليبي يقول: «صرنا نسمع الحدث الذي لا يحسن قراءة سورة الفاتحة، يتطاول على القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأصول الفقه وفروعه، مفسراً وشارحا»[2]، وهاجم «أدعياء الحداثة» بقوله: «إن الدين أو التحضر لا يكون بهدم القيم، كما ليس لنا أن ندوس تراثنا الإنساني القويم، والأجانب عن ثقافتنا من مسلمين وسواهم الذين تتخذون أعمالهم أسوة وتصرفاتهم قدوة مستشهدين بما قالوه أو وصلوه، لا يفعلون ذلك»[3].

(1) أكذوبة الدعوة للإسلام، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص 38.

(2) نفس المصدر، ص 52.

(3) نفس المصدر، ص 53.

وفي أولى الملاحظات التي يسجلها الباحث في طريقة انشغال شيخنا بهذه القضية، أنه يجعل الإسلام أول مقوماتها، فليبيا قبل دخول الإسلام إليها كان سكانها يدينون بأديان عديدة، ولم يجتمعوا على دين واحد إلا بعد دخوله لها على يد الفاتحين الأول، وعلاوة على ذلك فقد كان من العوامل المهمة للوحدة الثقافية التي جمعت سكان البلاد، بسبب خلوه من الطبقية وإعلائه لقيم التسامح والمساواة وحماية الحقوق، ولذا نجح الفاتحون الأول في وضع أسس تشريع ينظم العلاقة بين الفرد والدولة، وهي أسس سنبينها في دراستنا لـ«المسلسل بالليبيين»

الحديث المسلسل:

يعرف الحافظ ابن الصلاح الحديث المسلسل بأنه: «تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحداً بعد واحد، على صفة أو حالة واحدة»[1]، واعتنى المحدثون بالأحاديث المسلسلة وصنفوا فيها الكتب حتى بلغ عددها مائتي كتاب منذ القرن الرابع وحتى عصرنا هذا[2]، لكنهم يتفقون على تقسيمها على مسلسلات بالفعل ومسلسلات بالقول أو بهما معاً.

وتكاثر اهتمام المحدثين باستخراجها، فمنها المسلسل بالدمشقيين، وبالمصريين، والمكيين، والمدنيين، والمغاربة، والمشارقة، والفاسيين، والأفريقيين، والعراقيين[3].

---

(1) معرفة أنواع الحديث، عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، تحقيق نور الدين العتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1986م، ص 275.

(2) المسلسلات عند المحدثين، عبد اللطيف الجيلاني، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2003م، ص 93.

(3) سرد منها المسند المحدث محمد ياسين الفاداني الكثير في كتابه: العجالة في الأحاديث المسلسلة، محمد ياسين الفاداني، دار البصائر، دمشق، 1985م، ط2.

الحديث المسلسل بالليبيين:

افتتح شيخنا حديثه عن هذا المسلسل بشرح طريقة عمله فيه، فقال: «وفقني الله فأوجدت الحديث المسلسل بالليبيين، وأخرجته إلىٰ الوجود، وها هو اليوم يتسابق أهل الحديث في طلب الإجازة، والتسلسل به تسابق الأبرار إلىٰ جنة الأطهار»[1]، فنجده قد قرن عمله هذا في مجالين من مجالات عمل المحدثين، وهما الوجادة والاستخراج، فالحديث الذي ينتهي إليه هذا المسلسل «لم يرو منفرداً بالتسلسل»[2]، لكنه يرويه ضمن روايته لسنن الترمذي «والذي فعلته أنني جردت متنه عنها مبقيا علىٰ السند»[3]، ووصله بأسانيده الليبية في أوله، مارّاً علىٰ «اثنين من رجال السند أقاما في ليبيا لفترة»[4]، ليتصل في آخره بالصحابي رويفع الأنصاري دفين مدينة البيضاء في ليبيا.

أما هدفه من استخراج هذا المسلسل فهو «حباً وإعظاماً وإجلالاً وإكراماً لحديث رسول الله ﷺ وآله، وطلباً لبركة تسلسل حديثه الشريف أن تحل في ديارنا»[5]، و«رجاء منقبة وخصوصيةٍ مميزةٍ لهذا البلد الطيب ليبيا، واقتداءً بإخواننا في بقاع الإسلام حفظها الله، الذين أوجدوا مسلسلات تحمل أسماء بلدانهم العامرة، فإنني أسأل الله أن أكون مأذوناً منه ﷺ في إظهار الحديث المسلسل بالليبيين إلىٰ الوجود»[6].

---

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 50.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 51.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) كرائم المسلسلات، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2016م، ص 70.

(5) نفس المصدر، ص 69.

(6) نفس المصدر، نفس الصفحة.

إذاً، هو مسلسل ليبي استخرجه شيخنا، مذكراً بـ «أننا تأخرنا بما فيه الكفاية عن التلبس بهذه المزية، ويكفي أن يكون في سندنا أعلام أفذاذ لنستعيض عن وفرة العدد بالمعدود، وسيزداد عدد رواة السند إن شاء الله مع السنين ليكونوا هم غالبيته»(1)، منبهاً على وجود مسلسلات حديثية بالمكيين، والشاميين، والمصريين، وغيرهم بأنها: «أسماء قديمة وجدت قبل ومع الإسلام، أما اسم ليبيا فلم يبرز إلى الوجود في عهدها الإسلامي إلا سنة 1910م، عندما وقعت تركيا وفرنسا اتفاقية الحدود الموجودة الآن فعليّاً بين ليبيا وتونس، أما قبلها فقد سميت بأسماء كثيرة»(2).

سند الحديث المسلسل بالليبيين، ومتنه:

استخرج شيخنا هذا المسلسل بسندين مختلفين، الأول بست وسائط ليبية، وهو:

هو: أحمد القطعاني الليبي، عن الشيخ محمد نور الدين بريون الليبي، عن الشيخ أحمد بن إدريس عابد السنوسي الليبي، عن الشيخ أحمد الشريف السنوسي الليبي، عن الشيخ عمران بن بركه الفيتوري الليبي، عن الشيخ أحمد بوطبل الورفلي الليبي(3).

والثاني بثمانية وسائط ليبية، وهو:

أحمد القطعاني، عن الشيخ محمد صباكة، عن الشيخ علي أمين سيالة، عن الشيخ محمد الضاوي، عن الشيخ محمد عبد الله البوسيفي عيون الغزال، عن

---

(1) نفس المصدر، ص 71.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

الشيخ أحمد بن محمد النعاس، عن الشيخ محمد عبد الحفيظ النعاس، عن الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري[1].

ويروي بوطبل الورفلي، عن أحمد، عن الشيخ نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد العدوىٰ الصعيدي المالكي، عن الشيخ الشمس محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، عن الشيخ حسن بن علىٰ العجيمي المكي.

وعبد السلام بن عثمان التاجوري، عن الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري المدني.

وحسن بن علي العجيمي المكي وإبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري كلاهما، عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي، عن الشيخ أحمد بن علي الشناوي، عن والده الشيخ علي بن عبد القدوس الشناوي، عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن الشيخ زكريا بن محمد الفقيه، عن العارف بالله الشيخ محمد زين الدين المراغي العثماني، عن الشيخ شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي العقيلي، عن الشيخ المسند أبي الحسن علي بن عمر الواني، عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، عن شيخ الشيوخ عبد الوهاب بن علي بن سكينة البغدادي، عن الشيخ أبي الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي، عن الشيخ الحافظ أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، عن الشيخ أبي محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراحي المروزي، عن الشيخ أبي العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبي المروزي، عن الحافظ أبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي صاحب الجامع الصحيح، قال: حدثنا عمر بن

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 53.

حفص الشيباني البصري، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرنا يحيىٰ بن أيوب عن ربيعة بن سليم، عن بشر بن عبيد الله الحضرمي، عن رويفع بن ثابت الأنصاري، عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، قال:

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره)[1].

وإضافة لرجال السند الليبيين، فقد تضمن أيضا الشيخ الأكبر محيي بن عربي، والتابعي بشر بن عبيد الله الحضرمي اللذين أقاما في ليبيا.

وسنختار في دراستنا هذه السند الأول، فمن هم الليبيون في هذا السند:

1 – أحمد القطعاني:

ترجم لنفسه بتوسع في العديد من كتبه، أعلام الطريقة العيساوية[2]، موسوعة القطعاني[3]، أوبة المهاجر وتوبة الهاجر[4].

2 – محمد بريون:

العالم والأديب الطرابلسي، وناشر الكتب العروف الشيخ محمد نور الدين بريون، ولد بطرابلس عام 1924م، وأخذ العلم عن علمائها في عدة زوايا ومساجد، أبرزهم الشيخ مختار حورية، والشيخ أبوبكر بن الطيف، والشيخ عمر الجنزوري.

---

(1) عقب الشيخ علىٰ الحديث في كرائم المسلسلات وأوبة المهاجر بأنه "أخرجه إضافة إلىٰ الترمذي الذي حسنه كل من أحمد وأبو داود والدارمي وابن أبي شيبة والطبراني والبيهقي والضياء المقدسي وابن حبان وصححه والبزار وحسنه، وهو الذي عليه العمل في المذهب المالكي".

(2) أعلام الطريقة العيساوية، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2019م، ص 301 وما بعدها.

(3) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج4، ص 199 وما بعدها.

(4) أوبة المهاجر، مصدر سابق.

تحصل في عام 1945م على شهادة كفاءة التعليم وعين مدرساً، ورغم ممارسته لأنشطة عديدة، منها: الصحافة إذ أصدر صحيفة (صوت المربي) عرف من خلالها في الأوساط الثقافية بلقب رافعي ليبيا، إلا أن أهم أنشطته ممارسته لنشر الكتب؛ إذ أسس عام 1956م مكتبة النجاح الشهيرة بطرابلس، والتي امتد أثرها إلى خارج ليبيا، ومكنته من ربط صلاته الواسعة بعدد كبير من علماء الأمة الإسلامية والعربية، من بينهم شيخه العلامة الأزهري صالح الجعفري الذي أخذ عنه الطريقة الجعفرية الصوفية، ولنشر عدد من مؤلفاتهم[1]، ربطته صلة مباشرة وعلاقة وثيقة بشيخنا أحمد القطعاني.

3 - أحمد إدريس بن عابد السنوسي:

من أبرز علماء الطريقة السنوسية، ولد بالكفرة عام 1907م، وتلقى تعليمه على يد أعمامه وبني عمومته، إضافة لعلماء الطريقة السنوسية.

تنقل بين عدة مدن ليبية ومصرية إلى أن استقر في مدينة إجدابيا حتى وفاته عام 1989م، حيث تحول بيته «مقصداً للأدباء والعلماء من مختلف الأقطار»، التقاه شيخنا أحمد القطعاني وروى أنّ له عدداً من المؤلفات وجهوداً كبيرة في التعليم ونشر الطريقة السنوسية[2].

3 - أحمد الشريف السنوسي:

العلم الليبي، والمجاهد المعروف، أغنت شهرته عن نقل ترجمته.

---

(1) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج4، ص 164. أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 213.

(2) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج4، ص 25. أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 251.

4- عمران بن بركة:

من أبرز الركائز العلمية والصوفية التي قامت عليها الطريقة السنوسية، إذ يُعد من أهم تلاميذ ورفاق مؤسس السنوسية العلامة محمد بن علي السنوسي، ولد بزليتن عام 1769م، وتخرج على يد علمائها، ومن أهم أساتذته الذين اتصل بهم المحدث الليبي أحمد أبو طبل، قبل أن يلتحق بأستاذه السنوسي ويرافقه في كل محطات تأسيس الطريقة السنوسية ونشرها إلى أن توفي بالجغبوب عام 1893م[1].

5- أحمد أبو طبل:

أحمد بن عبد الرحمن أبو طبل الورفلي، من أبرز علامات ليبيا، وإحدى قاماتها الثقافية والعلمية، والصوفية أيضاً، إذ كان من شيوخ الطريقة العيسية، درس على يد علماء ليبيا، واتصل بغيرهم من علماء الأقطار الإسلامية، وأصبح محطة عملية مهمة في عصره، فقد احتوت الكثير من كتب الأثبات والمشيخات المغربية والمشرقية على أسانيده.

وإضافة لما ذكرته كتب التاريخ عن مشاركته في الجهاد، تعد مكتبته من أشهر وأكبر المكتبات الخاصة في عصره، لما احتوت عليه من نفائس الكتب، وأشهرها نسخة من صحيح البخاري، الشهيرة في الأوساط العلمية بنسخة الصدفي، نقلت كتب التاريخ اهتماماً إسلامياً وعربياً واسعاً حولها لنفاستها، واتصالات الكثير من علماء الإسلام بأبي طبل من أجل شرائها منه، بل ومنهم ملك المغرب في ذلك الوقت أبو الربيع سليمان بن محمد، واستمر الاهتمام بها في أوساط حواضر العلم العربية والإسلامية حتى العصر الحديث، وقد توفي أبو طبل عام 1837م[2].

(1) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج2، ص 542. أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 119.

(2) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج2، 376. أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 84.

سبب اختياره لرواية الحضرمي:

اختار شيخنا رواية الحضرمي عن رويفع عن النبي ﷺ وآله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره)، ورغم تخريج هذا الحديث بعدة طرق وروايات أخرىٰ من طريق رواة آخرين عن رويفع، ومنها: (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره)، إلا أنه علل سبب هذا الاختيار كون الحضرمي ممن أقام في ليبيا، فغيره من رواة هذا الحديث عن رويفع لم يُذكر لهم إقامة في ليبيا، مما يحقق هدفه في التسلسل الليبي للحديث الشريف.

لكن أسباباً أخرىٰ تبدو وراء اختياره لهذه الرواية دون غيرها، فأسانيده المتصلة بالصحابي رويفع الانصاري تمكنه أيضاً من اختيار نصوص حديثية أخرىٰ كمسلسل لليبيين، بل ويتحقق له هذا أيضاً بالرواية عن الصحابي المنيذر الأفريقي دفين طرابلس، فعنه عن النبي ﷺ وآله أنه قال: (من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، فأنا الزعيم، فلآخذن بيده، فلأدخلنّه الجنة)[1].

ويبدو أن اختياره لهذا النص الحديثي علىٰ وجه التحديد، الذي يحتوي علىٰ تشديد من النبي ﷺ في النهي عن التعدي علىٰ الحرمات واحترام الحقوق، للفت الأنظار إلىٰ عمق وجود هذه الحقوق، ووعي من الفاتحين الأول بأهمية إشاعة الأمن للتأسيس لمبدأ التعايش المشترك بشكل مبكر في تاريخ البلاد، خصوصاً إذا عرفنا أن الصحابي رويفع حكم البلاد منذ عام 668م، وحتىٰ وفاته ودفنه في برقة عام 675م، فدون شك أن راوي هذا الحديث عمل علىٰ تطبيقه في فترة حكمه، ما يجعلنا نعتقد أن البلاد في فترته شهدت استقراراً نسبياً في البلاد، بعد فترات

(1) ذكر الشيخ هذا الحديث مسلسلا بالمغاربة الىٰ الصحابي منيذر الأفريقي في مسلسلاته، ينظر: كرائم المسلسلات، مصدر سابق، ص 66 وما بعدها.

لحقت دخول الإسلام اضطربت فيها البلاد بسبب المعارضة التي لقيها الفاتحون.

وفي مضامين النص ما يشعر بوعي شيخنا بأهمية لفت الاهتمام لضرورة دراسة النصوص الحديثية من أبعاد وزوايا أخرىٰ، فهو لم يختر حديث المنيذر الذي يخاطب فيه من رضي (بالله ربـاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً)، فمرحلة رويفع تأسيسية في المقام الأول، ولم ينتشر فيها الإسلام بين سكانها حتىٰ يُخاطب فيها من رضي (بالإسلام ديناً وبمحمد نبياً)، والخطاب المناسب لكل من (آمن بالله واليوم الآخر)؛ لأنهما أساسان تشترك فيهما كل الأديان، فكان رويفع حريصاً منذ البداية علىٰ إشاعة نوع من الأمان في مرحلة تنظيم العلاقات، واحترام الحقوق، وخصوصية المعتقد، مشدداً علىٰ حرمة التعدي علىٰ غير المسلم بحجة كفره، مؤسساً لمبدأ التعايش السلمي بأرضية مشتركة لتمكين الفرد من حقوقه، بل وإشعاره بإنسانيته.

وتظهر الدقة وعمق الوعي لدىٰ شيخنا القطعاني في ملمح آخر لاختيار رواية (ولد غيره) ، لأنها تمس أهم أسس البناء المجتمعي المتمثل في الأسرة، دون الروايات الأخرىٰ لنص رويفع مثل: (زرع غيره).

وعلاوة علىٰ ذلك فمتن الحديث يشير إلىٰ عمق العلاقة مبكراً بين المواطن والدولة من جانب، ومن جانب آخر سعي الدولة مبكراً لتنظيم العلاقات الاجتماعية وتحديداً نظام الأسرة، فنص الحديث يشير إلىٰ ملامح وجود مبكر لتشريعات منظمة للأسرة في البلاد، كما يشير إلىٰ وجود تنظيم مرحلي للحد من ظاهرة السبي، المنتشرة وقتها، ونقلها للتنظيم الأسري وفق التشريع الإسلامي، ما يعني إدراكاً مبكراً لأهمية المؤسسة الأسرية لبناء قيم التعايش، لا علىٰ أسس الدين أو الدم فقط، بل فتح المجال أمام المصاهرات، فبعض روايات الحديث الأخرىٰ تشير إلىٰ اشتراط «الاستبراء»، وعلىٰ عكس حصر معنىٰ النص في جانب

السبي، فالإسلام حث على الزواج من السبي، ما يؤكد نجاح الإسلام في صدره الأول في الانخراط في الأوساط المجتمعية لسكان المنطقة، بدءاً بإشاعة الأمن في نفوس السكان من خلال تأمين أسرهم والحافظ على حقوقهم، فلا (فرق بين أعجمي وعربي إلا بالتقوى) ، وهي فكرة إسلامية عرفتها ليبيا مبكراً، تحترم الخصوصية الثقافية للآخر، ووعي مبكر يتمثل في ضرورة ارتكاز الهوية على المكون الثقافي والسكاني قبل بناء عنصر الدولة.

والدلائل على علاقة اختيار هذا النص بانشغال شيخنا بقضية الهوية وبناء دوائر الانتماء، نجده يشدد على قِدَم تشكل هوية البلاد في مجالها الثقافي قبل تشكل مجالها الجغرافي السياسي الحالي بقرنين ونصف، إذ يقول: «وولد الشيخ عبد السلام بن عثمان أعلى رجال هذا السند الليبيين تسلسلا سنة 1058هـ، 1648م وعليه فبإمكاننا وبكل اطمئنان أن نقول: إن هذا المُسند وجد قبل وجود اسم ليبيا كمدلول جغرافي في البلاد الإسلامية بما يزيد عن قرنين ونصف القرن مما يزيده أصالة وعمقا»[1].

ولم يكن الشيخ الطبولي مجرد فقيه، بل كان له حضوره وتأثيره الواسع الذي حدا بيوسف باشا القره مانللي الأخذ برأيه في قضية مقتل المستكشف الإنجليزي الرائد ألكسندر جوردون لينج في تمبكتو بمالي[2]، كما أنه كان على اتصال من مسكنه في تاجوراء بعبد الجليل سيف النصر أثناء ثورته على الدولة القره نللية[3]، ما يجعله شخصية تعزز قيم الانتماء والشعور الوطني من خلال مشاركته واهتمامه

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 53.

(2) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج2، ص 377.

(3) نفس المصدر، ص 378.

الواسع بقضايا الوطن التي تتجاوز طرابلس، ولذا لا يبدو أن اختيار شيخنا له كأحد وسائط السند لمجرد السرد والاتصال فقط، بل وعي منه بأن تشكل الدولة لاحقا بل ونتيجة لتوحد المجال الثقافي الجامع للمجال الجغرافي الليبي.

ومن الدلائل التي تؤكد أن اختيار شيخنا لشخصيات السند كانت دقيقة ومجددة، وجود علاقة بقضايا مشتركة بينهم، كالخيط الناظم والرابط بين أحمد بن إدريس السنوسي، وأحمد الشريف، وعمران بن بركة، فهم من رموز الطريقة السنوسية المعروفة بأدوارها العديدة في المجتمع، ومنها: إحلال قيم التسامح والتعايش، بدلاً من التناحر والقتال القبلي، فضلاً علىٰ المشاركة الكثيفة في الجهاد.

كما يلاحظ بجلاء وجود روابط وثيقة وقواسم مشتركة بين شخصيتي الشيخ بريون والشيخ أبي طبل، فكلاهما علامة بارزة في التاريخ الثقافي الليبي، ومن أهم ما يربط بينهما علاقتهما بالمكتبات ونشر الكتاب، ما يشعر بأن شيخنا كانت له أهداف أخرىٰ من وراء اختيار هذه الشخصيات بعينها وسائط في السند، فهي تؤكد تفاعل دوائر الانتماء الليبي في مختلف المستويات، ومنها: الفكري والعلمي، سيما وأنه يمر في سلسلته الإسنادية بابن عربي، الذي ارتبط بثقافة وعلماء ليبيا، حيث تتلمذ علىٰ أستاذته الليبية «لبنىٰ الغدامسية»[1] عند مروره علىٰ غدامس، فقامة فكرية وعلمية مثله لا يمكن أن يتتلمذ إلا علىٰ قامة تمثاله أو تزيد عليه، وهي دلالة أخرىٰ تضمنها السند، تشير إلىٰ عراقة حواضر الثقافة والفكر في ليبيا كجدار لحماية الهوية في أوقات عاشت فيها البلاد أزمات متعاقبة.

---

(1) أسهب شيخنا في بحث العلاقة بين ابن عربي ولبنىٰ الغدامسية في موسوعته، ينظر ج1، ص 244 وما بعدها.

وتضمن السند كذلك محطات تشير إلىٰ سعي الشيخ إلىٰ زيادة كثافة وترابط دوائر الانتماء، فعلاوة علىٰ ترابط حلقات السند الليبي في أوله، هدف من خلال ربطه بشخصيات من مثل ابن عربي إلىٰ ربط المجال الليبي بالمجال العربي والإسلامي، من زاوية التأثير الليبي في المجالات العربية والإسلامية، والعكس بارتباط وتأثر المجال الليبي بالمجالات العربية والإسلامية من خلال الاتصال بالشيخ العدوي الصعيدي في مصر، وعبر سلسلة متواصلة يرحل السند بمحطات عديدة في الحجاز والشام والعراق قبل أن يعود مجدداً لليبيا من خلال الصحابي رويفع الأنصاري، دفين البيضاء.

وهي طريقة انفرد بها شيخنا، تدفعنا لإجراء المزيد من الدراسات حول مشاركته في علم الأسانيد والإجازات، وهو مجال لا يزال بكراً، خصوصاً فيما يتعلق بالتأثير الصوفي الواضح والملاحظ من تشابك الخلفيات الصوفية لرجال السند، بين بريون الجعفري طريقة، والسنوسيين الثلاثة، وأبي طبل العيسي طريقةً، وهو جانب هام انفرد شيخنا بدراسته في العديد من كتبه، فاتحا به آفاقا جديدة في حقول البحث العلمي، خصوصا في قضية تأسس وتكون المجال الليبي الثقافي العميق في التاريخ، خلافاً للآراء التي ترىٰ أن تكون الدولة بدأ مع قرار دولي حديث منح للبلاد استقلالها قبل عشرات السنين القريبة، دون أي وعي بعمق التكوين الثقافي والوجداني الذي جمع سكان البلاد طيلة قرون طويلة بفعل حراك مؤسسات في خلفيات الأحداث، ولا تزال هذه المؤسسات بعيدة عن تناول علماء الاجتماع والتاريخ والجغرافيا، وأهما المؤسسة الصوفية.

ولا بد في النهاية من التنبيه علىٰ بعض المسائل التي أراها مهمة وباتت تفرض نفسها بعد دخول من لا دراية له بفنون ومباحث علوم الإسناد، أو ظهور عدد من مدعي الرواية عن شيخنا، وأخص هذه المسائل:

- الاصطلاحات والتوصيفات المستخدمة في علوم الإسناد، فقد وجدت بعض من لا دراية له بهذه العلوم يسمي عمل شيخنا في «المسلسل بالليبيين» بأنه «ابتكار»، وأحيانا «اختراع»، وهو من جهلهم بفنون هذا العلم، فعمل شيخنا عند أهل الحديث يسمىٰ «استخراج»، وهو من الأعمال التي لا تندرج تماما في علم المستخرجات كما أنها لا تنفصل عنه، وقد ضمن شيخنا ذلك في حديثه عن عمله في «المسلسل بالليبيين» عندما قال: «وفقني الله فأوجدت الحديث المسلسل بالليبيين وأخرجته إلىٰ الوجود»[1]، فعبارة «أخرجته» أراد بها معنىٰ «الاستخراج» المعروف عند أهل الحديث، وحاشاه رضوان الله عليه من «الابتكار»، و«الاختراع» في حديث سيدنا رسول الله.

- كما أوضحت أعلاه بعضاً من أهداف وأغراض شيخنا من دقة اختياره لوسائط سند المسلسل، فلم يكن غرضه تكثير الوسائط الليبية كما وهم بعضهم، فكان بإمكانه استخراج أكثر من مسلسل ليبي ينتهي لأكثر من صحابي، سيما وأنه أرخ لثمانية منهم دفنوا في ليبيا، وآخرين أقاموا فيها لفترة[2]، خصوصاً وأنه استخرج مسلسلاً بالصوفية ينتهي للمنيذر الأفريقي، دفين طرابلس، بوسائط ليبية يزيد عددها عن عدد وسائط الطريقين اللذين روىٰ بهما المسلسل، فنحن نجد في ثبته الكبير «أوبة المهاجر» أنه روىٰ المسلسل بالأشاعرة بـ 18 واسطة ليبية[3]، وروىٰ المسلسل بالمالكية بـ 15 واسطة ليبية[4].

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 50.

(2) ينظر الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة، أحمد القطعاني، مكتبة النجاح، طرابلس، 1998م.

(3) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 385.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 389، 390.

عناية العلامة القطعاني
بمولد الإمام البرزنجي وجهوده في الحفاظ على روايته واسناده

د. حسين طاهر البرزنجي
الأستاذ بجامعة السليمانية، العراق



الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيبـاً مباركـاً فيه مباركـاً عليه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيد المرسلين وإمام المتقين رحمة الله المهداة للعالمين، سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله الأطهار الطيبين وعلىٰ أصحابه الأخيار المتقين.

وصلتنا في الديار العراقية طبعة الإمام العلامة أحمد القطعاني، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمولد جدنا الأعلىٰ الإمام جعفر البرزنجي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المسمىٰ: «عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر»، المشتهر في الآفاق ولا يجهله أي مسلم، ولا يخلو منه قطر علىٰ وجه الأرض، فوجدناها أرفع وأفضل وأصح طبعاته، واحتفينا بها أيما احتفاء، ولهذا السبب اخترت أن أشارك في هذه الدورة من مؤتمر شيخنا العلامة القطعاني، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بورقة عن عنايته بمولد جدنا الإمام البرزنجي، بعد أن درست طبعته ونقبت عن أسانيده فيه في ثبته: «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر».

وقبل الدخول فيما أردت قوله، لابد من المرور علىٰ ترجمة جدنا الأعلىٰ سيدي الإمام البرزنجي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي ترجمت له العديد من المصادر والمراجع الكبرىٰ، فأقول:

هو الإمام جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني المدني الشافعي، ولد عام 1128هـ، وتوفي 1177هـ، أحد أبرز أعلام الأسرة البرزنجية التي توارثت الإفتاء والقضاء على مذهب السادة الشافعية من جدهم الأعلى السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي المتوفى عام 1103هـ، حتى آخر أعلام الأسرة السيد محمد زكي البرزنجي المتوفى عام 1365هـ.

حفظ الإمام جعفر القرآن الكريم على يد والده، الذي كان إماما لأحد مساجد المدينة المنورة، وأخذ عنه أيضا أوليات العلوم، ثم تمهر فيها على يد علماء المدينة المنورة، بل توسعت دائرة تعليمه فشملت تخصصات من مثل: الرياضيات، والطب، والهندسة، والفلك، والأدب وفنونه، وعرف عنه إجادته للغات أخرى غير العربية، ومنها الكردية، والفارسية، وغيرها.

واشتغل بالوعظ وإرشاد الناس، فذاع صيته، وتولى إمامة المسجد النبوي الشريف، فأقبل الناس على الأخذ عنه والتعلم على يديه، وتدرج في الوظائف حتى أصبح مفتياً على المذهب الشافعي، كما أنه شارك وأجاد في علوم مذاهب السادة الأحناف والمالكية والحنابلة، فكان مرجعا فيها لعلمائها يحل الخلاف العالي في مسائلها، ويفتي لأهلها ويرجح ويختار.

ترك العديد من المصنفات والمؤلفات، حتى اختلفت المصادر والمراجع التي ترجمت له في عددها وأسمائها، لكننا ننقل ما أثبته العلامة القطعاني منها في مقدمة تحقيقه لمولد البرزنجي[1]، فقال:

1 - أهمها الذي ضربت شهرته الآفاق وسارت متحدثة به الركبان، أشهرها على الإطلاق مولده الذي بين أيدينا، والمشهور باسم مولد البرزنجي، واسمه الأصلي «عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر».

(1) مولد البرزنجي، تقديم وإسناد وتصحيح وضبط أحمد القطعاني، د.ن، د.ت، ص 12.

2- مختصر الضوء الوهاج في قصة الإسراء والمعراج.

3- الغصن الوردي في أخبار السيد المهدي.

4- جالية الكدر بأخبار أصحاب سيد العجم والعرب.

5- النفح الضرجي في الفتح الجته جي.

6- إتحاف البرايا لعدة الغزوات والسرايا.

7- إضاءة الدراري لإرشاد الساري على صحيح البخاري.

8- الروض المعطار فيما للسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي من آثار.

9- البرء العاجل بإجابة الشيخ محمد بن غافل.

10- الجني الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني.

11- التقاط الزهر من نتائج الرحلة والسفر.

ومن بين ما اشتهر من كتبه، كتاب «جالية الكدر بأخبار أصحاب سيد العجم والعرب»، الذي عرف أيضا باسم آخر وهو «جالية الكدر بذكر أسماء أهل بدر وشهداء أحد السادة الغرر»، اعتنى به كثر من أهل العلم، وآخرهم محدث الحرمين السيد محمد بن علوي المالكي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت 1425هـ) فضبط متنه وعلق عليه[1].

لكن الأكثر شهرة هو كتاب «عقد الجوهر بمولد النبي الأزهر»، المعروف باسم «مولد البرزنجي»، فقد كتب الله له القبول في الأرض، وشاع بين الناس، وكثرت قراءته وهو على ذلك منذ وفاته رَحِمَهُ اللهُ وإلى اليوم، وتداولته الأئمة الأعلام بالشرح والتعليق عليه، منهم العالم الأزهري محمد بن أحمد عليش الطرابلسي

(1) جالية الكدر بذكر أسماء أهل بدر وشهداء أحد السادة الغرر، جعفر البرزنجي، ضبط وتعليق محمد علوي المالكي، دار السقاف للطباعة والنشر، إندونيسيا، 1981م.

(ت 1299هـ)، إذ صنف فيه كتابه «القول المنجي على مولد البرزنجي»، والعالم الإندونيسي محمد نووي الجاوي (ت 1316هـ) في كتابه «مدارج الصعود إلى اكتساء البرود»، الذي افتتحه بوصفه لمولد البرزنجي، «هذا العقد قد فاق في البلاغة جميع المؤلفات في هذا الشأن وكثر استعمالها في البلدان، كيف لا؟ وهو السحر الحلال، والماء الزلال، وقد كان وضعها في هذا الغرض لم تسمح قريحة بمثالها، ولم ينسج ناسج على منوالها، وصار المغرد بها كالطائر المترنم فوق الاغصان»[1].

والمعتني بإحصاءات الكتب وطبعاتها لَيَجِدُ عناء في توثيق عدد طبعات مولد الإمام البرزنجي، فقد فاقت الحصر؛ إذ طبع في كل الأقطار الإسلامية، لكن ما يلاحظ على بعضها عدم عناية القائمين عليها بالتدقيق، فكثرت الأخطاء والتصحيفات، مضافا إليها لحن من يتلوه من حافظته، خصوصا مع اختلاف الألسن والعجمة لدى طائفة كبيرة من المسلمين، ومن هنا تأتي أهمية نسخة العلامة القطعاني.

يقول العلامة القطعاني: «وقد وفقني الله تعالى إلى تحقيقه وإعادته إلى أصله، مخلصا إياه من أخطاء الطابعين والناسخين منذ طبعه ونشره لأول مرة سنة 1884م، ونشرتُهُ مسنداً مصحّحاً بمقدمة وافية، وترجمتُ لمؤلفه رضي الله عنه، وأرختُ لرحلته، وانتشاره، وأقوال ساداتنا العلماء العارفين في الحض على حضور مجالسه، والتقرب إلى الله تعالى به»[2]، إذاً، أقام شيخنا عمله على مولد الامام البرزنجي على تتبع وتعقب دقيق لطبعاته، حتى إننا استفدنا منه أن أول طبعة كانت عام 1884م، وهذا دليل أكيد على تتبعه الدقيق لمسار طباعته.

(1) مدارج الصعود في اكتساء البرود، محمد نووي البنتني، مطبعة طه فوترا، اندونيسا، د.ت، ص 2.

(2) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج2، ص 432.

ويستفاد من قوله: «مخلصا إياه من أخطاء الطابعين والناسخين» اطلاعه أيضـًا علىٰ نسخ خطية لمولد الإمام البرزنجي، استطاع من خلالها المطابقة والمقارنة بينها من جهة، ومن جهة المقارنة بينها وبين الروايات الشفهية المتواترة حتىٰ تمكن من إرجاعه إلىٰ أصله الصحيح كما دونه الإمام البرزنجي.

وبقراءة فاحصة لمقدمة طبعته، وما دونه في كتابه الآخر (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) من مباحث حول أسانيده لرواية مولد الإمام البرزنجي، نستطيع أن نحدد بعضـًا من خصائص وسمات وموائز عمله، وإن كان عمله العظيم هذا يحتاج دراسة مطولة للإيفاء بحقه علينا معشر أحباب الإمام البرزنجي، وقراء مولده في كل أصقاع الدنيا، ولكن بإيجاز يمكننا ملاحظة الآتي:

- أن العلامة القطعاني قبل الشروع في عمله والتقديم له، ساق أقوال أهل العلم حول مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وهم عدة من المتقدمين والمتأخرين، وختمها بضم قوله إلىٰ أقوال من سبقوه من إخوانه العلماء.

لكن ما يلاحظ في هذه النقول أن العلامة القطعاني لم يسرد منها الأقوال التي اهتمت بإقامة الدليل الأصولي والفقهي علىٰ مشروعية الاحتفال بالمولد، بل اختار منها ما يطرق جوانب أخرىٰ تشير إلىٰ ما يفعله المحتفلون بالمولد، ومنها: الإحسان للفقراء، وإظهار الزينة، والسرور، وقراءة القرآن، وزيادة العبادات، وكلها أعمال مشروعة لا مخالفة فيها، بل «الاحتفال فرحا بمولد سيدنا محمد رحمة العالمين وفضل الله عليهم هو خير ما يجمعه المرء لأخراه ودنياه معا»، ويستشهد لذلك بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

- لم يعتمد العلامة القطعاني في تحقيقه وضبطه للنص علىٰ النسخ الخطية وتتبع الطبعات القديمة منها منذ أول طبعة عام 1884م وصولا إلىٰ الحديث منها بالمقارنة والمطابقة فقط، بل استند في عمله أيضا علىٰ مقارنتها بالروايات الشفهية

المتواترة بالسماع إلىٰ الإمام البرزنجي صاحب المولد، ما جعل عمله في قمة الجودة والإتقان والصحة، وإلىٰ هذا يشير في قوله: «توجد طبعات عدة لمولد البرزنجي تتبعت ما وقع في يدي منها، فوجدت بعضها يخالف الرواية الصحيحة المضبوطة في الأصول الصحيحة، وبعضهم غير كلمات صعبة النطق أو الفهم بما هو أيسر منها، ناهيك بالأخطاء الإملائية واللغوية والمطبعية»[1]، وبناء علىٰ تتبعه وتدقيقه بالمقارنة بين النسخ، والطبعات، والروايات الشفهية المتواترة يخلص إلىٰ أن روايته «التي أذكرها في هذا الكتاب هي مضبوطة، ومقابلة، ومقارنة علىٰ أصح الأصول الصحيحة الموثوقة لمولد البرزنجي، وأضبطها متناً وشكلاً، وها أنا أثبتها مسندة لتكون مرجعا لمن يتحرىٰ الكمال»[2].

- سار العلامة القطعاني علىٰ نهج علماء الأمة في تقديم السماع علىٰ المكتوب، فالرواية خصيصة ربانية للأمة المحمدية، ولذا قدم السماع المتواتر لمولد الإمام البرزنجي في عمله علىٰ الاعتماد علىٰ النسخ الخطية والمطبوعة، فقد أنفق صفحات مطولة في تقديمه لبيان تلقيه لنص المولد سماعا «من أمة كثيرة يصعب حصرها وعدها منذ كنت صبيّاً دون العشرين عاماً، إلىٰ اليوم، من حفاظ المولد وتاليه يزيدون عن المائة بكثير، وكلهم يرويه سماعاً أخذاً عن الذي قبله في طبقات متتالية إلىٰ مؤلفه الكريم، وفي مدن وبلدان عديدة»[3].

ويسرد لنا الأقطار والدول والمدن التي سمع فيها مولد الإمام البرزنجي، حتىٰ إن القارئ يمكنه من خلالها رسم خارطة لانتشاره حول العالم ويدشن علىٰ أساسها إحصاء يفضي لمعرفة مسار حركة واتجاه انتشاره في أصقاع الدنيا:

---

(1) مولد البرزنجي، تقديم وإسناد وتصحيح وضبط أحمد القطعاني، مصدر سابق، ص5.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ص 2.

- ففي مكة المكرمة سمعه من محدث الحرمين محمد علوي المالكي، وشقيقه العباس، في مجالس حضرها «أهل الحرم المكي المشرف، والديار المقدسة، وأهل أندونيسيا، وماليزيا، وجاوة، وتلك البقاع الآسيوية وغيرها»[1].

- وفي مصر، وعلىٰ كثرة ما سمعه فيها، ذكر منها للمثال سماعه للمولد في مجلس «ولي الله بركة مصر والعصر العارف بالله سيدي محمد إسماعيل الليثي النمر في جمع من المحبين يربو عن المائة»[2].

- في الإمارات، في مجلسي الشيخ عيسىٰ عبد الله المانع الحميري، وولي الله سيدي عبد الرحيم المريد[3].

- وسمعه من أهل سلطنة عمان من طائفة من أهلها[4].

- وفي المغرب، وتحديداً في مكناس حيث مقام ولي الله الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ مؤسس الطريقة العيساوية[5].

بل ويرصد انتشاره في أصقاع غير عربية، حيث سمعه في:

- أمريكا «حيث يعتني المسلمون هناك به كثيراً وينفقون علىٰ تلاوته وإقامته والاحتفال به أموالاً تأكيداً لانتمائهم في تلك الديار البعيدة، ووصلة لدينهم ونبيهم صلىٰ الله عليه وآله وسلم»[6]، ومن عجيب ما لاحظه في مجالس المولد في أمريكا

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ص 3.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) نفس المصدر، نفس الصفحة.

أن «جلهم يحفظه ويتلوه بالعربية التي لا يفهمها، ويستمتع مع ذلك به كثيرا»[1].

- جنوب أفريقيا، في كيب تاون، حيث حضر مجلس المولد ما «يزيد عن خمسة وعشرين ألف نسمة ما بين ذكر وأنثىٰ.. تناثروا في تلك الحديقة أسراً وافراداً في خيام أو علىٰ مقاعد أو وقوفاً أو يفترشون الأرض كأنهم في موقف عرفات العظيم»[2].

- أما في ليبيا، فيتوسع في ذكر مجالس سماعه للمولد في مساجد وزوايا طرابلس وبنغازي ومصراته، بل أغلب المدن الليبية عن طائفة من العلماء[3]، ومن مظاهر عنايته بتوثيق سماعه في بلاده حدد عام 1265هـ/ 1849م بداية تداول المولد في ليبيا[4].

• اختار العلامة القطعاني من عمله في ضبط ألفاظ المولد، تصحيح خطأ شاع في قراءات البعض مولد البرزنجي وفي طبعاته أيضاً، وهو في نطق لفظة (يُقِلُّ) بضم ثم كسر ثم ضم بالتشديد، عند قول الإمام البرزنجي (وكان ﷺ يقل اللغو)، مبينا أنها «يَقِلُ» بفتح ثم كسر ثم ضم دون تشديد.

وساعد علىٰ وصوله إلىٰ نتائج دقيقة في ضبطه لهذه اللفظة درايته الواسعة بالحديث وكتبه، فهو محدث، فنبّه علىٰ أن أصله حديث شريف أخرجه النسائي في سننه وغيره، أنه قال: (كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويَقِلُ اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له الحاجة)،

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ص 2.

(4) نفس المصدر، ص 6.

وما حدث أنه «صحف بعض الرواة اللفظ فقرؤوه بضم الياء، واللغو مذموم جملة وتفصيلاً»[1]، واستشهد في ذلك بالقرآن الكريم في «وصف الله عباده الصالحين، فقال ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: 55]، ومدحهم في آية أخرىٰ، فقال ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3]، وقوله في وصف أهل الجنة: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: 23]»[2]. وعقب بعد هذه الاستشهادات بقوله: «وسيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه معصوم من كل عيب -حاشاه- منزه عن كل شين مبرأ من كل نقص لا لغو عنده قليل أو كثير، والصواب هو (يقل اللغو) بفتح الياء وكسر القاف، وتعني: العفو والإعذار والتجاوز والمسامحة»[3].

وهو معنىٰ وتصحيح وضبط لم يُسبق إليه العلامة القطعاني، وحتىٰ شراح النسائي ارتبك بعضهم في شرح معنىٰ هذه اللفظة عند ورودها بضم أولها وتشديد آخرها، لما فيها من خطب جسيم يتعلق بالجناب النبوي الرفيع، فقال بعضهم بأن الإقلال بمعنىٰ العدم، أي: عدم اللغو، واستشهدوا لذلك بـ«فقليلا ما يؤمنون» في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88]، وليس في هذا الاستشهاد ما يسعفهم رضوان الله عليهم، فالمفسرون أكثرهم قال بأن معناها أن إيمانهم قليل، وبعضهم قال بأن من آمن منهم قليل، وبالجملة فتوجيه معنىٰ الإقلال إلىٰ العدم لا يستقيم بأي وجه، والصحيح ما ذكره العلامة القطعاني بأن لفظها الصحيح هو «يَقِلُ».

---

(1) نفس المصدر، ص 4.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

• ربط العلامة القطعاني التواتر السماعي بالتواتر العملي، في سياق سعيه لتحصين النص من زلل القراء والطابعين مرة أخرىٰ، ومنها قوله: «كل شيوخي ساداتي وأئمتي - أعزهم الله - ممن أخذت عنهم مولد البرزنجي وسمعته منهم وأجازوني فيه يقفون عند ذكر الولادة الشريفة بلا استثناء، ويقولون بأن ذلك مستحسن»[1]، وفي سياق التشديد علىٰ ضرورة ربط التواتر السماعي بالعملي يربط صحة إجازته لمن أجازه بقوله: «وأنا علىٰ ما عليه أشياخي الكرام، لا أزيد، ولا أنقص، أقف عند ذكر الولادة الشريفة، وأقول باستحسانه، فمن أجزته في هذا المولد وأخذه عني، إما أن يكون علىٰ ما عليه أنا وأشياخي من استحسان الوقوف عند ذكر الولادة الشريفة، وإلا فليرجع لي إجازتي له، ثم ليفعل ما شاء وأراد»[2].

وللحفاظ علىٰ نقاء أصل النص شدد علىٰ ضرورة عدم إضافة الزيادات عليه «أيا كانت حتىٰ يبقىٰ خفيفا لطيفا مرغوبا مشتاقا إليه، وليقتصر فقط علىٰ أصل المتن»[3].

• إسناد العلامة القطعاني روايته ورفعها إلىٰ الإمام البرزنجي، وهو من أهم أصول توثيق نص المولد وإثبات صحة ضبطه لألفاظه، ولذلك طوّل فيه بالتفصيل والسرد، ويجب أن نؤكد علىٰ أنه أول من اهتم بقضية إسناد المولد لصاحبه البرزنجي:

- أسانيده الليبية، يقول:

عن الشيخ محمد عبد الله حرويس «سمعته منه في بنغازي منذ سنة 1974م مرات كثيرة لا تعد وآخرها سنة 2012م وكتب لي ومعي بعض السادة مجيزاً

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ص 5.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

بالسماع عنه، وسمعه شيخنا محمد عبد الله حرويس من كثير من حفاظ وتالي المولد في بنغازي مثل: الشيخ يوسف مرسي، والشيخ سالم بشون، والشيخ محمود البناني، والشيخ جويدة، والشيخ رجب البكوش، والشيخ سعد الفلاح، وغيرهم»[1].

وعن «حافظ القرآن الكريم نابغة حفاظ المولد ومنشديه، الشيخ المعمر سيدي يوسف مرسي»[2]، الذي «حفظ المولد صبيًّا عن الشيخ سراج مصطفىٰ ختاله، عن والده الشيخ مصطفىٰ ختاله»[3].

وعن «شيخنا مختار محمود السباعي، وأيضا من شقيقه الأستاذ علامة الفقه المالكي شيخنا بشير السباعي، كلاهما عن صهر الأول أخ زوجته النحوي المفيد الشيخ أحمد بن عبد الهادي الفيتوري، عن الشيخ مصطفىٰ ختالة، عن الشيخ أحمد الشريف المغربي من يدر بمصراته، عن الشيخ امحمد بن عبد العزيز المصراتي مؤسس جامع الشيخ امحمد في مصراته، عن الشيخ محمد بن أحمد عليش صاحب الحاشية علىٰ مولد البرزنجي، عن البرهان إبراهيم السقا، عن شيخ الأزهر أحمد زين علي بن أحمد الدمهوجي، عن السيد أبي الفيض مرتضىٰ الزبيدي، عن السيد جعفر البرزنجي صاحب المولد»[4].

- وفي أسانيده غير الليبية:

منها: «أعلىٰ سند لمولد البرزنجي في الدنيا في عصرنا، حيث أرويه مُسندا إجازة عاليـًا جدّاً جدّاً ليس بيني وبين مؤلفه الكريم سوىٰ ستة رجال»[5]، وهو «عن

---

(1) نفس المصدر، ص 8.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 431.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

الشيخ يوسف محمود العتوم، عن الشيخ بدر الدين محمد الحسني الدمشقي، عن مفتي المدينة المنورة الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي، عن أبيه إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، عن أبيه زين العابدين البرزنجي، عن أبيه محمد الهادي البرزنجي، عن عمه مؤلف المولد السيد جعفر بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد عبد الرسول البرزنجي الحسيني»[1].

وهو سند يكاد يكون أغلبه برزنجي، لكنه أسنده من طريق مسلسل في جله عن أجدادي السادة البرزنجيين، عن «ولي الله عالم الحرمين الشريفين شيخنا محمد علوي المالكي المكي، عن والده السيد علوي بن عباس والعلم أبي الفيض ياسين الفاداني، كلاهما، عن: السيد زكي بن أحمد بن إسماعيل البرزنجي، عن أبيه مفتي المدينة المنورة الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي، عن أبيه إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، عن أبيه زين العابدين البرزنجي، عن أبيه محمد الهادي البرزنجي، عن عمه مؤلف المولد السيد جعفر بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني»[2].

بالإضافة لسند آخر يرويه عن «شيخنا أحمد محمد سردار الحلبي، عن الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي، عن الشيخ حسن بن محمد المشاط المكي المالكي، عن محمد عبد الحي الكتاني، عن مفتي المدينة المنورة الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي، عن أبيه إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، عن أبيه زين العابدين البرزنجي، عن أبيه محمد الهادي البرزنجي، عن عمه مؤلف المولد السيد جعفر بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني»[3].

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ص 9.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

عناية السادة الصوفية بالأربعينات الحديثية «الأربعون العيساوية للعلامة القطعاني مثالاً»

أ. أسامة بن هامل



عرف تاريخ الإسلام كثرة في التصنيف في فن الأربعينات الحديثية، انتخب فيها أصحابها أربعين حديثاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحسب الموضوع والمقصد، وإن اشتهر بعضها كالأربعين النووية، إلا أنها من الكثرة بمكان. وممن صنف في هذا الفن واعتنى به ساداتنا الصوفية، ومنهم شيخنا العالم المحدث المسند الصوفي أحمد القطعاني في أكثر من عمل، ومنها: «الأربعون العيساوية».

ورأيت أن أخصص ورقة عن دراسة وعرض الأربعين العيساوية، وأسباب اختيارها دون غيرها من مرويات الشيخ الكامل محمد بن عيسى (ت 933هـ)، ومدى تطابقها مع خصائص الدعوة العيساوية الشاذلية، كما أنه أول من استخرجها وأظهرها للوجود وانفرد بروايتها بسنده.

وقسم ورقتي، كالآتي:

- فن الأربعينات عند المحدثين ومعتمده.
- بداية التصنيف في الأربعينات، واختلاف مناهجها.
- عناية السادة الصوفية بفن الأربعينات.

- عناية العلامة القطعاني بفن الأربعينات.
- الأربعون العيساوية منهجها وخصائصها وقضاياها.
- الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ من خلال الأربعينات العيساوية.

أولا : فن الأربعونات عند المحدثين، ومعتمده:

فأقول وبالله التوفيق: عد العلماء فن الأربعينات نوعـاً من الأجزاء الحديثية، كالوحدانيات، والثنائيات، والثلاثيات، إلىٰ العشاريات، والأربعونات والثمانونات والمئة[1]، في مظهر من مظاهر عناية علماء الحديث بالسنة النبوية، وحرصهم علىٰ إذاعتها بين المسلمين بعرضها بطريقة سهلة وقريبة من الفهم، يختارون فيها أحاديث نبوية شريفة علىٰ صلة بحياة المسلم، فيجمع إمام من الأئمة أربعين منها في كتاب واحد، يروونها بسند واحد أو بعدة أسانيد، وقد تكون محذوفة الأسانيد زيادة في تيسير تناولها وذيوعها وانتشارها بين عامة المسلمين.

والأصل في هذا العدد، قول النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «من حفظ علىٰ أمتي أربعين حديثا في أمر دينها، بعثه الله فقيها، وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً»[2]، ودافعهم في ذلك أيضا قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأدّاها كما سمعها»[3]، وغير ذلك، فإن جمع الحديث الشريف الأساس الذي قام عليه علم الحديث الشريف.

---

(1) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر، بيروت، ط 6، 2000م، ص 86.

(2) رواه البيهقي.

(3) رواه الترمذي.

ثانيا: بداية التصنيف في الأربعينات، واختلاف مناهجها:

وأول رصد تاريخي لهذا الفن، كان في تصنيف عبد الله بن المبارك (ت 181هـ) كتابا في الأربعين، ثم تتابع التصنيف في هذا الفن، وشارك فيه كبار المحدثين، أمثال: الدارقطني (ت 385هـ)، والحاكم (ت 405هـ)، وغيرهم، بل صنف البعض من مشاهير المحدثين أكثر من مصنف في الأربعينات كالذهبي، وابن حجر، وابن عساكر، ومنهم من صنف أربعينا في علوم أخرىٰ كالأربعين في أصول الدين لفخر الدين الرازي.

ولا يحصىٰ عدد من صنف في هذا الفن، وقد اعتنىٰ الامام محمد بن جعفر الكتاني بتتبع أنواع وعدد المصنفات في الأجزاء الحديثية، حتىٰ ذكر أنها تجاوزت العشرة آلاف مصنف بداية من القرن الثالث الهجري وحتىٰ عصره[1]، وربما أراد بأن شراح الأربعينات ومخرجي أسانيدها أيضاً هم ضمن إحصائه.

ومع كثرتها، يمكن تتبع الاختلافات بين مصنفيها في سياق تطورها، سواء في المناهج أو الشروط أو المضمون.

فمن حيث المتن والسند، فمنهم من جعل شرطه الموضوع ومضمون المتن، دون النظر في صحة السند، فكانت إما في الأخلاق والآداب، أو الزهد والتصوف، أو في الخطب، أو في التوحيد وأصول الدين، ومنهم من زاد علىٰ ذلك، باختلاف آخر بينهم بين أن تكون أربعينا قصيرة المتن لسهولة الحفظ، أو طويلة المتن لزيادة الفهم فيها علىٰ السامع، ومن أمثلة الأخيرة الأربعون الطوال لابن عساكر.

وفي هذا الباب من جعل أربعينه محذوفة الأسانيد، وأشهرها: الأربعون النووية، والأربعون المنذرية.

(1) الرسالة المستطرفة، مصدر سابق، ص 94.

ومنهم جعل السند شرطا، فصحته مقدمة عند بعضهم على مضمون وموضوع المتن، كـ«الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع» لابن حجر، ومصنفه الآخر «الأربعين حديثًا المنتقاة من صحيح مسلم مما علا فيها على البخاري في صحيحه»، وأضاف بعضهم لصحة السند علوه أيضا، ومنها أربعون أحمد النيسابوري «الأربعين في العوالي الصحاح».

وتفنن الأئمة رضوان الله عليهم في مصنفاتهم في هذا الفن، فبعضهم كأبي الفضل المقدسي جمع الأحاديث القدسية في أربعين سماها «الإلهية»، ومن جعل أربعينه تنتهي إلى صحابي بعينه، كأربعين الدراقطني التي اقتصر فيها على مرويات أبي موسى الأشعري، ومنهم من جعلها مرتبة على البلدان كالأربعين «البلدانية» للحافظ السلفي.

ثالثا: عناية السادة الصوفية بفن الأربعينات:

والسادة الصوفية من أوائل من اهتم بفن الأربعينات، وصنفوا فيه بمناهج وطرق مختلفة، ومنهم:

1- الإمام أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين في التصوف.

2- الإمام القشيري في الأربعين في تصحيح المعاملة.

2- الإمام أبو نعيم الأصبهاني في الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية.

3- الإمام أبو سعيد أحمد الماليني في الأربعين في شيوخ الصوفية.

4- الإمام أحمد الرفاعي في الأربعين الرفاعية.

5- الإمام عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني في الأربعين عن أربعين شيخا.

6- الإمام يوسف النبهاني في الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين.

7- الإمام محمد بن جعفر الكتاني في الأربعين الكتانية في فضائل آل بيت خير البرية.

8- الإمام عبد الله الغماري في الأربعين حديثا الصديقية.

9- الإمام أحمد القطعاني في الأربعين العيساوية.

10- السيدة أم الفقرا حرم الإمام أحمد القطعاني في الأربعين في صفة لباس الأمين المأمون.

وذكرت هذه الأربعينات للتمثيل لا الحصر، فالسادة الصوفية هم أكثر علماء الأمة اعتناء بالسنة، تدريساً وتأليفاً وإسناداً، وجمعوا بين درايتها وروايتها، فالناظر في أسانيد كتب السنة يجد أكثر وسائطها هم السادة الصوفية، حتىٰ إن مجرد سرد أسمائهم فقط يحتاج مجلدات، ووقتا طويلا.

وفي مجال الأربعينات، لم يقتصر السادة الصوفية علىٰ جمعها وترتيبها من بطون كتب السنة، بل رواها بعضهم بأسانيدهم إلىٰ سيدنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، كأربعين الإمام القشيري، وأربعين الإمام الرفاعي، وأربعين الإمام عبد الرزاق بن الإمام عبد القادر الجيلاني التي روىٰ في أولها حديث: «لا تسبوا أصحابي» بسند والده إلىٰ أبي سعيد الخدري.

رابعا: عناية الشيخ القطعاني بالأربعينات:

من أبرز مظاهر عنايته بهذا الفن استخراجه لسند الأربعين القادرية، ونشره في كتاب مفرد بمقدمة نبّه فيها علىٰ أنها ليست للإمام عبد القادر الجيلاني، وإنما هي لابنه سيدي عبد الرزاق، للدلالة علىٰ استمرار عناية الطريقة القادرية بالحديث الشريف بعد مؤسسها، بل والمشاركة في تدوينها، وحفظها من خلال ابنه سيدي عبد الرزاق.

وشملت عنايته بالأربعين القادرية التعريف بصاحبها سيدي عبد الرزاق، ومكانته بين كبار المحدثين وأقوالهم فيه، وسمات أربعينه، فقد اختار سيدي عبد الرزاق «أن تكون أربعيناته متميزة دراية ورواية من حيث المشيخة والأسانيد والموضوع، حيث هي أربعون طريقاً تمثل أربعين سنداً لأربعين حديثاً تربويّاً منسجماً في هذا مع المدرسة التربوية الرائعة العريقة التي أسسها والده»(1).

وبين الشيخ من سمات الأربعين القادرية أن صاحبها «ابتدأها مستفتحا أول حديث فيها بالرواية عن أبيه الكريم»(2)، وبعد إشارته لترضيه عليه، وتقديمه له بالرواية عن غيره، قال: «وفي هذا ما فيه من توجيه أخلاقي رفيع بالأدب مع الوالدين وتقديمها»(3)، وكأن سيدي عبد الرزاق ربط ذلك مع نص الحديث الأول الذي رواه عن والده الحاث على الأدب مع الصحابة، أراد أن يقول: «إن كان الأدب مع الصحابة مطلب أخلاقي ضروري، فالأدب مع أبيك مطلب لا يقل أهمية، وإن كان الصحابة هم من تحلوا بأكرم الأخلاق وأطيب الشيم أخذاً عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، فأبو الأسرة حري بنقل هذه الشمائل لأبنائه وأسرته»(4).

أما أهم مظاهر وأوجه عنايته بالأربعين القادرية، فهو استخراجه لسند لراويها متصل بصاحبها سيدي عبد الرزاق الجيلاني، بعد انقطاع أسانيد روايتها القديمة، ويعد هذا السند اليوم أصح الأسانيد اتصالا بسيدي عبد القادر، وأكثرها انتشارا في ربوع بلاد الإسلام، إذ انتشر في العراق، ومصر، وسوريا، وباكستان، وأينما وجدت الطريقة القادرية حول العالم، وأصبح المعول عليه والمعتمد لرواية هذه الأربعين.

---

(1) إجازة الشيخ أحمد القطعاني في الأربعين القادرية، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2016م، ص 6، 7.

(2) نفس المصدر، ص 7.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

ويبدو أن عناية الشيخ القطعاني بتحقيق هدف الأربعينات الحديثية، وهو الانتشار بين المسلمين وسهولة الفهم، كان أكثر تركيزا في عمله على نشرها داخل الأسر، ففي وقت مبكر اعتنى بالأربعين المسلسلة بآل بيت النبوة، فعمل على إسنادها وتقديمها في رسالة سماها: «مسلسل الأسرة بالعترة»(1)، أجاز فيها مريديه وسعى لتوطينها داخل أسرهم، بحثهم على ضرورة تدريسها لأبنائهم وأزواجهم وإجازتهم فيها.

ومن تجليات وثمار ذلك أن اعتنت زوجته السيدة أم الفقرا، رضوان الله عليها، بجمع أربعين خاصة بها، تناسب ثقافة الأسر والبيوت، وسمتها «الأربعون في صفة لباس الأمين المأمون»، جمعت فيها كل ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في لباسه، وضرورة اعتناء الأسر بثقافة اللباس.

خامسا: الأربعون العيساوية، منهجها، وخصائصها، وقضاياها:

اقتصر شيخنا على رواية أربعين حديثاً شريفاً من مرويات الشيخ الكامل، وإن ذكر أنه اختارها «جريا على نهج السادة المحدثين في تصنيف كتب الأربعينات ويقتصرون فيها على أربعين حديثا»(2)، إلا أنن نفهم أن للشيخ الكامل مرويات حديثية أخرى غير هذه الأربعين، سواء في مسموعات الشيخ أبي الروائن، أو في مسموعات تلاميذ الشيخ الكامل الآخرين الذين بلغ عددهم 18 ألف مريد، منهم 600 كان الشيخ الكامل أجازهم في التصدر للتربية والتعليم(3)، وبكل تأكيد فيهم من أخذ عنه الحديث الشريف روايةً ودرايةً.

---

(1) نشرها شيخنا القطعاني في مجموع مستقل عام 2000م بعد عقده لمجلس حديثي لإسماعها لمريديه، ثم نشرها ضمن كتابه كرائم المسلسلات، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2016م، ص 61.

(2) الأربعون العيساوية، العلامة أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص 4.

(3) أعلام الطريقة العيساوية، العلامة أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2019م، ص 47.

وعن عمله فيها، يقول: إن «تسمية الكتاب وجميع وترقيم الأحاديث وترتيبها وتخريجها»[1]، وسماها بالأربعين العيساوية، «نسبة لصاحبها الشيخ محمد بن عيسىٰ»[2]، وبين مكانته في الأوساط العلمية في عصره، قائلاً: إنه «خريج جامع القرويين بفاس، ثم أستاذ جامع القرويين، ثم أستاذ جامع مكناس الأعظم، وأستاذ جامع النجارين بدرب الفتيان بمكناس أيضـًا، ثم أستاذ الأساتيذ وعلامة الأمة ورأس علومها بزاويته الشهيرة بمكناس»[3].

أما مصادر جمعها، فذكر أنها من ثلاثة مصادر:

1- تدوينها بالقلم في كنانيش وكراريس علماء الطريقة، ومثقفيها، وكُتابها وبعضها مطبوع.

2- تداولها شفاها من قبل المريدين في مجالسهم ودروسهم داخل الزوايا العيساوية وخارجها.

3- حكايات القصاص الشعبيين، وقصائد ومنظومات شعراء الفصحىٰ والعامي، الذين وجدوا فيها من البلاغة والحكمة ما يستميل القلوب وينهض بالمجتمع.

وذكر الشيخ بعضا من خصائصها وسماتها[4]، فهي:

1- تروىٰ جميعها بسند واحد جمع متون أربعين حديثا شريفا.

2- جزيلة اللفظ، ميسورة الحفظ والفهم، سهلة التلاوة والنطق.

---

(1) الأربعون العيساوية، مصدر سابق، ص 4.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، ص 2.

3- غنية بالمعاني والدروس المستفادة والتوجيهات.

4- عامة النفع لا يكاد يستغنى المسلم عنها في حياته.

5- أن الشيخ الكامل لا يقول فيها قال رسول الله، بل قال جدي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان جدي صلى الله عليه وآله وسلم.

6- أن راويها الشيخ أبا الرواين المحجوب يقول: «قال شيخي محمد بن عيسى».

ويمكننا أن نضيف في أهميتها وخصائصها:

1- أنها أول مجموع حديثي في تاريخ الطريقة العيساوية.

2- أنها تعكس جانبا من جوانب شخصية الشيخ الكامل محمد بن عيسى، خصوصاً شخصيته كمحدث بارز ومعروف في أوساط محدثي الأمة الإسلامية.

3- أنها أبرزت مادة من مواد العلوم الإسلامية التي كانت تُدرس في الزاوية العيساوية، وملمحا هاما من ملامح منهج الشيخ الكامل في التربية والتعليم.

4- أن الشيخ الكامل جرى في روايته للحديث مجرى كبار المحدثين في رواية الحديث محذوف السند، للتيسير على السامع في حفظ واستيعاب متن الحديث، والعمل به.

5- أن رواية الشيخ الكامل للحديث متناً دون إسناد يعكس صورة وثاقة علماء عصره في روايته وعدالته بينهم.

6- اختيار الشيخ القطعاني لهذه الأربعين دون غيرها من مرويات الشيخ الكامل، يهدف لتوضيح وتأكيد منهج الجمال والحب الذي اعتمدته الطريقة العيساوية منهجا في الدعوة.

وقبل أن أدخل في تفصيل أهمية الأربعين، لا بد من التنبيه على أن هذا العمل يكشف عن جانب من جوانب مشاركات الشيخ القطعاني العديدة في فنون علم الحديث الشريف، وهو مشاركته في فن الأربعينات الحديثية، ويتميز عمله هذا بمائزين، الأول: الوجادة، والثاني: الاستخراج.

وقد اعتنى الشيخ القطعاني عناية كبيرة بالوجادات، وهي من مراتب تحمل الحديث الشريف، كما اعتنى أيضا، وبشكل واسع بالاستخراجات، وهي من مباحث الإسناد، فقد أوجد واستخرج عشرات المتون والمسلسلات، سيما الليبية منها.

ويشبه عمله في الأربعين العيساوية، بعمله في «المسلسل بالليبيين»[1]، من ناحية استخراج السند، لكنه يختلف نسبيًّا من ناحية المتن، ففي «المسلسل بالليبيين» اقتصر عمله في المتن على تجريد حديث شريف يرويه الترمذي في سننه، أما في الأربعين فعمله في المتن بالوجادة من مدونات رجال الطريقة العيساوية ومن مسموعات بعضهم.

إذاً، يضاف لأهمية هذا العمل، أنه يبرز عملاً من أعمال الشيخ يتميز عن أعماله الأخرى، جمع فيه بين فنين من فنون علم الحديث، وجادة المتون الأربعين واستخراج سند لها، ويزيد من أهمية هذا العمل أنه استخرج سنداً أغلب وسائطه هم من رجال الطريقة العيساوية، ما يعزز ويوثق صلته بالطريقة وتاريخها.

---

(1) ينتظر كرائم المسلسلات، مصدر سابق ص 69، وينظر أيضا ثبته الكبير أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج1، ص 50.

ومما يلاحظ في طريقة اختياره لهذه المتون الأربعين من مرويات الشيخ الكامل دون غيرها، أنها لم تكن جمعاً فقط، بل كان اختياره لها دقيقا ولأهداف، منها إلقاء المزيد من الأضواء على منهج الطريقة العيساوية القائم على أسلوب التيسير والتبشير والترغيب[1]، بل وتأصيل منهجها الجمالي من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمضامين نصوص المرويات الأربعين تأتي كلها في سياق التبشير والتيسير والترغيب، كحديث: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[2]، وحديث: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل، إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[3].

كما أن نصوص الأربعين، أصّلت لأبرز القضايا الصوفية عموما، ومنها:

- النية في الحديث الأول[4]، ومعناها عند بعض السادة الصوفية الإرادة، ومنها جاء وصفهم للسالك بالمريد، إذ النية أول منازل السالكين.

- الروح والكشف والإلهام والتحديث والرؤية في الحديث الثاني[5]، والثالث[6]، والخامس[7]، ....

(1) عقد شيخنا مبحثا كاملا شرح فيه منهج الطريقة العيساوية في الدعوة والسلوك والتربية، وهو منهج الجمال والحب، يعتمد الترغيب دون الترهيب، انظر اعلام الطريقة العيساوية، مصدر سابق، ص32.

(2) الاربعون العيساوية، مصدر سابق، ص 11.

(3)نفس المصدر، نفس الصحفة.

(4) نفس المصدر، ص 6.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) نفس المصدر، ص 7.

(7) نفس المصدر، نفس الصفحة.

والسادس[1]، والحادي عشر[2]، والتاسع والثلاثين[3].

- العقل وحدوده في الحديث التاسع[4].
- الصحبة في الحديث العاشر[5]، والثامن عشر[6].
- الذكر في الحديث الثالث والعشرين[7]، والرابع والعشرين[8]، والخامس والعشرين[9]، والرابع والثلاثين[10].

كما ركز في اختياره من مرويات الشيخ نصوصاً حديثية مرتبطة بالسادة العيساوية على وجه الخصوص، وأبرزها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، كونها أهم وسائل الوصول عندهم، وأكثر السادة الصوفية اشتغالاً بهذا الجانب، حتى إن أشهر كتب الصلوات على النبي، وهو كتاب دلائل الخيرات هو كتاب عيساوي في المقام الأول، ولا يُروى صحيحاً متصلَ الإسناد والمتن إلا من طريقهم، ولذا يعد أهم أورادهم على الإطلاق[11].

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ص 8.

(3) نفس المصدر، ص 11.

(4) نفس المصدر، ص 7.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) نفس المصدر، ص 8.

(7) نفس المصدر، ص 9.

(8) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(9) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(10) نفس المصدر، ص 10.

(11) ينظر الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسى الغوث، العلامة أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، =

كما أنها تمثل تكاملاً بين الأوراد العيساوية التي بينها في كتابه «الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسىٰ الغوث»، ومنهج الطريقة العيساوية الشاذلية الذي بينه في كتابه «الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ»[1]، وبين هذه النصوص الأربعين المختارة، وكأنها جاءت لتحدد أربعين قاعدة لسلوك الطريقة العيساوية، مبدؤها النية التي بينها أول حديث، فالنية من أعمال القلوب وعليها مدار التصوف، ومروراً بالعديد من منازل ومدارج السلوك وثماره، يصل السالك في هذه الطريقة إلىٰ مرحلة البلاغ والدعوة وفق هذا المنهج، فآخر حديث يحث علىٰ الإلحاح في الدعاء وتكرار الدعوة.

سادسا: الشيخ الكامل محمد بن عيسى من خلال الأربعينات العيساوية.

التأريخ لسيرة الشيخ الكامل يبدو أنه أيضا من مقاصد الشيخ في عمله علىٰ جمع هذه الأربعين وإشهارها، فهي تضفي علىٰ شخصية الشيخ الكامل مزيداً من الوضوح، وتبين أبعاداً فيها بشكل خاص، وفي المدرسة العيساوية بشكل عام، فالمصادر القديمة كدوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني، وابتهاج القلوب لعبد الرحمن الفاسي، بل والنور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل للمهدي الغزال الذي يعد أول الكتب التي تخصصت في جمع سيرة الشيخ الكامل، لم تتحدث عن الجوانب العلمية في حياة الشيخ الكامل، خصوصاً مشاركته الواسعة في علم الحديث الشريف وتضلعه من كتب السنة.

= طرابلس، ط3، 2017م، ص 69 وما بعدها.

(1) ينظر الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ، العلامة أحمد القطعاني، دار الكتاب العربي، بنغازي، 1992م، ص 143.

وتبدو أهداف شيخنا عديدة من هذه المختارات دون غيرها من مرويات الشيخ الكامل الحديثية، فبالغوص أكثر فيها تتجلىٰ لنا جوانب أخرىٰ مهمة في شخصية الشيخ الكامل، فهذه النصوص تعكس لنا اطلاعه الواسع علىٰ كتب الحديث، ويتضح ذلك من روايتها بألفاظ غير ألفاظها من مصادر الحديث غير المشهورة.

وبتتبع ألفاظ بعض نصوصها وتخريجها من مصادرها التي نقلها عنها الشيخ الكامل، يمكننا اكتشاف بعض من الكتب الحديثية التي كانت في مكتبة الزاوية، ووجود هذه الكتب، يعني وجود غيرها من كتب الحديث في تلك المكتبة، فالمتفنن في هذا العلم وبلوغه فيه شأواً كبيراً حتىٰ صار قادراً علىٰ اختيار ألفاظ بعينها، من المؤكد أنه امتلك كتب الحديث الأكثر تداولاً وشهرة في العلم، ككتب الصحاح، والسنن، والمسانيد الأخرىٰ.

وبمرور سريع علىٰ بعض نصوص الأربعين، يتضح لنا أن من بين كتب علوم السنة التي احتوتها مكتبة الزاوية:

1 - كتاب «الزهد» للمعافىٰ بن عمران الموصلي، فالحديث الخامس والثلاثون في الأربعين: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعلمه ماذا عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟»، لفظه هذا من كتاب الزهد للمعافي بن عمران الموصلي، فالترمذي والدرامي وأبو يعلىٰ والروياني وأبو نعيم خرجوا هذا الحديث بألفاظ أخرىٰ، وفي بعضها زيادات.

2 - كتاب مصنف ابن أبي شيبة، فالحديث الثامن: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة»، هو لفظ ابن أبي شيبة في مصنفه، ورواة هذا الحديث الآخرين، وهم البزار وابن عساكر، رووه بألفاظ أخرىٰ وبزيادات.

3- دلائل النبوة للبيهقي، فالحديث الرابع: «أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه، ثبت الله قدميه يوم القيامة»، لفظه هذا عند البيهقي في دلائل النبوة، والطبراني والترمذي في الشمائل والبغوي وابن منده وابن حبان والديلمي وابن شاذان في مشيخته الصغرىٰ رووه بزيادات.

4- مسند الشهاب للقضاعي، فالحديث السادس: «إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره، سلب ذوي العقول عقولهم حتىٰ ينفذ فيهم قضاؤه وقدره» لفظه من مسند الشهاب للقضاعي، روايته عند البيهقي وأبي نعيم والديلمي والخطيب بألفاظ أخرىٰ متقاربة وفي بعضها زيادات.

وأيضاً الحديث الثلاثين: «المؤمن آلف مألوف، ولا خير فيما لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»، لفظه في مسند الشهاب للقضاعي، والطبراني والحاكم وأحمد رووه بألفاظ أخرىٰ، وفي بعضها زيادات.

5- الجامع الصغير للسيوطي، فإن الحديث التاسع عشر: «ائت المعروف، واجتنب المنكر، وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فأته، وانظر الذي تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فاجتنبه»، لفظه هذا في الجامع الصغير للسيوطي، أما روايته عند البيهقي وأبي نعيم وابن سعد وابن خيثمة في التاريخ والبخاري في الأدب بألفاظ أخرىٰ وفي بعضها زيادات. وهنا يجب أن نلاحظ أن السيوطي معاصر للشيخ الكامل، ووصول الجامع الصغير للشيخ الكامل ودراسته له، إما أنه دليل علىٰ متابعته للحركة العلمية والمؤلفات في عصره، أو أن تواصلا حدث بينه وبين السيوطي.

6- الأربعون في تصحيح المعاملة للقشيري، ففي الحديث الثالث والعشرين: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عن مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذلك يا رسول الله، قال: ذكر الله»، فهو لفظ القشيري في الأربعين في تصحيح المعاملة، وروايته عند الترمذي وابن ماجه والبيهقي وأبي نعيم وأحمد بألفاظ أخرىٰ وزيادات.

ودون شك عندي فإن عناية الشيخ القطعاني بجمع هذه الأربعين تأتي ضمن جهوده في إحياء منهج لطريقة العيساوية وبعثه وتجديده، وإزالة الشبه والشوائب التي دخلت علىٰ الطريقة ورجالها ومنهجها وحياتهم العلمية الصوفية، ومن هنا نفهم سبب اختياره لشخصية الشيخ أبي الرواين المحجوب واسطة لرواية الأحاديث الأربعين عن الشيخ الكامل، دون غيره من تلاميذه وهم بالمئات والآلاف، وفيهم قطعـًا العلماء والمحدثون وأهل الإسناد، فشخصية أبي الرواين وتاريخه لحقه الكثير من التشويه في المرويات وكتب التاريخ التي أظهرته كرجل مجذوب في أذهان الناس مجرداً عن أدواره العلمية، ومكانته الصوفية في المدرسة العيساوية.

وفي أعمال الشيخ القطعاني الأخرىٰ عن الشيخ الكامل، خصوصـًا في كتاب أعلام الطريقة العيساوية[1]، الذي احتوىٰ علىٰ أوسع وأكبر وأحدث ترجمة للشيخ الكامل، نجده توجه فيها إلىٰ العمل علىٰ توضيح أبعاد جديدة في شخصية الشيخ الكامل، كدرايته الكاملة والواسعة بالعقيدة وفروعها، فأثبت له آراء ومقالات فيها علىٰ طريقة الاشاعرة[2]، تدل علىٰ مكانته الكبيرة بين علماء أهل الكلام، كما نقل

(1) أعلام الطريقة العيساوية، مصدر سابق، ص 11 وما بعدها.

(2) نفس المصدر، ص 55 وما بعدها.

عنه مقولات أخرىٰ تبين أنه عمل علىٰ إرساء منهج عيساوي خاص في علم المناظرة والاختلاف[1]، وكذلك بيانه للأبعاد الإنسانية الراقية الحضارية في حياته، كالعناية بالمرأة والطفل والبيئة وغيرها، وأبرز مكانته بين متصوفة عصره وأقواله في التصوف التي تجعله في مصاف كبار أقطاب الأمة.

وكذلك هنا في هذه الأربعين يواصل الكشف عن الجوانب الغائبة في حياة الشيخ الكامل العلمية، فيبدأ بالتعريف به، قائلاً: إنه «خريج جامع القرويين بفاس، ثم أستاذ جامع القرويين، ثم أستاذ جامع مكناس الأعظم، وأستاذ جامع النجارين في مكناس أيضا، ثم أستاذ الأساتيذ، وعلامة الأمة، ورأس علومها بزاويته الشهيرة بمكناس»[2]، ويفيدنا بأن هذه المراحل هي ترتيب لتدرجه العلمي، فبعد تخرجه من جامع القرويين أصبح أستاذاً فيه، ثم انتقل إلىٰ مكناس ليصبح أستاذاً في جامعها الأعظم، ثم أستاذاً في جامع النجارين، قبل أن يتفرغ نهائيّاً للتدريس والتعليم في زاويته وقد أصبح «أستاذ الأساتيذ وعلامة الأمة» وهي مكانة تعكسها روايته للحديث الشريف بقوله: «قال جدي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وكان جدي صلىٰ الله عليه وآله وسلم»[3] في دلالة واضحة علىٰ قوة وصلابة حافظة الشيخ الكامل وقدرته علىٰ تمييز الصحيح من غيره دون الرجوع إلىٰ كتب الحديث والصنعة، من جانب، ومن جانب آخر دلت روايته للحديث الشريف دون إسناد علىٰ قبول علماء قطره لروايته وعدالته، والوثاقة الكبيرة في روايته، خصوصاً وأن مجالسه الحديثية كان يعقدها في جامع القرويين والجامع الأعظم في مكناس، أكبر معاقل العلم في المغرب الأقصىٰ ويزدحمان بالعلماء وطلبة العلم.

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحات.

(2) الأربعون العيساوية، مصدر سابق، ص 4.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

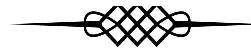
ومن الفوائد التي يرصدها المطالع لهذه الأربعين الحديثية، صورة من صور الاشتغال العلمي في الزاوية العيساوية في عهد مؤسسها، فهي ليست كما تتصور الأذهان بسبب انحراف الأجيال اللاحقة بالطريقة وزواياها عن أصولها ومنهجها، بعيدة عن تعاطي العلوم وتدريسها، بل علىٰ العكس عاشت الزاوية العيساوية في عهد مؤسسها الشيخ الكامل رواجها علميّاً كبيراً ووصلت إلىٰ مستويات متقدمة جدّاً، حتىٰ إن الشيخ الكامل اعتنىٰ بتدريس علوم الحديث بشتىٰ فروعها، ومنها تخصصات دقيقة، كمعالجة الروايات الحديثية واختلافها في كتب السنة، ما يعني أن طلابه، ومنهم أبو الرواين، بلغوا مستويات متقدمة جدّاً في هذه العلوم.

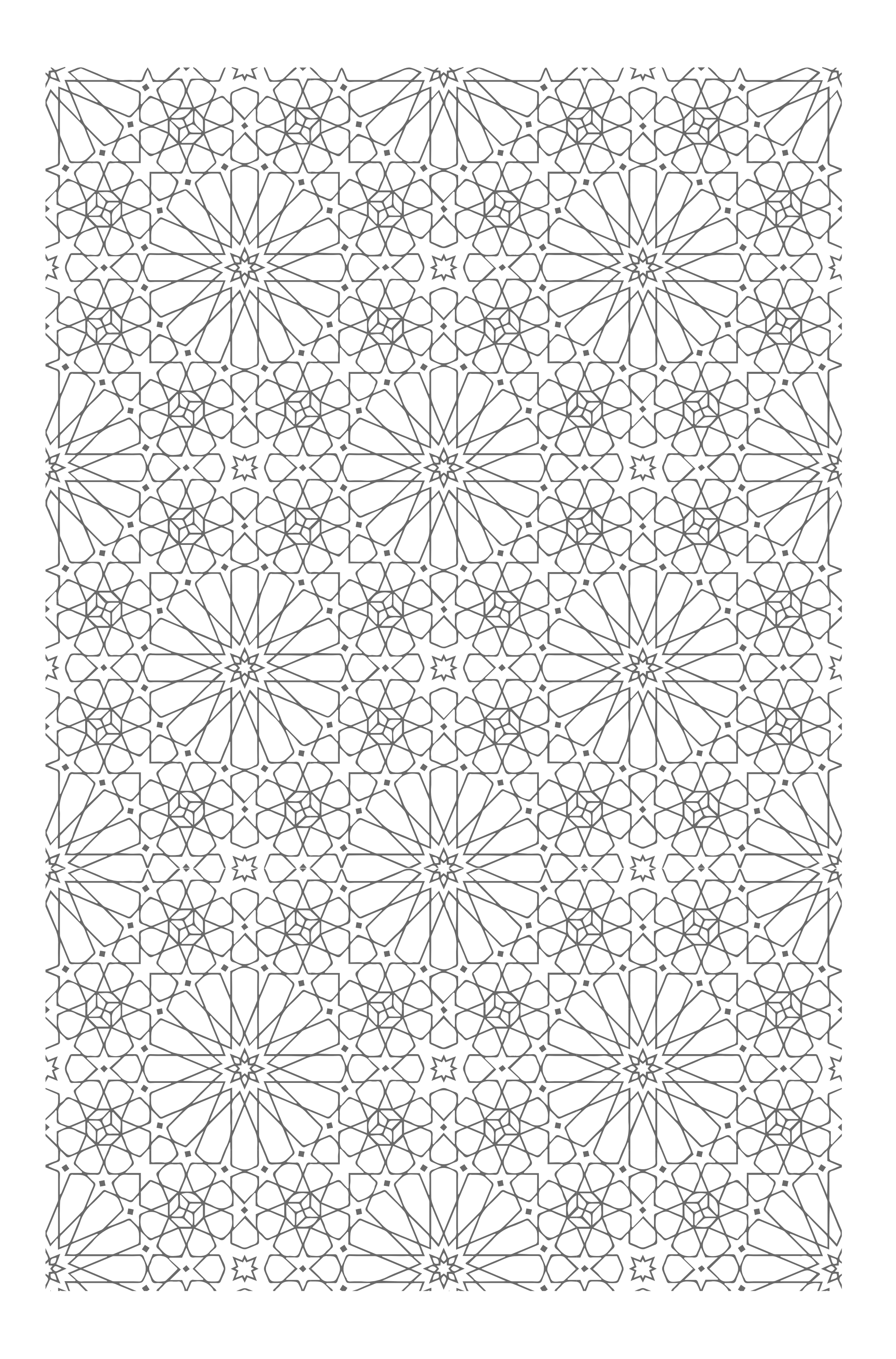
وبالعودة للأربعين العيساوية، نجد الشيخ القطعاني يكشف لنا من خلال اختياره لنصوصها ملامح منهج الشيخ الكامل في التعليم والتربية في زاويته، فبعد أن عرفنا أن علوم السنة وكتبها من المقررات المهمة في زاويته، أمكننا أن نعرف المقررات الأخرىٰ كاللغة، والنحو، والمعقول، والفقه، والأصول، وغيرها، فعلم الحديث وفقا لترتيب سلم التعليم في المدارس الإسلامية، تخصص متقدم لا يمكن للطالب بلوغه إلا إذا تجاوز دراسة علوم تتقدمه، فالنحو واللغة مهمان لمعرفة ألفاظ الحديث، والمعقول والأصول أيضاً، وأيضاً البلاغة لفهم مغازي وفقه الحديث.

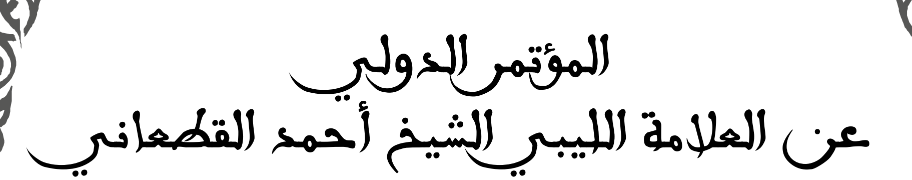
وفي منهج الشيخ الكامل، كل هذه العلوم داخلة في علم التصوف، وهي مقدمة لنتيجته لمن أراد التدرج إلىٰ نهاية منازل السالكين فيه، ففي قوله: «أما أول العلوم، فهو علم التوحيد، وأما وسطها، فهو علم المكاشفة، وأما آخرها، فهو علم المكالمة»، ثم يردف لتأصيل كلامه برواية حديث: «إنه قد كان فيما مضىٰ قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب»، إذاً، فمنهج الشيخ الكامل في إقراء العلوم منهج متكامل للوصول إلىٰ ثمرة سلوك

التصوف، فلا يمكن أن يكون العيساوي سالكـًا وهو علىٰ غير دراية، بل وتمهر، في التوحيد، واللغة، والنحو، والبلاغة، والحديث الشريف، وكتب السنة.

ويجعل الشيخ الكامل التصوف العملي الضابط في سلك التدرج العلمي الصوفي، فيقول: «احذروا علمـًا بلا ديانة وديانة بلا علم، ويل لعالم لا يعمل بمقاصد دينه، وويل لجاهل من نفسه»، وهو ما استقرت عليه الطريقة من بعده، إذ نجد الشيخ عبد الرحمن الفاسي في ابتهاج القلوب يقول عن منهج الشيخ الكامل: «طريقته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تتبع العمل بالعلم بدوام الحمد، وإجراء حكم الشريعة مع كثرة الحمد من حيث المنة به، ودوام الاستغفار، من حيث النظر إلىٰ أكمل منه».







المؤتمر الدولي
عن العلامة الليبي الشيخ أحمد القطعاني

الدورة الثالثة

(علم الأثبات والمشيخات والفهارس

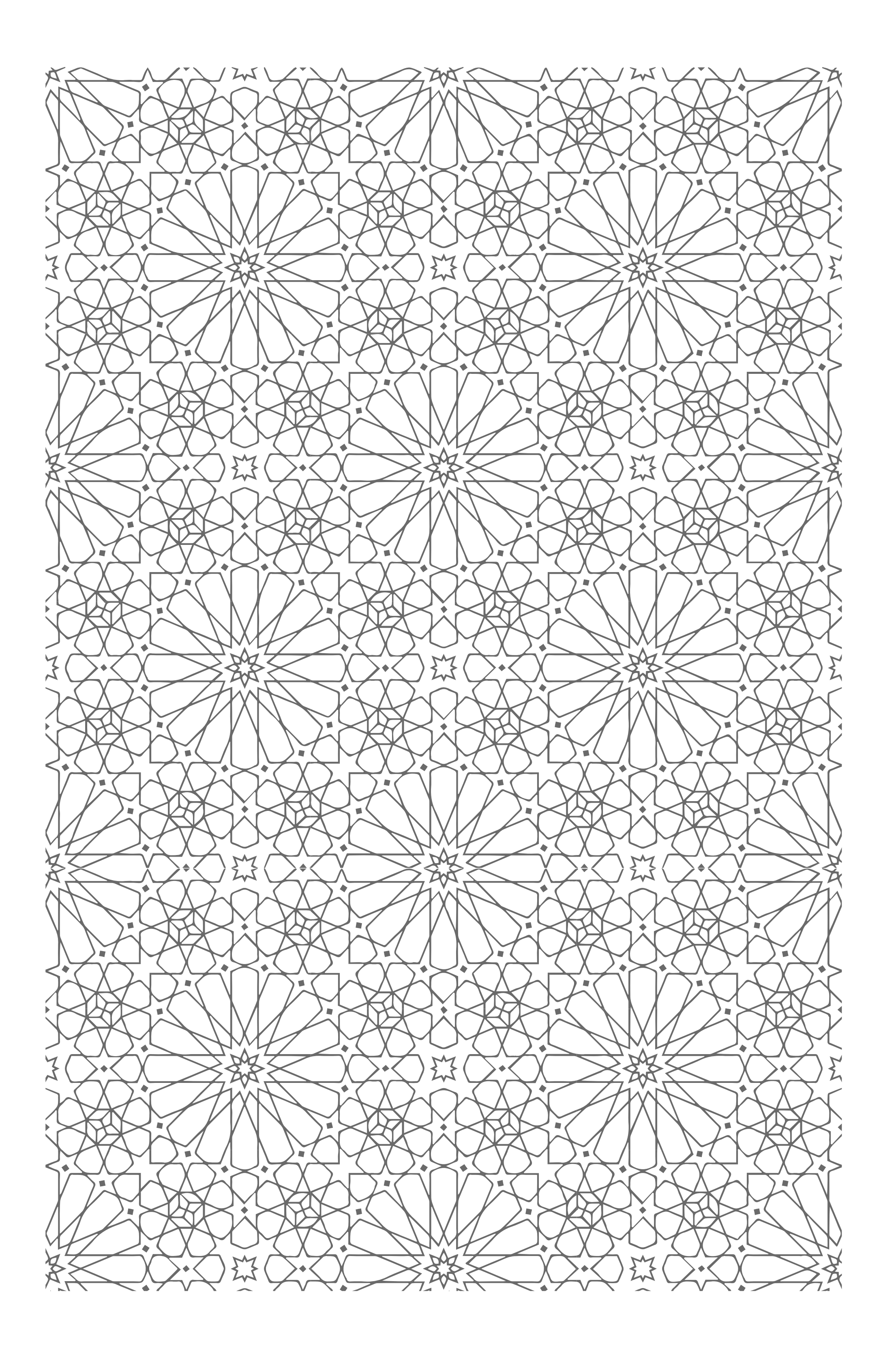
ودور ثبت «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»

في استمراره)

طرابلس

12 ربيع الآخر 1443هـ

17 نوفمبر 2020م



فهرس الدورة الثالثة



كلمة سماحة الداعية الأزهري

أ.د. يسري جبر

في افتتاح الدورة الثالثة من المؤتمر



والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه والتابعين.

السادة والسيدات في هذا المؤتمر العلمي الكبير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبارك لكم الدورة الجديدة من هذا المؤتمر عن مسند الديار الليبية العلامة الشيخ أحمد القطعاني رحمه الله ورضي عنه، هذا العالم الجليل الذي أحيا الله به الكثير من العلوم التي كادت أن تندرس في ليبيا، ومنها علم الإسناد وطلب علوم الرواية.

فبعد أن تعلم الشيخ القطعاني على يد علماء البلاد، وسافر لطلب العلم خارجها، عاد ليرفع راية علم الحديث الشريف، وأنشأ لذلك المدارس والمعاهد في أماكن كثيرة، وألف أكثر من ثمانين كتاباً في مجالات العلوم الإسلامية المختلفة، وإحياء مجالس الحديث والسماع والرواية، فقد روى كتب الحديث عن أكثر من سبعين شيخا، وخرّج الطلاب والعلماء، وتصدر للتربية والإرشاد على طريقة

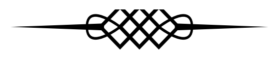
السادة الصوفية ومنهجهم، فقد كان شيخنا للطريقة العيساوية الشاذلية، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه.

ونحن نريد بهذا المؤتمر، أن نحيي ذكرى هذا العالم الجليل، لعلنا بإحياء تراثه وذكراه نستمد من همته التي استمدها من حبه لرسول الله ﷺ، وحبه لهذا الدين القويم، وكثرة ذكره، وحبه للصالحين وتعلقه بهم، لعلنا نتخلق ونتعلق بهؤلاء الأفذاذ من أمة الحبيب المصطفى ﷺ.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في تراثه وعلومه، وأن لا يحرم الديار الليبية وسائر ديار المسلمين من أمثال هؤلاء الذين يجدد الله بهم الدين.

ونسأل الله أن يجمعنا دوما بكم على خير حال، ويوفقنا ويوفقكم لكل خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة اللجنة التحضيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله ومن والاه

السادة الباحثون:

نرحب بكم مجددا في دورة جديدة من دورات المؤتمر الدولي عن العلامة الليبي أحمد القطعاني، الذي درج مركز العلامة الليبي د. أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية، على عقده سنويا في ذكرى انتقال شيخنا إلى رحمة الله في 17 / 11 / 2018م.

وفي هذه الدورة، وهي الثالثة، قررت اللجنة الدائمة للمؤتمر أن يكون موضوع المؤتمر عن «علم الأثبات والمشيخات والفهارس»، احتفالا بإصدار مركز العلامة أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية، الثبت الكبير لشيخنا (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) في مجلدين، مطلع هذا العام.

ويعلمكم المركز بأن كتاب (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) صار متاحاً لكل الباحثين والعلماء والمهتمين بهذا العلم من خلال شبكة الإنترنت.

وعلم الأثبات والمشيخات والفهارس، هو علم إسلامي ازدهر طيلة قرون أمة الإسلام المجيدة الماضية بعشرات المصنفات التي توفرت على مادة علمية غنية، لم تعد أغلب التخصصات العلمية في غنى عنها، خصوصا الدراسات التاريخية، إذ

تشكل المصنفات في هذا العلم مادة مصدرية تاريخية هامة، كما أن العلوم الحديثة أيضًا يمكنها الاستفادة منها بشكل كبير، كعلوم المكتبات والفهرسة والاجتماع بفروعه والأنثروبولوجيا، والكثير جدا من التخصصات في شتىٰ فروع العلم الحديثة.

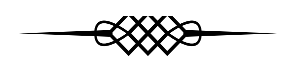
وعلىٰ الرغم من أهمية المصنفات في هذا العلم ومكانتها، إلا أن ما كُتب عنها لا يكاد يكون أكثر من مقالات تعريفية، أو مقدماتٍ من قِبَلِ من حقق بعض كتب الأثبات والفهارس، وجُلها، إن لم نقل كلها، صيغت بأسلوب العرض، وتفتقر للتخصص.

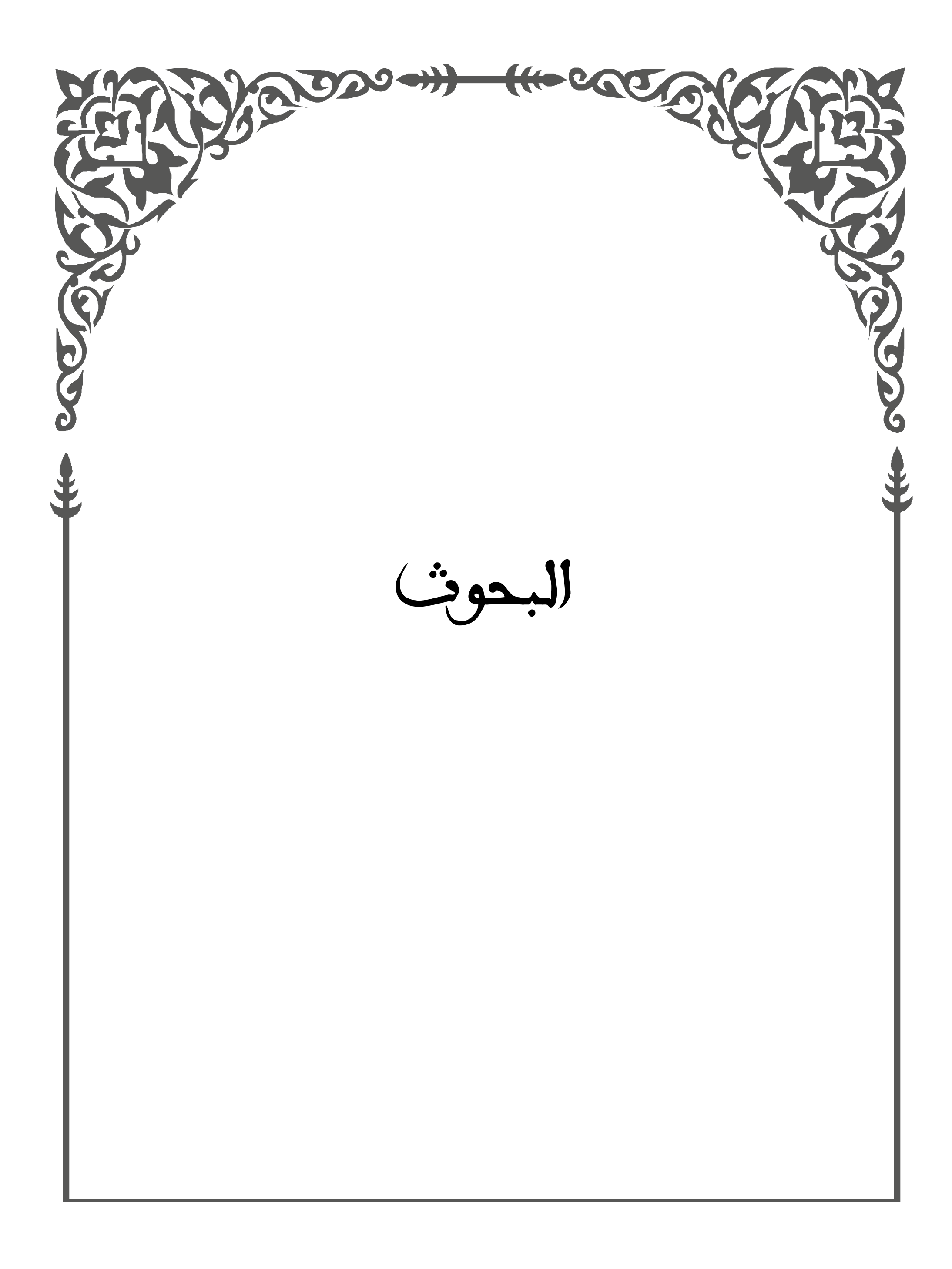
ومن هنا تأتي أهمية هذا المؤتمر، كونه أول مؤتمر إسلامي يتخصص في دعوة الباحثين والعلماء، لإجراء الدراسات المتخصصة حول هذا العلم، وكما أحيا شيخنا العلامة المحدث المسند د. أحمد القطعاني علم الأثبات مجدداً، وأحيا من خلاله الأسانيد الليبية وكل ما يتصل بها، كذلك حرص المركز علىٰ أن يطلق أول مؤتمر إسلامي يدخل بهذا العلم إلىٰ المجالات الأكاديمية البحثية.

نرحب بكم مجدداً، ونسأل الله لكم التوفيق.

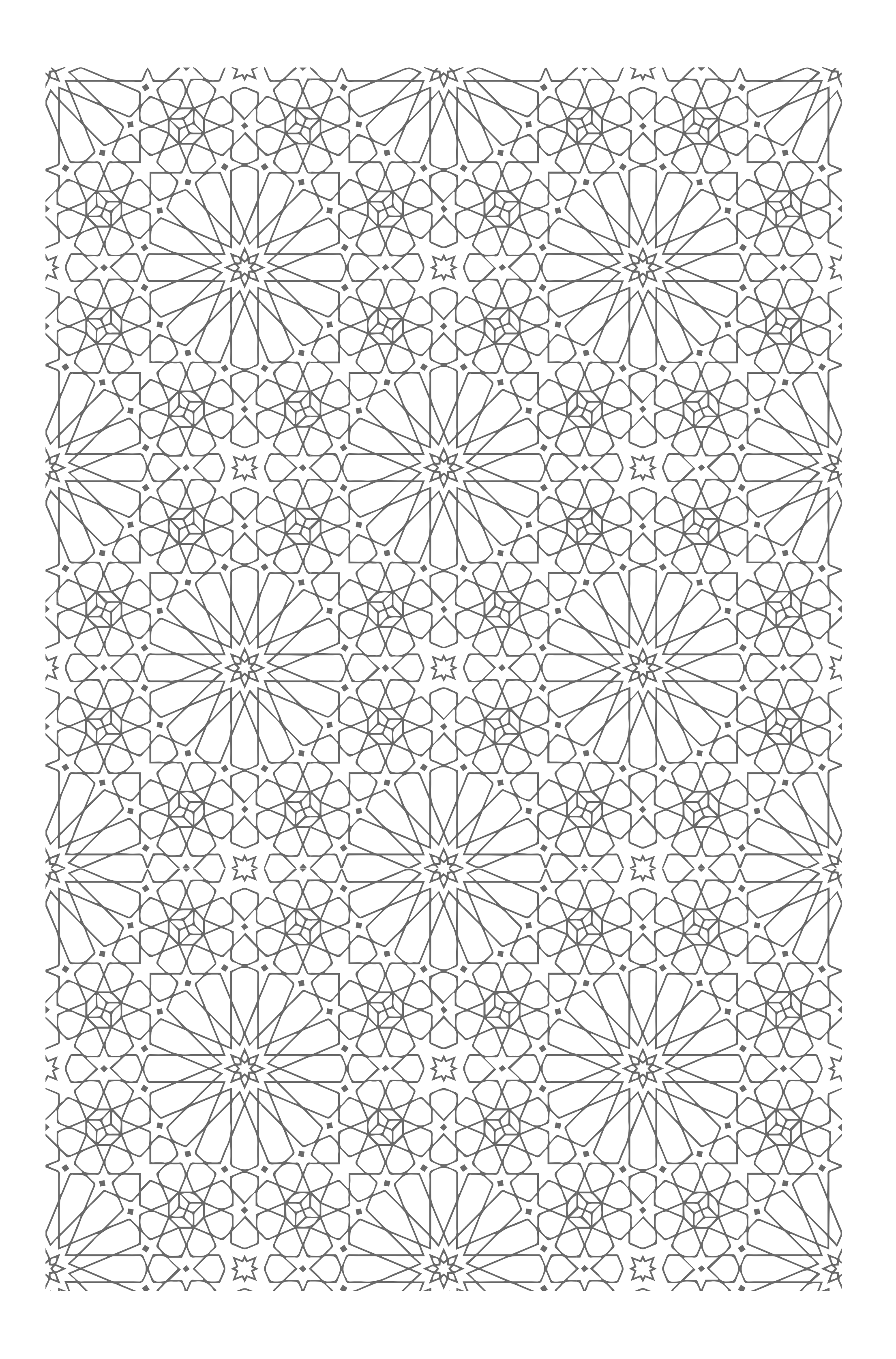
والسلام عليكم ورحمة الله

د. عبد المحسن موسىٰ العوكلي
اللجنة التحضيرية
طرابلس، 17 / 11 / 2021م.





البحوث



المناهج المتبعة في تصنيف كتب علم الأثبات والمشيخات والفهارس

د. أمينة تليلي
أستاذ مساعد بجامعة الزيتونة، تونس



الحمد لله الذي بدونه ما كتب قلمي، وما نطق لساني، وما تعلم عقلي، وما كنت أنا على ما عليه، ولا وفقت للكتابة في هذا الموضوع شيئًا، والصلاة والسلام على نبيه فصيح اللسان أشرف الخلق أجمعين، أما بعد:

تعلمون ما للندوات والمؤتمرات من بالغ الأهمية في حياة طالب العلم والأستاذ على حدّ السواء، لما تقدمه من فرصة للاطلاع على البحوث المقدمة من المشاركين، بالإضافة إلى تقوية الصلات العلمية بين الدول عامة، وبين الجامعات خاصة.

ولهذا أتقدم بين أيديكم بهذه الورقة البحثية الموسومة بـ« المناهج المتبعة في تصنيف كتب علم الأثبات والمشيخات والفهارس»، وهذا لما رأيته من بالغ الأهمية لموضوع المؤتمر العلمي «علم الأثبات والشيخات والفهارس ودور ثبت «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» في استمراره» راجيةً من الله أن ينال قبول أعضاء لجنتكم الموقرة.

من المعلوم أن تعدد المشايخ يفيد المتعلمين في طلب العلم لدورهم في تصحيح المعارف، وصقلها، فكلما زاد عدد المشايخ تعددت طرق تحصيل

العلوم، لفضلهم في تبسيط المسائل وشرحها. فالشيخ يأخذ بيد تلميذه في مسالك طلب العلم ويقومه، ويعرفه بجوانب الإجادة والتقصير، حتىٰ يسير في طريق طلب العلم بأمان، وتتبين له مسالك أهل العلم بوضوح.

ولفضل المشايخ علىٰ طلاب العلم ودورهم في تكوينهم التكوين العلمي الصحيح، رأىٰ البعض أن يجمع أسماء شيوخه ويفصل الحديث في فضلهم في مؤلف، اصطلح علىٰ تسمية هذا النوع من المؤلفات بكتب المشايخ، أو الفهارس، أو الأثبات، فكتب الأثبات والفهارس والمشيخات هي أسماء مترادفة لنوع من التأليف، وهي الكتب التي يسجل فيها الشيخ مروياته وإجازاته، والكتب التي قرأها علىٰ مشايخه. فعبرت هذه البرامج أو الفهارس عن شعور الوفاء بين طالب العلم الذي أصبح عالماً من جانب، وشيخه من جانب آخر.

وقد ظهرت دراسة علم المشيخات منذ وقت مبكر حيث إنها وجدت منذ العهد الأول للدعوة الإسلامية، منذ كانت الحلقات العلميّة تعقد، ويمكن القول بأن أول حلقة علمية انعقدت في التاريخ الإسلامي كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم بمكة، إذ كان رسول الله ﷺ يجتمع بمن آمن به. ثم صارت الحلقات والمجالس وتسارع الصحابة لأخذ الحديث عن الرسول، ومن ثم كان رسول الله ﷺ يستمع من أصحابه ما يحفظونه.

المبحث الأول: التعريف بعلم الأثبات والفهارس والمشيخات، وأهميته.

وقد سميت هذه المؤلفات بتسميات مختلفة يمكن حصرها في ستة ألفاظ، هي: «المشيخة، المعجم، الفهرس، البرنامج، الثبت، السند» غير أن بعض المصنفين كانوا يطلقون علىٰ كتبهم تسميات مخصوصة، ككتاب (الغنية) ، وهو

فهرست شيوخ القاضي عياض السبتي (ت 544هـ)[1]. ونلاحظ أن تسميته مشيخة ومعجمـًا وثبتـًا وسنداً أكثر ما تكون استعمالاً في المشرق، أمّا المغاربة والأندلسيون فقد شاع عندهم استعمال كلمة الفهرس والبرنامج[2].

المطلب الأول: التعريف بهذا العلم.

أ. الأثبات:

في اللغة: تعددت تعريفات هذا المصطلح، نذكر منها ما جاء في مختار الصحاح: «(ثبتَ) الشيء من باب دخل و(ثَبَاتًا) أيضـًا و(أَثْبَتَهُ) غيره و(ثَبّتَهُ) أيضـًا و(أَثْبَتَهُ) السقم إذا لم يفارقه، وقوله تعالىٰ: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: 30] أي: يجرحوك جراحة لا تقوم معها. و(تَثَبّتَ) في الأمر و(اسْتَثْبَتَ) بمعنىٰ، ورجُلٌ (ثَبْتٌ) بسكون الباء، أي: (ثابتُ) القلب، ورجل له (ثَبَتٌ) عند الحملة بفتح الباء، أي: ثبات. وتقول: لا أحكم بكذا إلا بثبت بفتح الباء، أي: بحجة و(الثَّبِيتُ) الثابت العقل»[3].

وجاء في تاج العروس: «ثَبَتَ الشَّيْءُ يَثْبُتُ ثَبَاتـًا بالفتح وثُبُوتـًا بالضمّ، فهو ثابِتٌ وثَبِيتٌ وثَبْتٌ بفتح فسكون. شيءٌ ثَبْتٌ، أَي: ثابِتٌ. وأَثْبَتَه هو وثَبَّتَه بمعنىً. ويُقال: ثَبَتَ فلانٌ في المكانِ يَثْبُتُ ثُبُوتـًا: إِذا أَقامَ به فهو ثابِتٌ»[4].

---

(1) أدوات تحقيق النصوص المصادر العامة، عصام الشنطي، مكتبة الإمام البخاري، ط1، 2007م، ص 60.

(2) نفس المصدر، ص 59.

(3) مختار الصحاح، إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، ط/ 4، 1990م، 1/ 48.

(4) تاج العروس، مرتضىٰ الزبيدي، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، 3/ 28.

في الاصطلاح: يقول الشنطي: «واستعيرت هذه الكلمة للكتاب الحاوي لأسماء المشايخ والأعلام الضابطين لرواياتهم، والذين نقرأ عليهم الكتب، ويمنحون الإجازات، مثل ثبت الجوهري وهو أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي الجوهري (ت 1182هـ)، وقد جعل هذا الثبت في أسماء شيوخه»(1).

ب. الفهارس:

في اللغة: عرفه صاحب تاج العروس بقوله: «البرنامج بفتح الموحدة والميم، وقيل بكسر الميم وهي الورقة الجامعة للحساب، ولفظ البرنامج يستعمله أهل الأندلس بمعنىٰ الفهرسة»(2).

وعرف كذلك بأنّه: «كتاب تجمع فيه أسماء الكتب مرتَّبة بنظام معيَّن. ولَحَق يوضع في أوّل الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام، أو الفصول والأبواب، مرتّبة بنظام معين»(3).

في الاصطلاح: يعرفه الكتاني بقوله: «هو الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده، وما يتعلق بذلك»(4). وهو كذلك: «النسخة التي يكتب فيها المحدث أسماء رواته وأسانيد كتبه المسموعة بذلك، وهو كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكراً عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، والشيخ الذي

(1) أدوات تحقيق النصوص المصادر العامة، مصدر سابق، ص 64.

(2) تاج العروس، مصدر سابق، 5/ 85.

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط/ 4، د. ت، ص 197.

(4) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط/ 2، 1982م، 1/ 69-70.

قرأه عليه، أو تحمّله عنه، وسنده إلى مؤلفه الأول، وقد يتولى تصنيف الفهرس غير صاحبه كما فعل محمد بن عبّاد الأندلسي (ت 603هـ/ 1206م) الذي ألّف في مشيخة أبيه مجموعاً مرتباً على حروف المعجم، وقد اشتهر لفظ «الفهرسة» بمعناه الاصطلاحي في المغرب والأندلس[1].

ج. المشيخات:

في اللغة: «الشّيخ الذي استبانت فيه السّنّ، وظهر عليه الشّيب، والجمع أشّياخ، وشيخان، وشيوخ، وشِيَخَة، وشِيخَة، ومشْيَخَة، ومَشِيخَة، ومشْيُوخاء، ومَشايخ، وقد يُعبّر به فيما بيننا عمّن يكثر علْمه لما كان من شأن الشّيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه»[2].

في الاصلاح: «المشيخة هي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم»[3].

وعرفت كذلك بكونها: «الكراريس التي يجمع فيها الإنسان شيوخه»[4].

وقال عبد الحي الكتاني: «اعلم أنه بعد التتبع والتروي ظهر أن الأوائل كانوا يطلقون لفظة «المشيخة» على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك المعجم، فكثر استعمال واطلاق

(1) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، ط/ 1، د.ت، 12/ 128.

(2) معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، حازم كمال الدين، مكتبة الآداب، ط/ 1، 2008م، ص 280.

(3) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، ط/ 1، 1993م، ص 140.

(4) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مصدر سابق، 1/ 268.

المعاجم مع المشيخات، وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج، أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون -إلى الآن-: الثبت، وأهل المغرب -إلى الآن- يسمونه: الفهرسة»[1]. إلى أن استعمل حديثاً بمعنى أنه ملحق يذكر فيه محتويات الكتاب من الموضوعات والأعلام ونحو ذلك مرتبة ترتيباً خاصّاً[2].

د. البرنامج:

في اللغة: «البَرنامَج بفتح الميم وهي ألواح مجموعة يكتب فيها الحساب، كأنه بيع عدّة أثواب على ماهي مكتوبة في البرنامج»[3].

وفي الاصطلاح: «هو الكتاب الذي يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكراً عنوان الكتاب واسم مؤلفه والشيخ الذي قرأه عليه أو تحمله عنه، وسنده إلى المؤلف الأول، وربما ذكر خلال ذلك المكان الذي كان موضعاً للدرس، والتاريخ الذي بدأ فيه الدراسة أو ختمها»[4].

كما ذكرت تسميات أخرى تدّل على نفس النوع من التأليف كالمعاجم والأسانيد، وكتب الرجال، المسموعات أو المرويات أو الدرج أو الإجازة أو الكناشة.

---

(1) نفس المصدر، 1/ 67.

(2) معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي وحامد قنيني، دار النفائس، ط/ 2، 1988م، 1/ 350.

(3) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، صلاح الدين الصفدي، تحقيق السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط/ 1، 1987م، ص157.

(4) كتب برامج العلماء في الأندلس ونص برنامج ابن أبي الربيع، عبد العزيز الأهواني، مطبعة مصر، ط/ 1، 1995م، 1/ 91.

المطلب الثاني: أهمية هذا العلم.

لكتب المعاجم والمشيخات، أهمية كبرىٰ باعتبارها تمثل ظاهرة حضارية متعددة الجوانب، ويمكن ذكر بعض هذه الفوائد الجليلة كالآتي:

- يعدّ فنّ رواية النصوص وتوثيقها من أرقىٰ ما توصّل إليه المسلمون في ميراث المعرفة الإنسانية، ويحتل علم معاجم الشيوخ والمشيخات المكانة المرموقة في فنّ رواية النصوص وتوثيقها عند المحدثين.

- تعدّ المعاجم والمشيخات وثائق هامّة للكثير من العلوم التي تتعلق بأحوال العالم الإسلامي، سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو العلمية أو غير ذلك من المجالات المتعددة الجوانب.

- إنّ المشيخات ومعاجم الشيوخ تظهر لنا وحدة العالم الإسلامي وقيامه علىٰ أساس العقيدة الإسلامية.

- إن المعاجم والمشيخات قد حفظت لنا تواريخ كثير من البيوتات، والأسر العلمية التي اشتهرت بالحديث، والفقه، والأدب، والقضاء، والإمامة، والخطابة، وغير ذلك.

- إنّ كتب الشيوخ والمشيخات تُعطينا فكرة واضحة عن حملة العلم، والثقافة في البلاد الإسلامية حيث تضّمنت سيراً لأهل العلْم، وحملة الثقافة في طول البلاد الإسلامية وعرضها، ويلاحظ أن من بين هؤلاء: المحدثين،والفقهاء، والأدباء، والوعّاظ، والخطباء، والقضاة، والأمراء والوزراء، والأطباء... وغيرهم، كما أن فيهم العربي، والفارسي، والتركي، والرومي، وفيهم الحرّ والعبد، والغني والفقير، وبذلك يمكننا القول بأن معاجم الشيوخ قد أعطتنا مثالاً رائعاً عن تماسك

المجتمع الإسلامي، وانصهار الكل في بوتقة العقيدة الإسلامية وانعدام الطبقية التي عانت منها أمم متعددة حتىٰ وقت قريب.

• إن كتب معاجم الشيوخ والمشيخات تُظهر لنا أن اللغة العربية كانت هي لغة العلم والحضارة من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلىٰ الأندلس غرباً.

• إنّ معاجم الشيوخ والمشيخات قد تضمنت تراجم العديد من النّساء، وهذا يدّل علىٰ المكانة العلّمية الرّاقية والمنزلة المرموقة للمرأة في المجتمع الإسلامي.

• إن معاجم الشيوخ والمشيخات وفّرت مادّة علّمية ضخمة للعديد من الفنون المختلفة خاصة في علم الأنساب.

• اشتملت معاجم الشيوخ والمشيخات علىٰ العديد من الشيوخ من رواة السنن والمسانيد ممن لم يذكروا في المصنفات التي أُلفت لمعرفة رواة السنّن والمسانيد.

• تُعد بعض معاجم الشيوخ والمشيخات من أفضل كتب تخريج الحديث النبوي الشريف وإثبات صحّة النصوص وتوثيقها[1].

ولهذا العلم العديد من الفوائد الأخرىٰ أيضاً، منها:

• ذكرها لبعض المصنفات التي قد ضاعت ولم تصل إلينا، وهنا تكمن أهميتها فهي قد وثقت هذه المؤلفات وأسندتها لأصاحبها وحددت تاريخها ومكانها، فتبرز أهمية هذا العلم لحفاظه علىٰ نسبة المؤلفات لأصحابها، ثم تسهيل عملية توثيق المخطوطات إن عثر عليها.

• ومن فوائدها أيضا أنها تلقي الضوء علىٰ الكتب المتداولة في عصر معين، وتراجم أعلام ذلك العصر.

---

(1) علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، موفق بن عبد القادر، جامعة أم القرىٰ، ط/ 1، 1419هـ، ص 226-240.

- اشتمال هذه الكتب على آثار ونصوص قل أن توجد في مصادر أخرى.
- تكمن أهمية هذا العلم أيضاً في احتوائها شهادات السماع أو الإجازات التي يذكرها أصحاب المعاجم.
- تظهر أهميتها أيضا في طبيعتها بوصفها ردّا لجميل المشايخ والعلماء الذّين تتلمذوا على أيديهم مؤلفوها، فهي سجل لما يتشرف به المفهرس من انضمامه إلى سلسلة أعلاها رسول الله ﷺ في الحديث من جهة، أو سلسل يصل سندها إلى أئمة العلماء من جهة أخرى.

ومن هذا المنطق يمكن الإقرار بأن كتب المعاجم والفهارس تعدّ من أفضل الكتب لإثبات نسبة الكتاب لمؤلفه، وبهذا يحفظ تراثنا من السرقة العلمية والانتحال والتدليس.

المبحث الثاني: المناهج المتبعة في تصنيف كتب الأثبات والفهارس والمشيخات.

من المتعارف عليه أنّ لكلّ علم مناهجه الخاصة التي تميزه عن غيره من العلوم، والتي تكون سمته المميزة والفريدة، وعلم الأثبات والفهارس والمشيخات شأنه في هذا شأن كلّ العلوم، فالمناهج المتبعة في تصنيف هذا النوع من الكتب تختلف باختلاف الغاية والهدف الذّي صنف من أجله صاحب المشيخة أو المعجم كتابه. وقد لاحظ الباحثون الذين درسوا هذا النوع من التأليف أن لهم ثلاث مناهج في طريقة ترتيبها وتقسيمها، وهي:

الطريقة الأولى: هي تبويبها على أساس الكتب مرتبة حسب موضوعاتها، وتمثلها أدقّ تمثيل فهرسة ابن خير الاشبيلي (ت 575هـ) ، وقد رتبه على أساس

الكتب التي قرأها على مشايخه على وفق الترتيب الموضوع، والتي تعدّ أوسع الفهارس التي وصلتنا عن الأندلسيين، وهي فهرسة ما رواه عن شيوخه.

الطريقة الثانية: ما رتب على الكتب التي قرأها المؤلف على شيوخه فيترجم لهم، ويذكر ما روى عنهم من كتب، مثل فهرسة ابن عطية (ت 541هـ) صاحب التفسير، وبرنامج شيوخ الرعيني (ت 666هـ) الذي ألزم نفسه في برنامجه ترتيب شيوخه وفق اختصاص كل فريق منهم بعلم انفرد به أو غلب عليه، ويفرد لكل فريق باباً خاصاً يسرد فيه أسماء رجاله ونسبتهم إلى أوطانهم، وما حمله عنهم من الكتب، أو رواه أو استجازه وتغلب على برنامج الرعيني الناحية الأدبية.

الطريقة الثالثة: ما جمع فيه المؤلف بين الطريقتين السالفين، كما جاء في ثبت أبي أحمد بن علي بن داود البلوي (ت 938هـ) الوادي آشي، فقد خصص الجزء الأول منه لأسماء الشيوخ، وقد ترجم فيها المؤلف حياة شيوخه العلمية ذكراً أسانيدهم ومروياتهم وإجازاتهم مبتدئا بأبيه. وخصص الجزء الثاني لما أخذه منهم مرتبا إياه على العلوم مبتدئاً بعلوم القرآن، فالحديث...»[1].

ولكثرة هذه المعاجم والفهارس يمكن تقسيمها تقسيماً آخر أطلق على كل صنف منها مدرسة، نذكر بعضها:

أوّلا: مدرسة الأسانيد ومرويات الشّيوخ: يقول صاحب كتاب علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات: «لقد ولدت معاجم الشيوخ والمشيخات وترعرت في أقدم مدرسة للحديث النّبوي الشريف، هذه المدرسة هي مدرسة الأسانيد والمتون، ذلك أنّ جميع الاستقراءات العامة المتوفرة لدينا من أقدم المعاجم والمشيخات تجعلنا نعتقد اعتقاداً جازماً أنّ معاجم الشيوخ الأولى إنما كانت تقوم

(1) أدوات تحقيق النصوص المصادر العامّة، مصدر سابق، ص 60.

علىٰ منهج العناية برواية حديث، أو جزء أو كتاب بإسناد إلىٰ مصدره الأول من غير تركيز علىٰ صياغة ترجمة الشيوخ، اللهم إلا ذكر أسمائهم، وأسماء آبائهم، وأجدادهم، وأنسابهم وكُناهم، مع التّطرق إلىٰ مهنهم، أو مذهبهم الفقهي، أو انتمائهم العقدي في أثناء سياق نسبهم مع ذكر موطنهم، أو مكان الرّواية عنهم وتواريخ اللّقاء أو السّماع عن الشيوخ في بعض الأحيان. وفي كثير من الأحيان لا يتطرق المصنّف إلىٰ ذكر اسم الكتاب أو الجزء الذي يرويه، وإنّما يكتفي بسياق سنده إلىٰ صاحب الكتاب مستخدماً إحدىٰ طرق الرّواية المختلفة.

إن التّركيز علىٰ رواية المرويات عن طريق الشيوخ وبالإسناد المتّصل في الكثير من معاجم الشيوخ والمشيخات مع عدم الحرص علىٰ بيان سيرة المترجم أو شيئا عن نشأته الشّخصية، أو المدرسة التي تعلّم أو درس فيها أو شيوخه وتلاميذه، أو ذكر أسماء المصنّفات التي رواها أو ألّفها، أو سن ومكان وفاته، هو المنهج السائد للمعاجم والمشيخات المتقدمة في التّأليف.

ثانيا: مدرسة الرّواية وسِير الشيوخ: لقد نمت معاجم الشيوخ والمشيخات نمواً مطرداً، فلم تقتصر علىٰ منهجها القديم الجاف القائم علىٰ عنصر الإسناد والرّواية والذي كان متمثّلا في مدرسة الأسانيد ومرويات الشيوخ، إذ لم يقدم القرن الخامس الهجري حتىٰ ظهرت صياغة جديدة لمعاجم الشيوخ والمشيخات تتمثل بمنهج تركيبي يجمع صياغة ترجمة للشيوخ المذكورين والعناية بسيرتهم، وبين العناية بمروياتهم، وهو ما أطلق عليه اسم مدرسة الرّواية وسير الشيوخ. فهذه المدرسة تقوم علىٰ عنصرين أساسيين يتميز أحدهما عن الآخر: فالعنصر الأول يقدم تفاصيل عن الشيوخ وما يتعلق بسيرتهم، والتي تتمتع بأسلوب تبدو عليه سمات الأسلوب الأدبّي إلىٰ حدّ ما، وتهتم بمحيط الجرح والتّعديل وبالجانب الاجتماعي والتّاريخي والعلمي للأفراد. وأمّا العنصر الثاني فينصب القسم الأساسي منه علىٰ محاولة

شمول مرويات الشيوخ، وتتبع الأسانيد في بعض الأحيان. ومن بين هذه المعاجم نذكر كتاب «الغُنية» للقاضي أبي الفضل عياض (ت 544هـ)، حيث يُعدّ كتابه أنموذجاً لاتّساع الأفق في فنّ كتابة معاجم الشيوخ والمشيخات عند المحدثين، وتظهر فيه الصّنعة الأدبية إلىٰ حدّ ما عند صياغة التّرجمة المتعلقة بسيرة شيوخه، ويقابلها من ناحية أخرىٰ عرض لسماعاته وإجازته عن هؤلاء الشيوخ.

ثالثا: مدرسة المعاجم والمشيخات التي اتخذت من وفيات الشّيوخ أساسا في ترتيبها: هناك العديد من المصنّفين في معاجم الشيوخ والمشيخات اتّخذوا من تاريخ وفيات الشيوخ أساسا لتنظيم مشيخاتهم، وهذا الضّرب من المعاجم والمشيخات هو ضرب من كتب الوفيات. فمعرفة وفيات الرجال له أهمية عظيمة في نقد الرّوايات، وفضح الكذّابين. فعناية المحدثين بمعرفة سنة ولادة الشيوخ ووفاتهم كان لها الأثر الكبير في تمحيص الأخبار ومعرفة صحيحها من كذبها.

رابعـاً: مدرسة المعاجم والمشيخات التي اقتصر فيها مؤلفُوها علىٰ ذكر شيوخهم المُجزين فقط: اتّبع بعضُ المصنّفين في المعاجم والمشيخات منهج الاقتصار في معاجمهم ومشيخاتهم علىٰ ذكر شيوخهم الذين تحملوا عنهم من طريق الإجازة فقط، وصورتها أن يقول الشيخ للرّاوي شفاهاً أو كتابةً أو رسالة: أجزتُ لك أن تروي عنّي الكتاب الفلاني، أو ما صح لك من مسموعاتي من غير أن يسمع منه أو يقرأهُ عليه. وقد يجمع المصنّف في هذا النوع من المعاجم عدة أساليب في طريقة تأليفه لمعجمه، كأن يُرتّب شيوخه المجيزين وفق البلدان التي زارها كما فعل الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السّلفي (ت 576هـ) في كتابه (الوجيز في ذكر المُجاز والمجيز)، أو أن يرتّب شيوخه المجيزين علىٰ قدم وفياتهم كما فعل صائن الدّين محمد بن الأنجب النعال البغدادي (ت 659هـ) في (مشيخته).

خامسًا: مدرسة المعاجم والمشيخات التي رُتبت ونُظمت على أساس شيوخ البلدان: لاعتبار أن الرحلة في طلب العلم وسماع الحديث كانت سمَةً من سمات طالب العلم، وضرورة من الضروريات للمشتغل بالحديث وعلومه، فليس أمام من أحبّ العلم وشغف به إلا تكبّد المتاعب في سبيل الحكم والدّرر التي لا يمكن تحصيلها إلا بلقاء العلماء والأخذ عنهم. ونظراً لسعة رحلة الكثرين من المحدثين فقد عمد بعضهم إلى تصنيف معاجم ومشيخات ذكروا فيها مروياتهم عن علماء البلدان التي زاروها. فمن القدماء الذين رتبوا معجم شيوخهم على البلدان أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277هـ)[1].

وبعد هذا العرض لمختلف المناهج والأساليب المعتمدة في كتب الأثبات والمشيخات والفهارس والمعاجم نلحظ تنوعًا كبيراً فيها، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على كثرة التصانيف في هذا الفن، فكلما زادت التصنيفات كلما تعددت المناهج، لارتباط هذه الأخيرة بأسلوب المفهرس وزمانه ومكانه.

الخاتمة:

يعدّ علم الأثبات والمشيخات والفهارس من أهم المواضيع التي يجب الإلمام بها ومعرفة مختلف أبعادها، لما لها من أثر عظيم في كثير من العلوم الدينية، وهذا ما سبق بيانه، فعلم الأثبات المعاجم والفهارس علم مستقل بذاته له من جليل الفوائد وعظيم التأثير ما يجعله مجالاً للدراس والبحث، إذ لم يقتصر نفعه على العلوم الدينية فحسب بل نرى أن هذا الفن له تأثيره في مجال المنهجية العلمية التي أصحبت تدرس في الجامعات.

---

(1) علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، مصدر سابق، من الصفحة 79إلى 162.

الأثبات: مفهومها، وأهميتها، ومناهجها، ومدارسها

د. أحمدو عمَّارْ
أستاذ بجامعة محمد الأمين الشنقيطي، موريتانيا



الحمد لله رب العالمين، المنزل للكتاب المبين، الجاعل رسالة الإسلام خاتمة العهد بين الأرض والسماء، فبذلك كانت معصومة من الضياع، والصلاة والسلام على نبينا سيدّ الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين، وصحابته الغرّ الميامين، من تحملوا المسؤوليات الجسيمة، في سبيل إقامة دعائم هذا الدين، فبادروا إلى حفظه، وسدّ المخاوف التي قد تؤدي إلى اختلاطه بغيره، وعلى من تبعهم من علماء الدين، فساروا على نهجهم متبعين، وبهديهم مستنيرين، وعلى أمانتهم قائمين.

وبعد: فإن علم الأثبات من أهمّ العلوم الإسلامية، لما تبرزه من اتصال السند داخل هذه الأمة، الذي هو ميزة هذه الأمة الذي ميزها عن سائر الأمم، كما أن تسلسل السند يحفظ المرويات من الضياع والتدليس، ولهذا فطن الأوائل، فعدوا السند من الدين، كما بوب مسلم في كتابه القويم[1].

(1) صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، دار الحديث، القاهرة مصر، باب: في أن الاسناد من الدين، ص: 15.

وكـذلك في الاهتمـام بـالتراجم والأثبـات معرفـة مكانـة الرجـال السـالفين، والاحتفاظ لهم بمكانتهم، ومعرفة من كان له الأهلية فيؤخذ عنه، أم لا فيرفض ويصد عنه، ولذلك جعلوا مروية ابن سيرين أصلا مسلما عندهم، فبه استدلوا، ومن مضمونه انطلقوا، حيث يقول: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلىٰ أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلىٰ أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[1]»، وهذا هو مستند الاهتمام بالمسانيد والأثبات؛ كما أن في ذكر الأثبات والمشيخة ذكر من حسنت سيرتهم فيكون باعثـًا للاقتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم، لذلك اعتنىٰ السادة الصوفية بتدوين الأثبات والمشيخة تبركـًا بأسمائهم، واستحضارا لإبراز شمائلهم، ووفاء لدورهم الذي قاموا به، وإخلاصـًا لودهم المتقدم؛ فهي بذلك مزية زائدة علىٰ مزايا الإسناد، فمن نبعها تتفيَّأُ ظلال سيرهم الوافرة، وعبوا من معين معارفهم الزلالة، واهتدوا بأنوار فيوضهم الساطعة.

إشكالية البحث:

إلا أن البحث في هذا المجال ما زال يَبابـًا لا يروي اللهفان، ولا يُشبع سغب الجيعان، إذ ما تزال معظم التآليف فيه مختصرة علىٰ جرد الأثبات المتقدمة، فهي وإن كانت مفيدة، إلا أن الاستفادة منها ما زالت سطحية، فلم يولج عمقها لاستكناه حقيقتها، وسبر أغوار مناهجها، والاستفادة من مكنونها، والاسترشاد بطريقتها، كما أن أغلب تلك الدراسات اتسمت بالاقتصار والتسرع، وعدم الاستيعاب والتفكيك،

(1) نفس المصدر.

لذلك لا يمكن دخولها تحت يافطة البحوث العلمية بما تعنيه الكلمة من معنىٰ[1].

وهو ما يجعل الحاجة داعية إلىٰ تتالي الدراسات الجادة في هذا المجال، لا سيما فيما يتعلق منها بتفكيك العناوين، والغوص فيما وراء المعهود، مثل استخراج مناهجها، وإبراز أقسام التأليف فيها، ورسم حدود مدارسها.

أسباب الاختيار:

وإذا كانت الأثبات بهذه الأهمية، ولها هذا الدور المحوري في العلوم الإسلامية، وفي التأليف فيها هذه الخصاصة البارزة، فقد خصصت هذه الورقة لها، من خلال: المفهوم، وإبراز الأهمية، وتحديد المنهج والمدارس.

خطة البحث:

وقد قسمت الدراسة إلىٰ الخطة التالية:

مبحثين: تحت كل واحد منهما مطلبان:

المبحث الأول: في التعريفات والأهمية، وتحته مطلبان: الأول: في التعريفات اللغوية، والاصطلاحية، والثاني: في أهمية كتب الأثبات.

المبحث الثاني: في المناهج والمدارس المتبعة في كتابة الأثبات، وتحته مطلبان: الأول: في المناهج المتبعة في تأليف الأثبات، والثاني: في مدارس التأليف في الأثبات.

ثم خاتمة: ذكرت فيها أبرز النتائج، وأهمَّ التوصيات.

---

(1) علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، موفق عبد الله بن عبد القادر، مطابع جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ص: 4.

المبحث الأول: تعريف الأثبات، وأهميتها.

المطلب الأول: في التعريفات.

أولا: التعريفات اللغوية:

وردت كلمة ثبت بعدة معان أرجعها ابن فارس إلىٰ أصل واحد، فقال: «الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء. يقال: ثبت ثباتا وثبوتا. ورجل ثبت وثبيت»[1]، فهو وإن كان لم يتطرق -في الظاهر- للمعنىٰ الذي نريد، إلا أنه أشار له من حيث المقصد والغاية، فالثبت في أصله ما دام واستقر، وهذا المقصد هو ما يقصده المشايخ من خلال تدوينهم لأسماء مشيختهم وطرقهم.

وقيل من معانيها: الحجة والبينة، يقول ابن منظور: «ورجل له ثبت عند الحملة، بالتحريك، أي ثبات؛ وتقول أيضا: لا أحكم بكذا، إلا بثبت أي بحجة. وفي حديث صوم يوم الشك: ثم جاء الثبت أنه من رمضان؛ الثبت، بالتحريك: الحجة والبينة»[2]، وهذا التعريف ألصق بالدلالة الاصطلاحية، وذلك من خلال تلاقي هذه الدلالة مع الغاية من وضع الأثبات والمسانيد، فهي من الدلالة علىٰ الشيء من خلال لازمه وغايته، فمادام الثبْت والثبَت من دلالتهما الحجة، فهما حجة للراوي، وللسلسلة علىٰ صحة مروياتهم، وصِدق منقولاتهم؛ ولهذا المعنىٰ الأخير أشار الزبيدي فقال: «والثبت، محركة: الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه، كأنه أخذ من الحجة؛ لأن أسانيده وشيوخه حجة له، وقد ذكره كثير من المحدثين. وقيل: إنه من اصطلاحات المحدثين، ويمكن تخريجه علىٰ

(1) معجم مقاييس اللغة العربية، أبو الحسين بن فارس الرازي، دار الفكر، بيروت لبنان، مادة: ث ب ت. 1/ 399.

(2) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت لبنان، مادة: ث ب ت، 2/ 20.

المجاز»[1]، وهذا التعريف هو الأمسّ بالتعريف الاصطلاحي، بل هو تعريف اصطلاحي صريح، بحيث صرّح بأن الثَبَت هو السفر، والفهرس الذي يضع فيه المحدث أسماء أشياخه ومروياته، ونستخرج من هذا التعرف عدة دلالات، منها: تخصص الثبت وغايته، وقد بيَّن أنها حفظ المرويات من الضياع، وأنها تستمد دلالتها من الحفظ الذي هو أحد مدلولات الثبت، واعتبر أن التعدية إليه مجازية؛ كما اشتمل تعريفه علىٰ التسوية بين الثبت والفهرس باعتبارهما مترادفين، بل فسّر الثبت بالفهرس، وهي دلالة سنناقشها، ونبرز الفرق بينهما مع جملة من المصطلحات التي تتقاطع مع الثبت، كالفهرس، والسند، والبرنامج، ثم تحدث عن تخصيصه بالمحدثين، وهو تخصيص لا يخلو من تحجير، وذلك ما سنراه، بل ربما كان مصطلح الثبت عند غير المحدثين أكثر منه عند المحدثين، خصوصاً مقارنة ببعض المصطلحات الأخرىٰ الخاصة بالمحدثين، كالسند.

ثانيا: التعريفات الاصطلاحية:

قدّمت للثبت عدة تعريفات، من أكثرها شيوعا تعريف السخاوي ت 902هـ، حيث عرفه بأنه: «وأما بالفتح فما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره»[2]، فقد ركز هذا التعريف علىٰ إبراز ماهية الثبت من خلال ذكر الجنس، أي: إنه كتاب، ثم الغاية التي من أجلها وضع، وهي أنه للاحتجاج به، فهو -كما قال- كالحجة له، لإثبات سماع غيره معه، وكذلك للتدوين، لأن ما لم يدون قد يتطرق له التلف والضياع؛ وعلىٰ

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، مادة: ث ب ت، 4/ 477.

(2) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة السنة، مصر، 2/ 115.

هذا التعريف تواطأ أهل الحديث في كتبهم، فنجده كذلك عند الصنعاني ت 1182هـ إذ يقول: «وأما ثبت بالفتح فما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره»(1)، إلا أن هذا التعريف تؤخذ عليه جملة من المآخذ، أوجزها فيما يلي:

أولا: أن هذا التعريف ليس بجامع، فهو لم يتعرض إلا للأثبات في مصطلح الحديثي، وتلك ليست جامعة للأثبات، بل ربما نجد من حيث الكمّ أن الأثبات الحديثية هي الأقل، مقارنة بغيرها.

ثانيا: أنه لم يلمح للتغير الزمني؛ إذ نجد تعريف السخاوي ت902هـ، هو نفسه تعريف الصنعاني ت1182هـ، وهذا خطأ، إذ في هذه الفترة بالتحديد غلبت الأثبات غير الحديثية؛ بل إنها كذلك سبقت السخاوي بدهر طويل، فنجد مثلا في أوائل القرن السادس الهجري انتشار الأثبات غير الحديثية، وإن كانت بمسميات أخرىٰ مترادفة معها، كالفهرس، فنجد فهرس ابن عطية ت541هـ، والذي لم يقتصر علىٰ ذكر من روىٰ عنه، ومن سمِع معه، بل ذكر أشياخه، وترجماتهم، كما احتوىٰ علىٰ إجازاته ومكان أخذه لها(2).

وقد تتبع محمد بن عبد الحي الكتاني مصطلح الثبت وتطوره، وأثبت أنه انتقل من كونه خاصا بالمحدثين، والحجية علىٰ المرويات، إلىٰ كونه موسوعة توثيقية تجمع مرويات الشخص، وإجازاته، وحصر مشايخه، وما أخذ عنهم، سواء كان

---

(1) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2/ 159.

(2) ثبت البلوي الوادي آشي، أحمد بن علي الوادي آشي، تحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص: 62.

حديثا، أو غيره، ثم الشهادات له والثناء عليه؛ فقال: «وأما إطلاق الثبت على الكتاب الذي يجمع فيه المحدث مشيخته ويثبت فيه أسانيده ومروياته وقراءته على أشياخه المصنفات ونحو ذلك فهو اصطلاح حادث للمحدثين»(1)، فبهذا ندرك أن الثبت، وإن كان في الأصل مصطلحاً حديثيّاً، إلا أنه تطوَّر بعد ذلك فصار أشمل، وأوسع؛ ثم حاول الكتاني أن ينقل تعريفا أشمل من تعريفات المحدثين، فقال نقلا عن العلامة حماد العمادي: «الثبت: بالثاء المثلثة وسكون الموحدة الثقة العدل، وبفتح الموحدة هو ما يجمع مرويات الشيخ»(2)، فقد وسع في هذا التعريف بأن جعل الثبت ما يجمع مرويات الشيخ بأي طريقة، سواء كان بالسماع، أو الإجازة، وسواء كان حديثا، أو مصنفا، أو غيره.

إلا أن هذا التعريف ليس شاملا، لخروج ما يذكر في الثبت من غير المرويات، كمشايخ الشيخ، وصفاتهم، وثنائه عليهم، كما خرج كذلك إجازات المشايخ لصاحب الثبت، وثنائهم عليه.

وعليه فيكون التعريف الأشمل للثَّبَت في نظري هو: «الكتاب الذي يضعه الشيخ بغرض حصر مشايخه، وما أخذ عنهم، وإبراز صفاتهم، وما وصفوه به»

فقولي: «بغرض حصر مشايخه» أخرجت به ما يؤلفه المُؤلف فيذكر فيه مشايخه وغيرهم، كمن يؤلف في التاريخ، فهو وإن كان يذكر أشياخه وصفاتهم، إلا أن الكتاب ليس موضوعا لذلك الغرض.

وأدخلت بقولي: «وما أخذ عنهم» كل ما يرد في الثبت سواء كان حديثاً مرويّاً، أو كتاباً، أو كانت إجازات له أو مناولات.

---

(1) فهرس الفهارس، محمد عبد الحي الكتاني دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1/ 69.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

وأدخلت بقولي: «وإبراز صفاتهم...» ما قد يذكر صاحب الثبت من صفات أشياخه وما أخذ عنهم، وما قد يرد كذلك من تزكيتهم له، التي تتخلل إجازاتهم عادة.

أمّا بقية التسميات، مثل: المشيخة، الفهرس، المعجم، البرنامج، السند، فقد ذهب بعض الباحثين إلىٰ ترادفها، وأنها تؤدي نفس المعنىٰ(1).

بينما ذهب البعض الآخر إلىٰ التفرقة بينها استعمالاً عرفيّاً، وإن كانت متقاربة حقيقة، قال بأن الفرق بين المشيخة والفهرس، بأن الفهرس ما رتب فيه أسماء المشايخ ترتيبا ألفبائيا، والمشيخة ما ذكر فيه أسماء المشايخ من غير ترتيب(2).

وقد حاول البعض جعل التفرقة مكانية، فلكل واحد من هذه الألفاظ استعمال في قطر من الأقطار الإسلامية، فيكون الاختلاف زمكاني، حيث اصطلح أهل الأندلس علىٰ تسمية الكتب التي اهتمت بحصر أسماء الشيوخ بالبرنامج؛ في حين يطلق عليها أهل المشرق -حتىٰ الآن- ثبتاً؛ أمّا أهل المغرب فصاروا يسمونه فهرسة(3). فبذلك ندرك أنها مصطلحات شبه مترادفة، إذ مقصودها واحد، لذا يعتبر التعريف الذي قدمت شاملا لها.

المطلب الثاني: في إبراز أهمية كتب الأثبات.

لا شك في أهمية الأثبات وأثرها في إثراء المعارف الإسلامية، ودورها في حفظ كثير من العلوم، بل تكاد تكون هي صمام الأمان لكل العلوم من الضياع، والاندثار؛

(1) أدوات تحقيق النصوص المصادر العامة، عصام محمد الشنطي، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ص: 62.

(2) الوجازة في الأثبات والإجازة، دياب بن سعد الغامدي، دار قرطبة، بيروت لبنان، ص: 25.

(3) معجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات، يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 1/ 15.

وقد عدد كثير من العلماء فوائد الأثبات والأسانيد، وسنوجز ذلك في الآتي:

أولاً: اتصال السند الذي هو خاصة ومزية أعطاه الله لهذه الأمة دون غيرها، فقد عقد الخطيب البغدادي ت463هـ، في كتابه شرف أهل الحديث باباً لبيان أن السند من خصائص هذه الأمة[1].

وهو يدحض كل دعاوي المفترين، الذي يلمزون في السنة ويدعون سقوطها بالكلية، للشك في بعضها، فوجود الإسناد قائماً متسلسلاً، ومثبتاً في الكتب التي تعصمه من الضياع ينفي هذه الدعاوي، ويبطلها، فأمة أسندت كتب المشايخ، وصفاتهم، وإجازاتهم، والأنساب، لن تفرط لا شكّ في سنن نبيها ﷺ، لقدسيتها، وتأثيرها في التشريع، لذلك تواردت ألفاظ أهل الحديث علىٰ إبراز أهمية السند، وأثره في حفظ السنة، فقد أخرج الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»[2]، ويقول ابن تيمية ت728هـ: «وهذا علم عظيم من أعظم علوم الإسلام»[3]، بذلك ندرك أهمية الإسناد ومكانته في الدين، ودوره في حفظ السنة من الاختلاط.

ومن فوائد الاتصال في السند زيادة علىٰ حفظ المرويات، شرف الانخراط في سلسلة مع رسول الله ﷺ، يقول الغامدي: «ولو لم يكن في فضل الإسناد إلا الانتظام في سلسلة سلسة مع اسم المصطفىٰ ﷺ لكفىٰ بذلك شرفا، وفضلا، ونبلا»[4]، وهذه فائدة عظيمة ومزية جسيمة.

---

(1) شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة مصر، ص: 83.

(2) صحيح مسلم، مصدر سابق، 1/ 15.

(3) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طباعة جامعة الإمام سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، 3/ 36.

(4) الوجازة في الأثبات والإجازة، مصدر سابق، ص: 30.

ثانيا: اعتناء العلماء به، مما يبرز أهمية الأثبات وكتب المشيخة والأسانيد اهتمام علماء المسلمين بها على مرّ العصور، ومختلف الدهور، منذ العصر الأول، حتى عصرنا الراهن، وعلى ذلك تواترت أقوال العلماء، يقول الغامدي، «فكانت في الصدر الأول مقرونة بالعلم حلا وترحالا، فلا يذكر العلم إلا إذا ذكرت، ولا يعرف العالم إلا إذا عرفها، ولا يميز الحق من الباطل إلا إذا صح سندها... هذا يوم كان العلم بأهله، وكانت سوق الرواية قائمة، ومجالس التحديث عامرة، وكان الرجال هم الرجال؛ فعندها كان طالب العلم لا يبرز بين أقرانه إلا بالرواية، ولا يميز عن غيره إلا بالتحديث»[1]، فبهذا ندرك أهميتها عند الأوائل، وقيمتها عندهم؛ ويقول الشنطي: «تعود نشأة مصادر هذا الحقل، المتعلقة بالمشيخات، وما أطلق عليها من تسميات أخرى، إلى عهود قديمة، من تاريخ بدء التدوين والتأليف في التراث العربي»[2]، فبهذا ندرك أن هذا العلم قد ساير العلوم الإسلامية، في جميع مراحل تطورها، ومع مختلف مواضيعها، وهو ما يبرز الحاجة الماسة إليه، وكونه الحصن المنيع، والحضن الدافئ لمختلف العلوم؛ وقد أثبت المرعشلي قدم الفهارس والأثبات من خلال حصره لها، إذ جعلها منذ العهد الأول، فقد عدَّ لأبي هريرة رضي الله عنه مسنداً، ومن ذلك الحين توالت المسانيد، والأثبات إلى عصرنا الراهن[3]؛ ولا يخفى ما في تواتر المسلمين في مختلف العصور من الأهمية، وإجماعهم على الأمر، فإجماع الأمة الإسلامية معصوم.

ثالثا: توثيقها للأحداث. تعتبر الأثبات زيادة على حفظها للعلوم مصادر موثوقة، -وفي الغالب- آمنة من الكذب والتدليس، لسلامة مقصد أصحابها،

(1) نفس المصدر، ص27.

(2) أدوات تحقيق النصوص، الشنطي، مصدر سابق، ص: 59.

(3) معجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات، مصدر سابق، 1/ 121.

ولبعدهم عن الصراعات التي تحدث بجوارهم، لذا ما يكتبونه عرضيا، لذا يكون بعيدا عن الانحياز، والتحزبات القائمة آنذاك، وهو ما يجعلها توثيقية للأحوال السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، للعالم الإسلامي في مختلف العصور، يقول الغامدي: «تعدّ المعاجم والمشيخات وثائق هامة للكثير من العلوم التي تتعلق بأحوال العالم الإسلامي، سواء من الناحية «السياسة»، أو «الاجتماعية»، أو «الاقتصادية»، أو «العلمية»، أو غير ذلك من المجالات المتعددة الجوانب...[1]»، فبهذا ندرك أن الأثبات والمعاجم ساهمت في أرشفة الأوضاع الإسلامية في مختلف العصور، وعلى مختلف الأصعدة، وخصوصا في الجانب العلمي فقد كانت التراجم هي الوثائق البيليوغرافية التي أحصت وجردت المؤلفات والمصنفات، ونسبتها لمؤلفيها، يقول الشنطي: «وقد عدّ البيليوغرافيون هذه المؤلفات في إطار الكتب البيليوغرافية، بمقياسها العلمي، لأنها تحتوي على ذكر عنوانات الكتب، وأسماء مؤلفيها، وترجع أهمية هذه المؤلفات إلى أن كثيراً من هذه الكتب المذكورة فيها، قد ضاعت ولم تصل إلينا، فهي من هذا الجانب تفيد في توثيق المخطوطات التي نعثر عليها، وتكون خالية من العنوان أو المؤلف، أو كليهما معا، أو يكون هنالك خلاف في نسبة الكتاب إلى صاحبه، وتنازَعَ اثنان عليه»[2].

فهي بهذا تحفظ جانبا مهما من الثقافة الإسلامية، لاسيما في حضارة كانت مترامية الأطراف، جزء كبير من منتسبيها أهل بداوة، لم يكن التدوين والحفظ ثقافتهم، كما كان لعوامل الطبيعة الأثر الضارّ عليهم، فكانت الأثبات سندهم الذي قاوم كل هذه العوامل.

(1) الوجازة في الأثبات والإجازة، الغامدي، مصدر سابق، ص: 227.

(2) أدوات تحقيق النصوص، الشنطي، مصدر سابق، ص: 59.

كما تحتوي الأثبات على تدوين الأدب، والتعريف بأماكن العلم، فنجد العلامة مسند الديار الليبية الدكتور: الشيخ أحمد القطعاني في معرض حديثه عن إجازته من شيخه الشيخ محمد حمد القديري، يثبت قصيدة تحت عنوان: قصيدة عيون درعة، مسلسلة بالأدباء الدرناويين[1]، وهي فوائد أدبية ثمينة، وملح شيقة، ولولا تدوينها هنا لضاعت.

رابعا: حفظ مكانة العلماء وتدوين أسمائهم، ولا شكّ أن الاهتمام بالعلماء ومعرفة أسمائهم له مزايا كثيرة، جلت عن الحصر، ينظر لها من جوانب عديدة، نوجزها فيما يلي:

1. الاعتناء بحملة الشريعة، وذكر محامدهم، وإبراز صفاتهم، وذلك لجانبين، أولاً: مصداقاً لحديثه ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله)[2]، فبذكرهم وبيان صفاتهم، وأنهم كانوا حقا من أمثل قومهم؛ نكون أثبات مضمون الحديث؛ وثانيا: وفاء لجهودهم، وذلك هو أدنى مراتب ردّ جميلهم.

2. التبرك بذكر الصالحين، والتعرض لنفحات ذلك، وهي ميزة عظيمة، يقول الحمودي: «إن الاشتغال بنشر أخبار فضلاء العصر - ولو بتواريخهم - من علامات سعادة الدنيا والآخرة؛ إذ هم شهود الله في أرضه، وبذكر الله ينزل الرضوان، وبذكر رسوله تَنزل المحبةُ، وبذكر الصالحين تنزل الرحمة، وهم في السعادة جلساءُ مَن ذكرَهم، ومَن أحبَّ شيئًا أكثر مِن ذكره، ويُرجى لمن أرَّخ

(1) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر "الثبت الكبير"، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم للطباعة والنشر، 1/ 183.

(2) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1/ 59.

لجماعة أن يَشفع السعيد منهم للشقيِّ»[1]، فبهذا النص ندرك أهمية كتب التراجم والأثبات للتبرك، وأثرها في التعرض للنفحات.

3. الاستئناس بذكر العلماء، ليكون دافعـًا للاقتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم، والتحلي بسيرهم: وبذلك تلعب الأثبات دوراً بارزاً في التربية، والإرشاد، وتزكية النفوس، وشحذ الهمم نحو المعالي، وارتقاء القمم، يقول الزهراني: «لا شك أن الاطلاع علىٰ سير الصالحين، ومعرفة أخبار المتقين، وآثار الطائعين، له في النفس آثار مدهشة، وعلامات بيِّنة، وآيات واضحة؛ فهو يحيي القلوب الميتة، ويُزيل قسوتها، ويزيل الصدأ الذي تراكَم عليها، ويُشعل في النفوس جَذوة الإيمان، ويصد عنها كيد الشيطان، ويُلَيِّنُها لطاعة الرحمن، ويُذهب عنها ما تراكَم عليها مِن غبار الغفلات، وما تعاقَب عليها مِن صدِّ الشهوات، وما علِق بها مِن شُؤم الخطيئات، فيعود إليها بريقُها الذي خبَت أنوارُه، وصفاؤها الذي مُحِيَت آثاره»[2].

وبهذا القدر نكتفي من عدّ فوائد المعاجم والأثبات، لضيق المقام، إذ حصرها تنوء بحمله المجلدات، وتكل عن استيعابه المطولات[3].

(1) فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، مصطفىٰ فتح الله الحمودي، دار النوادر، دمشق سوريا، ص36.

(2) مواقف إيمانية من حياة الصالحين، عبد الله بن علي الزهراني، من غير دار نشر، ولا مكان نشر، ص: 3.

(3) ومن أراد التوسع فعليه مطالعة المراجع التالية: عبد القادر، موفق عبد الله، (1421ه)، علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، مصدر سابق، ص: 227 وما بعدها، فقد عدّ ما يزيد علىٰ عشرة فوائد للأثبات والمشيخة؛ وكذلك: أدوات تحقيق النصوص المصادر العامة، مصدر سابق، ص: 59.؛ وكذلك: الوجازة في الأثبات والإجازة، مصدر سابق، ص: 27.؛ ومعجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات، مصدر سابق، 1/ 17.

المبحث الثاني: في مناهج الأثبات، ومدارسها.

ونعني بالمناهج تلك الطرق التي اعتمدوها في ترتيب الأثبات، والطريقة التي اتبعوها في تبويبها؛ أما غرض التأليف فيها، والحامل عليه، فسأتناوله في المطلب الثاني في المدارس.

المطلب الأول: في مناهج الأثبات.

لقد تباينت أقوال الباحثين في تقسيم مناهج التأليف في الأثبات بين مكثر موسع، ومقل مختصر، وذلك ناتج عن نظرهم في أسباب التقسيم، ومعاييره، وتباينه، واتحاده؛ فمنهم من أجمل فلم يكثر من التقسيم، باعتبار ترادف تلك الأقسام، وأن مرجعها إلىٰ أمر واحد؛ فقد قسمها المرعشلي إلىٰ قسمين فقط، قسم رُتِّب علىٰ أسماء الشيوخ، وقسم رُتِّب علىٰ أسماء العلوم، ولكل قسم أقسام ومناهج في ترتيبه[1]؛ بينما ذهب أغلب الباحثين إلىٰ تقسيمها إلىٰ ثلاثة أقسام، كما فعل الشنطي[2]، وكما فعل العمراني في تحقيقه لثب أبي جعفر البدوي[3]؛ وقد حصروا مناهج التأليف في هذا الفن في ثلاثة مناهج:

أ. ما رتب علىٰ أسماء المشايخ. ب. ما رتب علىٰ أسماء الكتب، والعلوم. ج. ما جمع بين الطريقتين؛ وهذا الترتيب هو الذي سأعتمد، وتحت كل قسم أقسام باعتبارات متعددة:

---

(1) معجم المعاجم، مصدر سابق، 1/ 20.

(2) أدوات تحقيق النصوص، مصدر سابق، ص: 60.

(3) ثبت أبي جعفر البلوي، مصدر سابق، ص: 62.

أَوَّلاً: ما ترب على أسماء الشيوخ. وقد تعددت طرق هذا المنهج، إلى طرق نبينها حسب الآتي:

1. ما رتب فيه الشيوخ ترتيبا هجائيا: حيث يذكر المؤلف المشايخ حسب الترتيب الهجائي، مع ذكر مسموعاتهم، من الأحاديث، أو الكتب، وقد كان هذا المنهج هو المعتمد عند الأقدمين؛ ويمثله: «معجم أبي يعلى الموصلي» ت307هـ، و«معجم ابن الأعرابي«ت341هـ، و«معجم الإسماعيلي«ت371هـ، و«ومعجم الطبراني الصغير» ت360هـ[1].

2. ما رتب فيه المشايخ حسب بلدانهم، ويكون ترتيب المشايخ حسب بلدانهم وذكر مسموعاتهم، ومن أشهر المؤلفات في هذا المنهج:«مشيخة يعقوب الفسوي» ت277هـ، و«معجم شيوخ ابن حبان» ت354هـ، و«ثبت أبي جعفر أحمد ابن علي البلوي الوادي آشي» ت938هـ، وغيرهم كثير[2].

3. ما رتب فيه الشيوخ حسب الأخذ منهم، ويُبْتَدَأ في هذه الطريقة بأبيه، ثم من درس عليه بعد ذلك زمنيّاً، وهكذا دواليك، وهذه الطريقة هي المتبعة في «معجم ابن عطية» لعبد الحق ابن غالب المحاربي الغرناطي، ت541هـ[3]، و«فهرسة الرصاع» ت894هـ[4].

4. ما رتب فيه المشايخ حسب وفياتهم، وقد مثل هذه الطريقة كل من: «مشيخة النعال البغدادي» ت659هـ، و«مشيخة ابن البخاري» ت690هـ[5].

---

(1) معجم المعاجم، مصدر سابق، 1/ 21.

(2) نفس المصدر.

(3) ثبت أبي جعفر البلوي، مصدر سابق، ص: 62.

(4) معجم المعاجم، مصدر سابق، 1/ 21.

(5) نفس المصدر.

5. ترتيب الشيوخ حسب تخصصهم العلمي الذي اشتهروا به، حيث يذكر كل شيخ حسب فنه الذي اشتهر به، ومن أبرز ما أُلف في هذه الطريقة: «برنامج شيوخ الرعيني» ت666هـ، إلا أن هذه الطريقة يؤخذ عليها التكرار، إذ يضطر أصحابها إلىٰ ذكر الشيخ الواحد في أكثر من موضع لتداخل العلوم[1].

ثانيا: ما رتب علىٰ حسب العلوم. وقد اعتمد أصحاب هذا المنهج في طريقة ترتيبهم للكتب الترتيبَ حسب الأهمية؛ حيث يبدؤون بالقرآن، فالحديث، فأصول الدين، فالسيرة، فالشمائل، فالفقه وأصوله، والزهد، والأخلاق، والتاريخ، والنحو والصرف، والبلاغة، والأدب ...؛ ومن أشهر ما أُلف في هذه الطريقة: «فهرسة ابن أبي بكر الإشبيلي» ت575هـ[2]، و«وبرنامج ابن أبي الربيع» ت688هـ، و«فهرسة اللبلي» ت691هـ، و«برنامج ابن الشاط» ت723هـ، و«المعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني» 852هـ[3].

ثالثا: ما جمع الطريقتين. حيث يجمع طريقة الترتيب علىٰ المشايخ، مع الترتيب علىٰ العلوم، وتعتبر هذه الطريقة الأكثر اعتماداً، من لدن المتأخرين[4]، لاشتمالها علىٰ المزيتين، وقد كثرت فيها المؤلفات قديماً، وحديثاً، وقد اتبعوا في طريقة تأليفهم هذه تقسيم الثبت إلىٰ قسمين، حيث يكون القسم الأول للحديث عن الأشياخ، وسيرهم، وأوصافهم، بينما يكون القسم الثاني لما أخذ عنهم، سواء كان إجازة، أو حديثاً، أو كتاباً؛ ومن أبرز من انتهج هذه الطريقة: أبو جعفر أحمد بن جابر البلوي الوادي أشي، ت756هـ، في كتابه «ثبت أبي جعفر البلوي»، حيث

---

(1) ثبت أبي جعفر البلوي، مصدر سابق، ص: 63.

(2) نفس المصدر.

(3) معجم المعاجم، مصدر سابق، 1/ 22.

(4) نفس المصدر.

قسمه إلىٰ قسمين، حيث خصص القسم الأول لترجمة مشايخه، مرتبـاً لهـم حسب بلدانهم، والثاني لما أخذ عنهم، مرتباً له علىٰ العلوم حسب أهميتها[1]، ومنهم من يذكر الشيخ ومكانته، وما أخذ عنه في مكان واحد، من غير أن يفصل ذلك في جزأين، وقد اعتمد هذه الطريقة العلامة الدراكة محمد الأمير الكبير المصري ت1232هـ، في ثبته الشهير بثبت الأمير، والذي عنونه بـ«سد الأرب من علوم الإسناد والأدب»، وكذلك فعل العلامة الدكتور الشيخ أحمد القطعاني، مسند الديار الليبية ت2018م، في ثبته «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» الشهير بـ«الثبت الكبير»، حيث يذكر الشيخ وسيرته، ثم ما أخذ عنه من علوم وإجازات، وغيرها كثير.

وهنالك تقسيم آخر، حيث قسم بعض الباحثين مناهج الأثبات حسب أسلوب الكتابة، حيث قسمها إلىٰ ثلاثة أقسام:

أ: الأنظام، وقد عرفت منذ القرن السابع للجهرة، ومن أمثلتها: «إجازة السخاوي» لعلم الدين علي ابن محمد ت643هـ.

ب: المشجرات، ويقوم هذا الأسلوب بوضع الأثبات علىٰ شكل شجرة بأفراعها وغصونها، فأصلها هو المصدر الذي يرجع له الجميع، ويوضع اسم كل شيخ في مكان من الشجرة، حسب مكانه في السند، وهو أسلوب حديث، ومن أمثلته: «مشجر الأسانيد» لإبراهيم ابن محمود العطار ت1314هـ.

ج: الجداول، ويكون بوضع رجال الثبت أو السند داخل جدول مثبتين فيه حسب الترتيب الذي اعتمد صاحب الثبت، ومن أمثلته: «جدول الأسانيد» لعثمان ابن عبد الله الحضرمي المتوفىٰ قبل القرن الرابع عشر[2].

(1) أدوات تحقيق النصوص، مصدر سابق، ص: 60.

(2) معجم المعاجم، المرعشلي، مصدر سابق، 1/ 31.

المطلب الثاني: في مدارس الأثبات.

لقد تعددت مدارس الأثبات والمسانيد، وذلك راجع إلىٰ الموضوع المراد إسناد كتبه، حيث تقسمت بتعدد تلك المواضيع، وهو ما يفسر تعدد المدارس؛ كما كان لكل مدرسة طُرقها وأساليبها الخاصة في التأليف، وسنتناول هنا نبذا من أبرز المدارس.

أولًا: المدرسة القرآنية، وهذه هي أقدم مدارس الإسناد، بل إنها الأصل لباقي المدارس، حيث تواتر المسلمون منذ الرعيل الأول علىٰ أخذ السند في القرآن، نظراً لأن القرآن سنة متبعة لا تؤخذ من بطون الكتب، فلا بدّ فيه من التلقي من المشايخ، إلا أنهم في الغالب يكتفون بسرد أصحاب الثبت مجردة أسماؤهم، من غير تعريف بهم؛ ومع ذلك فقد صنفت تصانيف في أسانيد القرآن، وطبقات الحفاظ، من أشهرها: «أسانيد الجعبري» ت 732هـ، و«الحلل الحالية» لأبي حيان، ت745هـ، و«ثبت النوري» ت1118هـ، و«التيسير للبوني» ت1139هـ، و«طبقات المقرئين» لابن عبد السلام الفاسي، ت1214هـ، و«ثبت البجائي»1311هـ، و«الرسالة الترمسية» ت1338هـ، و«أسمىٰ الغايات في أسانيد الشيخ الخزامي في القراءات» للفاداني، ت1410هـ[1].

ثانيا: المدرسة الحديثية، وهذه أكثر المدارس انتشاراً، وأذيعها صيتًا، لذا تعددت مناهجها، واختلفت أساليبها، وفي كل طريقة منها برزت مصنفات، وأُلفت مقتصرات، ومطولات، وذلك علىٰ النحو التالي:

1. الترتيب التسلسلي: وهو أن يعتمد صاحب الثبت معنىٰ معينا، يصنف الثبت علىٰ أساسه، سواء كان في المتن، أو السند، وسواء كان فعليًا، أو قوليًا، مثل:

(1) نفس المصدر.

التسلسل بالأولوية، فيذكر أوَّل حديث يرويه عن شيخه، ثم أول حديث رواه ذلك الشيخ عن شيخه إلىٰ آخر السلسلة، وهذا تسلسل بالسند، حيث رتب علىٰ أساس الأولوية، ومما يكثر إسناده فيه حديث الرحمة[1]؛ أمّا التسلسل في المتن فمثل أن يروي الراوي حديثا في صفة معينة، كالمصافحة، أو تشبيك اليدين، أو غير ذلك، ثم يفعله الراوي، ثم يتسلسل عند رواة هذا الحديث، مثل حديث المصافحة المسلسل[2]؛ وقد كثرت المؤلفات التي اعتنت بالأحاديث المسلسلة، وأقدم من كتب فيها: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ت383هـ، ثم توالت المصنفات والكتابات في المسلسلات، فلم يخل قرن من الكتابة فيها، مثل: أبي نعيم الأصفهاني ت450هـ، وأبي بكر ابن العربي ت453هـ، ثم تواصلت المؤلفات فيها في كل قرن حتىٰ في القرن الخامس عشر، فقد ألف فيها الشيخ محمد بن ياسين الفاداني ت1410هـ[3].

2. الترتيب العددي: حيث تُسلسل الأحاديث علىٰ أساس عدد معين منها مثل: الثلاثينيات، والأربعينيات، والخمسينيات، والمآت، والألوف، وهي أحيانا تكون مجموعة علىٰ أساس الموضوع، وأحيانا المعجم، وأحيانا البلد، ومن أمثلتها: «عشرة الحداد» ت515هـ، و«ثلاثون حديثاً بلدانيّاً» للإمام الذهبي ت748هـ، و«أبو صالح المؤذن» ت470هـ[4].

3. الترتيب علىٰ أساس المصنفات: وقد اشتهرت هذه الطريقة عند أصحاب الأثبات، وكثر فيها التأليف والتصنيف، وقد اختلفت الطرق فيها، تعميما،

---

(1) الوجازة في الأثبات والإجازة، مصدر سابق، ص: 163.

(2) ثبت أبي جعفر البلوي، مصدر سابق، ص: 136.

(3) معجم المعاجم، مصدر سابق، 1/ 31.

(4) نفس المصدر.

وتخصيصا، فمنهم من ألف في طرق كتاب واحد، مثل الأسانيد التي اعتنت بالموطأ، وطرقه، مثل: «تاج الحلية وسراج البغية في معرفة أسانيد الموطأ» للشنتيريني ت522هـ، و«تلخيص أسانيد الموطأ» للقرطبي ت611هـ، و«إتحاف السالك» لابن ناصر الدين ت842هـ؛ و«سند الكزبري في رواية صحيح البخاري» لمحمد ابن عبد الرحمن الكزبي ت1221هـ، و«أسانيد صحيح مسلم» لعبد الحي الكتاني ت1382هـ، ومنهم من حاول جمع كتب الصحاح، مثل: «إتحاف العدول الثقات بإجازة كتب الحديث والأثبات» لسليمان ابن عبد الرحمن ت1397هـ[1].

ثالثا: المدرسة الفقهية، وهي التي اهتمت بإسناد كتب مذهب معين، وعادة ما يؤلفها أصحاب مذهب معين، فيوصلوا بها كتب ذلك المذهب إلىٰ مؤلفيها، مثل: «أسانيد كتب المالكية» للوادي آشي ت749هـ، و«أربعون حديثا مكية من طريق أربعين من الفقهاء الحنفية» للمرشدي ت 839هـ[2].

رابعا: المدرسة اللغوية، والأدبية، وهي كتب اهتمت بسلاسل كتب النحو والصرف، والأدب، ومن أمثلتها: «سند رواية النحو» لشعبان بن محمد الآثاري ت828هـ، و«سلسلة النحو» للتقي الشمني ت872هـ، و«تخريج السيوطي» للسيوطي ت911هـ، و«الإرشادات السوية في أسانيد الكتب الصرفية والنحوية» للفاداني ت1410هـ.

خامسا: المدرسة الصوفية، وهي المسانيد والأثبات التي اعتنت بسلسلة الطرق الصوفية، حتىٰ إيصالها إلىٰ مؤسس الطريقة، وقد كثر التأليف في هذا النمط

---

(1) الوجازة في الأثبات والإجازة، مصدر سابق، ص: 183.

(2) نفس المصدر، ص: 134وما بعدها، ومعجم المعاجم، مصدر سابق، 1/ 31.

من الأثبات حتىٰ أوصله البعض إلىٰ خمسة وسبعين طريقـًا في منتصف القرن الثالث عشر، وقد زادت الطرق بعد ذلك، ومن أمثلته: «رسالة الطرق» للكبرىٰ ت618هـ، و«سلسلة النسبة المتواترة» للكوراني ت768هـ، و«الأنوار السنية» للفيتوري ت981هـ، و«سرور القلب» للمليجي ت1106هـ[1].

سادسا: المدرسة الشاملة، وهي المدرسة التي حاولت استيعاب كل المرويات، وإسناد كل المنقولات، من غير اختصاص في فنّ معين، وهي الغالبة علىٰ التأليف في هذا الفنّ خصوصـًا عند المتأخرين، فنجدها مثلا عند محمد الأمير في ثبته الشهير بثبت الأمير، والذي عنونه بـ: «سد الأرب من علوم الإسناد والأدب»، وكذلك فعل العلامة الدكتور الشيخ أحمد القطعاني، مسند الديار الليبية ت2018م، في ثبته «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» الشهير «بالثبت الكبير»، حيث سلسل فيه مختلف العلوم من حديث، وقرآن، وتصوف، ونحو، وأدب؛ وكذلك فعل أسامة بن سعيد بن عمر في ثبته المعنون بالجواهر في صلتي بالأكابر، وقد قسم الكتاب إلىٰ قسمين، حيث خصص الأول للحديث عن ضوابط السند، وأهميته، وغايته، والقسم الثاني، لإسناد مروياته، وقد رتبها حسب المواضيع، فبدأ بالإجازة في القرآن نصا، ثم بكتب التفسير، ثم الحديث: أولاً بالمسلسل، فالكتب، فبدأ بالموطإ، فبقية كتب السنن، ثم كتب اللغة، ثم كتب السيرة، ثم كتب الفقه والأصول، ثم كتب المصطلح، ثم العقيدة والتصوف، ثم الأثبات والأسانيد.

وبهذا القدر نكتفي من هذا الموضوع، نظرا لعامل الوقت، وضوابط المؤتمر، علىٰ أن نوفيه حقه في مواطن أخرىٰ.

(1) ينظر: معجم المعاجم، المرعشلي، مرجع سابق، 1/ 32.

الخاتمة:

بعد تتبعي لهذا البحث، واطلاعي على غوامضه، واستكشافي لجواهر مكنونه، توصلت إلى جملة من النتائج، سأجمل أهمَّها هنا، وذلك كالتالي:

1. أن علم الأثبات والأسانيد من أهم العلوم الإسلامية نفعـًا، وأخصبها ريعـًا، والشواهد على ذلك قائمة، والبراهين عليه متواترة، ولم يقتصر نفعه على الجانب العلمي، الذي كان صمام الأمان له، والعروة الوثقى التي عصمته من الضياع والاختلاط، ومن التدليس والاختلاق، بل تعداه إلى شتى الميادين، سواء كانت اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية.

2. رغم أهمية علم الأثبات ودورها البارز في شتى العلوم، واهتمام العلماء بها على مرّ العصور، إلا أن عصرنا الراهن يشهد فتورا في التأليف فيها، وصدوداً عن الاعتناء بها، وخصوصا الاعتناء بها تعريفـًا، وتوصيفـًا، وتفصيلاً، وتقسيمها مدارس، ومناهج؛ لأن ذلك يمنحنا الاستفادة منها، واستثمارها في مختلف العلوم.

كما تراءت لي جملة من الوصايا، أشير هنا إلى أهمّها:

1. ضرورة الاعتناء بكتب الأثبات، والتصنيف فيها، ومحاولة إبراز مناهجها، ومدارسها، واستقراء فوائدها، وتحرير تعاريفها، مع مراعاة التطور الزمني، وما قد ينشأ عن ذلك من تغيير في الاستعمال.

2. جعل دراسة الأثبات والمسانيد، والاعتناء بهم من حيث التعريف، والحصر، وبيان المواضيع، ضمن المقررات الجامعية، لأن ذلك هو الكافل الوحيد لها من الضياع والاندثار، الذي صار قاب قوسين أو أدنى منها.

3. أهميــة ترشــيح الأثبــات والأســانيد، كمواضــيع للرســائل الجامعيــة، خصوصـًا أطاريح الدكتوراه، سواء تحقيقـًا، ودراسـة، أو جعلهـا مواضيع لأطـاريح جديدة، تحاول دراسـة الأثبات كمواضيع للدراسـة مـن حيـث الأهميته، وتفصيل المناهج، والمدارس، والغايات.



الإسناد والرواية في زمن التواصل الإلكتروني، هوية متجددة، وخصيصة متأصلة، بين إشكالية البعد المكاني، وإمكانية القرب الافتراضي

د. عطوة مضعان أبوغليون
وزارة التربية والتعليم، الأردن



الحمد لله خالق القطر والندى، مرسل الرسل بالوحي والهدى، ومنزل الكتاب بالنور الأوفى، والهداية الأسمى، والصلاة والسلام على من كان سبباً في الهداية، وماحياً للجهالة، وقامعاً للغواية، وعلى آله وصحبه أهل الرواية، أما بعد:

فإن من نعم الله تعالى أن أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، بشيراً ونذيراً، للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، وتكفل بحفظ دينه عموما، وسنة نبيه خصوصاً، فهي المبينة الموضحة لما أجمل في كتاب الله تعالى.

وإنَّ من مقاصد الشرع الحنيف حفظَ الدين من جانب الوجود وجانب العدم، وهو أصل المقاصد الشرعية كلها، ومنه حفظ سنة رسول الله ﷺ، ومن حفظها حفظ أسانيدها، فالأسانيد عمدة المحدثين وركيزتهم الأساسية في الحكم على الحديث قبولاً ورداً.

والإسناد «خصيصة فاضلة منْ خصائص هذه الأمة، وسنة بالغة من السنن

الْمؤكدة»[1]، وقد تواترت الرواية بالإسناد في الأمة من لدن رسول الله، ﷺ، حتىٰ يومنا هذا، وقد ذكر النبي، ﷺ، ذلك للصحابة رضي الله عنهم، فعن ابْن عباسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (تسْمعون، ويسْمع منْكمْ، ويسْمع ممنْ سمع منْكمْ)[2]، والرواية بالأسانيد في زماننا، وإن كانت شرفية، لا تقدم ولا تؤخر؛ فلا تصحيح ولا تضعيف بناء عليها، لكنه جانب اعتباري تميزت به الأمة، فالأمة الإسلامية أمة إسنادٍ وروايةٍ إلىٰ يوم القيامة، فهي مسألة هويةٍ تمايزت بها الأمة عن غيرها من الأمم، وزاد به علم الحديث الشريف تميزاً عن غيره من العلوم، وإن كان قد أثر فيها، وتأثرت به.

ومن لوازم الرواية ومتمماتها أمران مهمان: الأثبات والمشيخات، وهما من العلوم التي ارتبطت بالرواية، فكل شيخٍ لا بد له من ثبتٍ لشيوخه وطرقه، فهما متلازمان تلازماً ترابطيّاً تكامليّاً؛ فكل مشيخةٍ لا بد لها من ثبتٍ، وكل ثبتٍ مرتبط بمشيخته، وتطور التأليف فيهما ليصبح علماً خالصاً انفرد به العلماء المسلمون، فهي الحبل المتين الذي يربط الأمة بمصادرها الأصيلة.

وتعد كتب فهارس الشيوخ من أهم المصادر التي يمكن الاستعانة بها في ترجمة الشيوخ ومعرفة مصادرهم، وبيان السقط في الأسانيد، فضلاً عن إبطال حجج مدعي السماع الباطل أحياناً، وكم من شيخٍ لم نعرف له ترجمة إلا عن طريق كتب المشيخات والأثبات.

وهنا نحرر المسألة فنقول:

لما تكلم أهل المصطلح علىٰ شروط السماع كانوا يفترضون ضمنيا اتحاد المجلس، لذا لا يشترطونه صراحة في مدوناتهم، لأنه لم يخطر ببالهم قطعاً ما نحن

(1) معرفة أنواع علوم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، 1986م، ص 255.

(2) رواه أبو داود.

فيه من التطور الهائل في وسائل التواصل التي قربت البعيد، واختصرت المسافات، إذن نحن أمام واقعٍ لم يعد فيه المجلس كما كان سابقًا، فهل نبقىٰ علىٰ ما كان مفترضًا من اتحاد المجلس ونمنع السماع خارج هذا الإطار المفترض؟ أم إنه لا بد من تطوير السماع وفك قيود الاحتراز بما يتوافق مع المعطيات الواقعية الحديثة، ونتعامل معه كأنه موجود فعلا في ظل التوافقية الزمانية في السماع والرؤية.

وتحرير المسألة يتضح من ثلاثة جوانب؛ الموضوع، والزمان، والمكان؛ علىٰ النحو الآتي:

أولاً: جانب الموضوع؛ ونحن، هنا، نتكلم عن الرواية الإسنادية للحديث النبوي الشريف ولا نتكلم عن رواية القرآن الكريم؛ فتلك لها شروط أشد، ويشترط فيها ما لا يشترط في غيرها، لا سيما شرط السماع في جميع طبقاتها، وغيره من الشروط.

ونزيد التخصيص تقييداً بأن نخصص كلامنا بالرواية في زمن التطور التقني الهائل اليوم، ومنه التطور في وسائل التواصل الإلكترونية، ومنها التواصل الرقمي الصوتي أو المتعدد الذي يجمع الصوت والصورة معا (الفيديو).

ثانيًا: أما الجانب الزماني للمسألة، فنحن نخص الحديث عن الرحلة الإسنادية الافتراضية الإلكترونية، فقد تطورت الرحلة لطلب الرواية والإسناد، فبعد أن كانت علىٰ أقدام طلاب العلم أو علىٰ ظهور الدواب أمستْ بالسيارات والطائرات، ثم ما لبثت أن صارت إلكترونية؛ يجوس فيها طالب السماع وراغب المشيخات بين البلاد وهو جالس علىٰ أريكته؛ فمرة تجده في بلاد ما وراء الجبال، ومرة في أعالي تلك الشوامخ المطلة علىٰ البحر، ومرة في أقاصي الصحراء، ومرة تجد

أحدهم يتبادل الإجازات والروايات مع غيره، وهكذا فقد قربت المسافات واختصرت الطرقات.

ومن صور السماع الحديثة أن يعقد مجلس السماع لأكثر من شيخٍ في أكثر من بلدٍ في الوقت نفسه.

وهذه الصور كلها صور مبتكرة واقعية فرضتها الظروف بمساعدة التطور التقني، حيث اختصرت فيها الأوقات، وتقاربت فيها الدقائق والساعات، فما كان يستلزم شهوراً من الترحال صار يمكن تحصيله في ساعاتٍ أو دقائق.

ثالثًا: الجانب المكاني لمجلس الإملاء، فقد يكون الشيخ المقروء عليه في بلدٍ، والقارئ في بلدٍ ثانٍ، والمستمعون متفرقون بين قارات العالم كلها.

وقد يكون السماع على أكثر من شيخٍ متفرقين في الأرض، فكل واحدٍ منهم في بلدٍ مختلفٍ عن الآخر.

ويتبع ذلك اختلاف في الأوقات بين أطراف مجلس السماع، فقد يكون وقت الشيخ عصراً، ووقت القارئ ليلاً، ووقت المستمعين متفرق بين أول الليل وآخره، وشروق الشمس ومغربها.

وهنا لا بد من التأكيد على أن الإسناد الإلكتروني لا علاقة له بالجرح والتعديل، بل هو متعلق بجانب التحمل الأدائي عن الشيخ الراوي، فنحن لا نبحث في حاله جرحًا أو تعديلاً، بل نبحث فيه كوسيلة تحملٍ للرواية عن الشيخ، يتناقل بها الخلف الروايات عن السلف، ويتواصل بها الإسناد من لدن رسول الله، ﷺ، إلى طلاب العلم وأهل الإسناد، فهل الرواية بها صحيحة أم غير صحيحةٍ؟

وهل هناك شروط معينة لاعتبار صحتها؟

وتنبع أهمية الموضوع أن فيه تطويراً لهذا الفرع من علم المصطلح، وأنه يبين لنا المقبول من المردود منه، فضلاً عما فيه من بيانٍ لآدابه، وإيضاح مشكلاته وأخطاءه. وعليه تنبني الأثبات.

ومن هنا يأتي هذا البحث المعنون بـ (الإسناد والرواية في زمن التواصل الإلكتروني هوية متجددة، وخصيصة متأصلة، بين إشكالية البعد المكاني، وإمكانية القرب الافتراضي)، باحثا في هذه الإشكالية التي تدور بين البعد المكاني الحقيقي، والقرب الإلكتروني الافتراضي، وآثارها الواقعية علىٰ السماع والإسناد، وبالتالي تأثيرها العميق علىٰ الأثبات[1]، والمشيخات، والفهارس[2] ودورها في توثيق الهوية الإسلامية واستمرارها.

ونبحث المسألة من ناحيةٍ واقعيةٍ بعيداً عن الافتراضات الوهمية، فلا يصح، في مقام العلم، صناعة معارك وهميةٍ ونسج آراءٍ غير موجودةٍ، ثم الاستدلال لتلك الآراء بأدلةٍ خارج السياق الأصلي للمسألة قامت علىٰ افتراض وجود خلافٍ وهميٍ، فإن ذلك ليس من نهج العلماء ولا من أبجديات الاستدلال والترجيح.

وقسمت البحث إلىٰ مقدمةٍ، ومبحثين، وخاتمةٍ، وفهرسٍ.

---

(1) جمع (ثبت) بتحريك الباء لا بتسكينها، والثبت: ما يجمع فيه الشيخ مروياته وأسانيده.

(2) وهي الكتب التي يدون فيها الشيخ مروياته وإجازاته وسماعاته وأسانيده، وتختلف التسمية من كاتبٍ إلىٰ آخر، وإن كان بينها فرق دقيق، وأهم تلك التسميات: (البرنامج، والفهرس، والمشيخة، والمعجم، والثبت، والسند، والتقييد).

انظر: كتب البرامج والفهارس الأندلسية، هاني صبحي العمد، الجامعة الأردنية، 1993م، ص14.

المبحث الأول: تعريف الإسناد الإلكتروني، والرواية الإلكترونية، وأثرها في علم الأثبات والمشيخات والفهارس.

وفيه تعريف الإسناد الإلكتروني، والرواية الإلكترونية، وعلاقتهما بعلم الأثبات والمشيخات والفهارس، وتوزعت موضوعاته في ثلاثة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الإسناد الإلكتروني.

يأتي الإسناد لغة بمعنى اعتماد شيءٍ على شيءٍ يتقوى به من ضعفه، ويزيد به قوته، وهو مصدر للفعل الثلاثي المزيد بهمزةٍ (أسند)، قال ابن فارسٍ: (سند) السين والنون والدال أصْل واحد يدل على انْضمام الشيْء إلى الشيْء. يقال: سندْت إلى الشيْء أسْند سنوداً، واسْتندْت اسْتناداً. وأسْندْت غيْري إسْناداً.... والإسناد في الحديث: أنْ يسْند إلى قائله، وهو ذلك الْقياس[1].

أما في باب رواية الأحاديث النبوية الشريفة فهو سلسلة الرواة الموصلة للمتن[2].

أي أولئك الرواة الذين تحملوا رواية المتن من في رسول الله، ﷺ، ونقلوه واحداً واحداً حتى وصل إلينا[3].

(1) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج3، ص 105، الجذر: (سند).

(2) انظر: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، علي الملا الهروي القاري، تحقيق محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون، ص 160..

(3) نفس المصدر، ص 159.

والأوجه عندي أنه طريق المتن، بما يشمله من رواةٍ وصيغةٍ، والصيغة لها جانبان؛ هما: التحمل والأداء.

والعلاقة بين المعنىٰ اللغوي والشرعي، أن الإسناد الشرعي إسناد مخصوص، بينما التعريف اللغوي فيه عموم موسع يشمل الإسناد المادي والمعنوي، فكأن المتن اعتمد في وصوله إلينا وتقوىٰ بأولئك الرواة الذين تناقلوا روايته، وهذه السلسلة تشمل الرجال والنساء، فكل من كان في سلسلة السند الموصلة للمتن فهو داخل في الإسناد.

والإسناد هنا بمعنىٰ اعتماد أهل المصطلح عليه للحكم علىٰ متن الحديث صحة أو ضعفـًا، وهو ثمرة علم الحديث النهائية.

أما الإسناد الإلكتروني، فهو: تحمل الرواية وسماعها عن طريق وسائل التواصل الإلكترونية.

ويميز السماع هنا أنه يتم عبر تلك التقنيات الإلكترونية مهما كانت طرق بثها، ومهما كان البرنامج الذي يبثها.

فنحن أمام ظاهرةٍ برزت في السنوات الأخيرة، ونمت بشكلٍ كبيرٍ، ودخل فيها الكثيرون ممن لا نعرف أحوالهم ولا بواطنهم، ففيهم طالب العلم المبرز، وفيهم الدخيل عليه، وأبرزت معها إشكالاتٍ عدةٍ، فمرة ينقطع البث عند الشيخ، أو عند القارئ، أو عند السامعين، أو بعضهم، ومرة أخرىٰ يتشوش الصوت ويختلط فلا تفهم منه شيئا.

وقد يتعمد القارئ أحيانا أن يقطع البث، لا سيما عند نطق لفظ الإجازة من الشيخ وانتظار سماعها من المستمعين للبث؟

وأحيانا تتفاوت الفوائت السماعية عند مجموع المستمعين حتىٰ تصبح بقدر المقروء كاملاً.

المطلب الثاني: تعريف الرواية الإلكترونية.

الرواية في اللغة مصدر للفعل الثلاثي (روىٰ)، وتدور معانيه حول الحمل والنقل، وإن كان في أصله اللغوي مختصًّا بحمل الماء ونقله، فيقال: (راوية ورواية، والجمع روايا)، وهي من الألفاظ الفصيحة التي تستخدمها العامة حتىٰ يومنا؛ قال ابن فارسٍ: (روىٰ) الراء والْواو والْياء أصْل واحد، ثم يشْتق منْه. فالْأصْل ما كان خلاف الْعطش، ثم يصرف في الْكلام لحامل ما يرْوىٰ منْه.... فالْأصْل هذا، ثم شبه به الذي يأْتي الْقوْم بعلْمٍ أوْ خبرٍ فيرْويه، كأنه أتاهمْ بريهمْ منْ ذلك[1].

فالرواية في أصلها ما يحمل به الماء فيروىٰ منه، أو عليه الماء؛ وهو الدابة التي تحمله.

أما في الاصطلاح؛ فعلم الحديث ينقسم ابتداء إلىٰ قسمين رئيسين؛ هما: علم رواية الحديث، وعلم دراية الحديث، حيث يختص القسم الأول بنقل كل ما أضيف للنبي، ﷺ، من أقوالٍ أو أفعالٍ أو صفاتٍ خلقيةٍ أو خلقيةٍ، مع بيان سائر أحواله، ﷺ، عبر مرحلتين هما: التحمل ثم الأداء.

أما الثاني فيتناول فهم سند الحديث النبوي الشريف ومتنه، من حيث القبول والرد، وما فيه من عللٍ توجب رده وعدم الاستدلال به، أو قبوله والاستشهاد به.

والعلاقة بين المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي هي أن كليهما فيه نقل، سواء أكان النقل حسيا أم معنويا؛ فنقل الماء نقل حسي، ونقل الحديث نقل معنوي، فالراوي يتحمل الحديث ويحمله إلينا نقلاً شفاهياً من راوٍ إلىٰ راوٍ حتىٰ يصل إلينا.

---

(1) معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص 453 [باب الراء والْواو وما يثْلثهما].

أما الرواية الإلكترونية فهي: نقل كل ما أضيف للنبي، ﷺ، من أقوالٍ أو أفعالٍ أو تقريراتٍ أو صفاتٍ خلقيةٍ أو خلقيةٍ نقلاً إلكترونيا بالسند المتصل من الشيخ المسند في زماننا حتى عهد الرواية الأولى.

المطلب الثالث: علاقة الإسناد الإلكتروني، والرواية الإلكترونية، بعلم الأثبات والمشيخات والفهارس.

دأب أهل الرواية والإسناد على تدوين مسموعاتهم على شيوخهم، وهذه التدوينات تحوي ما تم سماعه من مروياتٍ، والسند الموصل لأصحابها، وهو ما يسمى بالثبت عند علماء المصطلح والرواية، ويسمى كذلك البرنامج، أو الفهرس(الفهرسة)، أو المشيخة، أو المعجم، أو الثبت، أو السند، أو التقييد[1].

فالثبت، بتحريك الباء، يطلق على الكتاب الذي يجمع فيه المحدث مشيخته ويثبت فيه أسانيده ومروياته وقراءته على أشياخه المصنفات ونحو ذلك[2].

والإسناد الإلكتروني والرواية الإلكترونية كلاهما مرتبطان ترابطاً وجوديّاً بعضهما ببعضٍ، عدا عن ترابطهما بالأثبات والمشيخات؛ ذلك أنه لا يوجد إسناد دون مشيخةٍ، ولا مشيخة دون أثباتٍ، والأصل أن كل مشيخةٍ لها ثبت تثبت فيه شيوخها وطرقها التي تحملت منه الرواية ابتداء، سواء أكان الثبت مكتوباً أم محفوظاً.

وما يجري على السماع العادي الوجاهي من مصطلحاتٍ وتقييداتٍ فهو يجري على السماع الإلكتروني الافتراضي في حال اتفق العلماء على صحته.

(1) كتب البرامج والفهارس الأندلسية، مصدر سابق، ص14.

(2) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لكتاني، محمد عبْد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط2، 1982م، ج1، ص 96.

المبحث الثاني: حكم السماع الإلكتروني، وأثره.

وفيه مطلبان، الأول: نبحث فيه مسألة السماع الإلكتروني، وأثره في صحة الإسناد الإلكتروني، أما المطلب الثاني: فهو لبيان ضوابط السماع الإلكتروني، علىٰ النحو الآتي:

المطلب الأول: السماع الإلكتروني بين الصحة والبطلان، وأثره في الإسناد الإلكتروني.

تنقسم آراء الرواة والمهتمين بالرواية والأسانيد في مسألة صحة السماع الإلكتروني إلىٰ قسمين؛ فقسم يرىٰ إباحة السماع بوساطة وسائل التواصل الاجتماعي والبرامج الإلكترونية؛ فتكون رواية الأحاديث عن طريقها صحيحة، ويمنح الأسانيد والإجازات بناء علىٰ السماع الإلكتروني لمن يستمع له عن طريقها، سواء أكانت الإجازة خاصة أم عامة.

والقسم الآخر من الشيوخ يتشدد فيها فلا يبيحها، بل يشترط المواجهة والمقابلة عند السماع، ويمنع غيره، فلا بد من اتحاد المحل بين الشيخ المسند والسامع.

وعند النظر والسماع من الطرفين نجد أن أبرز حجج المانعين هو الالتزام بقواعد علم مصطلح الحديث التي قعدها علماء المصطلح، ودونها علماء الرواية، ومنها آداب السماع، فالتزموا بالسماع المباشر وهو ما كان فيه المملي يملي علىٰ الطلاب، فيسمعون منه؛ فيدونون، أو يحفظون.

وحسب ما دونه أهل الشأن، فثمة سبعة طرقٍ رئيسةٍ لتحمل الرواية؛ وهي: السماع من لفظ الشيخ، أو القراءة عليه، أو الإجازة، أو المناولة، أو المكاتبة، أو الإعلام، أو الوجادة، وأعلاها السماع من لفظ قراءة الشيخ، حيث يقرأ الشيخ

والطالب يسمع ويدون وراءه، وبعدها تأتي مرتبة العرض بأن يقرأ الطالب علىٰ شيخه أو يقرأ غيره والشيخ يسمع له ويصحح[1].

وقد أخذ جماعة من الشيوخ بما قعده العلماء السابقون وساروا عليه من حصر طرق التحمل، وأنكروا أن يكون السماع بواسطة وسائل التواصل الالكترونية بمنزلة السماع من لفظ الشيخ، أو بمرتبة العرض عليه، لاحتمال الغش أو التدليس في هذه المواقع.

أما المجيزون فيستدلون بأمورٍ:

1- توافر المعاني التي اشترطها أهل الحديث في السماع وشروط التحمل؛ حيث نجد أن شروط السماع وأركانه الرئيسة متوافرة متكاملة، فأنت تسمع اللفظ كاملاً، وتميز الكلمات، وتفرق بين المتماثلات، وأحيانا تشاهد الشيخ أو المملي، فهذه الوسائل التقنية الحديثة تجعلك تشاهد الشيخ المسند وتسمع صوته كأنك بين يديه، وتدرك الفرق بينه وبين غيره من الشيوخ.

2- القياس علىٰ الْمسْتمْلي[2]، وهو من كان يبلغ كلام الشيخ وروايته للمستمعين البعيدين، والاستملاء مع ما يعتوره من خللٍ في السماع والتبليغ أحيانا

(1) المختصر في أصول الحديث، علي بن علي الجرجاني، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1403ه، ص62-64.

(2) اسم فاعلٍ من الفعل المزيد (أملىٰ)، وهو من يطلب الإملاء من الشيخ، ويراد به من يطلب الإملاء من الشيخ للطلاب فيبلغه لهم، وينْبغي أنْ يكون الْمسْتمْلي جهْوري الصوْت وقد يكون في بعض حلق العلم أكثر من مستملي يبلغ عنْه الإمْلاء إلىٰ منْ بعد في الْحلْقة، لأن الْمقْصود من الاسْتمْلاء أنْ يبلغ جميع الْحاضرين.

للمزيد، انظر: أدب الإملاء والاستملاء، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي، تحقيق ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981، ص 84 فما بعدها.

ليس أفضل حالاً من السماع الإلكتروني، فأن تسمع كلام الشيخ بوضوحٍ ولو بوساطةٍ إلكترونيةٍ لهو أعلىٰ مرتبة وأجود درجة من كلام المستملي إن كان بعيداً يشوبه التشويش والضجيج.

وهذا القياس قياس الأولىٰ، وهو من أعلىٰ أنواع القياس قوة، أو هو من قبيل القياس المساوي علىٰ الأقل.

والذي يترجح عندي، بعد النظر في المعاني التي كانت تتحصل كنتائج واقعيةٍ لمجالس السماع، وبعد التأمل في المقاصد التي كانت تعقد لأجلها تلك المجالس، هو جواز تحمل الروايات عن طريق السماع الإلكتروني مع ضوابط وقيودٍ، للأمور الآتية، زيادة علىٰ ما سبق به الاستدلال:

1- القياس علىٰ سماع الضرير وإن لم يشاهد الشيخ المسند، بجامع انتفاء المشاهدة بين الاثنين، وهو جائز، فلا أعلم خلافا في جواز سماع الضرير والاستماع لروايته، فروايته صحيحة تحملاً وأداء؛ وما زلنا نروي عن بعض الفضلاء ونسمع منهم ونستجيزهم وهم مبتلون بفقد البصر، ولم ينكر أحد سماعهم ابتداء ولا السماع منهم انتهاء. وهو قياس وسائل، لا قياس تعبدٍ، فهو صحيح قواعديّاً.

2- الضرورة والحاجة، فالسماع متمم لضرورة حفظ الإسناد واستمراره في الأمة، «والإسناد من الدين، فلوْ لا الإسْناد لقال منْ شاء ما شاء»[1]، وقد برزت هذه الحاجة في زمان هذا الوباء الذي أصاب الناس بالبلاء، وسبب لهم العناء، وأرهق

(1) قاله ابن المبارك، انظر: ذم الكلام وأهله، عبد الله بن محمد بالأنصاري الهروي، تحقيق عبد الرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1998م، ج5، ص 207.

قلوبهم، ففرقهم، وأنزل عليهم العنت والشقاء، ومنهم طلاب العلم الذين انقطعت مجالسهم، وأوصدت مساجدهم، فحاجة استمرار الرواية في الأمة تجلت أيام تقييد حريات تنقل الناس بين أرجاء المعمورة وحالت دون الوصول للشيوخ والسماع منهم، حتى من كان في بلدك كان التنقل إليه صعباً وعسيراً.

3- السماع الإلكتروني أعلى منزلة من الإجازة العامة المجردة، وهي صحيحة، فالصحيح عنْد الْجمْهور من علماء الْمحدثين والْفقهاء: جواز الرواية بالْإجازة[1]، وهي مجردة قد لا يحصل معها سماع، فتجويز السماع الإلكتروني والإسناد إليه أولى لوجود السماع، وإن كان بحائلٍ الكتروني.

4- لعل من المؤيدات لجواز السماع الإلكتروني والرواية عن طريقه ما تسمى عند أهل الشأن بإجازة أهل العصر، فإن كانت الإجازة بهذه الصورة جائزة فهي عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي أولى لتوافر السماع فيها وعدم توافره في الأولى.

وبناء على ذلك فإذا صح السماع الإلكتروني، بمعنى أنّ فِعلَ السماع الإلكتروني موافقاً للشرع ولا مخالفة فيه لقواعد الشرع وأصوله، فإنه يترتب عليه آثاره في الإسناد الإلكتروني، ويصح الإسناد إليه، وبالتالي تصح الرواية المسموعة عن طريقه، ويصح الإسناد إليها تبعاً، وعليه يكون التدوين في الأثبات تدويناً صحيحاً لصحة السماع واتصال السند تبعاً له.

---

(1) الغاية في شرح الهداية في علم الرواية سخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2001م، ص 99.

المطلب الثاني: ضوابط السماع الإلكتروني، وآدابه.

وهنا لا بد لنا من بيان الآداب العامة التي لا بد من مراعاتها عمومًا عند سماع حديث رسول الله، ﷺ، وأهمها:

أولاً: تصحيح النية لله تعالىٰ، والإخلاص له في طلب الحديث الشريف، فالأعْمال بالنيات والأمور بمقاصدها[1]، وطلب العلم أولىٰ ما صححت فيه النيات بعد العبادات، فطلبه قربة لله تعالىٰ، لا للتباهي علىٰ العوام، ولا للتماهي علىٰ العلماء، لحديث أبي هريْرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله، ﷺ: (منْ تعلم علْما مما يبْتغىٰ به وجْه الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنْيا لمْ يجدْ عرْف الْجنة يوْم الْقيامة)[2].

ثانيًا: تعظيم الحديث الشريف، وإجلال حملته، وتقدير أهل الرواية منهم، وإعلاء شأنهم، وإحلالهم منزلة تليق بما تحملوه من علمٍ.

ثالثًا: العمل بعد العلم، لتكتمل القدوة وتعم الفائدة، وهو من أسباب رسوخ العلم، فقد كان إسْماعيل بْن إبْراهيم يقول: «كنا نسْتعين علىٰ حفْظ الْحديث بالْعمل به»[3].

---

(1) لحديث عمر بْن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعْت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعْمال بالنيات، وإنما لكل امْرئٍ ما نوىٰ، فمنْ كانتْ هجْرته إلىٰ دنْيا يصيبها، أوْ إلىٰ امْرأةٍ ينْكحها، فهجْرته إلىٰ ما هاجر إليْه) متفق عليه.

(2) رواه أبوداود.

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ج2، ص 258.

أما آداب السماع الإلكتروني، فهي تلك الآداب المختصة بالسماع الإلكتروني، وأهمها:

1- اختيار الأوقات المناسبة للشيوخ حسب أماكن إقامتهم وبلادهم، ومراعاة فارق التوقيت عندهم، وعدم إحراجهم بالاتصال بهم في أوقاتٍ لا تناسبهم، أو في أوقات دروسهم، أو راحتهم، وهو خطأ متكرر يغفل عنه بعض من يعقد مجالس السماع الإلكتروني.

2- تجنب الاحتكار المعرفي لمجالس السماع، فإن كان الاحتكار في الدرهم والدينار منبوذاً ممنوعاً شرعاً، فكيف بمجالس العلم والرواية لأحاديث رسول الله ﷺ؟! وهو مدخل من مداخل الشيطان وتلبيسه علىٰ طلاب العلم.

3- التعريف بالشيخ، وبلده ومكان سكنه، والكتاب المقروء، وأن يذكر القارئ اسمه كذلك، للتوثيق والتأكيد.

4- التوقير الكامل للشيوخ، وعدم التعالي عليهم، خطاباً أو فعلاً، تلميحاً أو تصريحاً؛ وهذه والله مفقودة عند البعض، فنجد من يتعالىٰ علىٰ الشيوخ، ويمتن عليهم بأنه يعرف بهم طلاب العلم، وأحياناً يعرض عليهم المال ليسمعوه فقط دون غيره، مستغلاً فقرهم أو انشغالهم بأعمالهم الدنيوية التي يعتاشون منها.

5- الطلب برفقٍ ولينٍ دون إلحاحٍ مزعجٍ علىٰ الشيخ، أو تضييقٍ مخجلٍ عند طلب الإجازة، لا سيما الإجازة العامة.

6- مراعاة الفوائت السماعية للمقروء عند قطع الاتصال لأي طرفٍ كان، لتعلق تمام الإجازة الخاصة بها.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وآله وصحبه ومن اتقى، أما بعد:

ففي نهاية هذه الجولة المختصرة فقد وصلنا إلى نهاية بحثنا، وهو مع قلة صحائفه وإحصاء كلماته وحروفه، إلا أنه يفتح بابا لدراساتٍ أكثر عمقاً في مفردات الموضوع، لا سيما وقد طرح عدة إشكالاتٍ، مع اقتراح الحلول أحياناً، وبعد هذه الإطلالة المختصرة على المسألة نعرض أهم النتائج والتوصيات، أما أبرز النتائج فهي:

أولاً: الإسناد هوية متجددة، وخصيصة متجذرة، وقد قرر العلماء أن «باب الرواية على التوسعة»[1]، وليس على التضييق، طلباً للبركة برواية حديث رسول الله، ﷺ، لذا توسع فيه العلماء كثيراً، فأجازوا الإجازة العامة والرواية عنها، وبعضهم أجاز الإجازة العامة لأهل العصر من الأحياء والرواية بها، وكذا إجازة المجاز، والمناولة، والمكاتبة، وهكذا، طلباً للبركة وتوسيعاً لدائرة السماع.

ثانياً: يترجح صحة السماع عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وإن كان السماع بها أقل درجة من السماع مواجهة، فالسماع مشافهة من في المتكلم إلى أذن السامع هو الأجود في طرق التلقي، لكن يبقى السماع الإلكتروني أجود من المكاتبة على فضلها، وأعلى من المناولة وغيرها من أنواع الإجازات ورواية الأسانيد.

---

(1) الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، مصدر سابق، ص 107. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، ج1، ص 531.

لا سيما مع توفر عنصر التفاعل بين الشيخ والمتلقي في أغلب التطبيقات الإلكترونية الحديثة، بخلاف التسجيلات وغيرها من وسائل السماع.

ثالثًا: ما سبق تقريره يكون في الإجازتين؛ الخاصة، والعامة، مع التأكيد علىٰ الالتزام بالضوابط التي قررها علماء الشأن في مجالس السماع؛ وأن يبدأ القراءة بحديث الأولية وحديث الرحمة، مع الالتزام بلغة المتن المقروء؛ بأن يكون بلغةٍ سليمةٍ خاليةٍ من الأخطاء والسقط والتحريف وعلل القراءة، والتنبيه علىٰ الأوجه التي يقرأ بها عند اختلاف الروايات.

رابعًا: في القول بجواز الإسناد الإلكتروني والرواية الإلكترونية «إبْقاء سلسلة الإسناد التي خصتْ بها هذه الأمة»[1] واستمرار بركة رواية الوحي بالأسانيد المتصلة بين أهل العلم بعضهم ببعضٍ حتىٰ رسول الله، ﷺ.

أما التوصيات فيمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: ضرورة عقد لقاءٍ علميٍ موسعٍ للمختصين بالأثبات والمشيخات ورواية الأسانيد الحديثية، وحق لسنة رسول الله، ﷺ، أن يجتمع لأجلها، حيث يلتقي فيه أهل الرواية والإسناد والمهتمون بها، يناقشون هذه المسائل وغيرها مما استجد، ويطرحون مشكلاتها المستحدثة لبحثٍ موسعٍ، ونقاشٍ علميٍ متينٍ، مشفوعٍ بالأدلة والبراهين، يخرجون فيه بتوصياتٍ علميةٍ، ويتفقون علىٰ الضوابط الدقيقة لمسائل الباب، ثم تعمم هذه الضوابط والفوائد علىٰ أهلها والمهتمين من طلاب العلم، ويلتزم بها أهل الرواية وطلابها.

(1) معرفة أنواع علوم الحديث، مصدر سابق، ص 17.

ثانيـًا: تظافر جهود أهل الرواية والمهتمين لاستحداث منظمةٍ أو هيئةٍ عالميةٍ إسلاميةٍ كأن تسمىٰ (الهيئة الإسلامية العالمية للأسانيد الحديثية) تتولىٰ حفظ الأثبات والسماعات، وتعمل علىٰ تنسيق أسانيد الشيوخ، وقد توفرت الدواعي العلمية لذلك، ويتوزع العمل فيها بين عدة هيئاتٍ؛ فواحدة لأرشفة الأسانيد والروايات، وأخرىٰ لتدقيق الأثبات، وثالثة ضابطة عدلية تتولىٰ كشف الأسانيد المزورة وتمحيص الإجازات التي يدعيها بعضهم ثم يتبين أنها مزورة، لاسيما وقد تطورت وسائل التزوير بما لا يمكن كشفه إلا للخبير والمتقن.

وقد تتولىٰ بعض لجانها التنسيق بين الشيوخ وطلاب العلم، منعـًا للاحتكار الذي يفعله بعض منسقي المجالس الحديثية مستغلاً جهل الشيوخ الكبار بهذه التقنيات.



الأثبات والمشيخات العراقية
مناهجها ومدارسها المشيخة
البندنيجية أنموذجاً

د. علي فاضل الحسيني
شيخ الزاوية العيساوية ببغداد، العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجاز المُسْتَجِيزين بمُتواتر آلائه، وخصَّ الأمة المحمدية بشرف الحديث وروايته، وأعلىٰ مقام السنة المشرفة بمُسلسل ثِقاته، فانبَرىٰ لمقام الرواية من نال قَصَب السبق وحَاز، فاسْتجاز وأجَاز، وجعل العلماء ورثة الأنبياء، فأَنْعِم بهم من حُرَّاس أمناء علىٰ حفظ حديث خير العباد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد انقطع إليه فاتصل، وأشهد أن سيدنا محمداً خير مرسل، إليه المفاخر من القول والعمل، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله الحائزين علىٰ قصب السبق في القديم والحديث وسلم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين، **أما بعد:**

فلما كان الإسناد من خصائص هذه الأمة المرحومة بسيد الخلق صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وكان طلب الإجازة طريقة سلكها الأولون، وسار علىٰ نهجها الآخرون، ولهم في ذلك أصول مقررة، وشروط معتبرة، فصار سندهم هذا سلسلة موصولة إلىٰ ما هو خير وأبقىٰ، فمن تمسك بحبلهم المتين فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ، لذا فإن الإجازة تمثل نَتَاج الثقافة الإسلامية، والعناية بها تعني المزيد من العناية بهذه الثقافة وتحصيل علومها، فالإجازة في حد ذاتها تمثل حلقة من الحلقات العلمية التي أبدعها

السلف الصالح من أجل الحفاظ على بقاء سلسلة الإسناد، وضبط إسناد كتب أهل العلم والدراية إلى أصحابها ومؤلفيها، جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر، فهي في حد ذاتها وسيلة لضمان صحة نسبة المصنفات الحديثية وغيرها، إلى مؤلفيها، مع صيانة نصوصها من عوامل التحريف والتزييف[1]، وقد توسع العمل بالإجازة في القرون المتأخرة وأضحى إذن الرواية يتضمن ثبتاً كاملاً فيه عشرات الكتب وفي علوم متعددة، فيطلبه المستجيز ليروي ما تضمنه من مؤلفات بالسند المتصل إلى أصحابها ومنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ومن هنا نشأ علم الأثبات والمشيخات والمعاجم والفهارس، وبرزت أهميته في باب الرواية والإسناد، ولتسهيل الحصول على سلسلة السند لعلم أو شيخ أو كتاب صارت الأثبات والمشيخات تختصر هذا كله، ولم يغب علماء العراق عن هذا الفن من فنون علم الحديث الشريف فكتبوا الأثبات والمشيخات ووصلوا أسانيدهم وترجموا لمشايخهم، منهم العلامة الألوسي أبو الثناء شهاب الدين المفسر، والعلامة ناصر الجبوري، والعلامة نعمان خير الدين الألوسي، والعلامة المحقق صفاء الدين عيسى البندنيجي في مشيخته (المشيخة البندنيجية) التي صدرها بإجازة لتلميذه العلامة قاسم خير الدين البياتي القاسمي.

فكانت هناك مناهج ومدارس لهذه الأثبات، فحاولت تسليط الضوء على هذه المناهج والمدارس، فتناولت المشيخة البندنيجية أُنموذجاً حياً، للتعريف بها وبكاتبها ومنهجه فيها وإعادتها إلى ساحة الرواية ولفت النظر لها وإلى المشيخات العراقية والأسانيد العراقية واتصالات شيوخها بعلماء البلد ثم بغيرهم من علماء الأمصار.

(1) من مقدمة كتابي (نزهة المشتاق إلى مرويات اهل العراق)، مخطوط.

(2) التنوع العلمي في الإجازات العلمية العراقية في القرن الثالث عشر، مصطفى العبيدي، مجلة التكوين، فصلية تصدر عن مؤسسة بيت الغشام للصحافة والنشر والاعلان بسلطنة عمان.

واخترت له عنوانـًا (**الأثبات والمشيخات العراقية مناهجها ومدارسها المشيخة البندنيجية أنموذجـًا**).

راجيـًا أن أوفق بعملي هذا، وجعلته على مباحث ثلاث كالآتي:

المبحث الأول: تعريفات أساسية.

المبحث الثاني: الأثبات والمعاجم والفهارس والمشيخات مناهجها وأساليب التصنيف فيها.

المبحث الثالث: الأثبات والمشيخات العراقية مناهجها ومدارسها المشيخة البندنيجية انموذجـًا.

المبحث الأول: تعريفات أساسية.

كثيراً ما يتردد على أسماعنا، أو نقرأ بعض العناوين مثل معجم الشيوخ، ومشيخة، والثبت، والفهرس، والبرنامج، والسند، والتقيد، وأحيانـًا نقرأ لفظة الأوائل، والإجازات، والمرويات، والسماعات، فما هو المقصود من هذه الألفاظ؟ إنّ هذه الألفاظ تكاد جميعها تتفق وتتقارب في الغاية والمضمون، إذ إنها جميعها تمثل طرقـًا ومسلكـًا من مسالك علم الرواية وما يتعلق بها عند المحدثين، وأن معظم هذه الألفاظ قد وقع تحت تأثيرها واتسع مداها في ظلها، وإن اختلفت أنماطها وتعددت أساليبها... لذا أضحى من الأفضل للباحث والدارس أن يبدأ بعرض موجز لهذه العناوين على اعتبارها تمثل الخطوة الأولى في دراستنا هذه...[1]

(1) علم الأثبات والمعاجم والشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، موفق بن عبد الله بن عبد القادر، جامعة ام القرى مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية مركز بحوث الدراسات الاسلامية، ط1، ص15.

1- **المعجم** لغة: مصدر ميمي من أعجم الكلام، أو الكتاب إذا أزال عجمته وإبهامه بالنقط والشكل، وجمعه منجمات، ومعاجم[1].

وفي اصطلاح اللغويين: ديوان لمفردات الكتاب مرتب على حروف المعجم، أي: الهجاء[2].

وفي اصطلاح المحدثين: ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة، أو الشيوخ، أو البلدان، أو غير ذلك.

والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء[3].

2- **المشيخة**: الشيخ لغة: الذي استبانت فيه السن، وظهر عليه الشيب، وقيل: هو شيخ من خمسين إلى آخره، وقيل: هو من الخمسين إلى الثمانين، والجمع أشياخ، وشِيخان، وشُيوخ، وشِيَخة، وشِيخة، وشِيَخة، ومَشيَخة، ومِشيَخة، ومَشِيخة، ومَشيُوخاء، ومَشايِخ[4]، وقد يعبر به فيما بيننا عمن يكثر علمه، لما كان من شأن الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه[5].

وفي اصطلاح المحدثين: أطلقوها على الكراريس التي يجمع فيها الإنسان شيوخه[6].

---

(1) الصحاح: ج5، ص 1981 – 1982، مادة (عجم). تهذيب اللغة، ج1، ص 392. النهاية في غريب الحديث، ج3، ص187. لسان العرب، ج2، ص 387 وما بعدها، مادة (عجم). تاج العروس، ج8، ص 390 – 391. مادة: (عجم).

(2) لسان العرب، ج 12، 387 – 388. المعجم الوسيط، ج2، ص 586.

(3) الرسالة المستطرفة، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد المنتصر الكتاني، البشائر الإسلامية، ط6، 2000م، ص 135.

(4) لسان العرب، ج3، ص 31 مادة (شيخ).

(5) المفردات، ص 270.

(6) فهرس الفهارس والأثبات، مصدر سابق، ج1، ص 624، ج2، ص68. الرسالة المستطرفة، مصدر =

وأما الصلة بين المعاجم والمشيخات، فإن المشيخات من معنىٰ المعاجم إلا أن المعاجم يرتب المشايخ فيها علىٰ حروف المعجم بعينها في أسمائهم.

وأما المشيخة فهي أعم من ذلك، لأنها تشتمل أشكالاً مختلفة في الترتيب[1].

3- **الثبت**: الثبت بسكون الموحدة، الثابت القلب واللسان والكتاب والحجة[2].

والثبت بالتحريك الحجة والبيئة[3].

وفي اصطلاح المحدثين: (الثبت) ما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره[4].

أو هو: الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه، كأنه أخذ من الحجة؛ لأن أسانيده وشيوخه حجة له[5].

4- **الفهرس** لغة: بالكسرة الكتاب الذي يجمع فيه أسماء الكتب، معرب فهرست، وقد فهرس كتابه فهرسة، وجمع الفهرسة فهارس[6].

= سابق، ص 140.

(1) فهرس الفهارس والأثبات، مصدر سابق، ج1، ص 67، ج2، ص 620.

(2) الصحاح، ج1، ص 24، مادة (ثبت).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير، تحقيق الطاهر الزاوي الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، ج1، ص 106. لسان العرب، ج2، ص 10، مادة (ثبت).

(4) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـ، ج1، ص 237.

(5) تاج العروس، 1، ص 534، مادة (ثبت). فهرس الفهارس، ج1، ص 69. علم الاثبات ومعاجم الشيوخ، ص 18.

(6) فتح المغيث، مصدر سابق، ج2، ص 59.

وفي اصطلاح المحدثين: أطلقوه على الكتاب الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه، وأسانيد مروياته[1].

5- **البرنامج**: بفتح الموحدة والميم، صرح به عياض في ((المشارق)).. وقيل: بكسر الميم، وقيل بكسرهما كما في بعض شروح ((الموطأ)): الورقة الجامعة للحساب، وعبارة المشارقة: زمام يرسم فيه متاع التجار وسلعهم، وهو معرب برنامة وأصلها فارسية[2]، وجمعه برامج[3].

وفي اصطلاح المحدثين: الكتاب الذي يكتب فيه المحدث أسماء شيوخه، وأسانيد مروياته[4].

6- **السند**، لغة: المعتمد، وسند في الجبل يسند سنوداً صعد ورقى، وجمعه مسانيد، وأسانيد[5].

وفي اصطلاح المحدثين: الإخبار عن طريق المتن، أو رفع الحديث إلى قائله، والمحدثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد[6].

---

(1) فتح المغيث، مصدر سابق، ج9، ص 90. تاج العروس، ج4، ص 211، مادة (فهرس). فهرس الفهارس والاثبات، مصدر سابق، ج1، ص 69 – 70.

(2) تاج العروس، ج2، ص 8، مادة (برنامج).

(3) المعجم الوسيط، ج1، ص 52، وزاد (والخطة المرسومة لعمل ما كبرامج الدروس، والإذاعة).

(4) فرس الفهارس والأثبات، مصدر سابق، ح1، ص 71.

(5) الصحاح، ج3، ص 489، مادة (سند). أساس البلاغة، ص 310. النهاية في غريب الحديث، 2، ص 408. تاج العروس، ج2، ص 382، (سند).

(6) انظر المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، محمد الكناني الحموي، تحقيق محيي الدين رمضان دار الفكر، دمشق، ط2، 1406 هـ، ص 29 – 30. فتح المغيث، مصدر سابق، ج1، ص 17.

واستعير السند: للكتاب الذي يكتب فيه المحدث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته[1].

7- **التقييد**: المقيد لغة اسم مفعول، وهو ضد المطلق، وقيد العلم الكتاب ضبطه، وكذلك قيد بالشكل شكله، وتقييد الخط تنقيطه وإعجامه وشكله، وقيد الشيء في دفتر، أو ورقة سجله[2].

وفي اصطلاح المحدثين: الكتاب الذي يكتب فيه المحدث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته[3].

8- **الأوائل**، الأول لغة: السابق الذي يترتب عليه شيء بعده[4].

وفي اصطلاح المحدثين: قال الكتاني: ((في الزمن الأخير لما كسلت الهمم وعدمت مصنفات الحديث أو كادت وثقل على الناس الرحلة بأسفار السنة الضخمة إلى البلاد ليسمعوها على المشايخ، عدلوا إلى جمع أوائل المصنفات في

(1) الفانيد في حلاوة الأسانيد، عبد الرحمن السيوطي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1999م. وأسانيد الفقيه أحمد بن محمد ابن حجر الهيثمي، تحقيق محمد ياسين الفاداني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988م. والنفحة المسكية في الأسانيد المكية، محمد بن ياسين الفاداني. وفهرس الفهارس والأثبات، مصدر سابق، ج1، ص 165 وما بعدها.

(2) أساس البلاغة، ص530، ولسان العرب، ج3، ص 377، مادة (قيد)، وتاج العروس، ج2، ص 480، والمعجم الوسيط، ج2، ص 769.

(3) أنظر: التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد لابن نقطة البغدادي، وذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد لمحمد بن أحمد الفاسي المكي، وقد استخدم هذه التسمية يحيى بن أحمد النفزي (فهرسته) نسخة المكتبة الوطنية في باريس رقم 758.

(4) المصباح المنير، ج1، ص 30.

كراسة أو أكثر، يحملها الطالب فيقرأها علىٰ مشايخه فيرجع من رحلته أو وجهته وهو يقول: أروي المصنف الفلاني عن شيخي سماعـًا لأوله وإجازة لباقيه)[1].

9- **المسلسلات**، المسلسل لغة من السلسلة، وهو اتصال الشيء بالشيء[2].

واصطلاحـًا: الأحاديث المسلسلة التي تتابع رجال إسنادها علىٰ صفة أو حالة إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم[3].

قال العلامة الكتاني رحمه الله: (اعلم أنه بعد التتبع والتروي ظهر أن الأوائل كانوا يطلقون لفظة (المشيخة) علىٰ الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك (المعجم)، لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم علىٰ حروف المجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات. وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون (البرنامج)، أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون إلىٰ الآن: الثبت، وأهل المغرب إلىٰ الآن يسمونه: (الفهرسة)[4].

قلت: بعد النظر والتأمل فيما مر نجد من الواضح أنها تعبر عن منهج حديثي يدون أسماء الشيوخ ومروياتهم، وإن تنوعت المسميات فهي راجعة إلىٰ طريقة التأليف والغاية منه، إلا أنها تصب في معنىٰ واحد.

---

(1) فهرس الفهارس والأثبات، ج1، ص 94.

(2) القاموس المحيط، ج3، ص 397، مادة (سلسل)، فتح المغيث، ج3، ص53.

(3) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح، ص248. والتبصرة والتذكرة في علوم الحديث لزين الدين العراقي، ج2، ص 288. وفتح المغيث، ج3، ص 53. والرسالة المستطرفة ص 81.

(4) فهرس الفهارس والأثبات، ج1، ص 67.

المبحث الثاني: الأثبات والمعاجم والفهارس والمشيخات مناهجها وأساليب التصنيف فيها.

أولاً: الأثبات والمعاجم والفهارس والمشيخات مناهجها وأساليب التصنيف فيها.

إن الأنماط المتبعة في تصنيف معاجم الشيوخ، والمشيخات، والبرامج، والفهارس، والأثبات، والأسانيد تختلف باختلاف الغاية والهدف الذي صنف من أجله صاحب المشيخة أو المعجم كتابه، غير أنها جميعها قد نمت وترعرعت بمرور الزمن وتعاقب الأيام في ظل فن الرواية وأقسامها المختلفة.. كما أنها جميعها تشترك في غاية واحدة، وتتفق في هدف مشترك، ألا وهو العناية بالأسانيد، ومحاولة الوصول إلىٰ رواية حديث، أو جزء أو كتاب بإسناد متصل إلىٰ مصدره الأصلي..[1].

وعلىٰ هذا فيمكن أن نقول في مناهج وأساليب المشيخات والأثبات، أنها تعددت مناهج المؤلفين في هذا الفن، وإليك طرفاً من هذه المناهج، مع ذكر الأمثلة لكل نوع:

1- ترتيب الكتب علىٰ حسب موضوعاتها، فيبدأ بالقرآن وقراءاته، ثم الحديث، ثم الفقه، أو التوحيد، ثم الزهد، ثم علوم العربية. وقد جرىٰ عليها الإمام ابن خير الإشبيلي في فهرسته.

2- الابتداء بنشأة المؤلف العلمية، ورحلاته، وطلبه، ثم ذكر شيوخه الذين روىٰ عنهم، وقد يرتبهم علىٰ حسب حروف الهجاء. مثل: برنامج الرعيني.

---

(1) علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات، مصدر سابق، ص 78.

3- ومنهم من يبدأ بذكر شيوخه مرتبين على حروف المعجم، مثل: كتاب الغنية للقاضي عياض، ومشيخة ابن عساكر، وكتاب التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ومعجم الشيوخ للذهبي، ومعجم شيوخ ابن جماعة.

4- ومنهم من يذكرهم على حسب الأقدم سماعات أو الأعلى إسناداً، مثل: مشيخة ابن الجوزي.

5- ومنهم من يرتبهم على حسب البلدان التي دخلها المصنف، مثل: كتاب الوجيز في ذكر المجاز والمجيز لأبي طاهر السلفي، ومعجم الشيوخ لابن فهد.

6- ومنهم من يرتبهم على سني وفيات الشيوخ، مثل: مشيخة ابن البخاري.

7- ومنهم من يرتب الكتاب على أسماء المصنفات التي رواها عن شيوخه، مثل: المعجم المفهرس، أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة للحافظ ابن حجر، وكتاب صلة الخلف بموصول السلف للروداني.

ومما ينبغي ملاحظته أن بعض الكتب المؤلفة في هذا الفن يقوم بجمع مادتها العلمية شخص آخر غير المؤلف، ويكون في الغالب من تلامذته، أو من المعاصرين له، حيث يقوم هذا المؤلف بجمع المادة العلمية من سماعات المحدث ومقروءاته ومجازاته، فيجمعها، ثم يرتبها على منهج من المناهج المذكورة آنفا[1].

(1) مشيخة الامام عمر بن محمد السهروردي، تحقيق ودراسة، د. عامر حسن صبري، مجلة الأحمدية، العدد العاشر، مارس 2002م. ص33. ومقالة الدكتور الأهواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشرها في مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة، العدد الأول سنة 1374، وعلم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات، وفن كتابة التراجم، مصدر سابق.

ثانياً: أهمية وفوائد تأليف الأثبات والمعاجم والفهارس والمشيخات.

إن لهذا الفن فوائد كثيرة، وثمرات متعددة تخدم سنة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وتبرز جهود المحدثين في خدمتها والمحافظة عليها، وقد ذكر بعض الباحثين ممن اشتغل بهذا الفن فوائد كثيرة لهذا العلم، ولا بأس أن نشير إلىٰ بعض هذه الفوائد[1]:

1- يعد فن رواية النصوص وتوثيقها من أرقىٰ ما توصل إليه المسلمون في ميدان المعرفة الإنسانية.

2- تُعد المعاجم والمشيخات وثائق هامة للكثير من العلوم.

3- إن المشيخات ومعاجم الشيوخ تظهر لنا وحدة العالم الإسلامي وقيامه علىٰ أساس العقيدة الإسلامية.

4- إن المعاجم والمشيخات قد حفظت لنا تواريخ كثير من البيوتات والأسر العلمية.

5- إن كتب معاجم الشيوخ والمشيخات تعطينا فكرة واضحة عن حملة العلم والثقافة في البلاد الإسلامية.

6- إن كتب معاجم الشيوخ والمشيخات تظهر لنا أن اللغة العربية كانت هي لغة العلم والحضارة من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلىٰ الأندلس غرباً.

7- إن معاجم الشيوخ والمشيخات قد تضمنت تراجم العديد من النساء.

8- إن معاجم الشيوخ والمشيخات وفرت مادة علمية ضخمة للعديد من الفنون.

---

(1) مشيخة الامام عمر بن محمد السهروردي، مصدر سابق، 34.

9- اشتملت كتب المشيخات ومعاجم الشيوخ على العديد من الشيوخ من رواة ((السنن))، و((المسانيد)).

10- تعد بعض معاجم الشيوخ والمشيخات من أفضل كتب تخريج الحديث النبوي الشريف، وإثبات صحة النصوص وتوثيقها.

11- استخدام الأسانيد في هذه الكتب يفيد في توثيق الكتب وتحقيق نسبتها إلى أصحابها، هذا بالإضافة إلى أن الحفاظ على الأسانيد إنما هو محافظة على الخصيصة التي تميزت بها أمتنا.

12- بيان جهود العلماء في حفظ السنة النبوية، وتدريسها، ورحلة المحدثين لطلب العلم، وذكر بعض مؤلفاتهم وإفادتهم لطلبة العلم، فهي بذلك بمثابة الشهادات التي تبين مكانة العلماء ودرجتهم العلمية.

13- إن هذه الكتب روت كثيراً من الأحاديث والأخبار والحكايات التي تعز أحيانا في مصادر الحديث المشهورة.

14- فيها شهادات السماع أو الإجازات التي يذكرها أصحاب المعاجم أو الأثبات أو الفهارس..

15- تلقي الضوء على الكتب المتداولة في عصر معين وعلى تراجم أعلام ذلك العصر، وربما يقع فيها أسماء كتب أصبحت الآن مجهولة أو مفقودة.

16- تحقيق ما يهدف إليه المؤلف من وفاء لمشايخه[1].

---

(1) مشيخة الامام عمر بن محمد السهروردي، مصدر سابق، 34، وعلم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات، مصدر سابق.

المبحث الثالث: الأثبات والمشيخات العراقية، مناهجها ومدارسها، المشيخة البندنيجية أنموذجاً.

إن المتتبع لعلم الأثبات والمشيخات والمعاجم العراقية لا يجد اختلافاً عن باقي ما كتب من مناهج ومدارس وأساليب في العالم الاسلامي، فهي أخذت نفس الطابع للمشيخات والأثبات، وأخذنا المشيخة البندنيجية البغدادية للعلامة المتفنن سيدي صفاء الدين عيسىٰ البندنيجي القادري البغدادي أنموذجاً حياً علىٰ منهج وأسلوب الأثبات العراقية لتتضح الصورة لدىٰ المتتبع لهذا الفن.

أولاً: ترجمة صاحب المشيخة (سيدي عيسىٰ صفاء الدين البندنيجي القادري):

هو عيسىٰ بن موسىٰ البندنيجي، أبو الهدىٰ صفاء الدين بن جلال الدين القادري النقشبندي. عالم عراقي فاضل من أهل بغداد، نسبته إلىٰ بندنيجين وتسمىٰ مندلي حالياً، تقع ضمن محافظة ديالي.

اختاره داود باشا آخر ولاة المماليك في بغداد في النصف الأول من القرن التاسع عشر مدرساً في المدرسة الداودية التي افتتحها في بغداد، فتخرج علىٰ يديه الكثير من الطلبة منهم عبد الرحمن النقيب الكيلاني أول رئيس للوزراء في الدولة العراقية الحديثة.

وكان يدرس الفلك والكيمياء إلىٰ جانب العلوم الدينية، وله مشاركات شعرية وأدبية جيدة، وقد تأثر به طلبته لفضله وعلمه وبما غرسه في نفوسهم من القيم والمبادئ التربوية من خلال محاضراته، وكان محباً لاقتناء الكتب، فقد امتلك مكتبة عامرة أفادته في التأليف. توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة 1866م.

ومن مؤلفاته: كتابه (تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان)، ترجمه من أصله التركي الموسوم بـ(جامع الأنوار في مناقب الأبرار)،

للمؤرخ العراقي مرتضي أفندي نظمي زاده (ت ١٧٢٣ م) ولديه كتاب (الأجوبة البندنيجية على الأسئلة اللاهورية) تضمن أجوبة الأسئلة التي وجهت إليه من مدينة لاهور الهندية في مجال العقيدة. ومن كتبه (مشيخة البندنيجي)، وشروح وتحقيقات على كتاب (بداية السالك في نهاية المناسك)، وغيرها[1].

شيوخ العلامة المربي العارف بالله تعالى عيسى (صفاء الدين) البندنيجي:

1 – العلامة المعمر حسين كمال الدين الكركوكي ثم البغدادي.

2 – والعلامة الملا يحيى المزوري عن شيخه جرجيس الأربيلي.

3 – والولي الكبير العلامة مولانا خالد النقشبندي، عن عبد الرحيم الأربيلي، عن جرجيس الأربيلي.

4 – وعن العلامة عبد الرحمن الروزبهاني، لازمه وأكمل العلوم عليه.

5 – وداود باشا الجليلبي، وهذان الأخيران عن صبغة الله الزياري، عن والده مصطفى الزياري، عن صبغة الله الحيدري.

6 – وعلامة الشام عبد الرحمن الكزبري، عن عبد الرحمن المحض نقيب الأشراف، عن صبغة الله الحيدري، وأخذ الكزبري كذلك عن مصطفى الرحمتي وتقي الدين الحنبلي، كلاهما عن عبد الغني النابلسي، عن النجم الغزي، عن البدر الغزي، عن ابن حجر الهيتمي بسنده المعروف.

---

(1) صفاء الدين البندنيجي حياته وآثاره، عماد عبد السلام، الجمعية الثقافية التاريخية لكردستان، 2009م. ومراقد بغداد، يونس السامرائي، مكتبة الشروق الجديدة، بغداد. والاعلام للزركلي، ج5، ص 110. (5/ 110) والتنوع العلمي في الاجازات العلمية العراقية في القرن الثالث عشر، مصدر سابق.

7- العلامـة الشـيخ عثمـان بـن سـند النجـدي المولـود 1180هـ- 1766م والمتـوفى في 19/ شـوال/ 1242هـ-1827م ومـن شـيوخه عبـد الله بـن محمـد البيتوشي السليماني المتوفى 1211هـ - 1796م.

8- الشيخ عبيدالله الحيدري البغدادي مفتي الحنفية ببغداد النقشبندي، أخذ عـن الشـيخ أسـعد الحيـدري، وعبـد الـرحمن الروزبهـاني، ومولانـا خالـد، والسـيد إبراهيم البرزنجي.

ومن طلاب عبيدالله الحيدري عبد القادر الصدفي، وحسين بن سلوم جلبي، وعيسى البندنيجي.

تلاميذ الشيخ عيسى (صفاء الدين) البندنيجي:

1- الشيخ عبد السلام الشواف، وأجازه.

2- الشيخ قاسم (خير الدين) القاسمي البياتي النقشبندي، وأجازه.

3- الشيخ قاسم أفندي (الغواص) وترجمته في تاريخ علماء سامراء ص57.

4- الشيخ نعمان (خير الدين) الألوسي[1].

5- السيد عبد اللطيف بن السيد محمد بن السيد حسين الـراوي، أحـد علمـاء بغداد، وقد أجازه بأسانيده في مجالس متعدده قراءة ورواية[2].

---

(1) المقتطف من إجازات العراقيين وأسانيدهم، أكرم الموصلي، دار النور للعلـوم الشـرعية والإسـناد، الموصل، 1428هـ، ص 96-97.

(2) صفاء الدين البندنيجي حياته وآثاره، مصدر سابق، 38.

6- العلامـة الشـيخ عبـد الوهـاب النائـب المـدرس الشـهير في مدرسـة منـوره خاتون، وفي مدرسة جامع الفضل في بغداد، وشيخ معظم علماء بغداد في عهده[1].

7- السـيد عبـد البـاقي بـن السـيد محمـود شـهاب الـدين الألوسـي الحسـيني البغدادي، إجازة عامة، وتاريخها 1273هـ[2].

8- السـيد عبـد القـادر بـن السـيد مـراد نقيـب الأشـراف الكـيلاني الحسـني البغدادي، أجازَهُ إجازةً علميةً عامةً في عام 1281هـ[3].

9- الشيخ أحمد مسلم بن الشيخ عبد الـرحمن بـن الشـيخ محمـد بـن الشـيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي أجازَهُ إجازةً عامةً في المنقول والمعقول وما يتعلـق بهما[4]، وغيرهم من التلاميذ.

ثانيًا: المشيخة البندنيجية:

1- ابتدأ الشيخ البندنيجي مشيخته ببيان شـرف العلـم وضـرورة اكتسـابه علىٰ التحقيـق وفضـل العلمـاء العـارفين، فقـال: «إن العلـم علـم قـدره مرفـوع لا يوضـع، وأساس عزه موضوع لا يرفع، من اعتنىٰ به لا يذل، ومن كثر به لا يقل، ومن سعد به لا يشقىٰ، ومن اشتهر به لا يخفىٰ، همه نشاط، وغمه انبسـاط كسـاده رواج، ومرضـه علاج»، في كلام مسجوع جميل لا يمل.

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) تاريخ علماء بغداد، يونس السامرائي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ص 409.

(3) تاريخ الأسر العلمية في بغداد، محمد سعيد الراوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997م ص216.

(4) مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري، عمر موفق النشوقاني، دار البشائر الإسلامية، 2007م، ص 292.

2- ثم بين الشيخ سبب تأليفه لهذه المشيخة ؛ بأنه كتبها ليجيز أحد طلبته المبرزين واسمه قاسم[1]، فقال: «وإن من اهتدىٰ بنور الله تعالىٰ إلىٰ الصعود في مدارج هذه المرتبة، وتجلىٰ عليه أنجم السعود في رصد هذه المنقبة... ولدي القلبي وفتاي الحبي أبا الخير قاسم ففيه الدين، فإنه بذل شطراً من أيام دهره، وصرف معظم ريعان عمره نحو اقتناص شوارد الرسوم العقلية، واقتناء فوائد العلوم النقلية، وصاحبني مدة مديدة، ولازمني أعواما عديدة، فقرأ عليّ وعلىٰ سائر علماء قطره ومصره، من العلوم العربية والفنون الأدبية والحكم النظرية، بمقدماتها ومطالبها ومبادئها ومقاصدها، ومن الأصلين التفسير والحديث اللذين بها تقر العين، كتباً معتبرة، مطولة ومختصرة، قراءة تحقيق وإتقان... فأجزت له بتدريس العلوم النقلية ونشر فوائدها، وتقرير الرسوم العقلية وبسط موائدها، وأجزته بأن يروي عني ما سمعه وما لم يسمعه مني، من كل ما يجوز لي وعني روايته، وبسائر ما صح عزوه ونسبته من جميع العلوم علىٰ اختلاف فنونها، وتباين أبكارها».

ويلاحظ هنا التوسع لدىٰ الشيخ البندنيجي في بذل الإجازة، وهذه الطريقة كانت معتمدة في طلب الإجازة؛ بأن تقرأ بعض الكتب ثم يجاز القارئ بالباقي إجازة عامة، وهو نفسه قد فعل ذلك، حيث قال: «كما أخذت ذلك جميعاً قراءةً وسماعاً وحضوراً وإجازةً، عن علماء أعلام، وفضلاء مشايخ الإسلام، وهم كثيرون يطول باستقصائهم الكلام».

3- ذكر البندنيجي شيوخه الذين تعلم العلوم علىٰ أيديهم، وأسانيد كل واحد إلىٰ الكتب المسموعة (وهم كثيرون يطول باستقصائهم الكلام، فأقتصر علىٰ من كثرت ملازمتي لخدمتهم وأخذي عنهم وحضوري في مجالس إفاداتهم، فأذكرهم

---

(1) الشيخ قاسم خير الدين بن محمد القاسمي القادري والملقب أبو الخير والمعروف البياتي البغدادي.

رجاءً لعود بركاتهم». فممن ذكرهم: الشيخ كمال الدين حسين أفندي الكركوكي ثم البغدادي، والشيخ خالد ضياء الدين القادري الكردي الشهرزوري المجددي، الشيخ يحيأفندي العمادي، والشيخ عبد الرحمن القادري الشافعي الكزبري، والشيخ عبد الرحمن أفندي الكركوكي الرزبهاني، وشيخ الوزراء دواد باشا والي بغداد سابقا وشيخ الحرم النبوي لاحقا.

4- وقد أجاز الشيخ البندنيجي تلميذه المذكور إجازة عامة بكل مسموعاته، فقال: «أجزته بكل ما حوته مشيختي، وبكل ما حواه أثبات مشايخي، وأثبات مشايخهم ومشايخ مشايخهم».

5- ثم أعاد كلامه بالإجازة لتلميذه في موضع آخر، فقال: «أجزته بجميع ما يجوز لي روايته، وتصح لي درايته، وإليَّ نسبته: كالصحيحين وبقية الكتب الستة، وسائر المسانيد، والمعاجم، والمشيخات، والأحاديث المسلسلة، وسائر الكتب المؤلفة في الحديث، وبجميع كتب التفاسير، كتفسير إمام البلاغة جار بيت الله الزمخشري، وتفسير القاضي البيضاوي، وتفسير ناصر السنه البغوي، وتفسير الجلالين، وغير ذلك. وبالكتب الفقهية من المذاهب الأربعة، خصوصا الحنفية والشافعية، وبسائر الكتب الأولية من الصرف، والنحو، والعروض، والبيان، والمنطق، والأدب، والحساب، وبسائر الأذكار، والأوراد، والأحزاب، وصيغ الصلوات سيما دلائل الخيرات، كما أجازني بذلك مشايخي الأعلام».

ويلاحظ هنا التنوع العلمي في هذه الكتب لتشمل فنوناً من العلوم، وهذا يدل علىٰ غزارة علم الشيخ وحرصه علىٰ الطلب والإفادة.

6- فمما ذكره الشيخ البندنيجي، اهتمامه بسماع (صحيح البخاري) عن الشيخ حسين أفندي الكركوكي، والشيخ ضياء الدين خالد الشهرزوري، والشيخ

يحيىٰ أفندي المزوري العمادي، والشيخ عبد الرحمن الكزبري، بأسانيدهم المتصلة إلىٰ الإمام البخاري، حيث إن بينه وبين البخاري إحدىٰ عشرة واسطة، فتتم له بثلاثيات البخاري وما في حكمها خمس عشرة واسطة إلىٰ سيدنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

7- بعدها أخذ الشيخ البندنيجي بسرد الكتب الأخرىٰ التي له سماع أو إجازة بها، فبدأ بذكر بقية الكتب الستة، ثم موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أبي حنيفة، ومسند الإمام أحمد، وشمائل الترمذي، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وإحياء علوم الدين، ومصابيح السنة للبغوي، ومشكاة المصابيح للتبريزي، والمشارق للصاغاني، وتفسير البيضاوي وسائر تآليفه، وتفسير الزمخشري ومؤلفاته، وتفسير الجلالين، ومؤلفات النووي، وتصانيف القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، وتصانيف سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، وتصانيف العلامة الجرجاني، وتصانيف تاج الدين السبكي، وتصانيف إمام العربية محمد جمال الدين الزواوي، وتصانيف العلامة ابن هشام، وتصانيف العلامة خالد الأزهري، وتصانيف الحافظ ابن حجر العسقلاني، وتصانيف الحافظ ابن حجر الهيتمي، وتصانيف العلامة محمد شمس الدين ابن محمد الخطيب الشربيني، وتصانيف العلامة محمد بن أحمد بن حمزة الرملي، وتصانيف الشهاب أحمد بن محمد القسطلاني، وتصانيف العلامة علىٰ القاري الحنفي المكي، وتصانيف الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وتصانيف الشيخ أبي الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم الإسكندري الشهير بابن عطاء الله، وتصانيف الشيخ عبد القادر الكيلاني، وتصانيف الشيخ ابن عربي صاحب الفتوحات المكية، والسلسلة الفقهية المتصلة بالأئمة الحنفية، وتتضمن كتباً منها: كنز الدقائق، وشرح الوقاية، والدر

المختار، والسراجية وشروحها، والتوضيح شرح التنقيح، وشرح المنار وغيرها، ثم السلسلة الفقهية المتصلة بالأئمة الشافعية، وفيها كتب متعددة للمذهب. كل هذه الكتب أخذها بالإجازة وبعضها بطريق السماع علىٰ مشايخه الكبار، وقد سمع أغلبها علىٰ عبد الرحمن الكزبري عن والده، حيث تكرر اسمه في أغلب الكتب، وبعضها عن الشيخ كمال الدين حسين أفندي الكركوكي الحنفي، وبعضها عن الشيخ يحيىٰ المزوري العمادي، وبعضها عن داود باشا، حيث ذكر أسانيد هؤلاء المتصلة بالمؤلفين ؛ وفي هذا دلالة علىٰ اهتمام علمائنا في هذه المدة بكتب الإسلام، وأنها بقيت متصلة بالسند حتىٰ وصلت إلينا كاملة بحمد الله تعالىٰ.

8- ختم البندنيجي مشيخته بذكر الحديث المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة، فقال: «أرويه بالأولية الحقيقية عن شيخنا الشيخ عثمان بن سند المالكي الوائلي البصري القرار البغدادي الوفاة»، ثم عقبه بحديث آخر تسلسل بالرواة الدمشقيين، ثم قال في آخر المشيخة: «وفيه الكفاية حسب هذا الوقت عن سائر المسلسلات، وعن رفع أسانيد سائر المؤلفات والمصنفات، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً به الإكمال وفيه تفصيل هذا الإجمال»[1].

هكذا حوت مشيخة البندنيجي علىٰ قائمة بمشايخه من العلماء الأفذاذ من العراق والشام والحجاز، وبالمصنفات التي رواها بالسند المتصل إلىٰ مصنفيها، وكشفت هذه المشيخة عن ثقافة الإمام البندنيجي الواسعة وشدة ضبطه وسعة اطلاعه وعلو إسناده وتنوع علومه.

(1) التنوع العلمي في الإجازات العلمية العراقية في القرن الثالث عشر، مصدر سابق. وصفاء الدين البندنيجي حياته وآثاره، مصدر سابق.

فجزاه الله عن العلماء والإسناد والإسلام ألف خير.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وسلم.

ثالثًا: أسانيدي المتصلة بالمشيخة وكاتبها.

أرويها من طرق كثيرة، منها:

1- عن شيخنا العلامة المربي الأديب الشيخ قاسم عبد بن محمد النعيمي وهو عن شيخه مفتي الديار العراقية الشيخ جمال الدين بن عبد الكريم الدبان ت 1428هـ، عن والده الشيخ عبد الكريم الدبان التكريتي الشافعي رحمه الله تعالىٰ ت 1414هـ، عن الشيخ السيد داود بن السيد سليمان بن إبراهيم الناصري التكريتي ت 1360هـ، عن العلامة عبد السلام الشواف ت 1318هـ، عن الشيخ العلامة الشيخ عيسىٰ صفاء الدين بن موسىٰ البندنيجي ثم البغدادي أبي الهدىٰ الحنفي ت سنة 1283هـ.

2- وعن العلامة الشيخ الأصولي رافع الرفاعي مفتي الديار العراقية، وهو عن شيخه العلامة الشيخ عبد الكريم الدبان، ويروي الشيخ عبد الكريم بن السيد حمادي الدبان عن الشيخ السيد داود بن السيد سليمان بن إبراهيم الناصري التكريتي ت 1360هـ، عن العلامة عبد السلام الشواف ت 1318هـ، عن الشيخ العلامة الشيخ عيسىٰ صفاء الدين بن موسىٰ البندنيجي ثم البغدادي أبي الهدىٰ الحنفي ت سنة 1283هـ.

3- وعن شيخنا العلامة الفقيه المفسر الشيخ محمد صالح العبيدي الحنفي البغدادي القادري، عن علامة العراق البركة سيدي محمد فؤاد الألوسي حفيد المفسر الشهير أبي الثناء الألوسي، وهو عن العلامة الكبير مفتي بغداد السيد

يوسف العطاء خطيب الحضرة الكيلانية وهو عن العلامة الشيخ عبد السلام أفندي الشواف ت 1318هـ، عن الشيخ العلامة الشيخ عيسىٰ صفاء الدين بن موسىٰ البندنيجي ثم البغدادي أبي الهدىٰ الحنفي ت سنة 1283هـ.

4- وعن شيخنا العلامة الفقيه المفسر الشيخ محمد صالح العبيدي الحنفي البغدادي القادري، عن العلامة الأديب الفقيه مفتي العراق السيد شاكر البدري الرضوي الحسيني، عن الشيخ العلامة قاسم أفندي القيسي مفتي بغداد، عن العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب، عن الشيخ العلامة الشيخ عيسىٰ صفاء الدين بن موسىٰ البندنيجي ثم البغدادي أبي الهدىٰ الحنفي ت سنة 1283هـ.

5- وعن شيخنا العلامة الدكتور أكرم بن عبد الوهاب الموصلي، عن العلامة الشيخ مخلص حماد الراوي، وهو عن شيخه وابن عمه السيد أحمد الراوي الرفاعي السامرائي، وعن شيخه الآخر أيضاً السيد العلامة عبد الوهاب البدري السامرائي المشهور، كلاهما عن شيخهما وأستاذهما العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب، وهو عن الشيخ عيسىٰ صفاء الدين البندنيجي.

6- وعن مسند العراق العلامة الشيخ أكرم بن الشيخ عبد الوهاب آل ملا يوسف الحمداني الموصي، عن المقري الفقيه السيد مخلص بن السيد حماد الراوي الرفاعي السامرائي ثم البغدادي، عن شيخ مشايخ المدرسة العلمية الدينية في سامراء العلامة المفتي القاضي العارف بالله تعالىٰ سيدي أحمد بن السيد محمد أمين الراوي الرفاعي شيخ السجادة الرفاعية في مدينة سامراء، عن مفتي مدينة بغداد ونقيب أشرافها وشيخ السجادة الرفاعية فيها العلامة السيد إبراهيم الراوي الرفاعي البغدادي، عن العالم العامل والجهبذ الكامل ذي الباع الطويل في جميع العلوم

والتحقيقات الكاشفة لما في الشروح والمتون العلامة الشهير والسيد الفضيل الشيخ عبد اللطيف بن السيد محمد بن السيد حسين الراوي البغدادي النقشبندي مدرس المدرسة القادرية ببغداد، عن شيخه الفاضل العلامة السيد عيسىٰ صفاء الدين البندنيجي البغدادي.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أرجو أن أكون قد وفقت في إيضاح مدارس المشيخات ومناهجها لاسيما المشيخة البندنيجية، وإبراز أهميتها والتعريف بها وبما حوت من علوم وفنون، ودور المدرسة العراقية في الرواية والدراية وعلم الأثبات والمشيخات، سائلاً المولىٰ القبول وحسن الختام، وجعلها في ميزان أعمالي ووالدي ومشايخي، والحمد لله أولاً وآخراً.



أهمية تمهيد كتاب
(أوبة المهاجر وتوبة الهاجر)
للعلامة القطعاني

أ.د. كاظم حمد المحراث
الأستاذ بجامعة واسط، العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن تدقيق نصوص التراث ونشرها عملاً جديداً استحدثته الدراسات الجديدة، أو أسلوبًا من أساليب البحث الحديثة، وإنما كان علمًا عرفته الدراسات القديمة وخاصة علم الحديث النبوي، واعتنىٰ به المحدثون اعتناء كبيراً، فكان التوثيق والتحقيق والتخريج، وهي علوم ساهمت إلىٰ حد كبير في وضع الأسس القويمة لعلم التحقيق الحديث، ثم كان علم الرجال الذي اختص بمعرفة رواة الحديث وكل ما يتصل بسيرتهم وأحوالهم وأشخاصهم ووفياتهم.

لقد حددت هذه المعالم الطريق أمام الباحثين ودفعتهم إلىٰ التحري والدقة، وحملتهم علىٰ الالتزام بكل ما يدعو إلىٰ تثبيت النص، وإخراجه بالشكل الذي يحقق صحته ويؤكد سلامته، وعلىٰ وفق هذا التأسيس الفكري والمنهج المنضبط، سار الشيخ العلامة المحدِّث د. أحمد القطعاني، حتىٰ كأنه يروم تحديد الخطوط الأساسية في منهج البحث العلمي والبحث الخاص، لأن الحاجة الملحة إلىٰ رسم منهج يوضح السبيل أمام الدارسين فرضت إيجاد سبيل يلتزم به محققو التراث،

ويحدد من خلاله طريقته في البحث، وصولاً إلىٰ المنهج السليم والتزامـًا بالمبادئ الأساسية التي يجب أن يلم بها المحقق أو الباحث أو الدارس.

والظاهر أن العلامة القطعاني راقب حركة إحياء التراث الواسعة، وتشعب السبل التي سلكها المحققون في زمنه، وتنوع المناهج، وما رافقها من اضطراب وصاحبها من اجتهاد، فدعاه ذلك إلىٰ التفكير الجاد في أن يقدم ثمرة تجاربه في خدمة تراث أمتنا وإحيائه، وقد رأيت أن أفرد فصل التمهيد في كتابه «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»، بورقة بحثية أرصد فيها منهجه في تأليف هذا الكتاب، وخصائصه ومميزاته، ولإظهار بعض ما تكتنزه هذه المقدمة من فوائد تبرز جوانب من شخصيته العلمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

انصرف العلامة القطعاني إلىٰ التدقيق في المنجز الثقافي الموروث في ليبيا، وإلىٰ الروافد الفكرية التي صبّت في مجرىٰ هذه الثقافة، دون نكران فاعلية المنجز الثقافي العربي والإسلامي في التأثير علىٰ ثقافة الأجداد الليبيين، ودون أن يغض البصر عن سعة امتداد فكر أهل ليبيا ليذهب خارج حدودها الجغرافية شرقـًا أو غربـًا.

تأتي أهمية التمهيد في كتاب «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»، من أنها حددت الأسس الرئيسة التي قام عليها منهج تأليف الكتاب، والمحددات الرئيسة التي يجب علىٰ الدارسين اتباعها عند الخوض في تأييد المقولات التاريخية للسلف أو رفضها، وكان الشيخ العلامة المحدِّث د. أحمد القطعاني منتبها إلىٰ سطوة الإعلام في أدلجة عقول الناس، وقدرته علىٰ تغذيتهم بالأفكار المنحرفة عن جادة الصواب، واتخاذ الدين نفسه غطاء لتلك الثقافات، إذ يقول: «إن شعار إخلاص التوحيد بالله، ومحاربة الشرك والأوثان جذاب يغوي البسطاء وعوام الناس، ويندفعون لتلبيته بكل حماس، أما الهدف الحقيقي الذي دارت حوله جهود المتطرفين وما تناسل منها منذ نشأتها حتىٰ اليوم، فهو إيجاد إسلام مركزي تحت إدارتهم يحول منتسبيه إلىٰ أدوات لتمزيق المسلمين، وإثارة الفتن والحروب فيها بينهم، بما يخدم في

النهاية أعداء الأمة»[1]. وشهدنا في العقود الأخيرة التشظي الفكري والعقيدي الذي حذّر العلامة القطعاني من وقوع المسلمين فيه، فتمزقت الأمة أهواءً وإرادات، أحزاباً ومناكفات، سال الدم الإسلامي بسببها أنهاراً حتىٰ غطىٰ مساحات مهمة علىٰ امتداد جغرافية العالم.

حرص العلامة القطعاني علىٰ تأصيل ثقافة بلده ليبيا، فشمل ثقافة أهلها برعاية فكرية خاصة، فالكتاب في معظمه يعترف بفضل الأعلام الليبيين في خدمة التراث الإسلامي عامة والعربي بشكل أخصّ، ولم يكن الرجل متعصباً لعرق محدد من أعراق سكان ليبيا، أو لسكان جهة من جهات أرضها الفسيحة، بل كان ليبيا بامتياز.

فكان حريصاً علىٰ كشف ثقافة أبناء بلده الدينية أولا، فيدوّن اهتمام الليبيين بحفظ القرآن الكريم علىٰ وفق قراءات السلف المتعددة «اهتم الليبيون بحفظ القرآن الكريم خصوصاً بقراءة قالون عن نافع، وإن وجدت قراءة ورش في الجغبوب والكفرة وتساوه، وكل الحفظ في الزوايا السنوسية كان بقراءة ورش، كما وجدت قراءة حفص خصوصاً بعد سنة 1970م حيث انفتحت البلاد ودخلها معلمون وعلماء من مصر وغيرها من بلاد المشرق، فنشروا قراءة حفص، خصوصاً في برقة، ووجدت أيضاً قراءة الدوري في أقصىٰ الجنوب الليبي في السارة وبعض قرىٰ تبسي»[2]، وميّز المذهب المعتمد بين الليبيين «وليبيا بلاد طوال عمرها مالكية بامتياز، بل متشرفة بالريادة في المذهب المالكي علىٰ مستوىٰ المغرب العربي كله، فأول من أدخل الموطأ لليبيا ولكل المغرب العربي هو العالم الليبي الكبير

(1) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج1 ص 15، 16.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 16.

علي بن زياد الطرابلسي، وثاني شرح في العالم للموطأ بعد سحنون هو كتاب (النامي) لإمام المالكية بالمغرب العلامة الليبي الكبير الشيخ أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي (ت 402هـ 1011م) أملاه في طرابلس... كما توجد عنه نقولات كثيرة في شرح الزرقاني للموطأ»[1]، لكنه أوجز ذلك في بيت منظوم:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك[2]

وبصدد مراجعة تواريخ وصول كتب الصحاح إلىٰ ليبيا، وإلىٰ دول المغرب العربي يعترض علىٰ الزاعمين أن صحيح البخاري وصل إلىٰ ليبيا وتونس سوية، يقول: «يردد البعض بلا دراسة ولا تمعن أن صحيح البخاري دخل تونس وليبيا معـاً في وقت واحد في القرن الرابع الهجري، علىٰ يد العالم التونسي الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعارفي المعروف بأبي الحسن القابسي المتوفىٰ بالقيروان سنة 403هـ إثر عودته من رحلة حج، وهذا وهم كبير وخطل مضير، فالصواب أنه دخل ليبيا قبل تونس، ولنا شاهد في ذلك هو كتاب (النصيحة) لإمام المالكية بالمغرب الغربي العلامة الليبي الكبير الشيخ أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي (ت 402هـ 1011م) لولاه لاندثرت»[3].

نبه العلامة القطعاني إلىٰ عدم التثبت في السند عند رواية الحديث، ولام الذين يعجلون في التدوين دون تريث وتمحيص وتدقيق، وأكد علىٰ أن الجو السياسي والثقافي السائد لم يكن موائماً للاطمئنان إلىٰ صحة ما يروىٰ كله وما يدون كله، ذلك لأن الأمة انقسمت أحزاباً وأهواءً ومذاهبَ وتياراتٍ فكريةً في العصور التالية

(1) نفس المصدر، ج1، ص 16، 17.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 15.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 21.

لعصر الخلافة الراشدة، ومع ذلك، فإن العلامة القطعاني اختط لنفسه منهجا، وتريث في قبول أو رفض ما اطلع عليه من مرويات وأحاديث وأخبار، وبذا فيكون العلامة القطعاني أسس لمنهج في السند الليبي، ربما يكون مختلفا عن منهج المشارقة، يقول: «ما كان أيسره علي أن أكرر أثبات المسندين، فأذكر ما يتداولونه من أسانيد محققة جاهزة مضبوطة، بيد أنني ركبت الصعب، وبذلت كامل الجهد والمشقة لإحياء الأسانيد الليبية تحديداً، وضبطها وتوثيقها مدروسة محررة ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلاً، لأسد فرجة حادة في الثقافة الإسلامية المدونة، وأجيب عن سؤال تردد كثيراً عبر أزمان طويلة عن أسانيد الليبيين وأسباب غيابهم عن تداول المسندين وإجازاتهم. ما كان أيسره أذكر أسانيد العالية عن مسندي الأمة مشرقاً ومغرباً ممن شرفوني بإجازاتهم وحق الرواية عنهم! ولكنني جعلت مدار هذا الثبت علىٰ مسانيد الليبيين عوضاً عن ذلك، فعلىٰ سبيل المثال بيني وبين الشيخ سالم السنهوري ثمانية وسائط، أولهم فقط مغربي من الرباط، والسبعة الآخرون ليبيون»[1].

انماز مضمون تمهيد كتاب أوبة المهاجر بكثير من الحيادية والإنصاف والعدالة في ذكر حقائق التأليف، وفي التأشير علىٰ مواطن الوهن أو التلكؤ في نشاط الثقافة والمثقفين هنا أو هناك، وعلىٰ الرغم من أن التمهيد جاء لصالح نشاط الليبيين في رواية الحديث، وفي شرحه وفي نقله، إلا أن الشيخ القطعاني وقف علىٰ تراجع نسبي في نشاط الأسانيد الليبية مقيساً بما عند الآخرين في بعض الأحيان، إذ يقول: «ستلاحظ في سردنا شحّاً يطرأ علىٰ أسانيدنا الليبية بين الفينة والأخرىٰ بسبب ظروف البلاد، وتراه واضحاً جليّاً في القرن العاشر الهجري السادس عشر

(1) نفس المصدر، ج1، ص 23.

الميلادي تحديداً، والسبب فــي ذلك هو الاحتلال الإسباني لطرابلس وهي عاصمة البلاد وأهم حواضرها ومركز نشاطها العلمي والثقافي منذ يوم 25/ 7/ 1510م، 916هـ، إذ فتكت الحرب الدينية والتهجير بالرجال بمن فيهم من علماء ومسندين، كما نهبت المكاتب وهدمت المساجد والزوايا الصوفية وأضرحة الصالحين التي كانت هي المكتبات وهي كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم، ثم حرثت بالمحاريث لمحو أي صلة للبلد بالإسلام وتنازل سنة 936هـ، 1530م الأسباب عنها لفرسان القديس يوحنا الذين كانوا أدهىٰ وأمر، فأول ما فعلوه كان هو إطلاق الأسماء المسيحية علىٰ أبراج المدينة ومنشآتها، لذا تجد أسانيدنا تصل إلىٰ تلك الفترة أو قبلها بقليل ثم تضيق جاداتها نتيجة هذه الظروف المرة»[1].

سجل العلامة القطعاني إعجابه بالمثقفين الليبيين، ووضع في مقام التقدير والامتنان ما قدمته المدن والحواضر الليبية، وحيّا أربع مدن ليبية أنجبت واحتضنت الحديث ورجاله أكثر من غيرها، علىٰ الرغم من كثرة ما قدمت المدن الليبية الأخرىٰ «طرابلس: حاضرة ليبيا الكبرىٰ وواجهتها المشرفة وشمسها الساطعة بكوكبة كريمة من المحدثين والمسندين، أنجبتهم من رحمها المنجاب وخيار محدثين ومسندين من ليبيين وغيرهم، قدموا فوجدوا فيها الحضن الحنون الرؤوم فاستفادوا وأفادوا... بني وليد: حيث الأصالة والشيم العربية النبيلة الكريمة المتوارثة... الجغبوب: بلد البركة والقرآن والعلم والإيمان والسماحة والإحسان تلك الواحة المنعزلة عن ضجيج المدن وصخبها... غدامس: حيث الأصالة والريادة والموروث الإنساني الحضاري المشرف طالما تأرج جامعها العتيق وجامع عمران وجامع يونس بمجالس تلاوة البخاري والموطأ وشفا القاضي عياض

(1) نفس المصدر، ج1، ص 35، 36.

وتباركت بعلماء أجلة أتقنوا الدراية وأكدوا الرواية لا زالت أسماؤهم الكريمة تدوي في وثائق أوثق الأسانيد وشواهق أعلىٰ الأغاريد، بعضهم مهر حتىٰ صوب علىٰ البديهة قراءات صحيح البخاري في البلد الحرام، حياهم الله وبياهم»[1].

إن اهتمام العلامة القطعاني بالحديث النبوي وبروايته وبصحة سنده وبنشره متأتٍّ من أن الرسول ﷺ هو نفسه حثّ علىٰ أهمية تداول الحديث ونقله عبر الأجيال حتىٰ ليُروَىٰ أنه قال: (نضر الله عبداً سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاث لا يُغِلُّ عليهم قلب مؤمن: إخلاص العمل الله، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)[2].

كان اهتمام المحدث القطعاني كبيراً في السند، وفي قبول مجموعة الرواة الذين يتوصل بهم إلىٰ متن حديث مرفوع أو موقوف أو كتاب أو شيخ أو كلام إنسان من نظم أو نثر معين، فهؤلاء الشيوخ هم الإسناد، وهم يحملون طرق الرواية الموصلة، ولولاهم ما كان السند أو الأخذ أو الاتصال، ولا سند بلا شيخ تأخذه عنه ولا ينسب عادم الشيخ للرواية.

ومن عناية العلامة القطعاني بالسند الليبي، أنه تفرد بنشاط حديثي مهم سيكون له شأن في اللاحق، وهو الذي سمّاه «الحديث المسلسل بالليبيين»[3]، فهو من أخرجه إلىٰ الوجود، وبفضل هذا الجهد يتسابق أهل الحديث في طلب الإجازة والتسلسل به تسابق الأبرار إلىٰ جنة الأطهار، ونبه ضمن عمله علىٰ هذا المسلسل

(1) نفس المصدر، ج1، ص 42 وما بعدها.

(2) رواه الطبراني في الكبير.

(3) ينتظر أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 50.

إلىٰ أن حديثه لم يرو قط منفرداً بالتسلسل عندما قال «أروي الجامع الصحيح للترمذي، وقد جاء هذا الحديث في السنن المذكورة، والذي فعلته هو أنني جردت متنه عنها مبقياً علىٰ السند، وانظر توطئتنا له في ثبت مسلسلاتنا (كرائم المسلسلات) و(غنائم المسلسلات) مع ملاحظة أن الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري توفىٰ بمدينة البيضاء بليبيا سنة 35هـ ودفن بها، وكل الأحاديث المسلسلة بالبلدان كالحديث المسلسل بالمكيين أو المدنيين أو الدمشقيين أو المصريين أو الكوفيين أو البصريين أو اليمانيين أو الفاسيين أو الجعمانيين أو المشارقة لا يسلم لها تسلسل رواتها إلا إلىٰ حد معين، إذ لا يوجد مسلسل واحد منها صحيح الاتصال من أوله إلىٰ آخره برواة من عين البلد مولداً ووفاة إلىٰ يومنا، كل ما في الأمر أن غالب رواته، وليس كلهم بالتأكيد من نفس البلد»[1].

ويجب أن ننبه في سياق حديثنا عن أهمية التمهيد في كتاب أوبة المهاجر، أن العلامة القطعاني بين فيه ضوابطه في قبول الرواية، فقد وضع سبعة ضوابط محددة كي يكون المتن مقبولاً، أما الضابط الأول[2]؛ فيكون بموافقة القرآن الكريم بصفته الكتاب الوحيد المحفوظ المبرأ من الخلل والزيادة والنقصان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والشيخ في ذلك يهتدي بما بأمر النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، عرض كل ما ينسب إليه من قول أو فعل علىٰ القرآن الكريم، فإن وافقه كان صحيحاً وإلا يُرد، مستدلاً بحديث رواه سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، أنه قال: إنها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث فاعرضوا حديثهم علىٰ القرآن، فما وافق القرآن فخذوا به، وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به.

---

(1) نفس المصدر، ج1، ص 51.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 65.

اما ضابطه الثاني؛ فيتعلق بموافقة حقائق الدين الإسلامي «كما أوضحها القرآن الكريم وصحيح السنة، في مقدمتها شهادة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، فهي هوية المسلم، وأنه دين حب وإقناع ورأفة وحنان تتسع لتشمل الإنسان، والحيوان الأعجم، ومظاهر الطبيعة الجامدة، فتراه يحاورها ويبادلها حباً بحب، جاء في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (أحد جبل يحبنا ونحبه) ولا غرابة أن يحب إنسان ما جبلاً أو مدينة أو سيارة مثلاً، ولكن موضوع الشاهد هنا هو قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «جبل يحبنا»[1].

وثالث ضوابطه؛ فهو موافقة الفطرة السوية، ذلك «لأن الإسلام خاتم الأديان لذا كان من أهم صفاته أنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فكل ما قبلته الفطـرة كالصدق والعدل والحب والحنان والحزن والبكاء والفرح والشجاعة وغيرها هو الإسلام عينه، وكل ما تنبو عنه الفطرة كالكذب والظلم والتكبر والكره والأذىٰ وغيرها هو الإسلام عينه أيضاً»[2].

أما الضابط الرابع؛ فهو تأييد العقل الراشد، فـ«خالق العقل سبحانه لا يأمر بشريعة تخالف ما خلق أو تناقضه، لذا ينبغي أن يؤيد العقل الراشد متن النص، ولهؤلاء الذين يدعون لتعطيل العقل علة النقل، أقول: إنْ حظر الله علىٰ الناس استعمال العقل، وهو أهم نعمه علىٰ الخليقة بالإطلاق، فلِمَ خلقه إذاً؟»[3].

---

(1) نفس المصدر، ج1، ص 80.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 85.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 88، 89.

ويضع موافقة ثوابت العلم التجريبي ضابطًا خامسًا، ويقصد بثوابت العلم التجريبي «كل ما أثبتته العلوم الإنسانية والتجريبية والتطبيقية والتاريخية الاستقرائية بشكل قطعي، فإن خالفها النص توقفت في قبوله»[1].

والضابط السادس: قانون العمومية، وهو ضابط يتعلق بالعقيدة المتعلقة بكون «أن القرآن أنزل من رب الناس لكل الناس، وأن الدين عند الله الإسلام وأن سيدنا محمدا صلىٰ الله عليه وآله وسلم أرسل للناس كافة رحمة للعالمين بلا استثناء، أي لكل الخلق مما يناقض بالمطلق تحيزه أو محاباته لأي مجموعة دون أخرىٰ مهما كانت الأسباب. فإن ظهر التحيز في نص الحديث سياسيًّا أو طائفيًّا أو جغرافيًّا أو عِرقيًّا أو ثقافيًّا أو جنسيًّا أو أي نوع من أنواع التحيز تحقق هذا الضابط»[2]، ويعني رفض أي حديث فيه تحيز، لأنه ينافي قانون العمومية القرآنية.

والضابط السابع: موائمة مضمون القول مع عدالة القائل، وفيه يوجب العلامة القطعاني التفريق بين «السنة المحكية، وهي ما بلغنا مما نسب إليه صلىٰ الله عليه وآله وسلم أو إلىٰ أصحابه وأعلام الأمة من أحاديث ومرويات، والسنة الواقعية وهي ما قصده الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم في حثه علىٰ التشبث بسنته والعض عليها بالنواجذ، وهذه لا خلاف عنها أو فيها، فهي حق صرف»[3].

لم يكتف العلامة القطعاني بوضع المنهجية الدقيقة المحكمة لقبول الحديث ورفضه فحسب، بل كانت ضوابطه، خصوصًا الضابط السابع «القول والقائل»، أساسًا لعلوم أسس لها وفرعها من علوم الحديث، ومنها علم «الحديث التربوي»

(1) نفس المصدر، ج1، ص 90.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 94.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 104.

الذي بسط فيه القول وقعد له وجلب له الأمثلة والتطبيقات، وظروف نشأة هذا العلم يقول: «أثناء رحلتي مع الحديث الشريف دراية ورواية تكشَّفَ لي بغتةً نوعٌ منها يمثل حكمة نبوية تربوية عظيمة، حدث ذلك فجأة وجدت نفسي وجهـًا لوجه مع هذا النوع من الأحاديث علىٰ غير توقع، فركزت علىٰ دراستها وبحثها وخلصت إلىٰ تسميتها (الأحاديث التربوية)، وكان من الضروري إيجاد تعريف لها، وبعد تمعن عرفتها بقولي: الأحاديث التربوية هي: تلك التي قالها رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم لرعاية ظرف زماني خاص، لبلوغ مصلحة، أو درء مفسدة، أو علاجـًا لمشكلة عرضت»[1].

وكما أن للمتن عند العلامة القطعاني ضوابط سبعة، فللسند عنده سبعة ضوابط كذلك، أولها: صحة السند التي لا تعني صحة المتن، كما أن انتقاد السند لا يلزم منه نقد المتن، ويوضح قائلا: «لقد وضع عديد من المسلمين، لأسباب كثيرة اقتصادية وسياسية واجتماعية ودينية وعقدية وطائفية ومذهبية وانتقامية وشخصية وغيرها الأحاديث، ونسبوها للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومن يختلق متن الحديث لا يصعب عليه بحال اختلاق أقوىٰ الأسانيد له... فالسند وسيلة والغاية هي المتن، ولكن خلو السند من المغامز واتصافه بالاتصال برواية العدل الضابط عن مثله لا تعنـي قبوله عندي بحال، فبالإضافة إلىٰ صحة سند يجب أن يسلم المتن عندي من الشذوذ والعلة القادحة، إذ مبنىٰ صحة الإسناد تتوقف علىٰ ثقة الرجال، وهذا تكفل به السابقون من أهل الجرح والتعديل، ولا أعتقد أنه بالإمكان الإتيان فيه بمزيد، أما المتن فينبغي أن يتكفل به أهل عصرنا ومن يأتي بعدنا، فاللاحقون أقدر بكثير لتوفر وتجدد معايير ومراجع وأساليب حديثة لدراسة متون الحديث الشريف لم تتيسر

(1) نفس المصدر، ج1، ص 105.

للأوائل، لذا تجدني لا أتأثر إطلاقا بكلمات طنانة دأب بعض أهل الحديث على ترديدها كقوله: (رجاله رجال الصحيح)، أو (رجاله ثقات)، أو (إسناده صحيح).... إلخ، فالصحة عندهم بمعنى وثاقة رجال السند لا بمعنى قيام القرائن، وهذا لا يعني أن أصحاب كتب الحديث الشريف رضي الله عنهم كمسلمين والبخاري ومالك وسواهم قصروا في واجبهم أو تهاونوا في أمانتهم - حاشاهم - هم صادقون سنداً بلا شك، ولكن تقبل المتن موضوع آخر، وهم بشر، وجهد البشر عرضة للخطأ بالضرورة ومحمل للتقصير والقصور، والناس لم تتورع عن الدس والتزوير والتحريف في كتب الله تعالى المنزلة من المساء فما بالك بأحاديث أحد البشر»[1].

وضابط السند الثاني: لا تساهل في وثاقة طرق السند، يعيب العلامة القطعاني على السلف تساهلهم في توثيق طريق السند، يقول: «توجد عند بعض سادتنا المحدثين أسانيد فيها تساهل، كطريق السيوطي عن ابن حجر، أو رواية محمد بن أركماش الحنفي المصري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، أو طرق ابن حجر العسقلاني عن ابن أميلة، وأنا لي رأي سلبي فيها مع كل حبي وإعظامي لهم، أنا لا أنكر أصلاً أو فرعاً على ساداتي وأئمتي وتاج هامتي شموس العلم والرائعة والمعرفة الساطعة أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر، ومولانا الحافظ السيوطي أو غيرهم ممن ذكرنا، بل ألتمس لهم كل العذر ساداتنا، فكل ما عندهم هو فقط تساهل لا غير، له أسبابه المبررة التي أشاروا إليها، كما أنهما عانوا من صعوبة التنقل وانعدام المواصلات وغياب الأمن وعذابات السفر وتعذر الاتصال، كذلك لا أستبعد خطأ النساخ في وقت لم تكن فيه مطابع ولا وسائل مراجعة»[2].

---

(1) نفس المصدر، ج1، ص 112.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 114، 115.

وعنده رحمه الله تعالىٰ ضابط ثالث في سياق ضوابط وثاقة السند، فلا بركة عنده في علو السند بطريق فيها مغامز، ففي «أسانيد الحديث الشريف تحديداً وهي ما يطلب فيه العلو، أما الأسانيد القرآنية فأنزل أسانيد الحديث الشريف هو أعلىٰ أسانيد القرآن الكريم بطريقيه الشاطبية والدرة. أيضاً لا تهتم الأسانيد الصوفية بالعلو طلباً لبركة رجال السند، قال الشيخ فالح الظاهري في ثبته (حسن الوفا لإخوان الصفا): «اعلم أن المعتبر في الأسانيد الحديثية العلو، وفي الأسانيد الصوفية النزول، فالأول ليقل الخطأ، والثاني لتعم البركة بكثرة الرجال، وكذا ذكره جماعة»[1].

ورفض العلامة القطعاني الرواية عن المجاهيل، وعدّ هذا الشرط ضابطه الرابع، وأشار إلىٰ أن «هناك مسندون قدماء وحدثاء يذكرون أسانيد، هي بلا شك عالية، حتىٰ إنني عرفت من يكون بينه وبين النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ستة عشر سنة، أو سبعة عشر رجلا بإسناد متصل، فإذا ما نظرت فيه وجدت رجاله مجاهيل، وهذا ليس بشيء عندي، لذا أترجم في هذا الثبت لمشايخي، وأحليهم بما أراهم يتصرفون به، وأعترف ما استطعت بهم القاصي والداني، فهذا دين، ومعرفة من نأخذه عنهم أوجب الواجب، ولا أدعي أنني السابق في هذا المجال، فعلوم التراجم والرواية والدراية والجرح والتعديل تلازمت مذ وجدت رواية الحديث، حتىٰ لا تكاد تجد طبقة من الرواة إلا وتراجمها معها ونسبة المجاهيل في أهل الحديث لا تتجاوز في تقديري 10٪ من الرواة، أي يكاد يكون كل راو موجود في أسانيد الإجازات له ترجمة وسيرة ذاتية، وهناك أسانيد آمنة تعضد المتون التي بها مجاهيل عادة»[2].

(1) نفس المصدر، ج1، ص 123.

(2) نفس المصدر، ج1، 124، 125.

وألـزم العلامـة القطعـاني نفسـه بالاهتمـام بـالراوي قبـل المـروي في شـرطه الخامس، فـ«لا شيخ عنده، ولا إجازة مـن منتسب لجماعات الإسـلام السياسـي، أو فرقة، أو جماعـة سياسـية، متسـلفة، أو تكفيريـة، أو متطرفـة، فسـأكون خائنـاً لأمانـة الرواية، غاشّـاً لمن أجزتـه لـو فعلـت ذلـك، فالروايـة عنـدي ليسـت نقـلاً للمكتـوب فقـط للقيم والأخلاق والمبادئ والشمائل التي يحملها المجيز، وستلاحظ في هـذا الثبت أنني لا أجمع المشيخة كما اتفق، بل أتخير شيوخي، فـلا أروي ولا آخـذ قـط إلا عن من أحببتهم، واطمأن إليهم قلبي من المسلمـين الطيبين الودعـاء المحبين، الذيـن يألفون ويؤلفون، وواحـد منهم عنـدي يعدل آلافـاً من غيرهـم»[1].

وفي الضابط السـادس قـال: «لا اعتبـار إلا لإجـازة التعيين، الإجـازة في عصـرنا ليست لإثبات ما يروىٰ من متون، فقد انتهىٰ العمل في ذلـك منـذ قـرون، ولا عمرهـا كانت دلالة علىٰ العلـم، وإنمـا دلالـة علـىٰ الروايـة بالأسـاس، ثـم التـبرك، لـذا فهـي مقبولة حتىٰ من الأمي والعامي وصغير السن ما تحققت روايته عن مجيـزه»[2].

وسابع ضوابطه: لا عبرة بكثرة الشيـوخ أو قلتهم، فالعلامـة القطعـاني «لا يقيـم المسند سلبـاً أو إيجابـاً من هـذه الزاويـة بتاتـاً، فالاتصـال المرجـو بـالنبي صـلىٰ الله عليه وآله وسلم يتحقق عندي ولو بسند واحـد. والاسـتكثار مـن الشيـوخ نهج شـاع بين أرباب هذه الصنعة، خصوصـاً المتأخريـن منهم، وأنا لا أرفضه ولا أنتقده، كـل ما أقوله أنني لا أنتهجه ولا أعتبره معياراً»[3].



(1) نفس المصدر، ج1، 126، 127.

(2) نفس المصدر، ح1، ص 127.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 132.

رواية الأكابر عن الأصاغر من خلال ثبت العلامة القطعاني (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر)

أ.د. محمد بن يحيى النينوي

عميد جامعة المدينة للدراسات الإسلامية

اتلانتا، الولايات المتحدة الأمريكية



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أزواجه وأصحابه وأحبابه وذريته والتابعين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

الحمد لله الذي شرف أصحاب الحديث في القديم والحديث، وجعلهم أمناء علىٰ شريعته كابراً عن كابر، فأصلوا مناهج الرواية وآداب الطلب، فروىٰ الكبير عن الصغير، فلا زلنا نقف في دواوينهم ومصنفاتهم ومؤلفاتهم علىٰ فنون الرواية، فنون في غاية الدقة في تحمل هذا العلم الشريف وآدابه وطرق تعلمه وتعليمه.

وقد طلب إليَّ الأستاذ الشيخ الشريف السيد أسامة علي بن هامل حفظه الله تعالىٰ ورعاه، أن أشارك في الدورة الثالثة من المؤتمر السنوي الدولي عن شيخنا ومرشدنا وسيدنا العلامة الموسوعي الشريف الكريم مسند الديار الليبية سيدي أحمد القطعاني رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وجمعنا به في عليين آمين، المخصص هذه السنة لبحث علم الأثبات والمشيخات والفهارس، ودور ثبت شيخنا «أوبة

المهاجر وتوبة الهاجر» في استمراره، فسارعت إلىٰ اغتنام هذه الفرصة للتشرف بالكلام عن سيدي الشيخ، والاندراج في سلك من يحبون أهل الله ﷻ، ومن يلجأون إلىٰ هذا العلم وأهله، وأهل الله ﷻ وخاصته في هذه الأزمان الصعبة، نسأل الله ﷻ اللطف.

ورأيت أن تكون مشاركتي بالحديث عن فن رواية الأكابر عن الأصاغر، وحدوده، وماهيته، وفوائده، وأشهر من صنف فيه من العلماء، وأن أذكر نكتة في هذا الكتاب مما يدل علىٰ علو كعب شيخنا في الحديث الشريف رحمه الله تعالىٰ، وتواضعه واشتغاله بعلوم السنة النبوية الشريفة، حيث إنه ضمن كتابه هذا جانبا فيه رواية الأكابر عن الأصاغر، فتجده رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه يروي عمن هو في مستوىٰ تلاميذه، كالفقير صاحب هذه الورقة. وأراني أرصد أولىٰ أهداف شيخنا من اشتغاله بهذا الفن وإثباته في كتابه هذا، أنه يعلمنا أدب طلب حديث سيدنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وأدب راية العلم وطلبه، كما أنه يكشف لنا عن حال من أحوال أهل الله الربانيين، وهو تواضعهم بأخذهم العلم من أي أحد، وإن كان دونهم في القدر والعلم والسن، فالحق هو ديدنهم وهو قصدهم.

وكما أسلفت، فإن رواية الأكابر عن الأصاغر، من مباحث علم مصطلح الحديث، وأزيد بالقول أنها من أندر أنواع الإسناد، لغرابتها في طرق التحمل، إذ المعتاد في تلقي العلوم الشرعية أخذ الصغار عن الكبار، وهو دِلالة ودَلالة علىٰ جودة مصدر العلم وأصالته، وضماناً لاستمرارية التلقي في الأجيال القادمة، لذلك سئل الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالىٰ، عن رجل يقيم ببلده وينزل في الحديث بدرجة، فقال: «ليس يطلب العلم هكذا لو طلب العلم هكذا مات العلم، إنما يؤخذ العلم عن الأكابر»[1]، وقد صحح الحافظ ابن حبان وكذلك الحاكم

(1) طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلىٰ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 198.

النيسابوري في مستدركه حديث سيدنا رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم (البركة مع أكابركم)، والذي عاصر وجالس سيدنا الشيخ أحمد رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه، يعرف بركة صحبة الأكابر رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه، وذلك لما لهم من سابقة في العلم والإنفاق والسعي والمجاهدة والصبر وخدمة العلم وأهله والتواضع في هذا.

وورود هذا النوع من الرواية، أي: رواية الأكابر عن الأصاغر، يدعو للبحث في أسبابها من ناحية النقد الحديثي، لكن أيضا هناك تلازم من ناحية أن يقتضي ذلك أيضا أن نبحث في أسباب هذا النوع من الرواية من الناحية التربوية عن الصوفية من أهل الحديث، كما هو حال شيخنا رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه، والأمر عند صوفية أهل الحديث -كما تعلمون- هو المتابعة الكاملة للمربي الأعظم والنبي الأفخم والنور المجسم صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم، فنحن نجد في كتب أهل العلم ملمحاً لهذا النوع من الرواية، كقول الإمام ابن الملقن يقول في تذكرته: «كرواية النبي ﷺ عن تميم الداري، والصديق رضي الله تعالىٰ عنهما، وغيرهما»[1]، ويسميها ابن الملقن برواية الفاضل عن المفضول.

ومن تصفح ثبت شيخنا العلامة الجامع بين علوم المعقول والمنقول الزاهد العارف الصوفي الفاضل الكريم المربي بحق سيدي الشيخ أحمد القطعاني رضي الله تعالىٰ عنه، يجد ملامح رواية الكبير عمن هو أقل منهم شأناً وعلماً وقدراً وسنّاً، وذلك من أخلاق الصوفي في التواضع وخفض الجناح لأهل الله عَزَّوَجَلَّ أو لتلاميذه، وفي ذلك شحذ للهمم ودفع لطلب العلم، واقتداء بأخلاق المصطفىٰ

(1) التذكرة في علوم الحديث، عمر بن علي بن الملقن، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار عمار، الأردن، 1988م، ص 23، 24.

الكريم صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم، وكنت أفكر في سبب آخر دعا شيخنا سيدي الشيخ أحمد رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه في روايته عن الأصاغر، فقلت: لعل ذلك كان اقتداء بالرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم، إن صح عنده حديث تميم وغيره، ولعله استكمال لحرصه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ متابعة قدم المصطفىٰ صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم في كل صغيرة وكبيرة.

ولأهمية هذا النوع من الرواية، أي: رواية الأكابر عن الاصاغر، في علوم الحديث، أفرد بعض أهل العلم من السلف كتبا فيه، منها كتاب «ما رواه الكبار عن الصغار، والآباء عن الأبناء» للحافظ أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم المنجنيقي الوراق البغدادي، وكتاب «رواية الصحابة عن التابعين»، و«رواية الآباء عن الأبناء» كلاهما للخطيب البغدادي، كما اعتنوا بها في متونهم، كالحافظ العراقي في ألفيته، إذ يقول:

وقد روىٰ الكبير عن ذي الصغر   طبقة وسنا او في القدر

أو فيهما ومنه أخذ الصحب   عن تابع كعدة عن كعب

ويفهم من قولة الحافظ العراقي أن رواية الأكابر عن الأصاغر بثلاثة أوجه، باعتبار وجهي الكبر أو الصغر أو مجموعهما، والمقصود في الوجه الأول وهو الكبر، الكبر الحسي أولاً، أي: التقدم في السن، أو التقدم في السماع من الشيوخ، وهما متلازمان غالبا، والوجه الثاني هو: الكبر المعنوي، أي: المنزلة والمكانة.

وأمثلة الوجهين عديدة، فمن أمثلة رواية من أكبر سنا وأقدم طبقة رواية الزهري ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري عن مالك[1]، ومن أمثل رواية الثبت الحافظ

(1) معرفة أنواع علوم الحديث، عثمان بن الصلاح، تحقيق نور الدين العتر، دار الفكر، سوريا، 1986م، ص 307.

المتقن عمن هو أقل منه منزلة في الوثاقة والضبط رواية مالك عن عبد الله بن دينار، وكذلك روىٰ إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل عن عبيد الله بن موسىٰ[1].

وهناك وجه ثالث، وهو: مجموع الوجهين السابقين معا، وفيه يقول ابن الصلاح رحمه الله تعالىٰ: «أن يكون الراوي أكبر من الوجهين جميعا، وذلك كرواية كثير من العلماء والحفاظ عن أصحابهم وتلامذتهم، كعبد الغني الحافظ في روايته عن محمد بن علي الصوري، وكرواية أبي بكر البرقاني عن أبي بكر الخطيب، وكرواية الخطيب عن أبي نصر بن مأكولا، ونظائر ذلك كثيرة»[2].

ويظهر لي أن بعض رواية شيخنا في كتابه «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» عن الأصاغر، تندرج تحت الوجه الثالث، وهو مجموع الوجهين السابقين، فقد روىٰ عمن هو أصغر سنا منه، وأدنىٰ طبقة ومنزلة، خصوصاً عند تحقيقه لهدفه الأساسي وهو توثيق السند الليبي، فنجده يترك العوالي عن أقرانه من المحدثين الكبار وينزل درجات لرواية سند ليبي عمن هو دونه، حتىٰ ولو كانوا طلابَ علم في بلاده الليبية.

ولهذا النوع من علوم الحديث فوائد جمة، منها ما يتعلق بصفة الرواية، وطريقة تحملها، وحيثية سماعها وما فيها من موافقة أو مخالفة أو زيادة علىٰ روايات الثقات، وأحوال الرواة جرحاً وتعديلاً، وعلل للحديث وغيرها من الفوائد ولها مباحثها، لكن أيضاً يؤخذ من هذا النوع من علوم الحديث فوائد أخرىٰ تربوية، تتعلق بالتعلق الكامل بقدم المصطفىٰ صلىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وسلم، وهو ما أراه يتناسب مع حال شيخنا القطعاني المربي الصوفي رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه، حيث إنه كان من صوفية أهل الحديث، أي: إنه جمع الحديث مع التصوف.

---

(1) نفس المصدر، ص 308.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

وفي إيجاز لتلك الفوائد التربوية، أقول: إن منها:

أولاً: إحياء خلق التواضع في طلب العلم ونقله، فإذا روى الرجل عمن هو من طبقته أو من هو دونه، دل على تواضعه، وطلبه العلم للحق، مما يرفعه عند الله عزوجل، ويرفعه عند الناس، ويروي الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع عن سفيان بن عيينة قوله: «لا يكون الرجل من أهل الحديث حتى يأخذ عمن فوقه، وعمن دونه، وعمن هو مثله»(1)، وهذا دليل عملي على التواضع الحقيقي عند أهل العلم، مبعثه الخشية من الله، وهي الأخلاق التي لازمت وصفهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]

ثانياً: نبل الأصل ونبل الطبع، ومنه ما رواه الخطيب البغدادي في ذات الكتاب عن وكيع قوله: «لا ينبُل الرجل من أصحاب الحديث حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه»(2)، وهكذا كان شيخنا القطعاني رجلاً نبيلاً حقا، ما رأيت مثل نبله رحمه الله تعالى ورضي عنه.

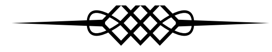
ثالثاً: تبجيل العلم، وتنزيل أهله منازلهم، وإن كانوا دون الشيخ، وكل من عرف شيخنا سيدي أحمد القطعاني رحمه الله تعالى ورضي عنه، يعرف أنه ينزل أهل الفضل منزلتهم، بل كنت أحدث نفسي وأنا في صحبته معه في السفر في والحضر، أنه يبالغ في تعظيم الناس وفي تعظيم المسلمين، وفي تعظيم من يظن فيهم خيراً، وإن ظهر منهم خلاف ذلك، فهذا من علامات ولايته رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وقد صح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنها قالت: «أمرنا

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط2، ج2، ص 326.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 322.

رسول الله أن ننزل الناس منازلهم»[1]، وهو حال شيخنا العلامة الجامع الصوفي سيدي الشيخ أحمد القطاني رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه.

أسأل الله ﷻ أن تكون مداخلتي هذه مقبولة لديكم أيها السادة الأماجد الأشراف الأكارم، ولدىٰ تلاميذ شيخنا، ولدىٰ شيخنا في دار الحق رضي الله عنه، وأسأل الله ﷻ أن يكرمنا بصحبته في حياته البرزخية والآخرة، كما أكرمنا بصحبته في الدنيا، وأن يجمعنا علىٰ قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وفي رحاب آل محمد عليهم وعلىٰ جدهم أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام.



(1) رواه مسلم.

شيوخ العلامة القطعاني المغاربة
في ثبته (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر)

د. لحسن آيت بلعيد
الأستاذ بمعهد التربية والتكوين، المغرب



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن الثبت، والبرنامج، والفهرس، والمعجم، والمشيخة، والسند، والتقييد، والأوائل، والمرويات، والسماعات، والمسلسلات، والإجازات، مصطلحات متقاربة، يجمع بينها عموم وخصوص في علوم الحديث والتاريخ؛ وهي في مجملها: «كتاب يذكر فيه مؤلفه أسماء شيوخه، ومروياته عنهم، ويرتبه حسب التواريخ، أو البلدان، أو حروف المعجم. وإن تعددت هذه الأسماء والمسميات، فهي جميعها ترجع إلى الاختلاف في الأسلوب والطريقة المتبعة في كتابة هذه المصنفات»[1].

---

(1) للتوسيع ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الاثير، ج3، ص 187. والاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي، ص 237. وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، ج2، ص 59، ج3، ص 53. والرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني، ص 135. وفهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني، ج1، ص67 -68، ج2، 624.

الثبت بالثاء المثلثة: (أي: حرف الثاء الذي فوقه ثلاث نقاط). وبسكون الثاء وتحريكها وفتحها.

والثبت بسكون الباء، من ألفاظ التعديل، أي: ثابت القلب واللسان، والكتاب والحجة. والثبت بفتح الباء وتحريكها، هو: ما يثبت فيه المحدث مسموعاته، مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره»[1].

فكما أنه علم لتاريخ الرجال والرواة، باعتباره «علما يرتبط بعلم الحديث، لتناوله دراسة رواة الحديث، والتعريف بالرجال، وأسمائهم، وأنسابهم، وما يتعلق بحياتهم، ويكشف اتصال الأسانيد وانقطاعها. فإنه فرع من فروع التاريخ لتضمنه تحرير مواليد الرواة، ووفاتهم، وأوقات طلبهم وارتحالهم»[2].

وتكمن أهمية هذا النوع من التأليف، في «كونه امتدادا لمنهج علماء الأمة، في توثيق سير العلماء؛ كما لا نبالغ إن اعتبرناه سجلاً وثائقيًّا، يوثق للحركية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، كما يرصد الحركة العلمية والثقافية.. ويؤرخ عن كثب وقرب، للحياة التعليمية والتربوية للعصر، وذلك يبدو جليًّا، بما يسجله المؤلف المصنف من أسماء الشيوخ والكتب، والمدارس، والمجالس، والأمالي، والرحلات العلمية، وغير ذلك»[3].

يقول عبد الفتاح أبوغدة: «لقد جرت سنة المحدثين السلف، أن يتلقوا الحديث عن شيوخهم سماعًا بالإسناد المتصل من شيوخهم إلىٰ رسول الله ﷺ. ثم لما ألفت الكتب، وجمعت فيها الأحاديث، وتمادىٰ الزمن، أخذوا يتلقون كتب الحديث

---

(1) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، ج1، ص 363.

(2) نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني، ص 65.

(3) معجم شيوخ شرف الدين الدمياطي، قسم المحمدين، تحقيق: الدكتور الحسن أيت بلعيد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2020م، ص 9.

بالسند المتصل عن شيوخهم، إلىٰ مِؤلف ذلك الكتاب، ويكون لصاحب الكتاب ـ طبعا ـ أسانيد من طريق شيوخه أيضـًا، تصله بالنبي ﷺ، فيتم لهم اتصال السند بالنبي ﷺ علىٰ هذا المنوال.. والكتب الحديثية تتحلىٰ بإسناد سماعها من مؤلفها، أو ممن روىٰ عن مؤلفها من قرب أو بعد، فتكون تامة الصلة بين مؤلفها وراويها، أو رواتها عنه، بشكل مطمئن إلىٰ صحة نسبتها ونقلها، وتلقيها، وضبطها»[1].

1 - العلماء المغاربة المعاصرون من خلال الثبت الكبير «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»:

إن المتصفح للثبت الكبير «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»، ليجد مسند ليبيا ومحدثها العلامة أحمد القطعاني، ذكر عدداً من شيوخه المغاربة، وأنواع أخذه عنهم، سواء كانت علمية أو صوفية، فأحببت أن أركز في ورقتي هذه علىٰ أن العلامة القطعاني من معالم ودلائل استمرار التواصل العلمي المغاربي، من خلال الحديث عن الاتصالات العملية بينه وبين وعلماء المغرب في ثبته الكبير، كرصده لحركة التأليف المعاصرة في المغرب من خلال شيوخه المغاربة الذين روىٰ عنهم، مثل ما سجله من مؤلفات لشيخ إدريس بن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني:

- ثمانون عامـًا من الحرب الفرنكفونية ضد الإسلام واللغة العربية.
- المغرب المسلم ضد اللادينية.
- جنوح الأحداث.
- استراتيجية الدفاع عن الأمن الإسلامي.

(1) الإسناد من الدين، وصفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين، عبد الفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، 1992م، ص 99.

- أربعة قوانين قرآنية تقرر مصير المجتمعات الإنسانية.
- استراتيجية الدفاع عن الأمن الإسلامي.
- التطبيق المثالي لقانون الزكاة المالي.
- التفسير الإسلامي لسقوط العالم العربي المعاصر.
- الخريطة القرآنية للمجتمعات البشرية.
- دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية.
- صمود الإسلام وسقوط الطغاة.
- مدخل إلى البحوث الإسلامية.
- معهد المولى إدريس بالأزهر: تاريخ وكفاح.
- مقدمات لعلم الاجتماع الإسلامي.
- دراسة وتحقيق كتاب (نصيحة الإسلام)، لوالده محمد بن جعفر الكتاني.
- سلسلة من خمسة أجزاء بعنوان: (ملفات وثائقية في تاريخ المغرب الإسلامي المعاصر).

2 - بعض العلماء المغاربة الذين أخذ عنهم العلامة القطعاني:

ذكر الشيخ القطعاني العلماء المغاربة الذين أخذ من علمهم، فسرد منهم في ثبته[1]:

- الشيخ الهاشمي محمد بن الحاج الهاشمي آل الشيخ الكامل (مكناس).

(1) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشري وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج1: 59 – 60، ج1: 431.

- الشيخ أ.د. إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني (الرباط) .
- الشيخة كنزة بنت محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني (الرباط).
- الشيخ د. حمزة الكتاني (الرباط).
- الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي (الرباط).
- الشيخ أحمد الخليفي (طنجة).
- الشيخ الحسن بن الحاج إدريس التاشفيني (الجديدة).
- الشيخ محمد الحجوجي الإدريسي (الجديدة).
- الشيخ علي حيدره (وزان).
- الشيخ الشريف العلمي بن الحاج الحسين (جبل العلم).
- الشيخ مولاي إدريس الكامل (مكناس).

ومن ملامح شدة التواصل بينه وبين علماء المغرب، كرم الشيخ القطعاني، فهو لا يبخل على المترجم لهم بذكر إفادة صريحة، أو عبارة مميزة، أو إشارة هادفة، كوصف «شيخ» أو «شيخة»، بأفضلية أو مزية حين التعريف بهم وسرد حياتهم، أو ذكر نسبهم أو تحليتهم؛ ومن ذلك قوله مثلا:

- «الرئيس الأعلى للطريقة العيساوية، المثقف الشيخ»[1].
- «ولي الله بلا منازع، البدل، العارف بالله، الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، الهمام، الأستاذ، الفاضل، المشارك، الكامل»[2].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 291.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 340-341.

- «سليل الطيبين، الولي الصالح، ذوالجاه الرفيع، والقدر العلي»(1).
- «الفقيه العالم الفاضل، والنبيه الكامل، من الأكابر في العلم والعمل»(2).
- «بركة الأنام، ومنهل الخاص والعام، بحر البحور الزاخرة، وشيخ شيوخ أهل الآخرة»(3).

3 - منهجه في تقديم علماء المغرب والتعريف بهم:

يذكر اسم الشيخ كاملاً، وتاريخ ومكان مولده، وعقيدته، ومكانته العلمية:

- «الشيخ الهاشمي محمد بن الحاج الهاشمي آل الشيخ الكامل، ولد في مكناس في: 28 / 12 / 1918م.. وله باع ومشاركة في علوم الإسلام، من فقه مالكي، وحديث شريف، وتفسير، وتصوف، ولغة عربية، وحسن إلقاء وحاضرة، وحضور بديهة»(4).

- «الشيخ أحمد عبد السلام عبد الله الخليفي الإدريسي الحسني، أشعري العقيدة، مالكي المذهب، صوفي من مشايخ الطريقة العيساوية.. يتولىٰ في الزاوية شخصيا، تدريس الحديث الشريف، والفقه، والأصول، والبلاغة، منعدم النظير.. ولد بطنجة 1938م»(5).

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 373.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 401.

(3) المصدر نفسه، ج1، 408.

(4) المصدر نفسه، ج1، 291 – 292.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 341.

• «الشيخ أحمد علي حيدره، سليل الطيبين، الولي الصالح.. الأستاذ الورع.. المربي الكبير، والإمام الشهير، شيخ الطريقة الطيبية، مولانا أحمد علي حيدره، أشعري العقيدة، مالكي المذهب»[1].

• «الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي، الفقيه العالم الفاضل، والنبيه الكامل، من الأكابر في العلم والعمل، أدرك الأفاضل فحول العلماء والصالحين، وعنهم تلقى، وبهم روى وأملى، وانتفع به الناس قلما ولفظا، محدث طنجة، وعالمها وبركتها، أشعري العقيدة، مالكي المذهب، من شيوخ التصوف البارزين، الفاضل الشريف العلامة، أبو الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التليدي، ولد سنة 1926م بقرية الصاف، من قبيلة بني كرفط بالمغرب»[2].

• «الشيخ الحسن بن الحاج إدريس التاشفيني، ولد بمدينة الجديدة بالمغرب سنة 1931م، من أعلام المتقين الذاكرين العارفين، أشعري العقيدة، مالكي المذهب»[3].

• «الشيخ الشريف العلمي الحاج الحسين بن العلمي بن أحمد بن البشير بن عبد الوهاب، عالم بدين الله، وقاف عند الأمر والنهي، أشعري العقيدة، مالكي المذهب، صوفي، من أحفاد جده عبد السلام بن مشيش، ومقيم بجواره، منذ ولادته سنة 1947م»[4].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 373.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 401.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 408.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 412 – 413.

• «الشيخ إدريس بن محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل بن العربي بن محمد بن علي الجامع، الخطيب المعمر الأديب.. إمام كبير، وعلم شهير، مؤرخ وباحث، أشعري العقيدة، مالكي المذهب، صوفي على طريقتهم الصوفية الكتانية؛ ولد بالشام سنة 1336هـ / 1918م»[1].

• «الشيخ د. محمد حمزة بن محمد علي بن محمد المنتصر بالله الشريف الكتاني، أحد النبهاء الأعلام، رجل عالم فاضل، غزير المعرفة، واسع الاطلاع، أشعري العقيدة، مالكي المذهب، صوفي على طريقتهم الصوفية الكتانية؛ ولد بمدينة سلا بالمغرب.. من أهم أعماله السنية عندي، وجمائله في عنق الأمة، محافظته على تراث أسرته، العلمي والإسنادي، وتفعيله وإثرائه بالدراسات، وطبع مخطوطاته»[2].. وهو واسع الرواية، كثير الأشياخ، يروي عن أعلام أسرته الكريمة، أسرة الكتاني، العريقة في الدراية والرواية»[3].

• «السيدة كنزة بنت السيد محمد المهدي بن المحدث الكبير السيد محمد عبد الكبير الكتاني الإدريسي، الحسنية، سيدة فاضلة صالحة، ومسندة كريمة من بيت شريف، اختلطت طينته بخدمة الحديث الشريف. أشعرية العقيدة، مالكية المذهب، صوفية على طريقتهم الصوفية الكتانية؛ ولدت سنة (1929م).. وتوفيت بسلا، صباح السبت 24 رمضان 1439هـ/ 9/ 6/ 2018م»[4].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 422.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 424.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 425.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 432 – 433.

• «الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الإدريسي[1]، الفاضل النبيل، والجهبذ الكامل، الجليل الأجل، والعالم الأهل، الفقيه المحدث.. البركة المعمر، العلامة العابد، الذاكر المربي، من أهل الجديدة؛ ولد في 4 ذي الحجة 1339هـ/ 8/ 1921م، أشعري العقيدة، مالكي المذهب، من أكابر رجال الطريقة التيجانية.. وتوفي يوم الثلاثاء 23 شعبان 1437هـ/ الموافق لـ: 31/ 5/ 2016م، عن 95 سنة، ودفن ببلدته»[2].

4 - ذكره لبعض الفوائد والإفادات الخاصة بشيوخه:

• ذكر أن الشيخ إدريس الكتاني، تخرج من القرويين، ودرس بكبريات الجامعات الدولية.

وعمل أستاذاً جامعيّاً، وكان له حضور في الساحة الحياتية، فاعلاً ومشاركاً؛ كما أفادنا بأن له أخاً شقيقاً، وأن والده من علماء الحديث، الذين ساهموا في تيسير وتقريب علوم هذا الفن إلىٰ طلبته، وأنه أجازه مع جماعة من المغاربة والليبيين في مجلس بسكنىٰ الشيخ في مدينة الرباط بالمملكة المغربية؛ كما أفادنا بأنه آخر إخوته موتاً، بعد أن وثق وفاته، قائلاً: «الشيخ إدريس بن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، هو شقيق المحدث الشهير الشيخ مكي الكتاني، وابن الحافظ الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، صاحب «الرسالة المستطرفة»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص434.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 434 – 435.

(3) فهرسة مطبوعة، تتمحور حول كتب الحديث والمحدثين إلىٰ عصر المؤلف.

تحصل على الشهادة العالمية من القرويين في خمسينات القرن العشرين، درس في كندا ومصر وفرنسا، ثم نال الدكتوراه في علم الاجتماع. وهو أستاذ العلوم الاجتماعية والحضارة الإسلامية، بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس، وعضو المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب، ورئيس فرع رابطة علماء المغرب بالرباط وسلا سنة 1961م، وعضو المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال منذ تأسيسه قبل الاستقلال، ونائب المدير العام لوزارة التربية الوطنية، ومكلف بالتعليم الإسلامي الحر، ومؤسس وأمين العام لنادي الفكر الإسلامي سنة 1980م، ومن مؤسسي منظمة الدفاع عن الكفاح الفلسطيني سنة 1969م، وهو مؤسس معهد المولى إدريس الأزهر، ثالث مدرسة حرة بالدار البيضاء.. له مؤلفات ونظريات فكرية وعلمية، فائقة متمكنة.. وهو باحث متخصص في الدراسات الإسلامية والعلوم الاجتماعية، على مستوى العالم العربي والإسلامي.. أما في رواية الحديث الشريف، فروايته عالية جدّاً، وهو من أعلى شيوخنا إسناداً. فهو مجاز من والده الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، صاحب الرسالة المستطرفة (ت 1345هـ)، كما سمع منه الأولية، والأوائل العجلونية؛ ومن المجاهد الليبي الكبير، الشيخ أحمد الشريف السنوسي (ت 1351هـ) الذي وصفه بالعالم، والشيخ محمد العربي أشرقي (ت 1363هـ)، والشيخ محمد بن محمد بن عبد القادر بن سودة المري (ت 1368هـ)، وابن عمة والده الحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني (ت 1382هـ)، وأخيه الشيخ محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني (ت 1393هـ)، والعلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري. [......] وسمعنا منه الحديث المسلسل بالأولية، وأجازنا في كل مايصح له روايته، وذلك بداره العامرة في مدينة الرباط بالمغرب، في 8 ربيع الأول 1435هـ/ 10/ 1/ 2014م، وحضر المجلس من المغاربة كل من د. حمزة الكتاني، ونجله

محمد بن حمزة الكتاني، والعباس التمسماني. ومن الليبيين كل من: فضيلة الشيخ عمر محمد الأزرق، والأستاذ أسامة علي بن هامل، وفضيلة الشيخ حامد محمد حامد الحضيري، والسيد عمران محمد المشري، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ السبت 10 رمضان 1439هـ/ 26/ 5/ 2018م، ودفن في الرباط، وهو آخر إخوته وفاة»[1].

• كما أفاد في ترجمة الشيخ د. محمد حمزة الكتاني، «بأنه روىٰ عن 26 عالما مغربيا من أهل بلده، و100 شيخ من غير أهلها»[2].

«وأفاد المؤلف بأنه زاره في بيته بالمملكة المغربية، في مدينة الرباط، يوم 10 يناير 2014م، رفقة جماعة من علماء ليبيا، السادة:

- فضيلة الشيخ: عمر محمد الأزرق من مدينة درنه.
- فضيلة الشيخ: حامد محمد حامد الحضيري من مدينة سبها.
- فضيلة الشيخ: أسامة علي بن هامل من مدينة زليتن.
- فضيلة الشيخ: عمران محمد المشري من مدينة تيجي»[3].

وأفاد كذلك، بأنه «كتب له ولحرمه وأنجاله، إجازة عامة، بتاريخ 10/ 1/ 2014م؛ وأخذ عنه من الأحاديث المسلسلة:

- حديث الرحمة المسلسل بالأولية الحقيقية.
- الحديث المسلسل بقول: إني أحبك.
- الحديث المسلسل بالليبيين.

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 421 – 424 بتصرف.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 425 – 427.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 428.

- الحديث المسلسل بمناولة السبحة.

- الحديث المسلسل بالتلقيم.

وأخذ عنه إجازة حاوية لسنده في «دلائل الخيرات»[1].

وذكر المؤلف بأنه أخذ عن الشيخ الأحاديث المسلسلة الآتية:

- حديث الرحمة المسلسل بالأولية.

- ثلاثة أحاديث مسلسلة بالمغاربة.

- الحديث المسلسل بالمالكية[2].

• كما أفاد المصنف في ترجمة السيدة كنزة بنت محمد المهدي الكتاني، بأنها «عمة الشيخ د. محمد حمزة الكتاني»[3]، كما ذكر بأنها «تروي عاليا عن والدها محمد المهدي الكتاني (ت 1959م)، وعمها عبد الحي الكتاني، والشيخ توفيق الأيوبي، والشيخ عبد الستار الدهلوي، والشيخ عبد الحفيظ الفاسي، والشيخ محمد عبد الرشيد النعماني، والشيخ التهامي بن محمد التجاني الحدكرتي، وغيرهم، كما أفاد بعد ذكر وفاتها، بأنها كانت آخر إخوتها وفاة، ولا عقب لها»[4].

• وأفادنا أثناء عرضه لترجمة الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الإدريسي،

---

(1) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 428 – 429، وسجل أنها موجودة بكامل أسانيده، في ثبت مسلسلاته المسماة: (كرائم المسلسلات). ومضمون الإجازة يوجد في ثبت المؤلف ما بين صفحتي: 429-432.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 433.

(4) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

بأنه «كان معتنيًا بنشر مؤلفات والده، البالغة 92 كتابًا؛ وأن والده كان من نجباء علماء المغرب»[1].

كما ذكر أنه «زاره في منزله بمدينة الجديدة المغربية، بمعية رفقة ليبية من السادة العلماء الآتية أسماؤهم:

- فضيلة الشيخ عمر محمد الأزرق من مدينة درنه.
- فضيلة الشيخ حامد محمد حامد الحضيري من مدينة سبها.
- فضيلة الشيخ أسامة علي بن هامل من مدينة زليتن.
- فضيلة الشيخ عمران محمد المشري من مدينة تيجي.

كما ذكر أنه سمع منه:

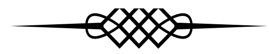
- حديث الرحمة المسلسل بالأولية.
- وأجازه في أثبات والده: (نيل المراد، في معرفة رجال الإسناد).
- وناوله بالاجازة: (كنز اليواقيت الغالية، في الأسانيد العالية).
- أجازه بكل ما أجازه به والده.
- سمع منه صلاة الفاتح لما أغلق.
- خصه بالحديث المسلسل بقول: إني أحبك.
- وخصه بالحديث المسلسل بالمشابكة.
- وأسمعه حديث: «المتحابون في الله، لهم منابر من نور يوم القيامة، يغبطهم الشهداء». وألحقه بقوله له: «أحبك، وستبقىٰ هذه المحبة إلىٰ يوم القيامة»

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 434.

خاتمة:

وبعد، فهذه لمسات لصور من الحياة العلمية المعاصرة في المغرب من خلال ثبت العلامة القطعاني، أرجو أن تكون أرضية للباحثين والدارسين للإضافة وتعميق البحث، قصد التأريخ لهذا العمل، ضمن جهود العلماء الليبيين في خدمة العلم، وضمان استمرايته، وإطلاع الغير عليه، تعميماً للفائدة، والله من وراء القصد.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



معالم المدرسة المغربية الليبية، ودورها في الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية في ضوء كتاب (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) للعلامة القطعاني

د. أحمد التجاني ثاني سعد الأزهري
أستاذ علوم العربية بمؤسسة الحلقة لإحياء التراث بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار ظلمات العقول بمصابيح النقول، والصلاة والسلام علىٰ سند الوصول إلىٰ كل مأمول، سيدنا محمد بن عبد الله باب الفتح والقبول، وعلىٰ آله وصحبه النجباء الفحول حق قدره ومقداره العظيم، أما بعد فإن للهوية الإسلامية ضمانا من الله ﷻ بالبقاء والخلود ما بقي علىٰ وجه الأرض قرآن يتلىٰ، وبقيت للإسلام أمة لن يعذبها الله ورسالة سيدنا محمد تشرق فيها كما يقول الحق: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]، ويقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]؛ ومن هنا تعود كل محاولات الطمس والتشويه للهوية الإسلامية إلىٰ الفشل، وتكون علىٰ أصحابها حسرات، وينقلب كل من شارك في ذلك خاسئًا وهو حسير.

وفي هذا السياق يأتي كتاب (أوبة المهاجر، وتوبة الهاجر) للإمام الحافظ المسند العلامة الدكتور أحمد القطعاني – جدد الله عليه سحائب رحماته – سجلاً تتجسد فيه صورة من صور حفظ الله ﷻ لهذه الهوية الإسلامية المشرقة، فالذي يطالع هذا الكتاب يغمره شعور بأن الجهود الليبية المصورة في الكتاب لو لم تكن للأمة الإسلامية بأسرها غير تلك الجهود لكفاها اعتزازاً وافتخاراً، كما ستجلي ذلك الأبحاث المقدمة عن الكتاب، ومن خلال تصفح الكتاب والنظر في محاور المؤتمر المبارك وقع في نفسي اختيار موضوع بحثي عن الكتاب بعنوان: (معالم المدرسة المغربية الليبية، ودورها في الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية)، وعساني أن أساهم به في هذا المشروع العلمي العظيم.

وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أما التمهيد ففيه تعريف لمصطلحات البحث، وهي: (المعالم، والمدرسة، والهوية الإسلامية)، وأما المبحث الأول فقد كان بعنوان: (معالم المدرسة المغربية الليبية)، في حين كان المبحث الثاني بعنوان: (دور المدرسة المغربية الليبية في الحفاظ على الهوية الإسلامية)، ثم جاءت النتائج العلمية في خاتمة البحث.

هذا، وما كان من توفيق فإنه من الله العليم الحكيم ﷻ بمحض فضله، وما كان من غير ذلك فمني، ومن الشيطان، وحسبي أنني اجتهدت، فأرجو أن لا أحرم أجر الاجتهاد إن لم أحظ بأجر إصابة الحق.

أولا: تعريف المعالم:

(معالم) جمع (معلم) كـ (مساجد) في جمع (مسجد)، و(مدارس) في جمع (مدرسة)، و(معلم) اسم على وزن (مفعل) من (علم يعلم)، إذا وضع علامة، وهو

في اللغة بمعنىٰ: الأثر الذي يستدل به علىٰ الطريق[1]، وما جعل علامة وعلما للطرق والحدود، ومعلم كل شيء مظنته، وعليه يقال: (معلم الدين)، و(معلم للخير)[2]، ومنه في الحديث: (يحشر الناس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد)[3].

وبما أن (مفعل) صيغة صرفية مشتركة بين الحدث الذي اشتقت منه الصيغة، ومكان وقوعه وزمانه، فإن (معلم) يحتمل أن يكون بمعنىٰ العلم، فيكون مصدراً ميميًا، وأن يكون بمعنىٰ مكان وقوع العلم، فيكون اسم مكان، وأن يكون بمعنىٰ زمان وقوعه، فيكون اسم زمان، غير أن ابن سيده قد نص علىٰ أن (معلم) اسم لمكان وقوع العلامة[4]، وعلىٰ مذهب الإمام الشافعي في جواز استعمال اللفظ المشترك بجميع معانيه[5] فـ(المعلم) في هذا البحث بمعنىٰ العلم ومكان وقوعه وزمانه في آن واحد، بمعنىٰ أن المعالم التي تعنينا في هذا البحث هي الآثار العلمية

(1) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، 1964، ج2، ص 419. وتاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ط1، ج5، ص 1990 – 1991.

(2) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 2000م، ط1، ج2، ص 177.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه.

(4) المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج2، ص 177.

(5) المستصفىٰ من علم الأصول، محمد بن أحمد الغزالي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ج1، ص 290 – 294. والإحكام في أصول الأحكام للآمدي، دار الصميعي، ج2، ص 297 – 303. والمحصول لفخر الدين الرازي، مؤسسة الرسالة، ج1، ص 268 – 274. وأصول الفقه لأبي زهرة، دار الفكر العربي، ص 168 – 170.

التي تتسم بها المدرسة المغربية الليبية، وتمثل حقيقتها وركائزها الجوهرية، بالإضافة إلى مكان وقوعها وزمانه.

ثانيا: المدرسة:

(مدرسة) اسم على وزن (مفعلة) من (درست الكتاب درسا ودراسة) بمعنى قرأته، ويقال فيه: (دارست الكتاب، وتدارسته، وادراسته)[1]، وهو في الأصل (مدرس) بمعنى المكان الذي يقع فيه ما اشتق منه الفعل، وهو الدرس[2]، ثم زيد عليه التاء على الشذوذ. كما زيدت في (مقبرة)، والمدرسة تستعمل بمعنى المبنى الذي أعد لإلقاء الدروس، وبمعنى جماعة من المفكرين والفلاسفة اجتمعوا على فكر واحد[3].

ثالثا: الهوية:

جاء عن العرب (الهوي) مصدرا للفعل الثلاثي (هوى)[4]، وبمعنى السريع إلى فوق، ويقال: (والهوي) بفتح الهاء للسريع إلى أسفل، ويقال: (جلست عنده هويا)،

---

(1) تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج12، ص 358 – 360. تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مصدر سابق، ج3، ص 927– 928.

(2) تهذيب اللغة لأبي، مصدر سابق، ج12، ص 359. (د ر س).

(3) المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص 280.

(4) تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج6، ص 488. تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، ج6، ص 2538.

أي: حينا من الوقت[1]، و(الهوية) منسوب إلىٰ الضمير المنفصل (هو)، وهي مصطلح إما بمعنىٰ الحقيقة المطلقة المشتملة علىٰ الحقائق اشتمال النواة علىٰ الشجرة في الغيب المطلق[2]، وبمعنىٰ التشخص، والوجود الخارجي، والماهية مع التشخص علىٰ ما يعرف بالحقيقة الجزئية، وتستعمل في جانب الله ﷻ للإشارة إلىٰ كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيبوبة ذلك[3]، وعليه قال الشاعر:

إن الهويـــة عـــين ذات الواحـــد ومـــن المحـــال ظهورهـــا في شـــاهد

فكأنهـــا نعـــت، وقـــد وقعـــت علـــىٰ شـأن البطـون، ومـا لـه مـن جاحـد[4]

ومن خلال هذا التعريف الموجز بالمصطلحات الثلاثة يظهر أن المقصود بـ (معالم المدرسة المغربية الليبية، ودورها في الحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية) تلك السمات التي هي بمنزلة الأسس والأركان التي قامت عليها المدرسة المغربية في ليبيا، ودورها في الحفاظ علىٰ هوية الأمة الإسلامية التي تتمثل في الواقع الخارجي التطبيقي لهذه الأمة في أعلامها وعلمائها والمتمسكين بهذا الدين الحنيف الذي يبقىٰ شامخـًا ظاهراً لمدة أربعة عشر قرنا، وهكذا يبقىٰ بقوته وظهوره إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(1) تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج6، ص 489 – 490.

(2) معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة بالقاهرة، ص 216.

(3) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، أحمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولىٰ: 1996م، ج2، ص 1745 – 1746.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 1746.

المبحث الأول: معالم المدرسة المغربية الليبية.

بمطالعة كتاب (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) تتجلىٰ للمدرسة المغربية الليبية معالم وسمات جوهرية هي بمنزلة أعضاء الجسم الواحد إذا اشتكىٰ منها عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ، وتلك السمات تستدعي تأليفاً متكاملاً موضوعياً يبتغي الحقيقة ورد الأمور إلىٰ نصابها، ومقامنا في هذا البحث لا يتسع لمحاولة القيام بالواجب المطلوب في هذا الأمر، وفي هذه السطور أبرز السمات علىٰ النحو الآتي:

أولا: الأصالة:

إن أول سمة للمدرسة الليبية من خلال كتابنا العظيم (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) أنها مدرسة أصيلة، وتنطلق أصالتها من فجر النبوة، حيث أشرقت أرض ليبيا بأنوار عديد من صحابة رسول الله ﷺ، حتىٰ تشرفت تربتها بحمل بعضهم كرويفع الأنصاري، وأبي سجيف بن قيس، وعليم بن سلمة الفهمي، وزهير بن قيس البلوي، وأبي منصور الفارسي، وعبد الله بن بر، والمنيذر الأفريقي[1]، ويقول عن سيدنا رويفع الأنصاري الإمام الذهبي: «...، نزل مصر، واختط بها، وولي طرابلس المغرب لمعاوية في سنة ست وأربعين، فغزا إفريقية في سنة سبع، ودخلها، ثم انصرف، قال أحمد البرقي: توفي رويفع ببرقة وهو أمير عليها، وقد رأيت قبره بها، وقال أبو سعيد بن يونس: توفي ببرقة أميرا عليها لمسلمة بن مخلد في سنة ست وخمسين، قال: وقبره معروف إلىٰ اليوم رضي الله عنه»[2].

---

(1) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج1، 13 – 14.

(2) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، 1417 هـ، =

ويضاف إلىٰ ذلك أن المدرسة الليبية لها فضل الريادة في نشر المذهب المالكي، حيث كانت من تلامذة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه طائفة من أبناء ليبيا النجباء، منهم علي بن زياد، ومحمد بن معاوية، ومحمد بن ربيعة، بل كان أول من حمل موطأ الإمام مالك إلىٰ المغرب العربي كله هو العالم الليبي علي بن زياد الطرابلسي، كما كان كتاب (النامي) في شرح الموطأ لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي ثاني شروح الموطأ بعد شرح الإمام سحنون، وقد كان الإمام الداودي من فحول أئمة الحديث الشريف وحفاظه، ومن أوائل شراح صحيح البخاري والموطأ، وكان من كبار أئمة المالكية، وتغنىٰ بفضله الكثير من أهل العلم أمثال القاضي عياض[1]، والإمام الذهبي[2]، والشيخ محمد مخلوف[3]، وكان عمدة لشراح صحيح البخاري من بعده كابن حجر العسقلاني، وبدر الدين العيني، ومرجعًا لفقهاء المالكية من بعده كشهاب الدين القرافي، والحطاب الرعيني، وأبي العباس الونشريسي، وكانت روايته للبخاري أعلىٰ الروايات من حيث العدد[4]، ومن كتبه: النامي في شرح موطأ الإمام مالك، والنصيحة في شرح صحيح البخاري، والواعي في الفقه، والأموال، وغيرها، ومن تلامذته أبو عبد الله البوني،

= ج3، ص 36.

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سعيد أحمد غراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط1، 1981م، ج7، ص 102 – 103.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق عمر تدمري، دار كتاب العربي، ط1، 1993م، ج 28، ص 57.

(3) شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2003م، ج1، ص 164.

(4) قال ابن حجر: "...، وأما رواية الداودي فهي أعلىٰ الروايات لنا من حيث العدد، أخبرنا بها المشايخ". فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (1 / 6).

وأبو بكر بن الشيخ أبي محمد بن أبي زيد، وأبو علي بن الوفا، وغيرهم[1]، وقال عنه القاضي عياض: «... من أئمة المالكية بالمغرب، والمتسعين في العلم، المجيدين للتأليف،...، وكان فقيهاً فاضلاً عالماً متفنناً مؤلفاً مجيداً له حظ من اللسان والحديث، والنظر»[2].

وتعد المدرسة الليبية أول مدرسة مالكية في المغرب العربي، والقارة الأفريقية في أرض لبيبيا المباركة، وهي المدرسة المستنصرية التي أسسها العلامة الليبي عبد الحميد بن أبي الدنيا تـ 684هـ، في حدود سنة 655هـ و658هـ[3].

ثانيا: السنية:

لفظ (السنية) مصدر صناعي يدل على الواقع الخارجي لما اشتق منه الفعل[4]، وهو ما ينتهي بياء مشددة بعدها تاء التأنيث المربوطة، مثل: (الحرية، والوطنية، والإنسانية)[5]، وهو مأخوذ من (السنة) بالمعنى الشامل لكل ما تركه رسول الله ﷺ لأمته من المحجة البيضاء، وهي هنا بمعنى الهدى المقابل للضلال مصداقاً لقوله

(1) تاريخ الإسلام للذهبي، مصدر سابق، ج 28، ص 56 – 57. وترتيب المدارك، مصدر سابق، ج7، ص 102 – 103.

(2) ترتيب المدارك، مصدر سابقا، نفس الصفحات.

(3) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 16 – 17.

(4) قال العلامة التهانوي: "اعلم أن صيغ المصدر تستعمل إما في أصل النسبة، ويسمى مصدرا، وإما في الهيئة الحاصلة للمتعلق معنوية كانت أو حسية كهيئة المتحركية الحاصلة من الحركة، ويسمى الحاصل بالمصدر وتلك الهيئة إما للفاعل فقط في اللازم كالمتحركية والقائمية من الحركة والقيام، أو للفاعل والمفعول، وذلك في المتعدي كـ (العالمية، والمعلومية) من العلم". موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ص 1556 – 1557.

(5) المعجم المفصل في النحو العربي، عزيزة فوال بابتي، دار الكتب العلمية، ج2، ص 995.

ﷺ: (...، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[1]، فالسنة بهذا المعنىٰ هي الهوية الإسلامية التي تمثل سلوكيات رسول الله ﷺ، وسلوكيات كبار صحابته عملاً بما تعلموه منه كأبي بكر، وعمر، وعثمان وعلي رضي الله عنهم فيما يظهر لي، ويقابل السنة بهذا المفهوم البدع التي تتعارض مع أصول الإسلام، ولا سيما ما أحدث في أيام الفتن من الخروج علىٰ السواد الأعظم بإحداث الفرق كالشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، فكان اسم أهل السنة والجماعة علما علىٰ من بقي علىٰ المحجة البيضاء المشرقة التي تركها رسول الله للمسلمين، وعاش عليها جماهير الصحابة في الأصول والفروع، ومن هنا فعد أهل السنة والجماعة علىٰ أنهم فرقة من الفرق الإسلامية بمعزل عن الدقة؛ لأن لفظ (الفرقة) يصدق علىٰ من خرج من الجماعة، وأحدث لنفسه شعاراً يتميز به عن غيره، وأما من بقي علىٰ الأصل ولم يخرج منه إلىٰ غيره فلا يصح إطلاق الفرقة عليه، وأهل السنة والجماعة يتمثلون في أصناف من المسلمين يمكن إجمالهم في الأشاعرة والماتريدية، وأئمة أهل الحديث غير المجسمين، وتفصيلهم في ثمانية أصناف علىٰ ما قرره الإمام أبو منصور البغدادي[2] وفقا لواقع عصره الذي عاش فيه.

وتتمثل سنية المدرسة الليبية في أشعرية المعتقد، ومالكية المذهب، وصوفية السلوك، وهذا ما عبر عنه كتابنا أوبة المهاجر بما نصه: «اختصر العلامة ابن عاشر الثقافة الإسلامية في ليبيا وعموم المغرب العربي في بيت واحد من النظم، فقال:

---

(1) أخرجه أبو داوود في سننه.

(2) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، مصر، ص 272 – 274.

في عقـــد الاشـــعري وفقـــه مالـــك   وفي طريقـــة الجنيـــد الســـالك[1]

فليبيا أشعرية المعتقد، مالكية المذهب، صوفية السلوك»[2].

ثالثا: شدة التعلق بالحضرة المحمدية:

إن اعتناق الإسلام دينـاً مـن عنـد الله يستوجب أن ينبض قلـب المسلم بمحبة سيدنا محمد ﷺ، بل إن مجرد معرفة سيدنا محمد علىٰ حقيقته يستوجب المحبة والتعلق الشديد بشخصه العظيم، وما ثبت عن غير المسلمين من المستشرقين خير شاهد علىٰ ذلك، وصدق الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول: (من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه)[3]. وقد كانت المحبة تقتضي أن يحب المرء كل ما له علاقة بما يحب من الأشخاص، والزمان والمكان، كما يقول شاعر عن محبوبته:

وأحبهـــا، وأحـــب منزلهـــا الـــذي   نزلـــت بـــه، وأحـــب أهـــل المنـــزل

ومن هنا يصح أن يعد تمسك المدرسة الليبية بمذهب أهل المدينة الذي يتمثل في مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وتمسكها بقراءة الإمام نافع المدني عن طريق راوييه المشهورين من صور التعلق الشديد بهذه الحضرة المحمدية الشريفة، ومن هنا قال القاضي عياض: «ومنها - أي: علامات محبة النبي - محبته لمن أحب النبي ﷺ، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم وسبهم، فمن أحب شيئا أحب من يحبه»[4].

---

(1) شرح منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي، أحمد مصطفىٰ الطهطاوي، دار الفضيلة، ص 8.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 51.

(3) الشفاء بتعريف حقوق المصطفىٰ، تحقيق علي محمد بجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م، ج1، ص 85.

(4) نفس المصدر، ج1، ص 573.

يقول في ذلك صاحب الكتاب: «اهتم الليبيون بحفظ القرآن الكريم خصوصا بقراءة قالون عن نافع، وإن وجدت قراءة ورش في الجغبوب والكفرة وتساوه، وكل الحفظ في الزوايا السنوسية كان بقراءة ورش»[1].

رابعا: اتصال السند في جميع العلوم:

إن حفظ الله ﷻ لكتابه الكريم لم يقتصر علىٰ رواية ألفاظ القرآن الكريم، بل سرىٰ ذلك الحفظ إلىٰ سنة المصطفىٰ ﷺ، وإلىٰ جميع علوم القرآن والسنة، ولعله سر استعمال الذكر في قوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]؛ فبما أن السنة من رسول الله ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ، فالذكر في الآية يشمل الكتاب والسنة علىٰ سواء، فكلاهما منزل من الله، وإن كان القرآن منزلاً بلفظه ومعناه، والسنة منزلة بمعناها دون لفظها، وكان من صور حفظ الله تعالىٰ لهذا الذكر أن قيض له علوما وضعت لحفظ ألفاظه من التحريف، وضبط كل ما يتعلق به من المعنىٰ، فكان لتلك العلوم أسانيدها كما كان للكتاب والسنة أسانيدهما، إيمانا بقول الإمام عبد الله ابن المبارك: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)[2].

ومن خير ما يعبر عن اتصال الأسانيد الليبية في جميع العلوم ما قاله شيخنا العلامة الدكتور القطعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلىٰ سبيل المثال بيني وبين الشيخ سالم السنهوري ثمانية وسائط، أولهم فقط مغربي من الرباط، والسبعة الآخرون ليبيون، أحمد القطعاني، عن شيخنا أ.د. إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني، وهو من الرباط بالمغرب، عن الشيخ أحمد الشريف السنوسي، عن الشيخ عمران بن بركه

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 16.

(2) مقدمة صحيح الإمام مسلم، ص: 9.

الفيتوري، عن الشيخ أحمد بوطبل الورفلي، عن الشيخ عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر الحساني المعروف بالشيخ السوداني، عن والده، عن الشيخ محمد الصالح بن حامد بن حامد بن محمد بن عبد الله الحضيري، عن محشي وشارح مختصر خليل الشيخ علي بن أبي بكر الحضيري، عن الشيخ سالم بن محمد السنهوري، ومع هذا أذكر سنداً ليبياً مساوياً له في العلو؛ لأنه ليبي محض، أحمد القطعاني، عن شيخنا محمد المكي حسان، عن الشيخ عبد الرحمن العجالي، عن الشيخ عمران بن بركة الفيتوري، عن الشيخ أحمد بوطبل الورفلي، عن الشيخ عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر الحساني المعروف بالشيخ السوداني، عن والده، عن الشيخ محمد الصالح بن حامد بن حامد بن محمد بن عبد الله الحضيري، عن محشي وشارح مختصر خليل الشيخ علي بن أبي بكر الحضيري، عن الشيخ سالم بن محمد السنهوري»[1].

ومن الجدير بالذكر هنا الحديث المسلسل بالليبيين علىٰ ما سماه به كتابنا (أوبة المهاجر)، وهذا نصه: روىٰ الشيخ العلامة أحمد القطعاني عن شيخه محمد صباكة، عن علي بن أمين سيالة، عن محمد الضاوي، عن الأستاذ محمد بن عبد الله البوسيفي المشهور بلقب عيون الغزال، عن أستاذ مدرسة تاجورا الشهير الشيخ أحمد بن محمد النعاس، عن محمد عبد الحفيظ النعاس، عن عبد السلام بن عثمان التاجوري - وهنا ينتهي الليبيون في السند -، عن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري المدني، عن الشيخ الصفي أحمد بن محمد القشاشي المدني، عن الشيخ أحمد بن بن علي الشناوي، عن والده الشيخ علي بن عبد القدوس الشناوي، عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن الشيخ زكريا بن محمد الفقيه، عن العارف بالله الشيخ محمد زين الدين المراغي

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 23 – 24.

العثماني، عن الشيخ شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي العقيلي، عن الشيخ المسند أبي الحسن علي بن عمر الواني، عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، عن شيخ الشيوخ عبد الوهاب بن علي بن سكينة البغدادي، عن الشيخ أبي الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي، عن الشيخ الحافظ أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، عن الشيخ أبي محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراحي المروزي، عن الشيخ أبي العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبي المروزي، عن الحافظ أبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن ثورة الترمذي صاحب الجامع الصحيح، قال: حدثنا عمربن حفص الشيباني البصري، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرنا يحيىٰ بن أيوب، عن ربيعة بن سليم، عن بشر بن عبيد الله الحضرمي، عن رويفع بن ثابت الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يسق ماءه ولد غيره)[1].

خامسا: ازدهار علوم الحديث:

إن كتاب (أوبة المهاجر، وتوبة الهاجر) سجل حافل في كل صفحاته المتلألئة لازدهار علوم الحديث في الأراضي الليبية بطولها وعرضها، ولقد صور الكتاب لذلك صوراً مشرقة في عدة مدن ليبية منها مدينة طرابلس، ومدينة بني وليد، والجغبوب، وغدامس، وغيرها، وكان من أثر ذلك أن خرج من تلك المدن الليبية النابغون من المحدثين والحفاظ والمسندين[2]. وفي ذلك تنبيه للناشئة من هذه البلاد الطيبة علىٰ رد الأمور إلىٰ نصابها من خلال إنعاش تلك المجالس الحديثية من جديد حتىٰ تكتمل المدرسة المغربية الليبية بالعلوم النقلية والعقلية سواء بسواء

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 53 – 54. والحديث حسن أخرجه الترمذي في سننه.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 53 – 54.

انطلاقـًا من القرآن الكريم وقراءاته، ووصولاً إلىٰ علوم الحديث الشريف، وانتهاء بعلوم الفقه وأصوله، وكل علوم الوسيلة والغاية.

وهذه أهم المعالم التي وفقني الله لاقتناصها من كتاب (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) علىٰ أنه بحر لا ساحل له بما فيه من الكنوز المعرفية، والجواهر العلمية التي لا يصل إليها إلا غواص ماهر، وأسأل الله أن يكون فيما كتبت إفادة في ميادين العلم والمعرفة، ومساهمة في صيانة الهوية الإسلامية التي يحاك لها كل وسائل التدمير من الداخل والخارج، وهي تقف صامدة كالطود الشامخ.

المبحث الثاني: دور المدرسة المغربية الليبية في الحفاظ على الهوية الإسلامية.

إن من أهم ما يتجلىٰ في كتابنا النفيس (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) الأدوار البارزة التي قدمتها المدرسة المغربية الليبية للثقافة الإسلامية بكل مظاهرها وظواهرها بما يفيد أن البلاد الإسلامية في إثراء الثقافة الإسلامية بمنزلة أعضاء الجسد الواحد، لكل عضو مهامه ووظائفه التي لا يستغنىٰ عنها، ولا يسد غيرها مسدها، بحيث لا يصح بحال من الأحوال أن ينكر لأي بلد جهوده الطيبة في هذا المجال.

غير أن سنة الله التي خلت في الكون من التفاوت بين الأشياء قد اقتضت أن تكون بلاد العالم الإسلامي متفاوتة في بناء صرح الثقافة الإسلامية، والحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية، وكانت البلاد الليبية من الطراز الأول في هذا المجال، ولم لا وقد كانت موضع الانطلاق لنشر الإسلام في إفريقية، والمغرب العربي كله منذ مهد الإسلام الأول حيث كان الصحابي الجليل رويفع الأنصاري واليا علىٰ طرابلس

المغرب، وكان منها انطلاقه إلىٰ غزوة إفريقية في سنة سبع وأربعين للهجرة النبوية الشريفة كما قرر ذلك الإمام الذهبي[1].

ويضاف إلىٰ دور هذه المدرسة في نشر الإسلام ريادتها الأصيلة في نشر العلوم حيث كان نشر الموطأ إلىٰ المغرب العربي كله علىٰ يد ابنها النجيب، وهو الإمام علي بن زياد الطرابلسي[2]، وكان أول شرح علىٰ صحيح الإمام البخاري علىٰ يد أبنائها، وكان ثاني شرح علىٰ موطأ الإمام مالك علىٰ يد أحد علمائها، وهو الإمام أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي[3]، وكانت المدرسة الليبية أول مدرسة مالكية في المغرب العربي، والقارة الأفريقية، وهي المدرسة المستنصرية التي أسسها العلامة الليبي عبد الحميد بن أبي الدنيا، في حدود سنة 655هـ و658هـ[4].

ومما يجب ذكره في هذا المقام مشاركة المدرسة الليبية في إثراء علوم الحديث، حيث إن علوم الحديث أقوىٰ وسيلة للحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية، وصيانتها من عبث العابثين، ولذلك كانت عناية المستعمرين بعلوم الحديث كبيرة لا تخفىٰ علىٰ أحد، ولم يكن ذلك إلا لإدراكهم أنها جوهر الهوية الإسلامية، وزعزعتها تعني ضرب الأمة الإسلامية في المقتل.

ودور المدرسة الليبية في هذا المجال كالشمس في وضح النهار، وقد سبقت الإشارة إلىٰ أن ثاني شراح موطأ الإمام مالك هو أحمد بن نصر الداودي

---

(1) سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج3، ص 36.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 16 – 17.

(3) تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج28، ص 56 – 57. وترتيب المدارك، مصدر سابق، ج7، ص 102 – 103. وأوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 16 –17.

(4) أوبة المهاجر، مصدر سابق، نفس الصفحات.

الطرابلسي، كما أنه أول من حمل نسخة الموطأ إلىٰ المغرب العربي[1]، وأنه أول شراح صحيح البخاري، حيث ألف كتاب النصيحة[2]، وفي ذلك مشاركة كبيرة في نهضة علمي الحديث والفقه علىٰ حد سواء، ويضاف إلىٰ ذلك أن الإمام أحمد العجلي الطرابلسي كان مقدما علىٰ الإمام البخاري عند المغاربة، ومشهودا له بأنه أسبق من الإمام أحمد بن حنبل في طلب العلم، وكان حجة في علم الجرح والتعديل، وخلفه في ذلك أنجاله صالح، وعبد الله، ويوسف[3]، وكانت رواية الإمام أبي جعفر الداودي الطرابلسي لصحيح البخاري أعلىٰ الروايات من حيث العدد، وفي ذلك يقول الإمام ابن حجر العسقلاني: «وأما رواية الداودي فهي أعلىٰ الروايات لنا من حيث العدد، أخبرنا بها المشايخ»[4].

ويحفظ لأهل ليبيا فضل الحفاظ علىٰ رواية أبي ذر الهروي لصحيح البخاري من خلال العلامة الشيخ أبي الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي الملقب بـ(مسند الحرم)، ولولاه لافتقدت هذه الرواية واندثرت[5]، ويعبر عن ذلك (أوبة المهاجر، وتوبة الهاجر) بقوله: «وحافظت ليبيا حتىٰ اليوم علىٰ أصح سند لصحيح البخاري مسلسلا بسماع كامل صحيح من وقتنا إلىٰ الإمام البخاري رضي الله عنه، وهو ما لا يوجد في كل بلاد العرب بما فيها مكة المكرمة، والمدينة المنورة إلا في ليبيا واليمن فقط»[6].

---

(1) أوبة المهاجر، نفس الصفحات.

(2) أوبة المهاجر، نفس المصدر، ج1، ص 21.

(3) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 19.

(4) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، ج1، ص 6.

(5) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 21.

(6) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 22.

الخاتمة:

هذه خاتمة هذا البحث المتواضع، وقد وفقنا الله من خلاله إلىٰ عدة نتائج علمية يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولاً: أن لبلاد ليبيا مدرسة علمية عريقة لا تقل عن كل المدارس العلمية المشهورة المعروفة في العالم العربي والإسلامي.

ثانيًا: أن المدرسة المغربية الليبية لها سماتها الجوهرية التي تتسم بها المدارس الإسلامية الكبرىٰ كالمدرسة المصرية الأزهرية، والمدرسة المغربية الفاسية، والمدرسة التونسية الزيتونية من أشعرية المعتقد في الأصول، والانتساب إلىٰ المذاهب الأربعة في الفروع، وصوفية السلوك والمشرب.

ثالثًا: أن المدرسة المغربية الليبية لها أدوارها البارزة في إثراء الثقافة الإسلامية، والحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية.

رابعًا: أن المدرسة المغربية الليبية لها عناية خاصة بعلوم الحديث الشريف، ولها أسانيد وروايات تتميز بها عن جميع المدارس الحديثية.

خامسًا: أن كتاب (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) سجل حافل لتارخ الجماهرية الليبية في العلم والمعرفة يجب علىٰ كل مخلص لهذه البلاد أن يهتم به، ويجب أن يحظىٰ بدعم كبير من الدولة والجامعات العلمية الليبية، والزوايا المعنية بالعلوم الإسلامية في ليبيا علىٰ الخصوص وفي العالم الإسلامي علىٰ العموم.



الشيخ العلامة المحدث ومسند الديار الليبية
الدكتور أحمد القطعاني
من خلال الثبت الكبير (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر)

د. فدوى اجمولة
باحثة في التراث والتصوف بأكاديمية الرباط- المغرب



تمكن العلامة أحمد القطعاني من علوم الحديث الشريف، فكان الشيخ العارف بأسراره، امتلك القدرة على فهمه دراية ورواية، وتبوأ درجة عليا في ذلك. وكان أحد كبار محدثي زمانه، تلقى علوم الحديث على أيدي شيوخ، أجازوه واتفقوا على تمكنه وتفوقه وأثبتوا له ذلك. وكان عارفًا حاملاً مصادر الحديث الأصلية التي لها قيمة أعلى من غيرها، ومطلعًا على مصادر تراجم مشايخ الحديث[1]. وقد خدم هذا العلم وفروعه وترك أثراً قويًا من خلال تآليفه العديدة، ومنها الثبت الكبير «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»، وقد سماه كذلك قاصداً أوبة علوم الحديث[2]، ومجالسه، وسلاسل رواته، ومروياته وأسانيده، وتراجم رجاله

(1) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشر، 1996م.

(2) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، نشر دار بشرى وكلثوم، الطبعة الأولى 2021م، ج 1، ص 54.

المهاجرة إلىٰ ربوع البلاد من جديد، وحث القادرين علىٰ طلبه علىٰ التوبة من هجرانه.. والقصد أيضاً أن كلام المتطاولين علىٰ خلو ليبيا من الحديث الشريف بلا علم أصبح هجراً لا قيمة له، ودليله هذا الثبت، وينبغي لهم التوبة مما قالوا، وقد سمىٰ قسمين من كتابه بقسمي العنوان أحدهما «أوبة المهاجر» والآخر «توبة الهاجر». وهو كتاب حديثي تصدر مؤلفات زمانه، وقد جمع بين علوم ومعارف وفيرة أساسية وفرعية، منها علم التاريخ، والجغرافيا، والفهارس، والمعاجم، والإسناد، والرواية، والمكتبات، والمخطوطات، والإجازات، والتصنيف، والمشيخات، والأثبات ومفردها الثَّبَت[1] وهو «ما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره»، والفهارس[2]، وتعني الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه كأنه أخذ من الحجة لأن شيوخه وأسانيده حجة، وفي اصطلاح المحدثين ما تذكر فيه الأحاديث علىٰ ترتيب الصحابة أو الشيوخ[3]، وحقق ثبت العلامة القطعاني مقاصد علمية وتاريخية كثيرة، لذلك يستحق أن تقبل عليه الدراسات الحديثة باستمرار، لأنه يوثق حركة حديثية حديثة، فالشيخ لم يكن معزولاً عن علماء عصره، وشكل حركة في الإسناد والرواية، وغرس سلوك الزيارة، والحضور، والسماع، والإملاء، والتقييد، والمناولة، والإجازة، والمصافحة علماً وتجربةً وتأليفاً، فهذا الكتاب نهر أصيل جاري لا ينضب، يعكس نشاط الشيخ وعلمه بفضل سعيه إليه، وقد أفاد من الأسباب التي سخرها الله له، فألفه في خضم الحياة الحديثية التي عاشها وسعىٰ

(1) علم الأثبات ومعجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، موفق بن عبد الله بن عبد القادر، جامعة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، 1421ه، ص 18.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ص 16.

إليها دون وهَن أو تراجع، حتىٰ وصل ووشج بين مجاله الجغرافي المشرقي والإفريقي، وبين ماضي علوم الحديث وحاضرها ومستقبلها.

وقد أثبت العلامة القطعاني في كتابه أن جل المحدثين والمسندين كانوا صوفية في عصر، وأكد اتصال علوم الحديث بالتصوف، وهو يُعَرِّفه بقوله: «يسمىٰ علم التزكية، وعلم الأخلاق وهو روح الشرع بما يعنيه من توبة ومراقبة الله وورع ونقاء سريرة وإخلاص واجتهاد العبادات»[1]، وهو من المتصوفة المجتهدين العاملين الفاعلين المتدرجين في المقامات، يستثمرون وقتهم في العمل والعبادة.

العلامة القطعاني محدثا:

يرىٰ الحافظ ابن حجر أن من اقتصر علىٰ معرفة الاصطلاح المتعلق بالأنواع حتىٰ فهمه وصلح أن يدرسه ويفيده فهذا يقال له عالم بعلوم الحديث، ولا يسمىٰ محدثا أصلا[2]. ونبه العلامة القطعاني لذلك ودعا للتمييز بين العالم والمحدث والمسند، لذلك ذكر أسماء شيوخ يشك في نسبة صفة «المحدث» و«المسند» لهم، ترِد أسماؤهم في كتب الأثبات والفهارس، وينبه علىٰ غموض الصفة، ولا يحسم في ذلك، ويذكر أسماء العديد منهم[3]، والمحدث من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ويطلع علىٰ الروايات وأحوال رواتها، وله عناية بأحاديث رسول الله ومن أبرز المحدثين ؛ أصحاب كتب السنن الستة وهم ؛ البخاري، ومسلم، وأبو داوود،

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص1.

(2)- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين السخاوي، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، نشر دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ 1999م، ج1، ص25.

(3) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج 1، ص 41.

والنسائي، والترمذي، وابن ماجة، ومنهم من اشتهر بشرح الصحيحين ؛كالنووي، وابن حجر العسقلاني، ومن الفقهاء؛ أحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، والسيوطي، ومن المؤرخين شمس الدين الذهبي، والحاكم النيسابوري، وابن كثير الدمشقي، وأبي بكر بن خيثمة، والدينوري، والسخاوي.. ومن القراء؛ الدار قطني، وابن الجزري.

وقد ذكر الشيخ القطعاني رحمه الله تعالىٰ كتب الحديث التسعة التي أخذ عنها وهي[1]، صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن الترمذي، وسنن أبي داوود، وسنن ابن ماجة، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدرامي. وقد صنف الشيخ القطعاني[2] الأحاديث النبوية وأحصاها كالتالي:

الأحاديث المشهورة	11830
الصحيحة	4400
أحاديث الصحيحين البخاري ومسلم دون تكرار	2980
أحاديث التشريع	465
ما انفرد به البخاري دون مسلم	680
ما انفرد به أبو داود علىٰ الصحيحين	2450
ما انفرد به الترمذي علىٰ الصحيحين وأبي داود	1350
ما انفرد به النسائي علىٰ مسلم والبخاري	2400

(1) نفس المصدر، ج1، ص12.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

ما انفرد به ابن ماجه على البخاري دون مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي	600
ما انفرد به ابن مالك على البخاري دون مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة	50
الأحاديث المشتركة في الكتب التسعة	8

وللمحدثين ألقاب ودرجات منها؛ «الحجة»، و«الحاكم» وهو لقب لمن يحفظ كذا مئة ألف بيت، وترتيبهم حسب ملتقى الخطباء ؛ الراوي، والشيخ.. والمحدث وهو العالم بعلم الحديث، وأحوال رجاله، وكتب الحديث، والمسند، والحافظ، والحاكم، وأمير المؤمنين وهو لقب البخاري. ودرجات أهل الحديث في كتاب «تذكرة الحفاظ»[1] هي ؛ المسند، المحدث، الحافظ، الحجة، الحاكم، أمير المؤمنين..

صحيح البخاري في ليبيا:

حرص الشيخ القطعاني على توثيق بداية حركة الحديث الشريف في ليبيا، لذلك تتبع دخول صحيح البخاري إليها عن طريق العالم أبي الحسن المقابسي (ت 403هـ) في القرن الرابع الهجري[2]، ومن أهم كتب المالكية الشارحين له «النصيحة في شرح البخاري» لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ) وقد سعى العلماء إلى لقائه والأخذ عنه، ولعل من بينهم أبا القاسم حاتم بن محمد

(1) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، دائرة المعارف العثمانية، 1960م، ج1، ص 4.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص21.

الطرابلسي (469هـ) وواصلوا شرحه بعد وفاته، وشرح الخطابي (388هـ) صحيح البخاري في «أعلام الحديث»[1] قبله، ويرجع الفضل في استمرار رواية أبي ذر الهروي للشيخ أبي الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي (ت 576هـ)، إذ كان يعقد مجلس إملاء صحيح البخاري خلال رجب وشعبان ورمضان في مساجد بعدة مدن منها؛ بنغازي، درنة، مصراتة، زليتن، مرزق، وغدامس، وطرابلس.. وتابع عدة محدثين ذلك وهم ؛ الشيخ محمد العربي، فخلفه محمد كامل باشا بن مصطفىٰ (ت 1325هـ)، والشيخ عبد الرحمن البوصيري الغدامسي (ت 1354هـ)، والشيخ عمر بن محمد بن أحمد بن عمر المسلاتي (ت 1342هـ)، والشيخ محمود بن عمر المسيلاتي (ت 1406هـ)، والشيخ علي الغرياني (ت 1395هـ)، والشيخ محمد صبحي (ت 1434هـ) ثم اقتصر علىٰ ليلة السابع والعشرين من رمضان، فتوقف عام 1419هـ - 1999م. وصنف العلامة القطعاني الأئمة الأكثر رواية كما يتبين في الجدول، ثم ترجم شيوخه وعرف بهم، وذلك يندرج في علم التراجم والمشيخات.

الإمام حنبل	40 ألف حديث
الإمام الشافعي	5000 حديث
الإمام مالك بن أنس	
الإمام أبو حنيفة	500حديث

(1) أعلام الحديث، أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق محمد بن سعد بن عبد الرحمن، جامعة أم القرىٰ، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة 1ـ1988م.

شيوخ العلامة القطعاني في الحديث:

وقف العلامة القطعاني في ثبته الحديثي هذا عند شيوخه الأربعة عشر في العلم الشريف وهم ؛ شيخ الطريقة العيساوية سيدي محمد بن الحاج الهاشمي آل الشيخ (ت 2000م) بمكناس، والشيخ أحمد الخليفي بطنجة، وذكر سبعين شيخا[1] آخرين هم شيوخه في الرواية، والإجازة، والمناولة، والسماع، اتصف جلهم بالصلاح والفضل والبركة وحسن العمل، وقد عرضهم بالترتيب، وفق انتمائهم المكاني لمدن ليبية، وبلدان عربية من المشرق والمغرب وتركيا، وجنوب إفريقيا، ثم ذكر آخرين في قوائم رتبها حسب التخصصات الحديثية، ونبه علىٰ تخصصات حديثية مهملة[2] وهي كتب المستخرجات، ومنها مستخرج أبي بكر الإسماعيلي، ومستخرج أبي بكر البرقاني، ومستخرج أبي نعيم الأصبهاني..

ويؤكد شيخنا القطعاني انتساب أقطاب الحديث في ليبيا للصوفية ومن أبرزهم الشيخ أحمد العجلي (ت 162هـ)، وأنجاله؛ صالح، وعبد الله، ويوسف، الذي قدم من الكوفة إلىٰ طرابلس، الشيخ محمد بن علي السنوسي. وقد أبرز أهم المدن الليبية المزدهرة بالحديث الشريف وهي؛ طرابلس[3] وبني وليد، ومدينة الجغبوب وفيها سيدي الشيخ محمد بن علي السنوسي وغدامس[4].

كما كان يعد العلامة القطعاني مشروعاً كبيراً لتنشيط علم الحديث وبعثه بقوة وهو تأسيس دار حديث[5] في طرابلس لكنها لم تر النور بسبب عراقيل كثيرة، لكنه

---

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج 1، ص 55.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 13.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 44.

(4) نفس المصدر، ج1، ص 47.

(5)نفس المصدر، ج1، ص51.

لم يتوقف عن تدريس الحديث الشريف في أكثر مكان، سيما في منزله، وتفرد بعنايته ودراسته لنوع من الحديث الشريف، سماها «الأحاديث التربوية»، أشار إلىٰ مفهومها بقوله: إن النبي ﷺ «قالها الرسول لرعاية ظرف زماني خاص لبلوغ مصلحة أو درء مفسدة أو علاج مشكلة[1]، وتوسع في هذا بدراسة وعرض نماذجه في كتابه «تحفة الحبيب الزائر»[2] الذي ألفه سنة 1994م، ثم في أوبة المهاجر، وهو نوع ليس من صنف الناسخ والمنسوخ.

مجالس الحديث النبوي:

كان الشيخ العلامة أحمد القطعاني ذا نظرة ثاقبة متطلعة إلىٰ المستقبل، رائداً له أفق واسع، مقبلاً علىٰ الطلاب يجيزهم، ويترجم شيوخه. حقق مهام المحدِّث الفاعل العامل المخلص لمهام المحدثين من تحمل، ورواية، وضبط المتون والأسانيد، وإجازة الطلاب، وقراءة الأحاديث وتفسيرها وتصنيفها، وختْم كتب الحديث ترتيلاً وقراءة، والتمييز بين مذاهب المحدثين وعقائدهم، وكان متنقلاً زائراً يعقد مجالس الحديث أينما حل وارتحل، يتواصل مع محدثي وعلماء عصره. وقد حرص الطلاب علىٰ حضور مجالسه وتوثيقها زمناً ومكاناً، وتقييد الأسانيد والمسلسلات التي يمليها عليهم في الدفاتر، إذ يجيزهم الشيخ ويأذن لهم بروايتها عنه، وهو ينتقل بالتدرج من مسلسل إلىٰ آخر، وعند إنهاء كل مسند يجيزهم بنفس الصيغة «أجزتكم به»، ويسمي أول حديث المجلس «الحديث المسلسل بالأولية» وهي إما أولية حقيقية أو إضافية، وآخر حديث المجلس «حديث المصافحة»

(1) نفس المصدر، ج1، ص106.

(2) تحفة الحبيب الزائر، مخطوط، الشيخ القطعاني، 1994م.

يكرره دون انقطاع، وهو يصافح طلابه واحداً واحداً بيده على التوالي حتى تنتهي المصافحة، فينتهي المجلس. وأثناء إملاء الأحاديث قد يقف عند أحاديث يرى أنها تحتاج تفسيراً مثل؛ أحاديث التيمم، أو أحاديث الآيات وسور القرآن فيشرحها، ولا يتوانى الشيخ في تأكيد وصيته للطلاب ؛ فهو دائم التأكيد على ضرورة الحفاظ على أمانة الإسناد واستمرارها، فهو يكلفهم بمهام حديثية هامة تحفظ استمراره. وهيئة الشيخ وطلابه علمية دينية محافظة محضة تشي بالهيبة والحشمة والوقار وتقدير العلم والمجلس، وهي أمور تيسر سياق العطاء والنقل.

الشيخ القطعاني المسنِد:

عَرَّف العلامة القطعاني الإسناد وبين قيمته وأهميته واستشهد بأقوال أئمة في ذلك، وميز بين المسنِد[1] والمحدِّث، فالمسند من انتظم في سند روايةٍ أجمعوا على صحة روايته وقَبُولها دون تردد أو شائبة، والإسناد مجموعة من الرواة يتوصل بهم إلى متن الحديث، والشيوخ هم الإسناد[2] لولاهم ما كان سند أو اتصال أو أخذ، ولا سند بدون شيخ، سواء كان عنده علم بالحديث أو ليس له إلا مجرد روايته، وأما المحدث فهو أرفع منه[3].

و الشيخ القطعاني مسند يروي عن سبعين شيخا تتصل أسانيدهم، وتشمل أسانيده كل كتب الحديث وأثباته ومراجعه، بمسندين ومحدثين متمكنين من

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج 1، ص 41..

(2) نفس المصدر، ج 1، ص 47.

(3) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ص43.

مختلف دول العالم، وله خمسة وثلاثين كتاباً من الأثبات، وواحد وثمانين منتخباً من أسانيد كتب الحديث الشريف على أربع وأربعين طريقة.

ويقول ابن جماعة في كتابه «المنهل الروي في مختصر علوم الحديث»[1]: «ليس المقصود بالسند في عصرنا إثبات الحديث المروي وتصحيحه، إذ ليس يخلو فيه سند عمن لا يضبط حفظه أو كتابه، ضبطاً لا يعتمد عليه فيه، بل المقصود بقاء سلسلة الإسناد المخصوص بهذه الأمة فيما نعلم، وقد كفانا السلف مؤونة ذلك، فاتصال أصل صحيح بسند صحيح إلى مصنفه كاف، وإن فقد الإتقان في كلهم أو بعضهم.

والشيخ القطعاني مسند ومحدث ليبي يحقق استمرارية مسلسلات الحديث الشريف في زمنه، فهو مسند من أسانيد تتكون من شيوخ كبار مسندين، يعرفهم ويترجمهم ويبين مذاهبهم ومعتقداتهم، ويعرض في كتابه عديداً من الأسانيد المنقطعة والمتصلة، ويميز بين المسلسلات، وعلم الأثبات أي تدوين مسلسلات أسانيد الحديث المعاصرة في كتب تسمى كتب الأثبات، والسلاسل بينها اتصال لا انقطاع فيه عبر عصور ومراحل تاريخية، وعقد مجالس الحديث في ليبيا وخارجها لنقل الأسانيد - كما بينا من قبل - وأجاز وفوداً عديدة من الطلاب المستجيزين في أقطار إسلامية عدة، وبذلك يحيي علم الأثبات ومعاجم المشيخات» [2].

---

(1) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، الطبعة 2، دمشق 1406ه، ص 16.

(2)أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج 1، ص21.

ضوابط القطعاني في الإسناد والمتن:

وبين العلامة القطعاني أن الأحاديث التي وصلتنا عددها قليل بالنظر إلىٰ عمر رسالة الرسول الكريم، وقيمة القرآن في الدين وصلته القوية بالحديث الشريف، كما وضح أن الشيعة أيضاً لهم مروياتهم من الحديث رغم محدوديتها، وتحدث عن علوم الحديث مستدلاً بآيات القرآن، وعرض ضوابط المتن السبعة[1] كالتالي: موافقة القرآن الكريم، وأن يعرف ويشرح، ويستشهد بالقرآن، ويأتي بآراء الأئمة، ويقدم أمثلة للأحاديث، وموافقة حقائق الدين[2]، وموافقة الفطرة السوية[3]، وتأييد العقل الراشد[4]، وموافقة ثوابت العلم التجريبي[5]، وقانون العمومية[6]، والقول والقائل[7]. وضوابط السند السبعة وهي ؛ صحة السند لا تعني صحة المتن، ولا تساهل في وثاقة طرق السند[8]، وبركة في علو السند بطريق فيها مغامز[9]، ورواية عن المجاهيل، والراوي قبل المروي[10]، ولا اعتبار إلا لإجازة التعيين[11]، ولا

(1) نفس المصدر، ج 1، ص 63.

(2) نفس المصدر، ج 1، ص81.

(3) نفس المصدر، ج 1، ص86.

(4) نفس المصدر، ج 1، ص89.

(5) نفس المصدر، ج 1، ص91.

(6) نفس المصدر، ج 1، ص95.

(7) نفس المصدر، ج 1، ص105.

(8) نفس المصدر، ج 1، ص113.

(9) نفس المصدر، ج 1، ص124.

(10) نفس المصدر، ج 1، ص126.

(11) نفس المصدر، ج 1، ص127.

عبرة بكثرة الشيوخ أو قلتهم[1]، وهو الحريص على تحقق هذه الضوابط في الإسناد لدرايته بأهميتها في الحفاظ عليه.

أسانيد المحدثين الليبيين:

جمع الشيخ القطعاني أسانيد المحدثين الليبيين الأوائل قصد حفظ تاريخ سلفه المحدثين من الضياع، ووثق اسم ليبيا ضمن دول الحديث الشريف، والتواصل مع طلاب الحديث من مختلف الأقطار، وقد جمع الأسانيد من مظان كثيرة في دول عربية عديدة، وفي ذلك إحياء مكرمة إصدار الأثبات والفهرسات من جديد بعد ثمانين سنة من وفاة صاحب آخر ثبت ليبي وهو سيدي أحمد الشريف السنوسي. وعقد مجالس سماع الحديث في ليبيا وخارجها وأجاز مئات الطلاب، ووصل أسانيد غابرة كادت تموت منها؛ سند علي بن زياد الطرابلسي، وابن زكرون، وعبد السلام بن غالب المصراتي، ومحمد الخروبي، وأبو الحسن بن المنمر، ويحيى البرقي[2]، وأظهر أقدم سند صوفي ليبي «سند الشيخ شعاب» (ت 243هـ).

تصنيف إسناد الحديث:

عرض العلامة القطعاني في مؤلفه «أوبة المهاجر» عدة أنواع من الإسناد هي المسلسل بالأولية[3]، وهو أول ما يرويه الطالب المجاز عن شيخه، بالأولية الحقيقية أوالإضافية، ومن هذا النوع «حديث الرحمة» الذي عرضه بعد مقدمته

(1)نفس المصدر، ج 1، ص133.

(2) نفس المصدر، ج 1، ص 50.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 6.

ورُوي بأزيد من مائة طريقة كل منها يختلف عن الآخر. وذكر أن حديث الرحمة له أسانيد منها ؛ سند الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن علي الشابي، عن العلامة الطاهر بن عاشور، عن إدريس الكتاني، والشيخ إدريس التاشفيني، وكلاهما عن عيد الحي الكتاني.

وأوجد الشيخ القطعاني «الحديث المسلسل بالليبيين»[(1)]، ولم يُرْوَ قط منفرداً بالتسلسل، وهو يروي الجامع الصحيح للترمذي وجاء في السنن المذكورة، وقد جرَّده من متنه حتىٰ يبرز تسلسله، وقد فصل الحديث في هذا النوع في كتابه «كرائم المسلسلات»[(2)] و« غنائم المسلسلات»[(3)]، ويلاحظ الشيخ أن جل الأحاديث المنسوبة للأماكن لا يوجد منها واحد متصل من أوله إلىٰ آخره من عين البلد، والمسلسلات ما كان التسلسل فيها من مبتدأ السند إلىٰ منتهاه، وفيها المنقطع، وتعد ليبيا من البلدان غير القديمة من حيث دخول الإسلام، وقد عرض سنده في الحديث المسلسل بالتلقيم[(4)]، وقدم بحثا مختصرا في الحديث المسلسل بأخذ العصا[(5)]، والحديث المسلسل بمناولة السبحة[(6)]، ومنها سبحة الشيخ زروق[(7)]، والمسلسل بالنظرة وتحقق للشيخ أبي عبد الله محمد بن عطية بن فاضل الغرابلي الطرابلسي الذي أخذ عن سيدي الإمام علي بن محمد العلوي الغزالي الشاذلي

(1) نفس المصدر، ج2، ص51، 54.

(2) كرائم المسلسلات، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم للنشر، الطبعة الأولىٰ 2016م، ص69.

(3) غنائم المسلسلات، مخطوط، الشيخ العلامة أحمد القطعاني، ألفه سنة 2016م.

(4) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص311، 313.

(5) نفس المصدر، ج1، ص 316.

(6) نفس المصدر، ج 1، ص 324.

(7) نفس المصدر، ج1، ص327.

ونظر إلىٰ وجهه راويا المسلسل بالنظرة، وهكذا إلىٰ إمام الواصلين عبد القادر الجيلاني. والمسلسل بقراء همزية البوصيري، والمسلسل بالمصافحة، وقد فصل في أنواع كثيرة في مؤلفه «كرائم المسلسلات» السابق الذكر.

الإجازات التي حصل عليها العلامة القطعاني:

يتوفر الشيخ القطعاني علىٰ أزيد من ست وسبعين إجازة[1] خاصة وعامة، من شيوخ أعلام لهم دراية ومعرفة قوية بعلوم الحديث الشريف، ينتمون لبلدان عربية وإسلامية كثيرة في العالم، مما يبين أن الشيخ كانت له تنقلات وأسفار علمية فيها أخذ وعطاء، اتصال وتواصل بينه وبين علماء الحديث، حرصاً منه علىٰ ترسيخ هذه العلوم واستمرارها عبر أجيال، وقد عرض تراجم شيوخه الذين أجازوه ونصوص الإجازات التي حصل عليها منهم، وأولها إجازة والده الشيخ سالم كريم[2]. وقد تشابهت التراجم والإجازات من حيث مكوناتها الموضوعية، إذ تتضمن ترجمة الشيخ غالبا ؛ الاسم، والنسب، والمذهب، والمجال المعرفي، والقيمة العلمية، وسنة الولادة، والظروف التاريخية لليبيا في فترته، ومسيرته العلمية، والمناطق التي تنقل فيها، وإنجازاته ومَشْربه الصوفي، ومصافحاته، ومنجزاته العلمية، ووفاته، ودفنه ورثاؤه، مع إضافات أو تغييرات تفرضها حياة وتجارب المترجمين، وتستغرق الترجمة غالباً ما بين ثمانٍ وعشر صفحات، وقد تتضمن الترجمة مقاطع من شعر المترجَم، ولبسه الخرقة، أو القلنسوة، وصلته بالدف، ومصافحة شيخه،

(1) وذكر إجازة الشيخ مختار السباعي ص 145، حتىٰ وصل إلىٰ إجازة الشيخ محمد غازي حسين آغا المكناسي، ص467.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 136.

وقد يقف عند ترجمة شيخ المترجَم أيضاً، ونص الأسانيد والمسلسلات التي سمعها المترجَم، وختمه كتب الحديث[1]. ويتضمن نص الإجازة غالبا مما يلي: البسملة، والحمدلة، وقيمة الإسناد، وصيغة الإجازة: «إنني حفاظا على الأسانيد أجيز.. في الرواية»، ثم يذكر السند الذي يروي عنه، ووصية للمجاز «أوصي الآخذين بالتقوىٰ» وتتضمن تاريخ الاجازة[2]. فالتراجم توثق حياة رجال الحديث في عصر العلامة القطعاني، ومسارهم العلمي وتكوينهم وأهليتهم، ونصوص الإجازات توثق أهلية الشيخ القطعاني المسند واتصاله بالأسانيد، وهو لا يتصل بمجهولين، بل بشيوخ معروفين تحملوا أمانة الإسناد وسخروا لها حياتهم، وتيسر تراجم الشيوخ توطينهم في مجالهم الجغرافي مما يجعل الشيخ يميز الأسانيد الليبية من غيرها، كما تعد التراجم صورة حياة الصوفية وعلاقتهم بالله وعبادته وإصرارهم علىٰ تحقيق رسالتهم العلمية والدينية، وهذا ما فصل فيه في موسوعته «التصوف والطرق الصوفية في ليبيا منذ الفتح الإسلامي»[3] التي تعد -بحق- مصدراً صوفيّاً تاريخيّاً ينقل بحنكة الحركة الصوفية في ليبيا عبر التاريخ.

السند الليبي:

أحيا العلامة القطعاني الأسانيد الليبية وضبطها ووثَّقها ودرسها وحررها، وغرضه في ذلك سَدُّ فجوة في الثقافة الإسلامية المدونة، وجعل أسانيد الليبيين

(1) نفس المصدر، ج1، ص 144.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 145.

(3) موسوعة القطعاني التصوف والطرق الصوفية في ليبيا منذ الفتح الإسلامي (21ه - 644م) إلىٰ (1421ه - 2000م)، أحمد القطعاني، دار الغريب، القاهرة، 2013م.

متداولة، واسترجاع المهاجرة منها، وتوطيدها بالبلاد الليبية، وإعادة نشرها حتىٰ يعرِّف بها وبالمحدِّثين الليبيين، ويصل جيل الحديث المعاصرين بالأسانيد الليبية. وحرص شيخنا القطعاني علىٰ عرض نماذج تصله بالشيخ محمد السنهوري، ومنها السند التالي، وعدد وسائطه سبعة:

الشيخ القطعاني	عن الشيخ إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني -عن الشيخ عمران بن بركة الفيتوري – عن الشيخ أحمد بو طبل الورفلي – عن الشيخ عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر الحسان المعروف بـ«السوداني» – عن والده – عن الشيخ محمد الصالح بن حامد بن محمد بن عبد الله الحضيري – عن الشيخ علي بن أبي بكر الحضيري – عن الشيخ سالم بن محمد السنهوري[1].	الشيخ سالم بن محمد السنهوري

ويوجد السند الليبي المحض وغير المحض، أي يمكن أن يتخلله مسند غير ليبي، والسند العالي والنازل، ويختلف السند الليبي من حيث عدد وسائطه ؛ فمنه سند ليبي الإسناد[2] أوله غير ليبي بثماني وسائط، وسند ليبي محض بسبع وسائط، وسند ليبي بعشر وسائط ليبية نازل عن سابقه بدرجتين، وسند بينه وبين الشيخ محمد بن العلاء البابلي عالياً بسبع رواة، وقد يترك الشيخ القطعاني سنداً عالياً

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص23.

(2) نفس المصدر، ج، 2 ص 24 – 25..

ليذكر أنزل منه بسبع رواة ليبيين، ومثاله سند بينه وبين الشيخ علي الأجهوري بثمانية رواة يتركه رغم علوه ليذكر سنداً ليبيّاً محضاً بثمانية رواة ليبيين بينه وبين الشيخ أبي الحسن علي الأجهوري. فخيارات السند الليبي عند الشيخ القطعاني ستة هي؛ السند الليبي كله، والسند الليبي أوله، والسند الذي به ليبيون متتابعون أو متفرقون، والسند الذي به ليبي ولو واحد، والأسانيد الأندلسية أو المتداولة في المغرب العربي، وما أوصل إلىٰ غايته وهنا يعتمد العوالي.

إجازات الشيخ القطعاني لطلابه:

كان للشيخ القطعاني شرف الرواية والاتصال بنسبة ما إلىٰ رسول الله، فأجاز أسانيده ومروياته ومشيخته ومسلسلاته مئات الطلاب من مختلف الجنسيات، وفي هذا تأكيد لمنهج السلف الصالح في حفظ اتصال السند والانتساب إلىٰ رجاله، حتىٰ يصل مرفوعا إلىٰ النبي ﷺ، لقد حفظت لنا دواوين كتب السنة وغيرها الأحاديث وغيرها بلا زيادة أو نقصان، ومُد حبل الوصل بين كتب السنة وغيرها، وبين من أراد الانتساب إليها حتىٰ يبقىٰ الإسناد سنة ماضية يأخذه الخلف عن السلف، والأصاغر عن الأكابر، ويبقىٰ للأمة سندها خاصة عن سائر الأمم. لذلك كان يعقد العلامة القطعاني مجالس السماع والإجازة الحديثية، والمسندات في دول كثيرة من العالم، حتىٰ يأذن للمستجيزين بالإسناد في الرواية[1]، والمقصود من الإجازات ليس اعتمادها في إثبات السنة أو الحكم بصحة السند وضعفه، ولكن الغرض سماع الحديث وروايته وتفسيره إذا استدعىٰ الحديث ذلك، وهذه مهمة حققها أئمة الحديث الكبار ومنهم البخاري بغرض تخريج الأحاديث الصحيحة المتصلة

(1) علم الأثبات ومعجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، مصدر سابق، ص 29.

واستنباط الفقه والسيرة منها[1]، والإبقاء على ميزة هذه الأمة في الإسناد وتحصيل زيارات حديثية مباركة.

تصويب ألقاب وأسانيد ليبية:

صوَّب الشيخ عدة أسانيد من خلال تواريخ وفاة الشيوخ، وقد ضبط أسانيد واردة في ثبت «نعمة المنان في أسانيد شيخنا أبي عبد الرحمن»[2]، وهو صبحي السامرائي محدث العراق، وثبت «بلوغ الأماني في التعريف بشيوخ الفاداني»[3]، ويتناول التعريف بشيوخ وأسانيد مسند العصر الشيخ محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي. كما صوَّب الشيخ القطعاني ألقاباً ليبية[4] واردة في معجم «تاج العروس»[5] للزبيدي، و«فهرس الفهارس»[6] للكتاني، وذلك بعد أن تتبعها في التراجم، وربطها بنسبها الأصلي، فصوَّب ليصحح ما أفسده اللحن المتداول

---

(1) شرح علل الحديث مع أسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث، مصطفى بن العدوي، مكتبة مكة بطنطا، ص 23.

(2) نعمة المنان في أسانيد شيخنا أبي عبد الرحمن صبحي السامرائي محدث العراق، محمد بن غازي البغدادي، مؤسسة المختار، وهو من كتب الأثبات والمشيخات.

(3) بلوغ الأماني في التعريف بشيوخ وأسانيد مسند العصر الشيخ محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي، محمد مختار الدين بن زين العابدين الفلمباني، دار قتيبة، الطبعة الأولى 1984م، سوريا.

(4) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج 1، ص 30.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، الطبعة الثانية، طبعة الكويت، ويتكون من 40 جزءا.

(6) فهرس الفهارس والأثبات والمشيخات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1982م.ويتكون من 3 مجلدات.

غير المقصود، وهنا يبدو جليّاً دور الانتماء الليبي، ودرايته بالثقافة الليبية، واطلاعه العميق على المصادر الحديثة واللغوية الأصيلة، وقدرته على المقارنة والوقوف عند الخطأ وتصويبه، وهذه التصويبات يمكن النظر إليها من خلال الجدول التالي:

المتداول	الصواب
القطاريني	القطراني
العاقوري	العقوري
المُكَنى	المكُنِي
إبراهيم العالم	إبراهيم اليزليتني
أبو الحلم الزموري	أبو الحكم المغبوب
الياصلي	عمران بن بركة الفيتوري
محمد الطاهر العاتي	محمد الطاهر الغاتي
أبو القاسم	بلقاسم محمد الطرابلسي الأزهري
منصور بو مدين المطرطي	منصور بو مدين المطردي

شح أسانيد ليبية[1]:

تحدث الشيخ القطعاني عن أسباب شح الأسانيد الليبية بسبب ظروف الاحتلال الإسباني لطرابلس في القرن العاشر الهجري، وتهجير المحدِّثين والمسندِين الليبيين، ونهب المكتبات وهدم المساجد والأضرحة والزوايا، وحب العلماء للمكتبات

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص37.

وحفظ ما تبقىٰ منها، فقد جمع الصوفي محمد الخروبي ما تبقىٰ من الكتب في زاوية الشيخ سهل (ت 673هـ) وجعلها أول مكتبة في ليبيا، وكان بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر (ت 981هـ) كتبا أحرقها يحيىٰ السويدي، وكان بزاوية الشيخ أحمد زروق (ت 899هـ) الكثير من الكتب التي ضاعت، وكان في زاوية «طبقة» في الحمادة الحمراء أزيد من مائة وخمسين مخطوطا، واستهدفت ثروات من الكتب في زوايا كثيرة منها؛ زاوية السني بمزجه، وزاوية بوماضي، والفقهاء، والباقول، والعميان، وابن شعيب، وقرزه، والكميشي، والبياضة، فهذه زوايا كانت غنية بمكتبات فقدت، وأحرقت كتب هامة كانت فيها، ومن أهم المكتبات أيضا مكتبة بزاوية الجغبوب تضم أربعة عشر ألف مخطوط في أربعين ألف مجلد من الكتب القيمة والمراجع النادرة. نقلها الشيخ محمد المهدي السنوسي إلىٰ الكفرة، لكن الاحتلال الإيطالي دمرها بالحرق والتمزيق والنهب، بقي منها سبعة عشر ألف خزنها الإيطاليون لكنهم قصفوها أثناء الحرب العالمية الثانية[1].

الشيخ القطعاني المؤرخ:

يعد علم التاريخ علمـاً نقليّاً يربط بين الزمن والموضوع، وكان المسلم ومازال يهتم بالتاريخ والقرآن، يؤرخ لقصص قديمة متأثراً بالقرآن الكريم الذي نظر للتاريخ نظرة عالمية فلم تربط رسالته بمكان محدد، وقد وعىٰ العلامة القطعاني هذه الأهمية واستشعر قيمة رسالة علم الحديث، اعتنىٰ به وسجله لتثقيف الناس وربطهم بالعلوم الدينية الحقة التي تحفظ هويتهم الثقافية، وهو الذي درس **علم تاريخ ليبيا غير المكتوب علىٰ يد مشايخ كبار عرف بهم وقدمهم في كتابه «أوبة المهاجر»**[2].

(1) نفس المصدر، ج 1، ص 37 – 41..

(2) نفس المصدر، ج2، ص479.

وقد كان للشيخ القطعاني مشروعٌ تاريخيٌّ شموليٌّ ارتبط بعلوم الحديث وواقع علمائه وأسانيده بليبيا والعالم العربي، بحيث استطاع أن يؤرخ جوانب عظيمة منه، لأنه أولىٰ أهمية كبرىٰ لكتابة التاريخ الحديث، ومعلوم أن الشيخ المؤرخ صفة ثقيلة في ميزان العلوم الشرعية لا يؤتاها أي أحد أو يلقب بها، والعلامة القطعاني جمع بين العالم المؤرخ والمجرب الحقيقي الرصين، لم يفصل العلوم عن الواقع، لذلك كان دائم الاتصال بشيوخه، ثم بطلابه في أقطار عديدة، وقد كانت له رؤيا تاريخية عميقة عبرت عنها جل تآليفه التي تعد تاريخية بشكل أو بآخر في موسوعاته التي تتبع فيها حركة الصوفية في ليبيا، والأسانيد الليبية، والمحدثين، كان بغرض التأريخ لهم وحفظ المعطيات بدقة وضبط.

وشيخنا القطعاني أولىٰ بهذا، لأن التاريخ يرتبط في نشأته بـ«المحدث» وهو الاسم الأول للمؤرخ، فعلم التاريخ بدأ مع المحدثين ثم استمر مع المؤرخين، لهما نفس المهام لكن وظف لفظ المحدث قبل المؤرخ. وارتبط التاريخ في بدايته بالسيرة النبوية وذلك في كتاب ابن اسحاق، وسيرة ابن هشام، وكان الغرض الإخباري والتفسير من مهام المؤرخين، لحاجة الأحداث إلىٰ التفسير، فالمؤرخ متصل بالمعلومة والخبر موثق لهما، وهذا حال شيخنا القطعاني في «الأوبة» إذ يسجل أحداثاً تاريخية كثيرة ترتبط بوضع ليبيا أثناء الاستعمار الإيطالي وقبله، وتأثير ذلك سلباً علىٰ المكتبات وكتب العلم ومنها؛ كتب علوم الحديث وفروعه، الأمر الذي جعل ثروة علمية هائلة مسلوبة من تراث ليبيا، هي في حاجتها اليوم، وقد اعتنىٰ الشيخ المؤرخ القطعاني بتسجيل المشيخات والتراجم وتاريخ الرجال، كما وعىٰ الحاجة الملحة إلىٰ تدوين التاريخ الشفوي للأسانيد والأثبات علىٰ غرار

مصادر هامة منها «الوجازة»[1]، فحفظت كتب الشيخ القطعاني، ومنها «الأوبة» أسانيد غابرة لم يكتب عنها أحد، مما يحقق بقاءها وانتشارها، وربط بين الأسانيد القديمة والمعاصرة له، فكان حقا المؤرخ الداري بحاجات تاريخ علوم الحديث، وتاريخ المكتبات في الزوايا والمساجد، وقد كان كتابه في جل فصوله تاريخيًّا، مزج فيه بين العلوم وتاريخها، واعتنىٰ بالتاريخ العلائقي بين الدول والعلماء بتوثيقه للزيارات، ومشيخات إسلامية لليبيين، وتحقق العكس أيضا.

واعتمد الشيخ القطعاني علىٰ المنهج التاريخي في جل مصنفاته، بالتوثيق والتدقيق ؛ يسجل المعطيات بحرص وتحديد زمن الوقائع والأحداث، ويتتبع سير الرجال وتفاصيلها ويسرد منجزاتهم ويعرض آثارهم وتآليفهم. يستقرئ ويتقصىٰ، يضبط ويصوب ويصحح أخطاء الأسماء والألقاب والأنساب الواردة في مصادر حديثية وصوفية هامة، غايته النأي عن اللحن والعبث في توظيف المعلومة، كان يقارن المتداول بالمكتوب، ويتتبع الأصل فيعدل به الخطأ المشهور، فهو الرجل المناسب للعلم في بلده، خدمه في حياته وبعدها، وخدم وطنه ليبيا بصدق وإخلاص، فملأ فجوات في التاريخ ما كانت تنجز دونه، ومازالت إنجازاته ومشاريعه مستمرة عبر أجيال تتبع منهجه وتحقق المقاصد والغايات العلمية السامية في ليبيا وعبرها إلىٰ العالم.

ويمكن رصد أهم إنجازات الشيخ العلامة القطعاني المؤرخ فيما يلي:

- التأريخ للمذاهب الفقهية في ليبيا.

---

(1) الوجازة في الأثبات والإجازة، ذياب بن سعد الغامدي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الأولىٰ – 2008م. ويضم مائة وعشرين ثبتا وإجازة.

- ترجمة شيوخ الحديث الليبيين[1].
- توثيق الأسانيد الليبية.
- التعريف بالمسندين الليبيين الذين انقطعت أسانيدهم[2].
- توثيق أسانيد الشيخ القطعاني لكتب الحديث الشريف.
- ربط تاريخ المكتبات الليبية بعلوم الحديث.
- استثمار المنهج التاريخي في صيانة العلوم.
- التأريخ لجوانب الحركة الصوفية بليبيا.
- التأريخ لمصادر الحديث وتأثيرها في ليبيا.
- توثيق الروابط العلمية عبر الزيارات **الحديثية المباركة**[3].
- التأريخ للمجالس الحديثية والعلمية بين الليبيين ودول إسلامية.
- تدوين تراجم مشايخ العلامة القطعاني في علم تاريخ ليبيا غير المكتوب.
- ترجمة شيوخ القطعاني في علم السماع.
- ترجمة شيوخ القطعاني في العلم الشريف.
- تسجيل مرويات الشيخ من الأثبات والمعاجم والفهارس والمشيخات.
- تدوين جوانب مجهولة من تاريخ ليبيا غير المكتوب.



(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 254.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 246.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 288.

المدارس الجمنية ودور ثبت (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) للعلامة أحمد القطعاني في إحياء وتوثيق أسانيدها

الشيخ لطيف موسى الجمني
رئيس جمعية المخطوط الجمني، تونس



الحمد لله الذي جعل الإجازة وُصلةً بين العلماء، ونسباً كنسب الأبناء للآباء، وسلكاً ينخرط به الإنسان في درّة عقد الفضلاء والصّلحاء، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء، وبعد.

فإنّ الثبت الكبير للعلامة الشهير والداركة النّحرير الشيخ سيدي أحمد القطعاني من أعظم الأثبات ومن أجلّ الأسانيد وأحدثها، حفظ به الأسانيد العلمية والمرويات والمشيخات، وإنني أجد في الدورة الجديدة للمؤتمر الدولي عن العلامة القطعاني مناسبة للحديث عن دور ثبته المبارك وجهوده فيه، لإحياء وتوثيق الأسانيد العلمية، فقررت أن أكتب ورقة متواضعة عسى أن تكون بها إضافة يحصل منها نفع، راجياً من الله العلي القدير، أن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعل ثوابها لشيخنا سيدي أحمد القطعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجعل في الأمّة خلفا له من الصّالحين، وعنونتها بـ«المدارس الجمنية، ودور الثبت الكبير للعلامة القطعاني في إحياء وتوثيق أسانيدها»

المدارس الجمنية وشيوخها:

توطئة:

المدرسة بمفهومها القديم والذي يعني المؤسسة التي توفر العلم مع الإقامة في غرف متعددة خاصة لسكنى الطلبة الوافدين من الأرياف على المدينة، وتوفر لهم الغذاء، وحتى المنح التي تمكنهم من تسديد حاجياتهم.

ظهرت أول مدرسة في العالم الإسلامي بخراسان في عصر السلاجقة، مدرسة في نيسابور في القرن التاسع ميلادي[1]، أما في تونس تأخر ظهور المدارس عن ظهورها ببلدان المشرق لمدة ثلاث قرون إذ كان التعلم فيها مقتصراً على المساجد والكتاتيب، وفي العهد الحفصي (1230-1574) ظهرت مدارس كثيرة كالمدرسة الشماعية 1240، والمدرسة المرجانية 1293.

في العهد العثماني (1574-1957) انتشرت المدارس بعد فترة من انحسار العلم بسبب الاضطرابات والفتن، ومنها المدرسة اليوسفية، والمدرسة البكرية، وكانت المدارس، إما موالية لسياسة الدولة، أو المذهب الفقهي والعقدي.

نسبة المدارس الجمنية:

الجمنية نسبة إلى جمنة بضم الجيم وكسرها وتشديد الميم مفتوحة بعدها نون فهاء تأنيث ساكنة، بلدة بصحراء الجريد من عمل إفريقية تقع بين قبلي ودوز بالجنوب الغربي لتونس، ولأهلها منذ القديم عناية فائقة بالقرآن الكريم حفظاً

---

(1) معلم وذاكرة مدرسة سيدي إبراهيم الجمني، محمد الهادي الجمني، دار تونس للنشر، تونس، 2008.

ونسخًا وتعليمًا، وأول المدارس الجمنية مدرسة سيدي إبراهيم الجمني وتسمّىٰ المدرسة المرادية بجربة.

الشيخ إبراهيم الجمني:

هو الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن امحمّد بن عبد الله الحاج بن منصور بن عبد العزيز بن معين، نزيل الجديدة قرية من قرىٰ المدينة المشرفة، وأجداده أجلة أعيان، وكان والده عبد الله فقيها صالحا، وكذا جدّه للأب إبراهيم كان علىٰ قدم الأفاضل، وكذا جدّه للأم سيدي علي بن حامد وهو الذي كان أخذ عن الشيخ الخروبي الطرابلسي، لقيه وتتلمذ له فناوله السبحة وألبسه الخرقة وأضافه التمر والماء أعطاه الورد، وألزمه قراءته[1]، وكان دخول الشيخ سيدي إبراهيم إلىٰ مصر إثر وفاة سيدي علي الأجهوري سنة ست وستين وألف 1066هـ، فقرأ في مصر علىٰ الشيخ سيدي عبد الباقي الزرقاني، فأجازه في النّحو والمنطق والبيان والأصول والتّوحيد، وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد الخرشي وأجازه في الحديث الشريف، وكان قبل ذلك أخذ عن الشيخ العارف باللّه سيدي عبد الله بن أبي القاسم الجُلالي نسبة إلىٰ قرية بالمغرب الأوسط (الجزائر) اجتمع به في خنقة سيدي ناجي.

ومكث ببلاد زواوة ست سنين، وفيها أخذ عن أكابر أجلّة، منهم الشّيخ العالم الفاضل سيدي محمد السعدي، والشيخ الفاضل العامل الزاهد سيدي محمد الغربي، والشيخ العالم النّحرير والجهبذ الشهير الراضي سيدي أبو القاسم القاضي، وكانت له الكلمة العليا والأمر المطاع بجميع جبال زواوة، وكانت مدة

(1) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار، محمود مقديش، تحقيق محمود الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج2، ص 436، 437.

إقامة الشيخ إبراهيم الجمني بمصر تسع سنين، أخذ عن أعيان الجامع الأزهر، كالشيخ ياسين، والشيخ أبي الحسن علي الشيراملّسي، وأخذ القراءات عن الشيخ سيدي سلطان، وعن الشيخ أبي الحسن اللقاني، وعن الشيخ إبراهيم الشبراخيتي، وعن الشيخ أحمد البشبيشي، وكان الشيخ الخرشي يدعو له، ولازمه طويلاً.

وينتهي نسب الشيخ إبراهيم إلى الصحابي الجليل المقداد بن الأسود الكندي، وتذكر كتب التاريخ أنه «كان في غاية من التعفف وله كرامات كثيرة»، وبنى له مراد باي المدرسة المرادية أو الجمنية سنة 1085هـ/ 1674م، بها غرف لسكن الطلبة عددها سبعون غرفة ومسجد نصب محرابه سيدي أبوراوي من ذرية سيدي عبد السلام الأسمر رضي الله عنه ولها عدة مرافق وأحباس وعقارات.

ومكث الشيخ يدرس بها خمسين سنة، ففتح اللّه عليه، وظهرت بركات العلم على يديه، وتخرّج على يديه خلق كثير لا حصر لعددهم، وكانت ولادته سنة 1037هـ/ 1627م بجمنة وتوفي ليلة الجمعة 05 ربيع الأول عام 1134هـ / 24ديسمبر 1721ميلادي، وقد نظم في وفاته تلميذه الشيخ المكاشف سيدي علي الفرجاني الذي كان غالب إقامته بليبيا، أبياتا نُقشت في جدار ضريحه في لوحة رخاميّة بها سبعة أسطر:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ضريح قد حوى	عَلَم العلوم الزّاخرة
الجمّني العلم الفريد	حاوي المعالي الفاخرة
ثاني الربيعين مضى	أمسى نزيل الآخرة

مــــن عــــام أربعـــــة مضـــت أيامهـــــــا متـــــــــواترة
بعــــد الثلاثـــــين خلـــت مائـــــة وألـــــف ظـــــاهرة

1134هـ.

قال عنه الوزير السّرّاج: وفي سنة أربع وثلاثين ومائة وألف 1134/ 1722 توفي إلىٰ عريض رحمة الله وجميل عفوه منبع العلم والكرامات، وخزانة الفتح والعنايات، وطود الأسرار والبركات، وبحر المدد والفتوحات، وكنز المواهب اللّدنيّة، وساحل الفيوضات العطائيّة، وشمس المعارف الرّبانيّة، ومغناطيس القلوب المخلصة، وجلاء الصّدور المستخلصة، قوت القلوب، وكاشف الكروب، إذا ما رأيته أقسمت باللّه العلي أنّه وليّ صاحب المكاشفات التي لا تماريها النّجوم عددا، والأنفاس التي لا تجاريها البحار مددا، وسيرة لا تعرف في غير المخلصين، واستلذاذ بالمجاهدة، واستغراق في أبحر المشاهدة، وتلذّذ بما يتجرّعه فوق الاستطاعة من مر كؤوس الطّاعة، ضيّع في مرضاة مولاه لطيف الشّباب في خشين الثّياب، طلّق الدّنيا وعدّ أهلها الأحياء بلا علم أمواتا، وأقام صورهم النّخرة رفاتا، وتزوّد من دار الانفصال إلىٰ دار الاتّصال بما يصلح أن يساق ليوم الفصل ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧﴾، وتخلّل من دار الغرور عريض الأسواق، فما وجد تجارة سوىٰ طاعة تستخرج نتيجتها من بين الصفحات والأوراق، وتستر ذوي العثرات يوم يكشف عن ساق، فأناخ ببطاحها كرائم الرّحال، وحطّ عنها عظام الأحمال، وعقلها بوثائق الأعمال، وغسل جوارح نصبه بمطلق أدمه كلال، وأخلص في ذلك لمن إليه المرجع والمآل، فجذب بأنامل فوائده قلوب رجال شملتها التّوفيق، وقادتها أزمّة الهداية من مهامه الأعمال إلىٰ حصون التّحقيق، وسقاهم من مُسكرات العلوم بما يفوق الرّحيق، وأحضر لهم من نقل فواكه فهوم لطائف التّدقيق، وأقامهم علىٰ منصّات الدّروس أجلّة وأطلعهم في أفق حضر العلماء بدورا وأهلّة ومدّ من

بحر مواهبه سبيلا، فاتّخذ به الموفّق إلىٰ ربّه سبيلا، ألا وهو المولىٰ الذي التفت عن دار النصب وسارع بتوفيق ربه إلىٰ دار العيش الهني الشيخ سيدي إبراهيم الجمني، وهو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن امحمد بن عبد الله بن منصور بن عبد العزيز بن معين، نزيل الجديدة قرية من قرىٰ المدينة المشرفة علىٰ صاحبها الصلاة والسلام، وانتقل معين المذكور ونزل بجمنة قرية من قرىٰ نفزاوة واستوطنها وتناسل منه أجداد الشيخ إبراهيم وهم أجلة أعيان[1].

وقال مقديش: ولمّا عمّت بركاته، وتزايدت خيراته امتدحه أهل الفضل من شعراء زمانه، كالشيخ أبي عبد اللّه سيدي محمّد بن المؤدّب الشّرفي -رحمة اللّه تعالىٰ - فإنّه امتدحه بقوله:

تذكّرت عهدا من ليال تقضّت ... علينا بوصل ثمّ ألوت وولّت
وعادت كأحلام تراءت لنائم ... فلمّا تولّىٰ النّوم عنه تولّت
أحنّ لذكراها وأصبو تشوّقا ... إليها وأرجو أن تمنّ بعودة
ومن لي بها يوما تعود ونلتقي ... ونظفر يوما باجتماع الأحبّة
ألا ليت شعري هل أفوز بوصل مَن ... له القلب يصبو كلّ يوم وليلة
وأشتاق لقياه إذا ما ذكرته ... لعلّي أحظىٰ من شذاه بنفحة
بنفسي من بالعلم حاز مزيّة ... ورتبته فيها علت كلّ رتبة
سما قدره بالعلم فخرا ورفعة ... ورفعته بالعلم أعظم رفعة
أيا طالبا للعلم إن رمت تجتني ... ثمار علوم من رياض أنيقة
فلا تعْدُ إبراهيم ذا الفخر والعلا ... وذاك ابن عبد اللّه يا خير نسبة

(1) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد الوزير بن السراج، دار الغرب الإسلامي، ج3، ص 296، 297.

فشمّر وجدّ السّير واقطع مفاوزا | إليه وخض بحرا وحطّ بجربة
لتنظر نجما يهتدىٰ بضيائه | و شمسا إذا ما اللّيل أظلم ذرّت
له منطق في الدّرس يعذب لفظه | ويسحر ألبابا بأعظم رقّة
إذا مشكل يوما تعسّر فهمه | جلاه وأبداه بأوضح حجّة
وإن أمَّه صاد من العلم يشتكي | ظمأ يلقَ بحرا يحوي كلّ ذخيرة
فيا لك من بحر زلال إذا جرت | جداوله بالعلم أروت وروّت
فبادره واشرب من رحيق زلاله | وخُضْ بحره تظفر بكلّ فريدة
و قبّل يديه والتمس من نواله | وحيّ محيّاه بأزكىٰ تحيّة
سلام عليه كلّما لمع الضّيا | وغابت نجوم في السّماء وعنّت
وما غرّدت عند الصّباح ترنّما | حمائم في أعلىٰ الغصون وغنّت[1]

وقال الشيخ الورثيلاني في رحلته: «وكذا بعض الفضلاء منهم من جربة القريبين لسيدي إبراهيم الجمني الكبير الذي أخذ عن الشيخ الخرشي، وهو شيخ شيوخنا، وكذا سيدي إبراهيم الصغير، ولهم مدرسة في جربة عظيمة معلومة تكاد أن تكون من المواسم المعلومة غير أنّي ما دخلتها ولكن ناو دخولها إن شاء الله، وفضائل سيدي إبراهيم الجمني من زهده وورعه وتهجده ونصحه للطلبة وتحمله للأذىٰ من خوارج جربة وصبره علىٰ إظهار السّنّة وإخماد البدعة وغير ذلك من أخلاقه السّنيّة كثير لا تعد ولا تحصىٰ ولا تضبط ولا تستقصىٰ وقد انفعلت سريرته وأثّرت همّته في أصحابه الآخذين عنه كما هو مشهور عن أشياخنا كالعلاّمة الفاضل المحقق الكامل سيدي عبد اللّه السّوسي.

(1) نزهة الأنظار وعجائب التواريخ والأخبار، مصدر سابق، ج2، ص 383 ما بعدها.

الشيخ عمر بن امحمد الجمني:

وقام في المدرس من بعد صاحبها سيدي إبراهيم، ابن أخيه عمر بن امحمد، فكان قيامه أحسن قيام وله مشاركة تامة في المعقول والمنقول(1).

الشّيخ أبو إسحاق إبراهيم بن امحمّد الجمّني:

وبعد وفاة الشيخ عمر خلفه أخوه الشّيخ أبو إسحاق سيّدي إبراهيم بن امحمّد، فزيدت الزاوية في عهده دورا فوق دورها الأول بأمر من مراد باي، وفي أيامه، عَظُم النفع، وكثُر الوارد على المدرسة، حتى بلغ عدة الطلبة بها 270 طالبا ما بين متعلم للسنة، ومتعلم للقرآن الكريم، وعظم الاجتهاد مبلغاً لم نره في غيرها شرقا ومغربا(2).

المدرسة الحسينية بجمنة، تأسيسها وشيوخها:

لما لاحظ الشّيخ إبراهيم مؤسس المدرسة بجرية، أرسل ابن أخيه سيدي عمر بن امحمد الجمني إلى بلده جمنة حيث بنى فيها مدرسة لطلب العلم سمّاها المدرسة الحسينيّة، إكراما لحسين باي الذي اعتنى بمدرسة جربة وأغدق على طلبتها وشيوخها وحبس عليها العقارات وأعفاها من الأعشار، وكانت المدرسة الحسينية أصغر من المدرسة المراديّة بجربة، نظرا لأنّ البلدة صغيرة والمتعلمون فيها غالبيتهم من جمنة وكانت بها خلوة كبيرة لتعليم القرآن وقاعات للتدريس

(1) نزهة الأنظار، مصدر سابق، ج 2، ص 442.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 386.

وميضأة، وقد كان تأسيسها سنة 1717م وقد قدّم حسين باي مبلغ مائة ريال لدعم الشّيخ في نفقات المدرسة الحسينية بجمنة، فاشترىٰ به الشيخ عمر الجمني أجنّة، كانت بواحة قبلي موردا ثابتا تنفق علىٰ هذه المؤسسة العلمية، وقد تداول علىٰ مشيخة المدرسة الحسينية الشيوخ: القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجمني، وأبو الحسن بن بكّار الجمني، ومنصور بن أبي الحسن الجمني، وموسىٰ بن عبد اللطيف بن أبي الحسن الجمني.

مدرسة سيدي موسى الجمني أو مدرسة الجبل بمطماطة:

مؤسسها الشيخ سيدي موسىٰ بن عمر الجمني المولود عام 1120هـ والمتوفي عام 1184هـ، وهذه المدرسة هي نسخة مصغرة من مدرسة سيدي إبراهيم الجمني بجربة، وفيها مرافق عديدة مثل غرف سكنىٰ للطلبة، وعددها 29 غرفة، والجامع، وقاعة للتدريس، وقاعة المكتبة حيث توجد خزانات المخطوطات، والمزولة، وفسقية، وميضأة، ومطبخان، وطاحونة تقليدية لرحي الحبوب من قمح وشعير لإطعام الطلبة، وقاعة ضريح الشيخ سيدي موسىٰ الجمني.

كان الشيخ سيدي موسىٰ بارعا في مختلف فنون العلم، إذ قال عنه الورثيلاني في رحلته: «وأمّا الصالح علىٰ الإطلاق والعالم العارف بالاتفاق سيدي موسىٰ الجمني الذي تؤخذ عنه العلوم والفنون شتّىٰ، تأتيه الطلبة من كل البلاد، وتشدّ إليه الرّحال من جميع العباد، فقد ظهر فضله وثبت حلمه عند كل الناس في تلك الأقطار، وتبين فضله في جميع القرىٰ والأمصار، وهو حقيق بذلك لأنه أهل لذلك، وموصوف بما هنالك، وقد قال ﷺ: «ألسنة الخلق أقلام الحق»[1].

(1) نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار، الحسين الورثلاني، دار المعرفية الدولي للنشر والتوزيع، =

وقد درس بالمدرسة الحسينية بجمنة ثم المدرسة الجمنية بجربة وأجازه الشيخ سيدي إبراهيم الجمني الحفيد، ثمّ انتقل إلىٰ الزيتونة، ثمّ إلىٰ جامع الأزهر بمصر، وإثر عودته من مصر أسّس هذه المدرسة سنة 1168هـ/ 1755م، وقد دعمه فيها علي باشا باي.

وكانت بهذه المدارس آلاف المخطوطات في مختلف فنون العلم كالحديث، وعلوم القرآن، والتفسير، واللغة، وأصول الدين، وأصول الفقه، والفقه، والحديث، والطبقات، والمناقب، والتصوّف، والمنطق، والرياضيات، والجبر، والهندسة، والفلك، وأكثر هذه المخطوطات اندثرت، ولم يبق منها إلا حوالي ألف مخطوط بين جمنة ومطماطة، إذ استولىٰ بعض الحاقدين علىٰ مكتبة سيدي إبراهيم بجربة.

ومن شيوخ مدرسة الجبل بمطماطة:

-الشيخ المؤسس سيدي موسىٰ بن عمر بن عبد الرحمن الجمني.

-الشيخ سيدي محمد بن عبد اللطيف الجمني.

-الشيخ سيدي صالح بن عبد اللطيف الجمني.

-الشيخ المقداد بن عبد اللطيف بن عمر الجمني.

-الشيخ الطيب بن المقداد الجمني.

-الشيخ محمود بن المقداد الجمني.

-الشيخ الهاشمي بن موسىٰ بن عمر بن عبد اللطيف الجمني.

-الشيخ موسىٰ بن الهاشمي الجمني.

-الشيخ محمد بن موسىٰ الهاشمي الجمني.

-الشيخ ابراهيم بن محمد بن موسىٰ بن الهاشمي الجمني.

= الجزائر، ج3، ص 304.

-الشيخ بن محمد بن موسىٰ بن الهاشمي الجمني.

-الشيخ صالح بن الحاج الحبيب بن محمد بن موسىٰ بن الهاشمي الجمني.

وغيرهم كثير.

أثر المدارس الجمنية في انتعاش المذهب المالكي:

كانت جزيرة جربة معقلا للإباضية، ولما استقر بها الشيخ إبراهيم الجمني لم يكن بها من المالكية إلا قلة في جامع الغرباء الذي يتولىٰ إمامته سيدي حميد المنياوي.

ولما بنيت المدرسة الجمنية، ومكث الشيخ يدرّس بها، فتح الله علىٰ يديه فتحا عظيما فقلّد نصف سكّان الجزيرة من الإباضيّة المذهب المالكي، في زمن يسوده التعصّب المذهبي والانغلاق، حتىٰ أن اثنين من شيوخ الإباضيّة لاقتناعهما بالمذهب المالكي وتقليده علىٰ يدي الشيخ سيدي إبراهيم الجمني حكم عليهما شيوخ الإباضيّة بالرّدّة وأعدموهما، منهما الشيخ عبد الرحمن اليونسي من القشعيين من صدغيان.

وقد أشعّت المدرسة علىٰ سائر مناطق الجنوب الشرقي، وقدم إليها الطلبة من كل النواحي، ومن طرابلس مثل ما قدموا إلىٰ مدرسة مطماطة، وقد وجدت وثيقة بخطّ أحد الطلبة هو محمد المختار بن محمد الأمين بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بُكْبَرَارْ المقرحي الطرابلسي نسبا المالكي مذهبا الأشعري اعتقادا، بتاريخ يوم الثلاثاء في شهر الله المعظم رمضان خلون منه خمسة عشر يوما سنة 1277هـ[1]، كما توجد مخطوطة بخزينتنا بمدرسة مطماطة، تؤكد أن هذا الطالب درس كتابا في الفقه بتاريخ 1277هـ.

---

(1) نقلا عن مخطوطة إجازة الشيخ سيدي موسىٰ بن الهاشمي بن عمر الجمني بسيدي محمد الجمني بخزينة المؤلف.

الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

دخلت زاوية سيدي موسى الجهني نفعنا الله
ببركته وأعاد علينا وعلى المسلمين من صالح دعواته
آمين بجاه سيد المرسلين لأجل قراءة العلم الشريف
يوم الثلاثاء في شهر الله المعظم رمضان خلون منه خمسة
عشر يوما سنة 1277 عبد ربه وأسير ذنبه محمد المختار
ابن محمد ابن امين بن احمد بن عبد الرحمن بن احمد بن علي
[illegible] غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن احسن اليه ولمن
له عليه حق ولجميع المسلمين آمين من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية صلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

المغربي نسبا
الطرابلسي نسبا
المالكي مذهبا
الأشعري اعتقادا
هـ

مسألة وقع [illegible] خلاف في المرأة التي [illegible] عن [illegible] العدة [illegible]
[illegible] على [illegible] عشر [illegible] ان [illegible] العمل [illegible] المنقول
عن [illegible] وفيه أثنان وسبعون [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible]

الحمد لله [illegible] حمل [illegible] الاستبراء [illegible] ثلاث [illegible]
[illegible] المولى [illegible] الحامل [illegible] طلاق [illegible]
[illegible] مدخولا [illegible] العمل [illegible]
لزوج [illegible] الاستبراء [illegible]

[illegible]

جاريتة او ولد صالح يدعو له او علم يبث في صدور الرجال **وبالصلاة** والسلام
ختم اي ما قصد جمعه وهو مبتدا موخر والجملة خبرية قصد بها انشا.
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اخرا **كما ابتدى** ايضا بالصلاة **على**
الرسول وهو انسان اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه وان لم يكن له كتاب
ولا نسخ لشريعة من قبله وقيل بشرط احدهما **المصطفى** المختار من
جميع الخلق **محمد** ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم **وآله** اقاربه
المومنون من بني هاشم او والمطلب او بنوا قصي او قريش او اتباعه وهم
كل مومن **وصحبه** اسم جمع لصاحب بمعنى الصحابي وهو كل من اجتمع مومنا
بالنبي صلى الله عليه وسلم **الاخيار** جمع خير بعد تخفيفه قال تعلى كنتم خير امة
ثم وقت هذه الصلاة بما يفيد الدوام والاستمرار فقال **ما كور** اي مدة
تكوير **الليل على النهار** ويظهر قوله وبالصلاة ختمه الخ لقول ابن دريد.

بدا انها بسم الذي ختمتها . بحمده جل الاله وعلا . فالبدء بسم الله اولى
ما به . عني افتتاح كل امر يعتني . والحمد لله اجل غاية . يبلغ بالقول له
او ينتهي . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العلمين انتهى وكمل هذا التعليق المبارك للشيخ التاودي على منظومة
ابن عام بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبه لنفسه بنفسه ولمن شاء الله من
بعده العبد الفقير الى الله تعلى محمد المختار بن محمد الامين بن
احمد بن عبد الرحمان المرحيي غفر الله له ولوالديه بجاه الا
ولين والاخرين محمد صلى الله عليه وسلم يوم الخميس في
رجب الاصب خلون منه اربعة ايام عام ١٢٧٧
سبعة وسبعين ومائتين والف
من الهجرة النبوية على ساكنها
افضل الصلاة
وازكى التسليم

ولمشايخه ولمن له عليه حق ولجميع المسلمين والمسلمات منهم والاموات الاحياء. وسيدي

لا تسألن بني آدم حاجة
وسل الذي ابوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله
وبني آدم حين يسأل يغضب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

السّند الجمني:

لقد حرص شيوخ آل الجمني في مدارسهم على توثيق وإسناد مرويّاتهم وإجازاتهم توثيقا علميّا دقيقا، لأنهم يعتبرون الإسناد من خواص الأمّة المحمدية لذلك ينبغي تحصيله ولو بالرحيل إليه.

ومن أقوال أهل العلم في ذلك، قول الزين العراقي: «نقل الإنسان ما ليس له به رواية غير سائغ بالإجماع لأهل الرّواية» وقال الحافظ ابن حجر الإشبيلي: «اتفقت العلماء أنه لا يجوز للمسلم أن يقول قال رسول الله ﷺ كذا حتى يكون عنده ذلك القول مرويّا »، وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «الذي يطلب العلم بلا سند كحاطب ليل يحمل حطبا وفيه أفعى وهو لا يدري»، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «إنما الناس بشيوخهم فإذا ذهب الشيوخ، فمع مَن العيش؟»، وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: «الإسناد من الدّين ولولاه لقال من شاء ما شاء»، وقال أيضا: «طالب العلم بلا سند كراقي السطح بلا سلم، جوابا لمن قال: أحدّث بلا سند»، وقال سفيان الثّوري رضي الله عنه: «الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن له سلاح، فبأيّ شيء يقاتل؟» وقال الحافظ بن حجر: «الإسناد أنساب الكتب»، وقال ابن عبد البر المغربي: «الإجازة في العلم رأس مال كثير».

ولما كان الأمر كذلك، حرصوا على تحصيل الإجازات العلمية التي أجازوا بها طلبتهم بما ضمن اتّصال السند العلمي ومنع انقطاعه، ونجدُ من خلال ما في خزينتنا من إجازات وما روينا عن المتأخرين من شيوخنا نقلا عمن سبقهم تواتر أسانيدهم في الفقه، والحديث وعلومه، والأصول، والقرآن، والعقيدة، والنحو، والبيان، والمنطق، والفلك، وغيرها من العلوم والفنون التي نرويها بطرق متعددة وعن شيوخ كثيرين، وجدناها متطابقة مع ما هو في الأثبات والأسانيد والمسلسلات كالذي ورد في فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات

والمسلسلات للكتاني المغربي رَحِمَهُ اللَّهُ، والثبت الكبير للعلامة القطعاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

و لكي لا أطيل، أقتصر على السند الذي رواه جدنا السادس سيدي موسى بن عبد اللطيف بن أبي الحسن الجمني، الذي روى عن عمه الشيخ سيدي موسى بن عمر الجمني صاحب مدرسة مطماطة وذلك في إجازته بتاريخ آخر يوم من ذي القعدة سنة 1220هـ عشرين ومائتان وألف بعد أن تحدث عن شيوخه وما قرأ عليهم وفيم أجازوه:

«لنذكر سندي في الفقه لكونه المقصد الأسنى والعمدة الذي عليه أحكام الشريعة تبنى، فأقول: أخذت الفقه الذي منه كتاب الشيخ خليل -برّد اللّه ثراه وجعل الجنة مثواه- عن شيخنا سيدي موسى بن عمر المذكور آنفا، وعن العلامة الرباني شيخنا سيدي محمد بن علي الغرياني، وهما عن القدوة الأبر أبي حفص سيدي عمر بن محمد الجمني، عن عمه الفاضل الورع الزاهد المتّبع الشيخ البركة أبي إسحاق سيدي إبراهيم بن عبد الله الجمني، وأخذ الشيخ الغرياني عن الشيخ سيدي إبراهيم المذكور أيضا، وهو عن شيخيه الزكيين العالمين الكاملين أبي عبد الله سيدي محمد الخرشي والنحرير الرباني الشيخ سيدي عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، أخذ الأول عن والده المرحوم سيدي عبد الله الخرشي المالكي المعروف بنسبته بأولاد صباح الخير، والثاني عن شيخ المالكية في زمانه الشيخ سيدي علي الأجهوري المالكي -سقى الله قبره شآبيب الرضوان وأسكنه بمنه بحبوحة الجنان- ، وهما عن الشيخ سيدي محمد البنوفري، وهو عن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري (بضم الهمزة) ، وهو عن العلامة شمس الدين اللقاني، وهو عن شيخ المالكية في زمنه الشيخ علي السنهوري شيخ الشيخ التّتائي، وهو عن الشيخ البساطي، وهو عن الشيخ تاج الدين بهرام، وهو عن مؤلفه الشيخ خليل، وتفقه الشيخ خليل عن الشيخ عبد الله المنوفي، وقد أخذ الشيخ علي السنهوري أيضا عن الشيخ الطاهر بن علي بن

محمد النويري، وهو عن الشيخ حسين بن علي، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن هلال الربعي قاضي القضاة فخر الدين بن المخلطة، وهو عن أبي حفص عمر ابن فرج الكندي، وهو عن أبي محمد بن عطاء الله السكندري، وهو عن أبي بكر محمد بن الوليد عبد الكريم بن خلف الطرطوشي، وهو عن أبي الوليد سليمان ابن خلف الباجي، وهو عن الإمام مكي القيسي الأندلسي وهو عن الإمام أبي عبد الله ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن اللبّاد الإفريقي، وهو عن الإمام يحيىٰ الكناني البلوي الإفريقي صاحب «اختلاف ابن القاسم وأشهب»، وهو عن الإمامين سحنون وعبد الملك الأندلسي، وهما عن الإمام عبد الرحمن القاسم العتيقي المغربي وعن الإمام أشهب عبد العزيز العامري القيسي، وهما عن الإمام مالك بن أنس، وهو عن ربيعة ونافع مولىٰ بن عمر وتفقه ربيعة علىٰ أنس بن مالك خادم النبي ﷺ.

ونافع علىٰ مولاه عبد الله بن عمر، وهما أخذا عن سيد المرسلين، وهو تلقّاه من الوحي من الأمين جبريل عن اللوح المحفوظ، والله أعلم»[1].

ويقول جدّنا الشيخ سيدي موسىٰ بن عبد اللطيف «واستقصاء أسانيد أشياخي يطول، ويتّصل أسانيد جلّهم بالعلامة شيخ الإسلام والحافظ ابن حجر، وابن غازي، والشيخ خروف، وأسانيد هؤلاء مشهورة، في الأثبات والفهارس مسطورة».

وهناك طرق أخرىٰ في الإسناد، أنقلها عن إجازة الشيخ سيدي أحمد بن محمد بن محمود الأبّي لسيدي محمود بن المقداد الجمني في رجب 1258هـ إذ يقول: «أجزت له أن يروي عنّي كل ما لدي من معقول ومنقول فروع وأصول بالشرط المعتبر عند أهله مقتصراً علىٰ جلب سندي لصحيح الإمام البخاري تغمده الله برحمة الباري، الذي أرويه قراءة لبعضه، وإجازة لباقيه عن أستاذي شيخ

(1) مخطوطة الإجازة في خزانة المؤلف.

الإسلام خاتمة المحققين وقدوة العلماء الراسخين أبي عبد الله محمد بيرم الثاني برّد الله تعالىٰ ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه، وهو يرويه كذلك عن والده شيخ الإسلام الجهبذ الهُمام العلم الأشهر أبي عبد الله محمد بيرم الأكبر، وهو يرويه عن شيخه علىٰ التحقيق أبي العباس أحمد بن الحسن الورشاني الشهير بالمكّودي، وهو يرويه عن شيخه أبي الحسن علي بن أحمد الحُرَيْشي، عن أبي محمّد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، عن عمّ والده أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي، عن أبي عبد الله محمد بن القاسم القصار، عن أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي، عن أبي محمد عبد الرّحْمن سُقين العاصمي، عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري، عن ابن حجر العسقلاني، عن التنوخي، عن الحجّار، عن أبي عبد الله الحسين بن أبي عبد الله محمد بن المبارك الزَّبيدي ثم البغدادي، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسىٰ بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السّجْزي الهروي الصوفي، عن شيخ الإمام جمال الإسلام أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفّر الداودي، عن أبي محمد عبد الله بن حَمُّويَه السّرخسي، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفرَبْري، عن أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيره بن الأحنف الجُعفي البخاري، شارطًا الدعاء لي بحُسن الخاتمة وأن لا ينساني من صالح دعواته في مظان الإجابة وخلواته (بخط الشيخ أحمد بن محمود الأُبّي في رجب 1258).

السّند الجمني:

ويروي الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني صلته بالسند الجمني فيقول في ثبته الكبير «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»: «ومن طريق آخر نتصل بهم عاليا وذلك عن الشيخ فالح المدني وغيره، عن السنوسي وهذا من أعلىٰ الأسانيد وأوثقها، وأتصل به عن الشيخ

لمكي بن عزوز بن محمد الصالح الجمني المطماطي، عن الهاشمي الجمني المطماطي، عن والده موسىٰ بن عمر بن عبد اللطيف الجمني، عن الأستاذ الكبير الرُّحلة محمد بن عبد اللطيف الجمني عنه»[1].

«وعن علي أبي سالم بن محمد بن عبد المؤمن بن إبراهيم بن عزوز البرجي حسب روايته للفقه المالكي ومختصر خليل، عن شيخه المبروك بن عزّوز، عن الفاضلين الخضر ومحمد، وهما عن موسىٰ الجمني، عن عمر الجمني، عن الخرشي والزرقاني بأسانيدهم»[2].

«وعن الشيخ المكي بن عزوز، عن الشيخ محمد الصالح بن محمد الجمني قاضي نفزاوة، عن محمد الهاشمي الجمني، عن والده موسىٰ، عن الأستاذ محمد بن عبد اللّطيف الجمني عن الغرياني، (ح) وأخذ الهاشمي أيضا عن الرياحي عن حسن الشريف»[3].

وفي ترجمة الشيخ الهاشمي الجمني وسنده يقول الكتاني: «الهاشمي الجمني هو العلامة التقيّ محمد الهاشمي بن موسىٰ بن عمر بن عبد اللطيف الجمني من بلاد جمنة من قرىٰ الجريد المطماطي نسبة إلىٰ جبال مطماطة في أطراف أعمال تونس التونسي يروي عن الرياحي وأحمد بن الطاهر الساحلي والشيخين ملوكة التونسي ووالده موسىٰ بن عمر وصالح بن عبد اللطيف الجمني والشيخ الطيب بن المقداد الجمني. أخذ والده من بعده عن الرحلة محمد بن عبد اللطيف الجمني الراوي عن الغرياني وابن عبد السلام الناصر بن الأمير الكبير وعبد العليم

(1) فهرس الفهارس، الكتاني، ج2، ص 848.

(2) نفس المصدر، ج2 ص 550.

(3) نفس المصدر، ج 2، ص 888.

الفيومي وأحمد بن يونس المصري الأمير عن الحسين العجيمي عالياً نروي ثبت الهاشمي المذكور عن الشيخ المكي بن عزوز، عن لشيخ صالح الجمني قاضي نفزاوة، عن الهاشمي المذكور»[1].

صلة السند الجمني بالسند اللّيبي، ودور العلامة القطعاني في إحيائه وتوثيقه:

لقد اعتنىٰ العلامة القطعاني أيما عناية بالمدرسة الجمنية، فأرخ لها، ووثق أسانيدها، واتصل بها، كما مثّل عمله هذا أبرز جهود إحياء تاريخها واستمرار دورها، وكان له الفضل في ذلك بعد الله، وربط الصلة بينها وبين القطر الليبي، بأن وثق أسماء عدد من العلماء الليبيين الذين تتلمذوا علىٰ الشيخ إبراهيم الجمني، ومنهم الشيخ علي الفرجاني، وأخوه الشّيخ المبروك الفرجاني، والضّرير الشيخ أبوعبد الله محمد بن مكرم، والشيخ علي الفزاني الجنزوري، والشيخ رجيبي بن محمد قرمد المشهور بالتونسي التاجوري، والشيخ بلقاسم الغرياني، والشيخ علي بن عبد الصادق، وابنه أحمد بن علي بن عبد الصادق[2].

وقد كشف لنا عن علاقة عريقة ومتينة بين الأسرة الجمنية والقطر الليبي، عند حديثه عن سبب اهتمامه بالمدرسة الجمنية وأعلامها، فقال: «اهتممتُ بهذا السند كثيراً بحكم التداخل والعلاقة العلمية المتينة التي ربطت أصول وفروع أسرة الجمني بليبيا وعلماء ليبيا، فقد كانوا يقيمون أصلاً في غريان بليبيا، ومنها ارتحلوا إلىٰ جمنة بتونس، ولنا أن نذكر منهم الشيخ ساعد بن محمد الجمني الذي أخذ

---

(1) نفس المصدر، ج2، ص 685.

(2) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج 1، ص 463.

بمسلاته عن ولي الله العلامة الشيخ عبد الواحد الدكالي (ت 970هـ)[1]».

وإضافة إلىٰ هذا، اتصل بأسانيد المدرسة الجمنية فأحياها مجدداً، خصوصـًا من خلال اتصاله بأعلامها وشيوخها من طرق ليبية، ومنها قوله: «عن شيخنا محمد نور الدين بربون، عن الشيخ عمر العربي الجنزوري، عن الشيخ عبد السلام بلقاسم، عن شيخه محمد الأزهري لقبا الزنتاني نسبا للملقب عالم طبقة، عن أستاذ الجماعة امحمد أحمد عبد الواحد منيع الرّياني، عن العلامة محمد بن عبد الحفيظ بن عبد النبي اليوسفي، عن الشيخ موسىٰ بن عمر بن عبد الرحمن بأسانيد أسرته»[2].

وقد حرص رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تجديد هذا السّند وتوثيقه حين جمعتنا يد القدرة الإلهية علىٰ غير موعد، وذلك بمناسبة الندوة التي عقدت بدار الثقافة، بمنطقة قبلي في الجنوب التونسي، «حول القرآن وعلومه»، وزاد من فضله عليّ بأن ترجم لي في ثبته[3]، ولمؤسس المدرسة الجمنية الشيخ إبراهيم[4]، وللشيخ الهاشمي الجمني[5].

وقد أكرمني الله تعالىٰ بأن أجازني في الطريقة العيساوية، وإجازته لي في الطريقة العيساوية من جهوده في إحياء المدرسة الجمنية التي عرفت هذه الطريقة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، حيث أدخلها جدّ والدي الشيخ موسىٰ بن إبراهيم الجمني إلىٰ نفزاوة.

(1) نفس المصدر، ج1، ص 462.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 465.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 459.

(4) نفس المصدر، ج1، ص 463.

(5) نفس المصدر، ج1، ص 466.

كما أجازني شيخنا القطعاني في مسلسلاته التي تضمنها كتابه «كرائم المسلسلات»[1]، وكذلك أسمعني وأجازني في ثلاثيات البخاري[2]، وغيرها من نفائس المسموعات والمرويات الحديثية، فجازاه الله خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وفي لقائي به في دار الثقافة بقلبي، تحدثنا عن سند آل الجمني ومدارسهم وشيوخهم وعلومهم، وطلب مني رَحِمَهُ اللَّهُ إجازته في مرويات ومشيخات أسرتي ظنّـًا منه أني من أهل هذا الشّأن، ومن أفراس هذا الميدان، لا والله لست أهلا لهذا، ولا أنا من أهل تلك البيعة والبضاعة، وما أنا إلا جهول وبضاعتي خالية من المنقول والمعقول، ولا يجوز لمثلي التوثب والتجاسر على مراتب الأئمّة الفحول، لكن لما لمست من حسن نيّته واغتناما لبركته والتماسا لصالح دعوته عسى أن نكون في نوبته، أجبت لذلك وكتبت له، فكان تجديد هذا السند وتوثيقه على يديه، بارك اللّه فيه وفي عقبه ورحمه ورحم والديه.

فكانت روايتي عن أشياخنا المتأخّرين رحمهم اللّه، فقد رويت عن عمّ والدي سيدي محمد عبد اللّطيف بن محمد بن موسى بن عبد اللطيف الجمني العالم الأزهري والزيتوني والعدل الموثّق المتوفى في سبعينات القرن الماضي، عن والده عبد اللّطيف الزيتوني ثم الأزهري، عن عمّه إبراهيم بن موسى، عن والده الشيخ سيدي موسى بن عبد اللطيف بن أبي الحسن الجمني، عن عمه موسى بن عمر الجمني صاحب مدرسة مطماطة، عن عمّه عمر بن امحمد الجمني، وإبراهيم بن

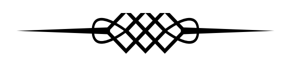
(1) انظر كرائم المسلسلات، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2016م.

(2) انظر ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2016م.

امحمد الجمني، ومحمد بن علي الغرياني، عن الشيخ سيدي إبراهيم الجمني صاحب مدرسة جربة.

كما أروي عن خال والدي الشيخ المقرئ سيدي محمد بن حسونة الغرياني الجمني، الذي أخذ عن والده حسونة وعمه سيدي أبي الحسن العدل الموثق، وعن المعمر في الإسلام جدنا الشيخ موسىٰ بن إبراهيم الجمني، وأروي عن ابن خالة والدي سيدي بلحسن شهر حسونة بن محمد بن أبي الحسن بن محمد بن أبي بكر بن أبي الحسن الجمني المفتي بنفزاوة المتوفىٰ في منتصف القرن الثالث عشر، وقد أخذ سيدي حسونة عن والده محمد وعمه عميرة العدل الموثق وخاله محمد بن حسونة، عن والده وعن جده للأم حسونة بن امحمد الغرياني، وعن القارئ الشهير سيدي إبراهيم المكي الجمني، وقد أخذ سيدي بوبكر بن أبي الحسن الجمني عن سيدي علي بن عمر الجمني شقيق سيدي موسىٰ بن عمر الجمني، وعن الشيخ سيدي موسىٰ بن عمر الجمني، وعن الشيخ سيدي محمد الكيلاني الطرابلسي ثم التنسي وعن الشيخ سيدي صالح الكواش المتوفىٰ سنة 1217هـ وغيرهم كثير.

ولولا خشية الإطالة لتوسّعت في أسانيد شيوخنا رحمهم الله تعالىٰ، والله تعالىٰ أسأل أن يتقبل شيخنا العلامة درة وقته وفريد عصره سلالة الأبرار ونتيجة الأخيار سيدي أحمد القطعاني بواسع رحمته، ويحله فسيح جنته، وأن يبارك جهود إخواننا وأبنائنا مريديه القائمين حق القيام بعده.



منهجية العلامة أحمد القطعاني في تأليف ثبته (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر)

الشيخ زين العابدين أحمد القطعاني
شيخ زاوية سيدي أحمد القطعاني العيساوية، ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الإسناد من الدين، ومنَّ على هذه الأمة بالعلماء والصالحين، وجعل من طرقهم وسلاسلهم الحصنَ الحصين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد قبلة العلماء، وغاية إسناد المسندين، وخاتم النبيين، وعلى آله الأبرار المطهرين، وصحابته الأعلام المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أنعم الله ﷻ على هذه الأمة الخيرية بنعم كثيرة، فنزل عليها كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، أكرمها بمبعث خير خلقه، وخاتم أنبيائه وصفوة رسله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وجعل فيها العلماء المجتهدين والأيمة المصلحين الذين حفظ الله بهم الشريعة، وأرسى بهم دعائم الحقيقة، جمعوا بين العلم والعمل والتربية والشريعة والحق والحقيقة فكانوا بحق أهله وخاصته من خلقه.

ومن أبرز علوم الأمة وأرفعها شأناً علم الحديث الشريف، الذي انبرىٰ له أفذاذ الأمة وحذاقها فصححوا طرقه، ووضحوا سلاسله، وتناولوا أسانيده ليصلوا السابق باللاحق والجديد بالقديم والفرع بالأصل، غارزين بذلك رواسي قيم ديننا الحنيف في صدور أجيال الأمة المتلاحقة.

ومن هنا كان بحثي هذا الذي يتناول أحد أهم فروع علم الحديث الشريف، ألا وهو علم الفهارس والمشيخات والأثبات، وخصصت ورقتي فيه للحديث عن ثبت (أوبة المهاجر وتوبة الهاجر) لمؤلفه شيخ الإسلام وقدوة الأنام المُحدّث النحرير الشاعر الأديب الشهير العلامة الكبير مُسند الديار الليبية ومحيي علوم الإسناد ومجالس الإملاء والإسماع، من سارت بأخبار فضله الركبان صاحب المؤلفات التي تربو عن الثمانين فضيلة الشيخ د. أحمد القطعاني، عن منهجه واستخراج فوائده والتنبيه علىٰ تفرده فيه في بعض الجوانب.

ولم أعتمد في ورقتي هذه علىٰ مقارنته بمناهج إخوانه من المصنفين في هذا الفن فقط، بل ساعدني في ذلك بشكل كبير طول صحبتي له، وكثرة مجالستي وملازمتي كل مجالسه الحديثية، وروايتي عنه وإجازته لي، إجازة عامة في كل مروياته، وخاصة في بعض الفنون، كمجالس السماع، وهو ما حتم علي وألزمني أن أكتب في هذا الموضوع، وفاءً له، كونه معلمي ومرشدي ووالدي، وعمدتي في الرواية.

وقسمت ورقتي هذه إلىٰ مقدمة موجزة عن علم الحديث الشريف ومكانته والعلوم المتفرعة عنه، ثم بأحد هذه الفروع وهو علم الأثبات والمشيخات والفهارس، عن نشأته وأبرز أنواعه ورجاله، وزدت محورين، الأول عن «القواعد والمنهجيات المتبعة في تصنيف كتب الأثبات والفهارس»، والثاني عن «منهجية وخصائص وغايات ثبت أوبة المهاجر وتوبة الهاجر».

وكان جُل تركيزي على المحور الثاني، خصوصا العلاقة التي لا انفصام لها بين العلامة أحمد القطعاني في ثبته، بل في كل كتبه، وبين تاريخ علم الحديث في ليبيا، وأن هذا الثبت العظيم جاء ليضع بلادنا الليبية التي تستحقها في خارطة علم الحديث الشريف وإسناده الإسلامية.

علم الحديث الشريف:

علم الحديث الشريف، هو علم يدرس كل ما نسب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو ترك، وتفرعت منه، بسبب هذه المهمة العظيمة، فروع عديدة، كمصطلح الحديث، ويسمى أصول الحديث، وعلم الرجال والجرح والتعديل والطبقات.

وتنقسم دراسة الحديث الشريف، إلى رواية، وهو «علم يشتمل على نقل أقوال النبي ﷺ وأفعاله، ورواياتها، وضبطها، وتحرير ألفاظها»[1]، ودراية وهو «علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات، وما يتعلق بها»[2].

أقسام الحديث الشريف[3]:

الصحيح: وهو الذي اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذّاً أو معلّلاً.

---

(1) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، دار طيبة، ج1، ص 25.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 26.

(3) للتوسع ينظر مقدمة ابن الصلاح في معرفة علوم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوي، تحقيق نور الدين العتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص 11 وما بعدها، ص 29 وما بعدها، ص 41 وما بعدها.

الحسن: وهو الذي اتصل سنده بنقل عدل خف ضبطه غير شاذ ولا معلل.

الضعيف: وهو ما فقد شرطا من شروط الحديث المقبول (الصحيح والحسن).

ألقاب علماء الحديث[1]:

المسند: هو من يروي الحديث بإسناده، سواء أكان عنده علم به، أم ليس له إلا مجرد الرواية.

المحدث: من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع رواته، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميز بذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه.

الحافظ: وهو أعلاهم درجة وأرفعهم مقاماً، ومن صفاته أن يكون عارفاً بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بصيراً بطرقها، مميزاً أسانيدها، يحفظ منها ما أجمع أهل المعرفة على صحته.

الحجة: وهو الحافظ عظيم الإتقان، والمدقق فيما يحفظ من الأسانيد والمتون تدقيقاً بالغاً ليصل حينذاك إلى الحجة.

الحاكم: من أحاط بجميع السنة.

علم الأثبات والمشيخات والفهارس:

مع الأهمية الكبيرة المتزايدة للحديث النبوي الشريف ورواته ورواياته، ظهرت عدة علوم وفنون منظمة لهذا المكون الأساسي في الثقافة الإسلامية، وأخذ العلماء في التقعيد لهذه العلوم وتطويرها في إطار سعيهم لخدمة السنة الشريفة، وضمن

(1) للتوسع ينظر تدريب الراوي، مصدر سابق، ج1، ص 29

سعيهم لتوثيق السند كونه خصيصة خص الله بها هذه الأمة المرحومة، فعملوا علىٰ دراسة الأسانيد وتوثيقها، والترجمة لرجال السند وبيان حالهم.

وفي سياق العناية بالسند والرواية، ازدهر علم التراجم، واقترن بعلوم كثيرة ساهمت في تعزيزه بهدف تمحيص المعلومات، ومعرفة الرجال، وتتبع سيرهم العلمية والعملية، ومسار حياتهم ووفياتهم، وما نقلوه من كتب ورووا من علوم تلقوها عمن قبلهم، ومن رواها بعدهم، ومن أهم الفنون والعلوم التي ازدهرت في هذا الشأن علم الأثبات والمشيخات والفهارس.

وعلىٰ الرغم من أن بعض الباحثين أشار إلىٰ أن هذا العلم يندرج ضمن نوع حديث من العلوم، يعرف بالبيبلوغرافيا، إلا أنه يعود ليؤكد أن علم الأثبات والمشيخات والفهارس سبق فيه المسلمون غيرهم من حيث التقعيد والمناهج والتطوير، حتىٰ فاق فيه التصنيف في علم الببلوغرافيا الحديث[1]، فهو من العلوم الإسلامية الأصيلة دون شك.

التعريف الاصطلاحي بكتب المشيخات والأثبات والبرامج والفهارس والمعاجم:

هي أسماء مترادفة لنوع من التأليف اهتم به المغاربة والأندلسيون أكثر من المشارقة، يسجل فيها الشيخ مروياته وإجازاته والكتب التي قرأها علىٰ مشايخه، ورغم التقارب في موضوعها إلا أنها ليست متطابقة تماماً في طريقة تأليفها، وهو ما سنبينه لاحقاً.

---

(1) دراسات في علم المخطوطات والبحث الببلوغرافي، أحمد شوقي بنبين، المطبعة والوراقة، مراكش، ص 117.

يقول الشيخ عبد الحي الكتاني: «الأوائل كانوا يطلقون لفظة «المشيخة» على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك المعجم. لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات. وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج، أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون -إلى الآن-: الثبت وأهل المغرب -إلى الآن- يسمونه الفهرسة»[1]، إلا أن هاني العمد يرى أنه «مهما يكن من أمر الدوافع التي كانت وراء اختلاف التسميات، سواء أكانت لغوية أم موضوعية، فإنها تلتقي جميعها في كونها مدونات تضم الشيوخ والمؤلفين، وما أخذه التلاميذ من الروايات وما قرأوه على أساتذتهم، وتناولوه وأخبروا به»[2].

وبالإضافة إلى اختياري لثبت شيخنا العلامة القطعاني «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» موضوعا لبحثي، كونه موضوع الدورة الثالثة من المؤتمر، إلا أن سبباً آخر دعاني لذلك، وهو أن ثبت «أوبة المهاجر» احتوى أغلب معاني مسميات علم الأثبات، ففيه معنى إثبات المسموع والمروي، وفيه الإجازة بأنواعها، وفيه مسارد تصانيف شيخنا والتصانيف التي يرويها.

المحور الأول: مناهج التصنيف في الأثبات والمشيخات والفهارس.[3]

تختلف مناهج وقواعد التصنيف في كتب الأثبات المشيخات والفهارس، وأول عامل أثر في اختلافها كان تطور التصنيف فيه، ففي بدايته كانت المصنفات

(1) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ج1، ص 67.

(2) كتب البرامج والفهارس الأندلسية، هاني العمد، الجامعة الأردنية، عمان، ط2، 1993م، ص 14.

(3) للتوسع ينظر علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، موفق عبد الله عبد القادر، جامعة أم القرى، مكة، ط1، 1421 هـ.

تركز بشكل أساسي سلسلة الإسناد وعنعنته، دون أي تفاصيل أخرىٰ، ثم زاد تطوره مع الزمن، لكن يمكن إجمال التطور في ثلاث طرق رئيسية:

الطريقة الأولىٰ: هي تبويبها علىٰ أساس الكتب مرتبة حسب موضوعاتها، ومثال ذلك فهرسة ابن الإشبيلي (ت 575هـ)، فقد رتبه حسب الكتب التي قرأها علىٰ مشايخه.

الطريقة الثانية: تبويبها علىٰ أساس المشايخ، فيذكر المصنف مشايخه، يُترجم لهم ويذكر ما أُخذ عنهم، مثل فهرسة بن عطية (ت 542هـ).

الطريقة الثالثة: ما جمع فيه المؤلف بين الطريقتين، إذ يخصص الجزء الأول لمشايخه، والثاني للعلوم التي أُخذت عنهم، مبتدئًا بعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف ثم العلوم الأخرىٰ، ومثال هذه الطريقة برنامج الوادي آشي، وسد الأرب من علوم الإسناد والأدب للأمير الكبير.

ولا بأس بمرور سريع علىٰ أشهر الأثبات والمشيخات، فمنها:

1 - المعجم المختص للصوفي الحافظ محمد مرتضىٰ الزبيدي (ت 1205هـ).

2 - البحر العميق في مرويات ابن الصديق للحافظ أحمد الصديق الغماري (ت 1380هـ).

3 - المسلك الجني لأسانيد محمد بن علي للشيخ المحدث محمد بن علي (ت 1367هـ).

4 - الشموس الشارقة في أسانيد المغاربة والمشارقة للسيد المحدث الفقيه العلامة محمد بن علي السنوسي (ت 1276هـ).

المحور الثاني: منهجية خصائص غايات ثبت «أوبة المهاجر وتوبة المهاجر»:

وهو من أهم الأثبات المعاصرة، حل في منتصف المسافة بين «فهرس الفهارس» للكتاني، الذي جمع التاريخ العلمي والثقافي للمغرب، و«فتح الملك الوهاب المتعالي» لعبد الستار الدهلوي، الذي جمع التاريخ العلمي والثقافي في المشرق، فسد فرجة عميقة في منتصف المسافة، سيما وأن ليبيا مثلت على مر التاريخ حلقة الوصل الرئيسية بين الجهتين دون أن تحظى بمن يوثق تاريخها العلمي والثقافي، فكان «أوبة المهاجر» من حقق ذلك.

ويندرج «أوبة المهاجر» تحت الصنف الثالث من طرق التأليف في علم الأثبات، لكنه زاد على كتب هذا الصنف الكثير من الإضافات والبحوث مما سنشير إليه لاحقا.

أولاً: خصائص ثبت أوبة المهاجر وتوبة الهاجر:

1- تفرده بالترجمة لجماعة كبيرة من العلماء المحدثين والمسندين، خصوصاً الليبيين، سواء المتقدمين أو المتأخرين، يندر الوقوف عليها في مصادر أخرى، وإن وجد بعضها فبقصور ونقص شديد في مادتها، ما جعله المصدر الأصيل للتعرف على علماء ليبيا.

2- العناية التامة بالهوية الليبية، وبيانه لقيمها وثوابتها كما أشار في مقدمة ثبته، وإبراز دور وريادة علماء البلاد، كتأكيده على ريادة علماء البلاد في العناية بالمذهب المالكي، فعلي بن زياد الطرابلسي أول من أدخل الموطأ للشمال الأفريقي، وثاني شرح للموطأ بعد شرح الإمام سحنون، هو شرح الشيخ أبي جعفر

الداودي الطرابلسي في كتابه (النامي)، كما أن ثلاثة من كبار علماء ليبيا أخذوا عن الإمام مالك بشكل مباشر، وهم محمد بن معاوية، ومحمد بن ربيعة الطرابلسي، بالإضافة لعلي بن زياد.

3- يعكس الثبت جهود العلامة القطعاني وحركته الدائمة داخل وخارج البلاد، بحثا عن الأسانيد الليبية والعودة بها إلىٰ موطنها الأم، وإشاعتها بين طلاب العلم والعلماء بإجازته فيها لهم، حتىٰ أصبح محط الأنظار وقبلة للإسناد، فحرص القريب والبعيد علىٰ الاتصال به والرواية عنه.

4- الثبث حلقة هامة من حلقات تجديد واستمرار العلاقة بين التصوف والثقافة الإسلامية للبلاد، ما يعكس سعي الشيخ القطعاني الىٰ تجديد هذه الرابطة وتعزيزها، فمدار الرواية والإسناد عنده علىٰ التصوف ورجاله، وفي ذلك يقول: «لقد امتزج الحديث الشريف في ليبيا بالتصوف، والمحدثون والمسندون الليبيون هم عينهم أعلام المتصوفين»[1].

ونجد في ثنايا الثبت أن الاسناد الليبي يدور علىٰ شخصيات صوفية، بدءا بسيدي عبد الله الشعاب، ومروراً بالشيخ أبو الحسن بن المنمر، والشيخ كريم الدين البرموني، والشيخ محمد بن علي السنوسي، وصولا إلىٰ العصر الحديث.

5- عنايته بتصويب وضبط الأعلام الليبية، سواء البشرية أو الجغرافية، منبها علىٰ أخطاء سارت عليها أثبات وفهارس ومشيخات لها مكانتها في أوساط هذا العلم والمشتغلين به، ولأهمية هذه القضية عقد مبحثًا خاصًّا بها في مقدمة الثبت.

---

(1) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج2، ص 5.

ثانيا: منهجية العلامة القطعاني في «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر».

التسمية: بينا آنفا أن لهذا النوع من الكتب عدة تسميات منها الفهارس والمعاجم والبرامج والمشيخات والأثبات، لكن شيخنا اختار أن يسمي كتابه «ثبت»، وقد بين أن سبب ذلك استقرار المتأخرين علىٰ تسمية أعمالهم في هذا العلم بالأثبات، في قوله «الثبت ومجموعها أثبات بسكون الموحدة هو الإنسان الثابت القلب واللسان والكتاب والحجة، وأما بالفتح فما يثبت فيه المحدث مسموعه والمشاركين له وفيه أشياخه، وهو المصطلح الذي استقر عليه أغلب المعاصرين شرقا وغربا»[1].

يمثل الثبت مرحلة من مراحل تطور علم الأثبات، فالتعريف الذي صاغه شيخنا للثبت يعكس ما تضمنه كتابه من أغلب أنواع ومعاني مسميات هذا العلم، ففيه معنىٰ الفهرسة والمشيخة والثبت وغيرها، وبالإضافة لمضامين ومحتويات كتب هذا العلم، فقد زاد شيخنا بأن أضاف لعلم الأثبات جوانب جديدة، كعقد المباحث الطويلة في تصويب الألقاب والأعلام، والتأريخ لدخول كتب العلم، والاستدراك علىٰ من سبقه من العلماء.

الشمول، وأعني به أنه لم يفرد ثبته للعناية بعلوم السنة وكتبتها وروايتها، بل شمل كل ما يتصل بالثقافة الليبية من أدب وموسيقىٰ وفنون، وجاءت عنايته بالتصوف ورجاله وطرقهم وأسانيدهم مائزا ميزه عن غيره من كتب هذا العلم، فلم يفرد غيره ممن صنف فيه مباحثا للتصوف وعناية كما اعتنىٰ به هو.

تقسيم الكتاب إلىٰ قسمين، «أوبة المهاجر»، و«توبة الهاجر»، الأول أرجع فيه الأسانيد الليبية التي هاجرت قديماً وحديثاً، والثاني توبتها عن الهجرة مجدداً بأن

(1) نفس المصدر، ج1، ص 11.

وطنها في البلاد بين طلابه وعلماء البلاد وأجازهم فيها، وكأنه دشن بهذا الكتاب تحقيباً جديداً للتاريخ الثقافي والعلمي للبلاد، فالمرحلة الأولىٰ هاجرت فيها العلوم بأسانيدها ورجالها، وفي المرحلة الثانية عادت علىٰ يديه لتحيا مجدداً.

روايته عن أغلب أهل الحديث المعاصرين من غير الليبيين، وهدفه من ذلك، بحسب رأيي، ربط الثقافة والعلم في ليبيا بالمحيط الإسلامي، وهي دعوة ضمنية للحفاظ علىٰ خصوصية الهوية الليبية في غير انفصال قطري أو جهوي عن محطيها الإسلامي والعربي.

خاتمة:

إنَّ ثبت أوبة المهاجر وتوبة الهاجر هو ثروة إسلامية وعربية وليبية، ورغم قصور بحثي هذا حتىٰ وإن أطلت فيه وسودت المزيد من الصفحات، إلا أنني أهدف إلىٰ لفت أنظار طلبة العلم والعلماء في بلادنا إلىٰ موقعه الهام في خارطة الثقافة الليبية، وأمني النفس بأن يعقبنا محدثين ومتخصصين ومفكرين يعتنون به ويفصلون ما فيه، طلباً لكبير قيمته واستكمالاً لمسيرة مؤلفه الذي أنفق عمره المبارك من أجل تعزيز كل ما هو ليبيّ، وللحافظ عليه من الاندثار، فرضي الله عنه وجازاه كل الخير عني، وعني إخواني مريدي الطريقة العيساوية، وعن أهل العلم والعلماء في بلادنا، بل عن الأمة الإسلامية.

وأرجو الله تعالىٰ أن يكرمني بدوام نعمة الوفاء لحضرته رضوان الله عليه، فقد منَّ عليَّ بالأخذ عنه ومجالسته والسماع منه.



منهجية العلامة أحمد القطعاني في علم التراجم والأسانيد

أ. أحمد خالد الحراري
الأستاذ برواق الإمام الرفاعي للعلوم الشرعية، تركيا



الحمد لله حقـًا، فهو الودود خفيّ الألطاف، المنّان بنعم متعددة الألوان والأصناف، الكريم المجيب المؤمّن لكل من ارتاع وخاف، اللطيف في بلائه ولو كان من العبد إسراف، القريب المجيب لمن دعاه بإلحاح وإلحاف.

نحمده تعالى ونسأله النجاة مما نخشى، ونخاف ونعوذ بنور وجهه العظيم من الجدل والإسفاف، ونرجوه الصلاح والاستقامة دون مواربة والتفاف، وأن يجنّبنا بفضله الفساد والإتلاف، ونصلّي ونسلم على سيدنا محمد المتحقق بكمال الأوصاف، وطيء الفراش، بسيط اللباس، عفيف اللسان، فائق الحنان، سريع الانعطاف، عظيمٌ خلقه، وحيٌ نطقه، عيشه الكفاف، مركبه البعير، سريره الحصير، يلبس النعال والخفاف، محسن إذا أسر، عفوٌ إذا قدر، لا ينقض الأحلاف، وعلى آله الأشراف، وأصحابه أصحاب الألطاف، ذوي الرشد والإنصاف، من نصروا الدين وحلّوا الخلاف، فكانوا لحضرة المصطفى خير أخلاف، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم تحشر فيه الأرواح إلى خفي الألطاف، وبعد:

فالأمة المحمدية المباركة عرفت بكونها أمة الإسناد والإثبات، حتى عدّ علماؤنا الإسناد ركنًا من أركان الدّين، فروي عن الإمام عبد الله بن المبارك

(ت 181 للهجرة) أنه قال: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»، ففي بداية صدور الرواية في عصر الصحابة الأكابر، نشأ بمحاذاتها علم عرف بعلم «الجرح والتعديل» أو «علم الرجال» كما يسمىٰ، حيث كان الهدف من نشأة هذا العلم معرفة رجال السند والتحقق من عدالة وضبط كل واحد منهم، ومعايير أخذ الحديث منهم أو رفضه، وكل هذا في سبيل تنقية السند وإثبات صحة المتن من عدمها، فصحة السند من شروط إثبات صحة المتن، ويتبين لنا هنا أنه إذا حصل خلل في السند من ضعف لأحد الرواة أو انتفاء إحدىٰ شروط العدالة فيه أو غير ذلك، فاحتمال حصول وضع في المتن واردٌ، ومن هنا يأتي دور ما رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن سيرين أنه قال: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

ومن المعروف أن التحقق من القول أمر مهمّ في زماننا أيّا كان صاحبه، لأن الوضع والتدليس والكذب قد كثر، لا سيما مع كثرة المتربصين بشريعتنا وأمتنا، فكيف إن كان هذا القول هو حديث ورد عن النبي ﷺ، أو قولُ صحابيٍّ أو تابعيٍّ أو عالمٍ عارف بالله؟! فهذه الأقوال هي ما تُبنىٰ عليها الأحكام الفقهية والمذاهب العقائدية والتشريعات الدينية، إذاً فالخطأ فيها غير قابلٍ للورود بأي صورة أو أي شكلٍ من الأشكال، فالتحقق من الناقل يوفّر علينا معرفةً صحة المنقول من عدمه.

استفادت الأمة من هذا العلم ومن فحص الأسانيد وإثباتها بعد وضعه، حيث كان في أول الأمر مخصّصاً لحديث رسول الله ﷺ، ثم صار ميزاناً للعلماء يرجّحون به القول المقبول والمرفوض في كل علم من العلوم، حسب ما يتناسب مع هذا العلم وما تحتويه شخصية الناقل من احتمالية صدقه أو كذبه. وكذلك الأمر مع المخطوطات وما ورد إلينا من وثائق تاريخية تروي سيرة أسلافنا وما دوّنوه من مرويّات تروي حالهم وأحوالهم.

عناية المدارس الصوفية بعلم الأثبات والمشيخات.

المدرسة الصوفية مدرسة عرفت أصولها، وأسّس طريقها منذ عهد الصحابة الكرام عليهم رضوان الله أجمعين، حيث كانوا يسعون إلىٰ تحقيق مقام الإحسان، الذي ورد في حديث جبريل عليه السلام، عندما سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، حيث اتّخذ العلماء هذا النص من الحديث كقاعدة أوليّة تأسّس عليها علم التصوف.

وبالنظر إلىٰ هذا الطرح يتبيّن لنا أن التصوف بأصله موجود معروف منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، إلّا أن معرفته باسم التصوف لم يكن وارداً بين المسلمين حتىٰ فترة من الزمن عُرِف فيها هؤلاء القوم الزهاد المتعفّفون من الدنيا المنشغلون بالله عز وجل، فتشبّهوا بأوصاف أهل الصفّة ولبسوا الصوف لرخص ثمنه تزهّدا في الدنيا وما فيها.

وينقسم علم المشيخة والأثبات عند المتصوفة إلىٰ قسمين أساسيين لكل منهما علاقة بقاعدة من قواعد التصوف فلا يقوم التصوف إلاّ بهما، فالأولىٰ: هي العلم، والثانية: هي الذكر.

فالعلم -كما نوّهنا سابقـًا- هو ما أورثه الأنبياء لهذه الأمة، ومن باب حفاظنا علىٰ هذا الإرث العظيم، وجب علينا السعي لتنقيته من كل ما تعلّق به من الشوائب، أو من كل من تكلم فيه وهو ليس من أهله.

ومع كون العلم أصلاً عند أهل التصوف صار التثبت من أقوال المشايخ أمراً في غاية الأهمية، حيث إن هذا العلم الذي نقلوه إلينا هو أساس الطريق، وفحص رجاله الناقلين يمنحنا شيئـًا من الثقة والاطمئنان في قبول المرويّات إذا تثبتنا من صحة وصدق راويها.

والتصوف إنما يبنىٰ علىٰ العلم، وبالعلم وما يصدّق ذلك قول الإمام أحمد الرفاعي حيث قال: «كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة»(1).

وغير ذلك من الأقوال التي تثبت أن التصوف مرتبط بالشرع ارتباطـًا وثيقـًا، فلزام علىٰ أتباع هذه المدرسة وسالكي طريق القوم تحديداً أن يهتموا بجانب العلم وتحصيله كابراً عن كابر، والتدقيق في أسانيده وعدم الأخذ إلا ممن صح حاله وقاله.

والقاعدة الثانية التي يقوم عليها التصوف هي: الذكر، فالمريد بعد أن يتحصّن بحصن العلم ويثبّت بناء نفسه بقواعد الشريعة، وجب عليه أن يحصّن قلبه بدرع الطريقة، وهذا الدرع لا يكون إلا بسويعات من يومه وليلته يخلو فيها مع نفسه يذكر فيها ربّه ويناجي فيها مولاه.

وكما لا يخفىٰ علىٰ أذهاننا جميعـًا أن الذّكر لا يأتي به المريد من تلقاء نفسه، بل يأخذه بسند متّصل ويرويه عن سلسلة متصلة صحيحة إلىٰ شيخه ومنه إلىٰ النبي ﷺ، وهنا يأتي دور الأثبات والأسانيد لفحص هذا السند إذا كان إجازة مكتوبة، والتحقق من رجاله إذا كانوا رواة قد نقلوا هذا السند بكل ثقة وضبط، أو التحقق من فترة حياة كل واحد منهم ومدة حياته وقياسها بما يخص من أخذ عنه أو روىٰ له مما يثبت التقائهم إذا كان الأخذ قد تم عن طريق المبايعة باليد.

وبالتالي فإن علم التصوف والمدرسة الصوفية ارتبطت بمجال المشيخات والفهارس ارتباطـًا وثيقـًا جعله أساسـًا من أسس استمرار هذه المدرسة وثبات مشايخها إلىٰ هذا اليوم.

---

(1) قلائد الزبرجد علىٰ حكم مولانا الغوث الرفاعي أحمد، أبو الهدىٰ الصيادي، دار البيروني، 2008م، ص 121.

دور الأثبات في توثيق الهوية الإسلامية:

تعدّ الهوية الإسلامية في أيامنا هذه هي المرجعية والأصل الذي تعتزّ به الأمة وتحاول بذل ما في وسعها للحفاظ عليه من أن تشوبه شائبة أو يحل به خمول.

وبالتالي فإن علم الأثبات والأسانيد كان له الفضل في الحفاظ على هذه الهوية من حيث التحقق من صدق الناقل وصحة المنقول في أي باب من أبواب الشريعة.

فالخطأ في الإفتاء -كما لا يغيب عن ذهن كلّ واحد منّا- لا يترتب عليه تخطئة المفتي فقط، بل إن هذا الخطأ يجرّ خلفه وقوع الآلاف من المسلمين في أخطاء لا حول لهم بها ولا قوة، بل لا علم لهم بصحة الفتوى من عدمه.

ومن هنا يأتي مصداق قول الباري عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]، فلبّ الشريعة الإسلامية هو التحقق والتبيّن من كل قول يرد للعبد من أقوال، والكيس الفطن هو من يتحقق ويتثبت من كل أمور حياته، وبأمور دينه وشريعته من باب أولى، ولا يفرّط في قلبه وعقله ويسلمهما لمن يحشوانهما بما يريدون فيصير عندئذٍ كالدابة تتحرك بأمر راعيها وسائسها، وذلك هو الخسران العظيم.

الأثبات والفهارس ودورها في الدراسات العلمية الحديثة:

في عصرنا الحديث، صار للفهارس والأثبات دور مهم في قبول كل قول كما ذكرنا، ومن ثم فإن الدراسات العلمية الحديثة لا تبنى من تلقاء نفسها، بل لا بد من أساس تقوم عليه القواعد، وهذا الأساس إذا لم يكن صحيحاً سليماً خالياً من الشوائب فتنقيته تكون أصعب من ذلك بعد وضع القواعد وبناء الأفكار.

إذا فنهج علمائنا الصالحين السابقين هو التحقق من أي قول قبل أخذه، فأخذ القول يترتب عليه صناعة فتوىٰ، والفتوىٰ إن لم تكن صحيحة وسليمة أدت بصاحبها إلىٰ ما لا يحمد عقباه.

قد يتوارد إلىٰ ذهن القارئ أن علم الفهارس والأثبات إذا ذكرت فهي لا تختص إلّا بمجال الحديث النبوي الشريف وهذه شبهة كثر ذكرها عند المعاصرين.

في حال أن هذا المجال مهمٌّ ضروري لكل علم من العلوم، وكل علم يتعامل معه بالطريقة التي تميّزه، ويمكننا أن نجزم أنه مرتبط بالعلوم العقلية كذلك إلىٰ جانب العلوم النقلية، ودليل ذلك مثلاً علم اللغة، جميعنا يعرف قواعد النحو والصرف والبلاغة، وتمييز من يخطئ في هذه الأمور ومعرفته من أول حديثه، لأن الأمة تلقّت قواعد اللغة بالأسانيد والسلاسل المتّصلة. وكذلك العلوم الكونية والإنسانية، جميعها تعتمد علىٰ أسس وقواعد تناقلها أهلها من الذين قبلهم. فعلم الطب، مثلاً إذا لم توضع له فهارس وطرق سابقة في التعامل مع معطيات هذا العلم لما توصّل أي عالم إلىٰ نتائج علاجية ودوائية. وكذلك علم الرياضيات والفيزياء، إذا لم توضع لهما قواعد منذ تأسيس العلم وسار عليها أهله وقاموا بمغالطة من يخالف هذه القواعد لما استمرت هذه العلوم جميعها إلىٰ اليوم ولأصبحت باباً مفتوحاً لكل وارد يضيف إليها ما شاء ويحذف منها ما خالف هواه، وقس علىٰ ذلك.

تاريخ دخول التصوف إلى الأراضي الليبية:

المطلع علىٰ التاريخ الليبي يجد أنه منذ أمد من السنين حتىٰ قبيل سنوات قليلة، أن أهل البلاد عاشوا عقيدة واحدة ومذهباً واحداً وسلوكاً واحداً أيضا، عبر عنه الامام بن عاشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله:

في عقد الاشعري وفقه مالك   وفي طريقة الجنيد السالك

فعلىٰ الجانب العقائدي كانت عقيدة أهل السنة والجماعة، أي: الاشاعرة والماتردية، هي العقيدة السائدة علىٰ الوسط العلمي في البلاد، ويقابلها بالطبع مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي علىٰ الجهة الفقهية.

وهذه الوحدة في التوجه أدت إلىٰ عدم وجود صعوبة في الاعتماد علىٰ الأسانيد ومنابع العلم، فالمصدر واحد، وبقي الأمر علىٰ ذلك حتىٰ السنوات الأخيرة حيث شنت حرب علىٰ العلم وأهله، وقد تعد أخطر الأزمات التي تعرض لها أهل العلم والتقوىٰ علىٰ مر العصور. ففي أوائل القرن الماضي مثلا كان الخطر الذي يواجه علماء هو الخوف من التدليس والوضع في علوم الحديث سنداً ومتناً، أما في الآونة الأخيرة بعد تنقيح الأسانيد وتثبيت علم الجرح والتعديل أصبحت العقبة الكبرىٰ التي تواجه علماء الحديث هي الخلط في إدراج الفروع تحت أصولها، فأحيانا من قصور فهم البعض نجد الحديث يستدل به في غير موضعه أو عند غير الباب الذي وضع له.

ناهيك عن الهجمة التي تواجهها مدرسة الحديث في عصرنا هذا من قبل من يسمون أنفسهم بالقرآنيين وينسبون أنفسهم للقرآن زورا، وقد جاء الرد المفصل عليهم في بابه من قبل أهل الاختصاص.

ومن هنا جاءت الأمانة علىٰ المشايخ بوجه عام والمحدثين بوجه خاص بإعادة فرز وإعادة علم الحديث إلىٰ هيبته التي وضعت له، أو إن صح التعبير لنقل (برمجة مدرسة الحديث).

وعلم التصوف وارتباطه الوثيق بعلم الحديث سنداً ومتناً وإن كان كل منهما علماً مستقلًّا بذاته يجعلهما هذا الارتباط متصلين ببعضهما، حتىٰ قال أحد العارفين لأحد تلاميذه: «يا بني كن محدثا صوفيا، ولا تكن صوفيا محدثا»،

فالمعنىٰ هنا يدور حول التمكن في علم الحديث ومعرفة أصوله وفروعه يساعد علىٰ التمكن في علم التصوف.

وعلم التصوف لم يدخل إلىٰ الأراضي الليبية مؤخراً، بل هو متأصل في الأذهان والقلوب منذ دخول الإسلام إلىٰ البلاد، الا ان تصنيفه كعلم مستقل بأصوله وفروعه لم يظهر إلا مؤخرا، فعرفت الطريقة العروسية المأخوذة عن القطب الأنور سيدي عبد السلام الأسمر، وهي الطريقة الأكثر شهرة وانتشاراً في البلاد، تليها الطريقة العيساوية التي اتخذها سيدي القطعاني منهجًا وأسلوب تربية، ثم تأتي طريقة السادة السنوسية رضوان الله عليهم أجمعين، بالإضافة لطرق صوفية أخرىٰ كالبرهانية، والقادرية، والتيجانية وغيرها، إلا أن الانتشار الأكبر للسابق ذكرها.

منهجية العلامة أحمد القطعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة أهل الأسانيد:

إن المطّلع علىٰ سيرة حياة شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومُلازِمُه، وقارئ مؤلّفاته، تتبيّن له موسوعة اهتمامه ومساهمته وجهوده في علوم السنة الشريفة، ومنها اهتمامه الكبير بعلوم الإسناد.

وفي الترجمة لرجال الإسناد، يمكن لدراسة طريقته فيها، أن يرصد عدة أمور:

– يبدأ الترجمة بذكر اسم المُتَرجم وألقابه، إن وجدت، وحياته الأوّلية ممّا يخص مكان وتاريخ ميلاده ومذهبيه العقائدي والفقهي وطريقته الصوفية إن وجدت.

– ثم يتطرق إلىٰ سرد سيرته العلمية ورحيله في طلب العلم وأسماء مشايخه وأساتذته ورحلته في طلب العلم.

– ثم يذكر مؤلفاته.

- ثم بعض أقواله إن وجدت.

- ثم يذكر بعضاً من كراماته.

- ثم يتطرق إلىٰ ذكر بعضٍ من كلامه وشعره.

- يختم الترجمة بذكر السند الصوفي للمُتَرجم، وأحياناً يجري تحقيقا للسند إن وجد فيه خطأ أو اختلاط بأسانيد أخرىٰ.

وهذا المنهج في الترجمة لرجال الإسناد هو أصح الطرق العلمية، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأتي بالأهم ثم الأهم ثم المهم بالنسبة إلىٰ القارئ المطّلع، بما يهمّه ويفيده في حياة من أراد البحث عن ترجمة له.

ولعلك أخي القارئ، إذا اطّلعت علىٰ إحدىٰ مصنفات العلامة القطعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجد فيها من الإطناب والإيجاز ما يكمّلُ بعضها بعضاً، وذلك مثلا في كتابه (حرّاس العقيدة) وهذا الكتاب -حقيقةً- جذبني، ففيه من تضمين المعاني ما لا يدقّق فيه إلا كل فطن، فقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -والله أعلم- أن هذه العقيدة الغرّاء، عقيدة أهل السنة والجماعة، كانت ستضيع لولا هؤلاء الحراس الذين يحرسونها ويحمونها ممن يريد إسقاطها بفضل الله وفتحه ومدده.

وبدأ شيخنا في كتابه هذا بالترجمة للشيخ محمد بن سليمان الجزولي[1]، باعتباره أحد أعمدة الصلاح في هذه الطريق، ومسيرته وترحاله في سبيل البحث عن أهل الله، وعن لقائه بالشيخ أحمد الزروق، وسلوكه للطريقة الشاذلية علىٰ يد الشيخ محمد الصغير أمغار، ومن ثم تطرّق إلىٰ الحديث حول خروجه في طلب العلم ونشر الدعوة بعد خلوة مكث فيها أربع عشرة سنة، عكف فيها علىٰ الذكر

(1) حراس العقيدة، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، ط 3، 2016م، 3.

والقرآن، وخرج من بعد ذلك للدعوة والإرشاد، وكانت البلاد آنذاك أحوج ما تكون إلىٰ أمثاله رضي الله عنه، وختاماً ذكر الشيخ مؤلفات سيدي الجزولي وتلامذته وما تفرع من الطريقة الجزولية من طرق.

ويذكر العلامة القطعاني مثلا آخر في هذا الكتاب، بعد أن تدرج في ذكر أعلام الطريق الذين أحب أن يطلق عليهم اسم «حراس العقيدة»، هو سيدي أحمد الزروق رحمه الله ورضي عنه[1]، حيث يذكر سبب تسمية سيدي الزروق بهذا الاسم، وطفولته التي أمضاها في الكتّاب وفي تعلم العلوم وهو يتيم الأب تكفله جدته، حتىٰ دخل جامعة القرويين وتخرّج منها، ثم رحلة حجّه، ومروره بالأزهر الشريف وجلوسه عند علمائه معلماً ومتعلّماً، وهناك التقىٰ بشيخه الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي، وبعد أن تمكن من العلم، رجع إلىٰ المغرب، فاستقر بتطاوين، ثم انتقل إلىٰ اوجلة ومنها إلىٰ مصراتة ومكث بها يعلم أهلها، ولم يخرج منها إلا للحج سنة 886 للهجرة، وتوفي بها في خلوته عام 899 للهجرة عن عمر يناهز الأربعة والخمسين عاماً.

وكذلك الحال مع سيدي عبد السلام الأسمر[2]، وسيدي ابن عجيبة[3]، وسيدي ماء العينين[4]، وغيرهم الكثير ممن ترجم لهم الشيخ رحمه الله، نجد أن منهجه في الترجمة لأهل الأسانيد ليست بالطويلة المملة، ولا بالقصيرة المخلّة، فلا يقتصر عن سرد المعلومات المهمة عنهم، ولا يكثر من سرد سيرهم وتفاصيل حياتهم

(1) نفس المصدر، ص 9.

(2) نفس المصدر، ص 16.

(3) نفس المصدر، ص 49.

(4) نفس المصدر، ص 60.

اليومية، بل فقط يذكر لنا ما ينفعنا من قصصهم، وما يفيدنا من مسيرتهم العلمية وأسماء أشياخهم وتلامذتهم وما يحتاج إليه الباحث في السند.

ولأهمية بعض الأعلام، نجد العلامة القطعاني أفرد لبعضهم كتبا للترجمة لهم بشكل خاص، مثال ذلك سيدي عبد السلام الأسمر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحديثه عنه في كتابه (القطب الأنور)[1] حيث ترجم له في بداية الأمر، ذاكراً أشياخه وأسانيده ثم تطرق إلىٰ ذكر بعضٍ من قصصه، ووصاياه لطلبته ومريديه.

وكعادة غيره من العلماء الربانيين في بلادنا الحبيبة، أراد سيدي القطعاني رَحِمَهُ اللهُ أن يوجه أنظار الأمة الإسلامية إلىٰ أن بلادنا المباركة امتزجت تربتها بعبر صحابة رسول الله ﷺ، فبالرغم من تنويهه إلىٰ هذا الجانب في أغلب مؤلفاته، إلا أنه أفرد لهم مصنفاً خاص وسمه بـ(الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة)[2]، بدأ فيه بذكر مكارم الصحابة علىٰ العموم، وفضل صحبتهم لرسول الله ﷺ، والآيات والأحاديث الواردة في الثناء عليهم، والتحذير من بغضهم، والرد علىٰ من أبغض بعضهم والتحذير من هذا التفريق بينهم.

وتخلل حديثه عن الصحابة ذكر بعض الأمور التاريخية مما يتعلق بفتح طرابلس ودخول الإسلام إلىٰ أراضيها، وسبب تسميتها بهذا الاسم، قبل أن يدخل في مضمون التصنيف وهو ذكر الصحابة الذين طيب الله الأراضي الليبية بأن داست أقدامهم الطاهرة علىٰ ترابها، ومن دفن فيها، وترجم لكل واحد منهم علىٰ حده ذاكراً فضله ومناقبه ورحلته العلمية والجهاد.

(1) ينظر القطب الأنور عبد السلام الأسمر، أحمد القطعاني، دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1993م.

(2) ينظر الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة، أحمد القطعاني، مكتبة النجاح، طرابلس، 1994م.

وزين كل ذلك بأبيات شعرية من قريضه، ذات لطافة ومعنىٰ صوفي عميق، ونقل في بعض الأحيان أشعار غيره سواء من أسلافه أو أقرانه رضوان الله عليهم جميعـًا.

ومن مميزات طريقته في هذا الكتاب، أنه أرخ فيه للصحابة الذين لم يثبت دفنهم في البلاد الليبية، وهذا الإنصاف منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهم ما ينبغي أن يلتفت إليه المصنفون وأصحاب الفهارس في أيامنا هذه، فليست العبرة بكثرة المترجم لهم، بل بإعطاء أصحاب التراجم حقهم ومستحقهم، من ذكر مناقبهم وما قدموه للعلم والأمة والوطن، فالعبرة بالنوعية لا بالكمية.

وحتىٰ لا يدع مجالا للشبهة عند المنكرين، ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض المسائل الفقهية مما يتعلق بهذا التصنيف، كمشروعية زيارة القبور ومشروعية البناء فوق قبور الصالحين رضوان الله عليهم.

أما كتابه الآخر عن الشيخ الكامل سيدي بن عيسىٰ[1] والي مكناس، فقد ركز فيه علىٰ ضرورة اقتداء المسلم بشيخ مرشد وتربية نفسه بين يدي عارف لله، ثم سرد حالة المغرب العربي في الفترة التي تلت عصر الصحابة المجاهدين الفاتحين رضوان الله عليهم أجمعين، خصوصا ما حدث بعد ذلك من ثورات وانقلابات تركت أثرا علىٰ الساحة العربية والإسلامية، ويبدو لي أن سبب هذا السرد إنما هو تمهيد لمعرفة الفوضىٰ الحاصلة آنذاك ومعرفة دور الصوفية في نهوض المجتمعات الإسلامية، وكان الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ من رجال التصوف في المغرب العربي، وأدىٰ دوراً كبيراً في بلاده ثم طريقته الصوفية في سائر المغرب العربي، فعرف به وذكر نسبه ورحيله إلىٰ فاس طالبـًا للعلم في جامعة القرويين، وأبرز مشائخه في السلوك في الطريقة العيساوية وسيرهم.

(1) ينظر الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ، أحمد القطعاني، دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1992م.

وقد جمع العلامة القطعاني أوراد الطريقة العيساوية في كتاب واحد، وهو كتاب: (الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسى الغوث)[1]، ليؤكد أن هذه الأمة هي أمة السند، وأن ما يؤخذ بالأثبات وبالسلسلة الصحيحة حجة ولا غبار عليه، فذكر أسانيد شيوخ الطريقة، منبها على وجوب اتخاذ شيخ في الطريق، ومؤكدا لبعض سلوكيات المريد الواجب اتباعها، فجمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين التبيين والإرشاد لمن أراد سلوك طريق القوم.

أما بالنسبة لثبته الكبير الموسوم بـ«أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»، فقد بدأه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر سند حديث الرحمة المسلسل بالأولية؛ وهي عادة مشايخنا وكبرائنا من أهل الحديث والتصوف، أن أول ما يتلقاه المريد عن شيخه هو هذا الحديث وأول ما يحدث به الشيخ إذا حل بأرض جديدة ولهذا السبب سمي بالمسلسل بالأولية، واللطيف في هذا الأمر هو تأكيد الشيخ أن هذا الحديث أصل من أصول طريق التصوف، فالطريق هي الرحمة والمحبة والمودة وصفاء القلب[2].

ثم عرف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمعنى أوبة الهاجر في الجزء الأول، وعرف بمعنى توبة المهاجر في الجزء الثاني من مصنفه.

وبعد التمهيد للكتاب تكلم الشيخ عن الصحابة الكرام، وقدومهم إلى الديار الليبية[3]، ومن ثم تحدث عن السند الليبي[4]، وتصويب بعض الأسانيد الليبية[5]،

(1) ينظر الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسى الغوث، أحمد القطعاني، دار بشرى كلثوم، طرابلس، ط3، 2017م.

(2) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، 2021م، ج1، ص 6 وما بعدها.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 13.

(4) نفس المصدر، ج1، ص 23.

(5) نفس المصدر، ج1، ص 28.

موضحا لبعض المدن الليبية التي اهتمت بعلم الحديث نقلاً وعقلاً، وتخلل ذلك بحث عدد من القضايا التي تلامس قضية الإسناد الليبي، ومنها شح الأسانيد الليبية والسبب في ذلك، كما أفاض في الحديث عن النشاطات الحديثية في ليبيا.

ثم تطرق الشيخ في أوبة المهاجر وتوبة الهاجر للحديث عن أسس وقواعد علم الحديث من ضوابط السند وضوابط المتن وكيفية الأخذ عن المحدثين، وما يقع فيه بعض طلبة علم الحديث من أوهام[1].

وختاماً يذكر الشيخ أسانيده ومن روىٰ عنهم وارتحل لهم في شتىٰ أقطار الأمة الإسلامية، ذاكراً مؤلفات وقصائد وتوصيات للبعض منهم.

كان من أهم وأدق الأمور التي ركز عليها الشيخ في هذا الكتاب، هو ذكره لبعض المسندين الليبيين الذين انقطعت أسانيدهم والتعريف بهم وذكر أسباب الانقطاع[2].

ومما لفت انتباهي في أوبة المهاجر، مع السرد الذي يرويه الشيخ رحمه الله لسيرة العارفين الكمّل رضوان الله عليهم أجمعين، هو ذكره لبعض مناقبهم التي ميزتهم عن غيرهم، مثلا: تنويهه عن الشيخ محمد الخروبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أول شارح للصلاة المشيشية[3]، والأكبر لفتا للانتباه في قضية عنايته بالسند الليبي، هو ذكره لمؤلفات وأشعار وظائف قطب الأقطاب في ليبيا سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مسندة من عنده إلىٰ سيدي عبد السلام[4].

ومما يلاحظ في المنهجية الخاصة للعلامة القطعاني التي يتطرق فيها إلىٰ الحديث في كل كتاب علىٰ حدة، أنه لم يغب عن خاطره أن يتفرد بطريقة تميز

---

(1) نفس المصدر، ج1، ص 63 وما بعدها.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 246.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 250.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 441.

مصنفاته عن بقية علماء عصره، فتجده مثلا لا يخلو له كتاب في مجال ما من تزيينه ببعض الاستشهادات، التي أحببت أن أطلق عليها: الحبال المعطرة التي تربط العلوم ببعضها، وفي نفس الوقت إذا دققنا النظر في هذه الحبال نجد أنها الأسس التي توثق العلوم وتجعلها متصلة مرتبطة ببعضها بعضاً، فمثلا تجده في مصنفاته في التصوف لا بد من أن يتطرق في كلامه عن التصوف إلىٰ التحدث عن علم الحديث، وعند كلامه عن علم الأسانيد لا بد من أن يتطرق إلىٰ الاستشهاد بملامح من التاريخ الليبي أو الإسلامي.

وهكذا هي سنة العلماء الربانيين الذين فتح الله عليهم في كل العلوم، فهم يدركون أن العلوم مكملة مفسرة مزينة لبعضها البعض، بل وحتىٰ في بعض المصنفات التي قد تكون بعيدة عن مجال الإسناد، يلزمها الاعتماد علىٰ الجانب الشرعي، فيبدأ في كتابه «الكرامة الإسلامية»، بالحديث عن معوقات الكرامة، من الجوانب السياسية والاجتماعية، من منظور فقه الواقع، كاختزال كل المشاكل في مشكلة واحدة، بل تحدث حتىٰ عن الفرد ودوره، لأنه بطبيعة الحال الفرد يعتبر هو المكون الأول والأساسي للمجتمع[1].

ومن الأمور التي أحببت أن أختم بها بحثي هذا هي همة سيدي أحمد القطعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي لوحظت عليه في كل حياته يصحبها الفتح والمدد الرباني، ومنها همته في إخراج إسناد «الحديث المسلسل بالليبيين»[2]، فمن المعروف أن المسلسلات تكون علىٰ وضع إما ظاهري أو معنوي كالمسلسل بالرحمة، وبالأولية، والمسلسل

---

(1) ينظر الكرامة الإسلامية، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2016م.

(2) ينظر أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 50، وكرائم المسلسلات، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2016م، ص 69.

بيوم عاشوراء، ويوم عرفة، وغيرها، ثم ظهرت مسلسلات مخصصة في البلدان كالمسلسل بأهل اليمن، أو المسلسل بالعراقيين وغيرها.

وهذا الذي دفع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن يتفرد بأن يحمل علىٰ عاتقيه هم إيجاد مسلسل بالليبيين فبحث وجمع ونقح الأسانيد لما يزيد عن عشر سنوات، حتىٰ تفرد بهذه الكرامة التي أكرمه الله بها، فأخرجه ورواه عن علماء البلاد بالسند المتصل إلىٰ الصحابي الجليل دفين ليبيا سيدنا رويفع الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه ولد غيره) فهذه الخاصية إلىٰ جانب ما قدمه إلىٰ الأمة والبلاد والعلم والتصوف من خيرات تحسب له، وتجعل البشر والشجر والحجر والحيتان تستغفر له فرضي الله عنه وجزاه عنا خير الجزاء.



أدب الرحلات عند أحمد القطعاني
دراسة وصفية تحليلية

أ.د. مصطفى سالم حبلوص
الأستاذ بجامعة غريان، ليبيا



الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد ﷻ خلق الإنسان من ماء مهين، ثم جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الذي أرسل رحمة للعالمين بنور الحق واليقين.

راج أدب الرحلات والأسفار الذي استهوى محبيه وقراءه، فأمتعهم بما كان يعرض عليهم من مشاهد ومعالم وآثار لأمم زائلة، وعوالم مجهولة، وعجائب مشوقة، يصفها وصف معاينة، وبما كان يصوره من عادات الناس وأخلاقهم ومشاعرهم تصويراً، يبثّ الحياة والحركة.

وثمة دراسات عديدة تناولت هذا الأدب، وكان لكل منها مقاصده وأهدافه، ويأتي في مقدمتهم المستشرق الروسي كراتشكوفسكي الذي تناول أدب الرحلات من الزاوية الجغرافية في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) وهذا الكتاب يعد من أُمّات الكتب في أدب الرحلة.

كما درس الكاتب نيقولا زيادة هذا الأدب من خلال كتبه الثلاثة، وهي: (رواد الشرق في العصور الوسطى) و(الرحالة العرب) و(الجغرافية والرحلات

عند العرب) وجميعها تبحث في الجغرافية والتاريخية، وثمة دراسة لكاتب هذه الورقة بعنوان (أدب الرحلات عند العرب نشأته وتطوره، ابن بطوطة أنموذجًا).

أما ورقتي البحثية هذه المتواضعة، فقد أوقفتها علىٰ دراسة أدب الرحلات عند العلامة أحمد القطعاني في كتابه (رحلات أحمد القطعاني)، وعنوانها (أدب الرحلات عند العلامة أحمد القطعاني، وقسمتها إلىٰ مقدمة وخاتمة، وستة مطالب، وهي: (مفهوم أدب الرحلات، مؤتمرات علمية ومجالس أدبية وفنية، منهجيته في تدوين رحلاته، زيارته للعلماء والأولياء، المرأة عند العلامة القطعاني، القيمة الفنية) وهي دراسة وصفية تحليلية.

المطلب الأول: مفهوم أدب الرحلات.

عرف العرب منذ نشأتهم الأولىٰ السفر، ومارسوا الترحال داخل جزيرتهم العربية وسافروا إلىٰ البلدان المجاورة لهم، واشتهروا برحلتي: الصيف والشتاء التي ورد ذكرهما في القرآن الكريم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ [قريس: 1، 2].

أبحرت سفنهم عبر أمواج المحيط الهندي، فاتجهوا شرقًا صوب الهندي وغربًا نحو أفريقيا، وقع هذا السفر قبل الإسلام[1] وازدادت رحلاتهم اتساعًا بعد بزوغ فجر الإسلام حتىٰ بلغت ذروتها، وارتفع شأنها بعد الفتوحات الإسلامية، وما تلاها من عصور الاستقرار.

واتسعت الرحلات بشكل ملحوظ تزامنا مع امتداد الفتوحات الإسلامية حتىٰ شملت بلاد ما وراء النهر والسند سنة89هـ شرقًا، ووصلوا إلىٰ حدود الصين،

(1) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، تعليق حسين مؤنس، طبعة جديدة، دار الهلال، 1968م ج1، ص23-24.

وأخذوا الجزية من أهلها سنة 96هـ[1] وغرباً دخلوا بلاد الأندلس، وتوغلوا فيها.

دَرَجَ الكتاب على استعمال مقولة (أدب الرحلات) للإشارة إلى كتابات الرحالة العرب التي يصفون فيها البلدان والأقوام، والتي يرصدون فيها أحداث تجوالهم، ودوافع رحلاتهم، وما يصاحب ذلك من إصدار أحكام تقويمية لما شاهدوه، أو سمعوه أو نقلوه، ونظراً لارتقاء فن الوصف في كثير من كتابات الرحالة العرب، وبلوغه حدّاً كبيراً من الدقة، فضلاً على ديباجة الأسلوب القصصي السلس والمشوّق؛ أُدخِل أدب الرحلات ضمن فنون الأدب العربي وأضحت قراءة الرحلات متعة فنية كبرى[2].

أما مفهوم أدب الرحلات، فهو فن من فنون النثر، يرصد فيه الرحّالة ما عاينه بنفسه أو سمعه من رواة شعبيين، أو نقله عن مصنفات قائمة منشورة بأسلوب السرد القصصي متوخياً الدقة في الملاحظة مع تحري الحقيقة، وما كتبه هؤلاء الرحالة «لم يكتبوه بأسلوب وصفي علمي جاف، وإنما كتبوه بأسلوب فيه حسن صياغة، وقوة عاطفة، وسمو خيال؛ ولذا يمكننا أن نعده علماً مطبوعاً بالطابع الأدبي، أو أدباً بالمفهوم الذي كان سائداً في أيام بني العباس، وهو الأخذ من كل علم بطرف»[3].

---

(1) تاريخ العرب قبل الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ط6، القاهرة، 1961م، ج1، ص305-307-316-317.

(2) أدب الرحلات عند العرب نشأته وتطوره؛ ابن بطوطة أنموذجا، مصطفى حبلوص، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009م، ص17-19.

(3) أدب الرحلات في الإسلام، أحمد أبوسعد، مجلة الثقافة العربية، العدد التاسع 1976م، المؤسسة العامة للصحافة بالجمهورية العربية الليبية، وقد نقل هذا التعريف من مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الواحد وافي، طبعة لجنة البيان العربي، بيروت 1965م، ص 343.

والرحلات عند العرب متنوعة منذ نشأتها الأولىٰ، ومن الجدير بالذكر «أن الرحلة اعتباراً من القرن السادس الهجري انطلقت علىٰ أوسع مدىٰ، وتجاوزت ديار المسلمين علىٰ أمل أن تحقق أهدافًا متنوعة؛ اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية، ومجتمع الدول الخارجي، وعلمية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة»[1].

جاب الرحالة العرب القدامىٰ البلدان والقارات القديمة؛ المتمثلة في أفريقيا وآسيا وأوروبا، وبخاصة في عصرهم الوسيط، ومما يؤكد اتصال العرب من خلال رحلاتهم المتعددة بكل أرجاء العالم القديم ما أكده أحد المستشرقين بقوله: «فقد كان للعرب في الوقت الذي كانت أوروبا فيه تشك في وجود بلاد الشرق الأقصىٰ، ولا تعرف من أفريقيا سوىٰ بعض شواطئها؛ علائق تجارية بالهند والصين وأفريقيا الداخلية، وبأقسام أوروبا النائية كروسية وإسوج ودانيمركة[2].

أما شيخنا الرحالة القطعاني، فقد بزّهم جميعًا، لأن رحلاته طالت العالم القديم والجديد فتفوق عليهم بزياراته للقارات الجديدة، وفي طليعتها قارة أمريكا، فأخبر عن أحوالها وأديانها وعلمائها وجامعاتها، وحضاراتها، وغرائبها وعجائبها، وأتقن مثلهم كتابة فن الرحلة، بل رسخت رحلاته كل العوامل والمفاهيم التي بنيت علىٰ أساسها وحدة البشر فوق الأرض «وفي غياب الرحلة ينفرط عقد هذه الوحدة، وتتضرر حركة الحياة ومصيرها المشترك»[3].

---

(1) الإسلام والفكر الجغرافي العربي، صلاح الدين الشامي، منشأة المعارف الإسكندرية، 1979م، ص95.

(2) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسىٰ البابي وشركاه، ط4، سنة 1964 ص553.

(3) الرحلة عين الجغرافية المبصرة، صلاح الدين الشامي، منشأة المعارف الإسكندرية، ط2، =

تميزت رحلاته عن سابقيه؛ وذلك باهتمامه بالعلماء والأولياء، والصوفية، وامتلأت رحلاته بأخبارهم وأحوالهم وكراماتهم، وفي هذا الجانب يعد المنافس الأول لابن بطوطة.

أما طائفة الصوفية عنده، فهم «العلماء بالله وبأحكام الله العاملون بما علمهم الله المتحققون بما استعملهم الله عَزَّوَجَلَّ الواجدون بما تحققوا الفانون بما وجدوا، لأن كل واجد قد فني بما وجد»[1].

وشيخنا العلامة القطعاني يؤمن بالله العظيم ربّاً لكل شيء إيماناً راسخًا، وكونه واحداً أحداً، فرداً صمداً، لا شريك له، كما يحب رسوله محمد ﷺ حباً متنامياً متجدداً، وهذا مفهوم الصوفية عنده في أبسط صورها.

المطلب الثاني: مؤتمرات علمية ومجالس أدبية وفنية.

كان الهدف الأول والرئيس من رحلات العلامة القطعاني المشاركة في المؤتمرات العلمية والمجالس الأدبية والفنية، والتي تتم عن طريق إعداد دولي، كما تتم أيضاً لحساب المؤسسات الإسلامية المنتشرة في بقاع المعمورة، ومثل هذه الرحلات تمثل الأغلبية السائدة في رحلاته، كما له رحلات خاصة لزيارة العلماء والأولياء المصلحين داخل ليبيا وخارجها.

ونظراً لمكانة شيخنا القطعاني العلمية والأدبية، أصبحت تنهال عليه الدعوات من كل مكان للاستفادة من خبراته العلمية، ورؤاه الصوفية القويمة، والتي يوقن

= سنة 1999م ص9.

(1) اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، سنة 1960م، ص47.

مريدوها «أن الحب الحقيقي لسيدنا رسول الله ﷺ إنما يكون بفهم دينه وفقه شريعته أولاً، ثم التمسك والاعتصام بهديه، والتعلق والعشق لسنته، ثم اقتفاء خطاه اعتقاداً، وفكراً، وسلوكاً، وقولاً، في إطار الوسطية، واليسر، والمرونة، والحكمة التي أمرنا بها الحبيب ﷺ[1].

وأهل الصوفية الأصفياء الأتقياء يذوبون حبّاً في حبيبهم المصطفىٰ ﷺ فمحبته أوثق صلة بالله، كما ورد في الحديث عن رجل عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضلُ الأعمالِ الحبُّ في الله، والبغضُ في الله)[2].

لبّىٰ العلامة القطعاني دعوة كريمة من دولة إيران الإسلامية للمشاركة في مؤتمرها العلمي، فيقول واصفاً حرارة استقباله: «ولجنة الاستقبال تبالغ في الترحيب والحفاوة، وتنهي إجراءات الدخول، وتقلنا إلىٰ فندق الاستقلال ليبدأ يوم 6/ 4/ 2007م المؤتمر الدولي العشرون للوحدة الإسلامية تحت شعار الظواهر العامة للسيرة النبوية»[3] وظل بين ظهرانيهم أياماً يلقي محاضراته، ثم خرج «إلىٰ الشوارع يستقصي أخبارهم وأحوالهم، ويزور متاحفهم ومعالم مدنهم.

وفي رحلته الطويلة الشاقة، والمتجهة إلىٰ العالم الجديد بأمريكا، يقول: «وبناء علىٰ دعوة كريمة من بعض المؤسسات العلمية الإسلامية في أميركا»[4] حيث تنقل ما بين مدنها محصياً مساجد المسلمين بها ومدارسهم وجامعاتهم وعلمائهم من المهاجرين إليها.

---

(1) مولد البرزنجي، جعفر الشهرزوي، تحقيق بسام محمد بارود، إصدارات الساحة الخزرجية، أبوظبي دولة الإمارات العربية المتحدة، سنة 2008م، ص9.

(2) رواه أبو داود.

(3) رحلات أحمد القطعاني، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، سنة 2018م، ص9.

(4) نفس المصدر، ص30.

وفي رحلته إلىٰ المملكة المغربية يصف حاله بقوله: «استيقظت في الصباح لأفاجأ بأنني واحد من أكثر من ألف ومائة مشارك من (47) دولة دعوا رسمياً، وبحسب البرنامج المقرر كانت البداية عند الساعة التاسعة صباحاً بزيارة بعض أهم ملامح مراكش»[1] أَحبَّ العلامة القطعاني المغرب وأهلها، حتىٰ وصفها ببوابة العالم إلىٰ عالم الحب!

وبدعوة من جامعة آل البيت توجه إليها يوم 1/ 10/ 2012م وبحسب البرنامج المعد سيلقي اليوم محاضرة في أساتذة جامعة العلوم الإسلامية بعنوان «الفقه الإسلامي بين التعويق والتطوير، والحضور كان فقط أساتذة الجامعة الذين كانوا علماء أفاضل علىٰ درجة عالية من الوعي والثقافة، وقد بالغوا في الترحيب والتحية»[2] وللعلامة القطعاني مكانة مرفوعة الشأن عند أهل الأردن من علماء وأولياء وطلبة العلم.

وجامعة آل البيت جامعة عريقة بها علماء أجلاء، وأساتذة أفاضل نبهاء، وتعد من المنارات العلمية العالمية، وكان لي شرف المشاركة بمؤتمرها العلمي المنعقد في المدة من 13-14 من جمادىٰ الآخرة 1434هـ، الموافق 23- 24 من إبريل 2013م.

ولا يمكن أن نغفل ذلك العدد الهائل من العلماء والأساتذة، وطلبة العلم الذين أجازهم العلامة القطعاني إجازات علمية في الحديث والفقه في مشارق الأرض ومغاربها من المسلمين -عرب وأعاجم- ولم تقتصر إجازاته علىٰ الرجال فقط، بل طالت حتىٰ النساء أيضاً[3].

---

(1) نفس المصدر، ص 45.

(2) نفس المصدر، ص107.

(3) نفس المصدر، ص36-37.

أما مجالسه الأدبية والفنية، فكان يعقدها مصادفة أحيانـًا، ومخططـًا لها أحيانـًا أخرىٰ فهذا مجلس فني أقامه شيخنا القطعاني مصادفة «في سوق شعبي قديم يقع في ميدان تجريش بطهران... وفي هذه الزحمة من البشر إذ بطفلة صغيرة تجلس أمام دكان، تنفخ في ناي رائع أصواتـًا، لا علاقة لها بالموسيقىٰ من قريب أو بعيد»[1] استمع للطفلة بشغف ثم شرع يسأل عن دكان لبيع الآلات الموسيقية، وبعد أخذ ورد، ومشاورات من أطراف كثيرة وصل إلىٰ دكان صغير، فيه شاب مع زوجته يبيعان الآلات الموسيقية.

والشاب اسمه محمد حسين، وكان موسيقيا فنانـًا، يتقن العزف علىٰ جميع الآلات التي يبيعها، نشأت محبة سريعة بين شيخنا القطعاني، وهذا الشاب الموهبة، ودار حديث بينهما طريف حول الموسيقىٰ، وسبب منعها فترة طويلة بإيران؛ لأنها عندهم حرام، فبادره شيخنا القطعاني قائلاً: «لا تسمع لهم، إن دورك في بلادك يماثل دور مدينة قم التي تؤهل علماء الدين، فأنت تربي الإحساس وترتقي بالمشاعر... إنك تؤدي دوراً يفوق دور أحمد نجاد رئيس الوزراء نفسه فلا تضعف، ولا تدع أحداً يهز ثقتك بأهميتك للمجتمع»[2].

ثم واصل نصائحه للموسيقار حاثـًا إياه علىٰ مواصلة إبداعه الموسيقي دون توقف؛ لأن الرسول نفسه ﷺ عندما دخل عليه سيدنا أبوبكر، وهو نائم، فوجد عنده جاريتين تضربان الدف، فنهرهما فاستيقظ الرسول ﷺ من نومه ونهاه عن ذلك، وأمرهما بمواصلة ما كانتا فيه من ضرب للدف.

---

(1) نفس المصدر، ص 16.

(2) نفس المصدر، ص16-17.

طال هذا المجلس الفني بحديثه المستفيض عن الموسيقىٰ وآلاتها، وروعتها ومحبة الشيخ القطعاني لسماعها، فشرعا كلاهما يعزفان معـًا؛ كل بآلته قطعا موسيقية وشيخنا القطعاني ما أن يعزف محمد حسين قطعة، حتىٰ يجاريه فيها بإتقان تام «ثم واصلنا العزف معـًا من قطعة موسيقية إلىٰ أخرىٰ إلىٰ وقت متأخر، لقد كان مثل طائر ققنوس في قفص كل ما فعلته أنني فتحت له باب القفص، فانطلق محلقـًا في الجو عاليـًا من شجرة إلىٰ غصن، ومن أكمة إلىٰ خميلة، لا يريد أن يتوقف»[1].

وفي زيارته لمدينة جبيل في لبنان، وجد أنها بلدة هانئة مطمئنة، لا تسمع فيها لاغية أو ضوضاء، بل سكون واطمئنان، فقال: «وجدت عند أحدهم نايـًا، يدوي الصنع أعجبني فجلست علىٰ مقعد في دكانته، أجربه بأحد ألحان الرحبانية، ويبدو أنني أجدته، وكيف لا؟ وأنا مغلوب علىٰ أمري مأسور في شباك ذلك السحر الحلال، فإذا بأهل ذلك السوق الصغير يجلسون حولي، يستمعون بجدية وإمعان، يتذوقون الموسيقىٰ ويحترمونها»[2] يا له من مجلس فني رائع، وموسيقي سحرها ماتع!

أما مجالسه الأدبية، فكانت غالبا ما تعقد أثناء زيارته للمساجد أو المدارس التعليمية، فبعد زيارته لولي الله إبراهيم بن أدهم بمدينة جبيل، يقول: «ومنها إلىٰ دار الوجيه عبد القادر الأويسي لعقد صالون أدبي كالعادة»[3] ونجد أن الضيافات الأخوية، تتحول بعد الوجبة إلىٰ مجالس أدبية علمية حتىٰ كأنها «مهرجان احتفالي بديع، يحضره العشرات، وتزينه القصائد والمدائح النبوية الشريفة، والأذكار والدروس الإسلامية»[4].

(1) نفس المصدر، ص17.

(2) نفس المصدر، ص97.

(3) نفس المصدر، ص98.

(4) نفس المصدر، ص65.

وعقدَ مجلساً أدبياً تعليمياً بخصوص أنجح الطرق لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فقال: «وهذا ما دعاني لعقد اجتماع يوم الأحد 15/ 2/ 2009م (بهوتيل هوليداي إن) مع بعض القيادات التعليمية هناك لوضع برنامج متكامل لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها شبهته بـ(حقنة الوريد) يبتدئ من حروف الهجاء، وينتهي بتكوين الجمل الكاملة، يختصر الوقت، ويعطي نتائج سريعة»[(1)].

وعند خبراء التعليم، يُعرَف هذا المنهج بالطريقة التركيبية «ويطلق عليها أحياناً الطريقة الهجائية والطريقة الألفبائية، وهي تقوم علىٰ تعليم الطفل الحروف الهجائية بأسمائها بالترتيب «ألف- باء- تاء- ثاء- جيم- إلىٰ ياء» قراءة وكتابة»[(2)] وإذا أتقن الطفل حروف الهجاء بأسمائها وصورها، بُدئ في ضم حرفين منفصلين، أو أكثر لتتألف منهما كلمة، فمثلاً الألف تضم إلىٰ الميم لتكوّن (أم) وهكذا دواليك.

وثمة مجالس خاصة بالحديث النبوي الشريف، وفيها يتم عرض الأحاديث وشرحها باللغة الإنجليزية واللغة العربية، ومن الدليل علىٰ ذلك، لا الحصر، مجالس الحديث في أتلانتا بأميركا، وعنها يقول العلامة القطعاني: «كان الإقبال مذهلاً من المسلمين والمسلمات بوجوه وأعراق شتىٰ علىٰ مجالس الحديث الشريف لرواية موطأ الإمام مالك بن أنس تحديداً، وعدد نصوصه (1891) نصّاً عقدتها ضمن المنهج الدراسي للجامعة الإسلامية الأميركية»[(3)].

---

(1) نفس المصدر، ص34.

(2) طرق التدريس الخاصة باللغة العربية والتربية الإسلامية لمعاهد المعلمين والمعلمات، جابر عبد الحميد جابر وآخرون، مطابع أديتار الشركة العربية الإيطالية للطباعة والنشر، سنة1984م، ج1، ص30.

(3) رحلات أحمد القطعاني، مصدر سابق، ص35.

وهذه المجالس العلمية طغت على موضوعات رحلاته، لأنها كانت من أولوياته الأولى فضلاً عن كونها المحرك والدافع لها.

المطلب الثالث: منهجيته في تدوين رحلاته.

لم يحدد الشيخ القطعاني منهجه المتبع في تناول أخبار رحلاته، ولم يكتب مقدمة لكتابه (رحلات أحمد القطعاني) ولم يقتدِ في هذا الصدد بمنهجية من سبقه من الرحالة العرب، ولكن ليس من الصعب على الممعن في رحلاته استنباط ملامح منهجه المتبع في عرضه لأحداث رحلاته؛ لأنه سار في سرد أخباره على نهج غالباً ما كان يلتزم به.

ومن علامات هذا المنهج أنه كان كثيراً ما يبدأ بذكر اسم البلد، أو المدينة أولاً ثم يشرع بوصفها في إيجاز حيناً، ويسترسل أحياناً، ثم يذكر حكامها وعلماءها، وأولياءها أحياء كانوا أم أمواتاً، ثم يتناول بالوصف أهم معالمها، وآثارها ومسارحها، ومساجدها، ومدارسها وكثيراً ما يردف ذلك بحكاية طريفة، أو واقعة غريبة، أو موقف ما قد علق بذهنه، وغالباً ما كان ينتقد ما يرى!

ومن الدليل على ذلك عند زيارته لدولة فرنسا؛ حيث شرع يصف باريس عاصمتها بقوله: «في بقعة شاسعة مترامية الأطراف من العاصمة الفرنسية تدعى مطار (أورلي) وهو أحد أربعة مطارات هامة بها إذ لا تنقطع الطائرات عن هذا البلد الذي يلقب بعاصمة الثقافة العالمية»(1).

ثم طفق بذكر أخبار رئيس فرنسا – آنذاك – مثنياً على صنيعه بقوله: «لم تمضِ سوى بضعة أيام على تولي الرئيس الجديد سركوزي رئاسة فرنسا خلفاً لشيراك،

(1) نفس المصدر، ص2.

وقد افتتح عهده بتعيين سيدة من أصل مغاربي عربي؛ هي رشيدة دافي وزيرة للعدل»[1] ولكنه انتقده بصراحة في سلوكياته تجاه العرب والمسلمين بقوله: «والرجل له الكثير من التصريحات والتلميحات المتناقضة حيال العرب والمسلمين داخل وخارج فرنسا، والجميع ينتظر ما ستأتي به الأيام، فقد كُتِب علينا أن يكون الرئيس منهم في عاصمته، ويداه في بلادنا العربية»[2].

خصص وقتاً لزيارة معالم باريس، فدخل برج (إيفل) صاعداً في أدواره، ثم عرّج على قوس النصر، و(الشانزليزيه) أحد أشهر شوارع العالم تنوعاً بعروضه التجارية وزار (الباستيل) السجن التاريخي المقيت، والشاهد على عنفوان الثورة الفرنسية، ثم قام بزيارة لمسارح باريس ودور الأوبرا، ومتاحفها التي تعد بالمئات، ولم يغفل عن أهم معالمها ورموزها الدينية الإسلامية والمسيحية[3].

وبعد تجواله الطويل داخل باريس وأحيائها، بدأ يسرد لنا قصة مثيرة للإعجاب، فهذا شيخه وأستاذه ببنغازي «سيدي مفتاح بن إسماعيل الدرناوي... كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسير في شوارع مدينة بنغازي، يحمل علماً كبيراً عالياً، ويكبّر بصوتٍ مميز عالٍ، ويسير خلفه طفل صغير، وقد كنت كثيراً ما أتبعه، وأتبرك بالاستماع إلى تكبيره، وأنتفع بصحبته ودعائه رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[4].

ثم أردف قصة مجذوب في باريس نسخة من شيخه بمدينة بنغازي مستغرباً من وجود مجاذيب داخل فرنسا قائلاً: «فهذا ما لم يخطر لي ببال قط، وهو شاب فرنسي في الـ(28) من عمره مجذوب مثل المجاذيب الذين عندنا تماماً، مع فارق

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

أنه يعرف مواقيت أذان الصلاة، فإذا ما دخل الوقت سار في الشارع مكبراً بصوته المميز، وقد حضرتُ معه أذان صلاة الظهر»[1] ومثل هؤلاء أصحاب الأحوال يحنّ إليهم شيخنا القطعاني، ويوليهم كثير اهتمام واحترام، لأنه يحبهم.

أما مقام سيدي مفتاح، فإنه (مجذوب) عند أهل الصوفية، وهي درجة روحانية «عبارة عن أنوار المنن الواردة في حضرة الحقّ، المشتملة على الأنوار القدسية، والأحوال العلية والأخلاق الزكية، والطهارة والصفاء، والغرق في بحر اليقين... وورودها إنما هو محض مِنّة الحق بلا سبب بل بحكم عناية الحقّ، واصطفائه لمن يشاء، ويعبر عنها عند العارفين بالجذب»[2].

ثم أثنى على بادرة الفرنسيين الذين أطلقوا «على إحدى أهم محطات قطار أنفاق باريس الشهير؛ اسم منطقة ليبية عزيزة على القلب والخاطر هي (بير حكيم) وتقع جنوب مدينة طبرق؛ حيث كانت قوة فرنسية ترابط ببئر حكيم[3]»[4] وإذا بالقائد الألماني رومل يباغتهم فيكبدهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد.

وينهي حديثه بقصة كنيسة (نوتردام) والتي صاغها الأديب فيكتور هيجو قصة رائعة أسماها (أحدب نوتردام) وكان بطلها قبيح المنظر، أعور أحدب، مشوه الوجه بشكل مخيف «ويقر هيجو في القصة حقيقة إنسانية عجيبة هي أن الحب

---

(1) نفس المصدر، ص3.

(2) قاموس المصطلحات الصوفية، أيمن أحمد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 2000م، ص65.

(3) بئر حكيم: تقع شرق بني غازي إلى الجنوب قليلاً بنحو 479 ك.م. معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي، مكتبة النور طرابلس، سنة 1968م، ص47.

(4) رحلات أحمد اقطعاني، مصدر سابق، ص 3.

شيء، لا علاقة له بالمظهر أو السن أو المال؛ حيث نشأت علاقة بين هذا العملاق المشوه، و(ازميرلدا) أجمل وأرق فتيات باريس»[1].

أعجب شيخنا القطعاني بأسلوب القصة وسرد أحداثها، وبرؤية الكاتب الثاقبة التي وجهت لطمة تاريخية لنظام الكنائس المسيحية، ثم ذيل نهاية حديثه عن هذه الكنيسة وأحداث قصتها بقوله: «لقد كنت أعيش وقتها أحداث تلك القصة الخالدة؛ كلمة كلمة؛ وسطراً سطراً وأرىٰ شخصياتها رأىٰ العين»[2] وهذا إن دلّ علىٰ شيء، فإنما يدل علىٰ أن العلامة القطعاني قد قرأها عديد المرات، ولعلها كانت مكونـاً من مكوناته الثقافية الواسعة.

المطلب الرابع: زياراته للعلماء والأولياء.

أما زيارته للعلماء، فقد كان حريصـاً عليها، فها هو ذا يلتقي بالبروفسور نورالدين دوركي مع صديقه البروفسور عبد الهادي أونر كامب بواشنطن «وهما مسلمان أمريكيا الأصل مضىٰ علىٰ إسلامهما أكثر من (40) عامـاً، ولهما مؤلفات كثيرة عن الإسلام، لعل من أبرزها تفسير القرآن الكريم بالانجليزية للبروفسور نورالدين دوركي»[3] لم يمر لقاؤه مع هذين العالمين مرور الكرام، بل تخلله نقاش مستفيض حول الحكم العطائية، ومدىٰ إقبال مسلمي أميركا عليها دراسة وتحليلاً واستيعاباً، حتىٰ قيل عنها: «لو جازت الصلاة بغير القرآن الكريم لجازت بالحكم»[4].

---

(1) نفس المصدر، ص7.

(2) نفس المصدر، ص8.

(3) نفس المصدر، ص43-44.

(4) نفس المصدر، ص43.

ومن غريب المصادفات أن شارك معهم حاخام يهودي أمريكي الأصل اسمه «إسرائيل ديفيد وايس بسوالف شعر طويلة، تتدلىٰ علىٰ جانبي رأسه وطاقية دائرية سوداء، وبدلة سوداء أيضـًا، ويلف رقبته بوشاح فلسطيني مميز، ويعلق علىٰ صدره لافتة كُتِبَ عليها؛ أنا يهودي ولكنني لست صهيونيـًا»[1] هذا الحاخام اليهودي غير المتطرف، قد شارك المسلمين مؤتمرهم العلمي؛ حيث تحدث عن فظائع إسرائيل الإجرامية ضد أطفال فلسطين، ونسائهم، وشيوخهم فضلاً عن إرهابها للأبرياء، وتشريدها للفلسطينيين أصحاب الأرض الحقيقيين.

وفي مدينة مانشستر التقىٰ بشيخة الزاوية الصوفية آمنة، وهي أستاذة في علوم القرآن وأخذت أصول هذا العلم من الشيخين: بكري الطرابيشي، ومحمد سكر، وهما من أعلام هذا التخصص المعاصرين «وهي من القائمات بجد واجتهاد علىٰ نشر القرآن الكريم في بريطانيا»[2] وسرّ سروراً كبيراً بلقاء أحد الشيوخ المعمرين؛ الشيخ أحمد علي الأجبوري السورتي، وهو صاحب «أعلىٰ سند سماعي موجود في الدنيا الآن لبعض كتب الحديث الشريف»[3].

وقد تفضّل علىٰ الشيخ القطعاني بالإجازة في مروياته عن مشائخه، وهذا ما يسعىٰ إليه كل عالم غيور، لا سيما الشيخ القطعاني!

وبجامعة الكرم بمدينة نوتنقهام التقىٰ بمؤسسها ومديرها، فضيلة الشيخ محمد إمداد حسين البير زاده، وهو عالم فاضل مجتهد، كريم الخلق، طيب الأرومة، جهبذ كبير «وله تفسير للقرآن الكريم، وصل فيه إلىٰ الجزء (25) من القرآن

(1) نفس المصدر، ص56.

(2) نفس المصدر، ص58.

(3) نفس المصدر، ص67.

الكريم، ويعتزم ختمه في مكة المكرمة في شهر 4/ 2011م إن شاء الله تعالىٰ»[1] وله أيضاً مؤلفات عديدة في مختلف العلوم الإسلامية.

وفي عاصمة الضباب لندن التقىٰ بالشيخ أحمد بابك إنجليزي الأصل في الستين من عمره، بهي الوجه أنوره، كث اللحية، وهو إمام الجمعة والأوقات بمسجد أكسفورد «قادني نور الإيمان الساطع علىٰ محياه لمصافحته والحديث معه»[2] وجد شيخنا القطعاني أحمد بابك عالماً يجمع بين علم القوالب وعلم القلوب، واستمع لدروسه وعشرات خطبه الجمعية، وما أن رجع منه حتىٰ شعر بصفاء يغمره، وعلم يفيض علىٰ وجدانه.

وفي مصر أم الدنيا التقىٰ بالأديبة العلامة الداعية الدكتورة عبلة الكحلاوي «فقيهة متصوفة، تجمع بين العلم والعمل... وكنا إذا ما التقينا شرعنا في المذاكرة، وسبل العلم والبحث طالعتني يوماً، وقد جمعت آراءها في التصوف، وخبرتها الشخصية في كتاب أسمته: مسافر بلا طريق»[3].

تناولت فيه أصنافاً من البشر انزاحوا عن طريق الخير والرشاد إلىٰ طريق الغواية والفساد، وأهدته نسخة من كتابها، وذلك سنة 1995م، وكتبت عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم إلىٰ الرجل الصالح الكريم، أهدي هذه المجموعة سائلة المولىٰ اللقاء دائماً علىٰ طريق الله... أختك د. عبلة الكحلاوي»[4].

وفي إسطنبول زار العلامة الكبير المعمر الشيخ محمد أمين سراج كبير المدرسين في إسطنبول، تلقىٰ العلم عن والده حفظاً للقرآن الكريم، ثم نهل علوم

(1) نفس المصدر، ص68.

(2) نفس المصدر، ص71.

(3) نفس المصدر، ص72.

(4) نفس المصدر، ص72.

القرآن والفقه عن شيوخ مسجد السلطان محمد الفاتح، ثم سافر لطلب العلم إلىٰ الأزهر بمصر، وتخرج في كلية الشريعة بجامعة الأزهر، جلس العلامة القطعاني معه بمجلسه، وتجاذبا أطراف الحديث، ثم طلب منه الإجازة فأجازه في المجلس نفسه.

ثم سمع الشيخ محمد الأمين سراج من العلامة القطعاني حديث الرحمة المسلسلة بالأولية، وكتب له شيخنا القطعاني بالإجازة، وكذلك كتب لتلامذته، وهم: «فضيلة الشيخ حمدي أرسلان، وفضيلة الشيخ عبيده الكاطع بن علاء الدين، وهو سوري من دير الزور وفضيلة الشيخ إبراهيم شهيدي، وهو رجل إيطالي من روما، كان قسيساً كاثوليكياً ثم هداه الله للإسلام، وفضيلة الشيخ محمد مخلص توران من ديار بكر، وفضيلة الشيخ شوكت دامير»[1].

وعند زيارته لدولة جنوب أفريقيا التقىٰ بالشيخ سراج هندركس، وهو عالم من علماء المسلمين، أوقف حياته وعلمه لخدمة الإسلام وطلاب العلم، أنشأ مدرسة إسلامية، طلابها بالآلاف ومسجداً يؤمه شقيقه أحمد هندركس، وقد أجازا في مروياتهما شيخنا القطعاني وفي الوقت نفسه، أجاز العلامة القطعاني الشيخ سراج هندركس في مروياته.

سافر شيخنا القطعاني إلىٰ لبنان بالطائرة قاصداً مطار بيروت، ومنها إلىٰ «جامعة أريس في بيروت لنيل شهادة الدكتوراه الفخرية منها، واليوم هو الاثنين 24/ 9/ 2012م وها أنا في مطار بيروت»[2]، ولقد وجد في استقباله رئيس الجامعة أ.د. محمد خير الغباني، فأقله ورفيقيه الحاج عمران المشري، وابنه المكي أحمد القطعاني إلىٰ جامعة أريس؛ حيث مقر إقامتهم.

---

(1) نفس المصدر، ص84.

(2) نفس المصدر، ص93.

وفي اليوم الثاني من وصوله استفتح الشيخ القطعاني مجلساً علمياً لسماع متن ابن عاشر في الفقه المالكي، ثم كتب بالإجازة لمن حضر، وهم: «محمد فوزي طقوش، أ.د. محمد خير إبراهيم الغباني الحسيني، أ.د. هلال درويش درويش، محمد عبد القادر عتيق، أبوالمجد مصعب عبد الواحد الجندي، عمران محمد المشري، د. المكي أحمد القطعاني»[1].

ثم نال بركة لقاء فضيلة الشيخ محمد علي جوزو؛ مفتي جبل لبنان الذي أهدىٰ إليه بعضاً من كتبه، ثم تحاوروا بمجلسه حول قضايا الأمة، وتوحيد الرأي حول إعداد رد دائم موحد بموافقة علماء الأمة علىٰ ما ينشر بين الفينة والأخرىٰ من افتراءات ضد الإسلام، ونبيه محمد ﷺ، ولم يتوقف عقد مجالس الحديث وسماعه، وعلوم الإسلام والإجازة فيها طوال مدة هذه الرحلة.

وفي يوم الأربعاء 26/ 9/ 2012م كان علىٰ موعد لحضور مناقشة رسالة دكتوراه للطالب محمد عمر الملا من سوريا، بعنوان (الأحكام الشرعية في القضاء الجزائي) وصادف أن التقىٰ مع الأستاذ الجامعي، أ.د. طارق السعدي، وهو من ذرية الشيخ سعد الدين الجباوي ابن يونس الشيباني من أصول ليبية من غريان، وجده يونس الشيباني مدفون بغريان، ومن أحفاده أ. د. طارق، وهو صاحب علم، كريم النفس، دمث الخلق، له دراية واسعة بتاريخ أسلافه وأصوله الليبية.

لقد أجيزت بجدارة رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب محمد عمر الملا، وفي الوقت نفسه منحت درجة الدكتوراه الفخرية للشيخ أحمد القطعاني، وبناءً علىٰ طلب شيخنا القطعاني أضيف توقيع المحدث الكبير صبحي السامرائي الذي حضر خصيصاً لحضور تسلم شيخنا القطعاني لهذه الشهادة إلىٰ تواقيع وأختام

(1) نفس المصدر، ص93.

عمادة الجامعة ومسؤوليها، وهو شرف كبير حظي به شيخنا القطعاني عن جدارة واستحقاق[1].

من خلال ما تم استعراضه في هذا الجزء من رحلات القطعاني العلمية مع كثرة عددها وتنوع علمائها وبلدانها؛ يتضح لنا جليّاً مكانة هذا العلَم العلامة بين العلماء المسلمين من عرب وأعاجم، ولا يسعني إلا أن أغبط هذا الإنسان العصامي الفذ الذي شيّد صروح علومه بالجد والمثابرة، وبكثرة الترحال بحثاً عن مظانها حتىٰ صار موسوعة علمية شاملة للعلوم والآداب والتاريخ، والجغرافية، والفنون جميعها!

أما زيارته للأولياء الصالحين المصلحين، فكان ملهوفاً عليهم، دائماً يسعىٰ إليهم، أحياءً كانوا أم ميّتين، وهاهو ذا يقول في حقهم: «وأنا أحب زيارة قبور الأولياء والصالحين، لأنني أتعلم منهم الحب، فهم قوم انقطعت علاقتهم بالدنيا الفانية، وزائرهم لا يأتيهم للحصول علىٰ مال، أو نفوذ، أو منصب، أو مدح، أو أي غرض من أغراض الدنيا الفانية، وإنما فقط لأنه يعتقد أنهم أحبوا الله وأحبهم، وهذا أول وآخر درس نتعلمه عن الحب»[2].

وله تعريف ثانٍ لأهل الله من الأولياء الذين يحبهم، ويحرص علىٰ زيارتهم، فيسترسل في حديثه عنهم بقوله: «وأهل الله قوم نبذوا الدنيا خلف ظهورهم، وعزفوا عن ملاذها في عشيهم وبكورهم، أحلوا الآخرة أيضاً مكانها، فما مطلوبهم الأولىٰ ولا الآخرة، إنما مطلوبهم الله وحده»[3] والشيخ القطعاني محب للأولياء بل شغلت أخبارهم حيّزاً مهماً من صفحات رحلاته، ولعلي لا أجتاز الصواب إن زعمت أن أخبارهم كانت الأوفر حظاَ، والأكثر قدراً!

---

(1) نفس المصدر، ص95.

(2) نفس المصدر، ص45.

(3) نفس المصدر، ص 69.

ولقاؤه بالشيخ الولي محمود فوق صعيد عرفات، لم يكن لقاءً عابراً، بل هو لقاء روح بروح في لحظة من تجليات العناية الربانية؛ حيث كان شيخنا القطعاني يذكر مع الذاكرين جالساً، لم يقوَ على الوقوف مثلهم، تلاشت قواه، وكاد يغيب عن وعيه من شدة ما يعاني حتى مال إليه أحد الذاكرين، فقال بصوت هامس: «استلق.. فاستلقيت، فبسمل، وشرع يدهن جسدي المتقد من إناء في يده، ويقرأ من القرآن الكريم، فانطفأت الحرارة، وغلبني النوم.. واستيقظت بعد دقائق لأشاركهم الذكر، وقد نشطتُ من عقال»[1].

لم يستغرب العلامة القطعاني صنيعه هذا، وعلى هذه الحال؛ لأن لله عباداً لو أقسموا على الله أمراً لأبرهم، كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه، منهم البراء بن مالك»[2] وفي هذا الحديث حكم الرد على مَن لا يوقن بأن لله عباداً مقربين ومبجّلين، لا يُرَد لهم دعاء، فإن دعوه استجاب لهم، ولله في خلقه شؤون – سبحانه– ما أعظم شأنه!

ثم يذكر قصة غريبة وقعت للشيخ فرج حمي الأوجلي (ت 1978م) ببنغازي من أولياء الله الصالحين، وله كرامات كثيرة، وفي مقدمتها: أنه سمع من يثني على الفقيرة العابدة؛ السيدة المنوبية، وما كان قد سمع بها، فهمس في نفسه مستنكراً ذكر امرأة في مثل هذا المقام والجلال.

وما أن صمت همسه، وعاد إلى طبيعته «وإذ بالسيدة المنوبية، تقف عليه يقظة واضعة أصبعها على فمها، مشيرة بالصمت»[3] وشاعت قصته الغريبة هذه بين

(1) نفس المصدر، ص70.

(2) رواه الترمذي.

(3) رحلات أحمد القطعاني، مصدر سابق، ص 100.

الناس وتلقّف شيخنا القطعاني هذه القصة من أفواه الناس، فوضع في حسبانه زيارتها، وكان له ذلك وحدثنا عنها قائلاً: «هي سيدة تونسية، اسمها عائشة عمران بن الحاج سليمان المنوبي، ولدت في بلدة منوبة غرب تونس العاصمة، واعتنىٰ والدها بتربيتها وعلمها القرآن الكريم... وشاع خبر صلاحها في تونس، وعموم بقاع الإسلام كالسيدة رابعة العدوية»[1].

عاشت الصالحة المنوبية ذاكرة لله، قانتة بتول، مكرمة معظمة عند قومها إلىٰ آخر عمرها «وتوفيت عن (76) عاماً الجمعة (21) رجب (665 هـ) (3/ 1276م) وحضر جنازتها علماء تونس وأعيانها وخلق لا يحصىٰ»[2].

وفي مدينة طنجة المغربية، يقيم ولي الله الصالح «الشيخ أحمد الخليفي علامة في علوم الإسلام من أولئك الصفوة الذين أقامهم الحق للإرشاد وتربية العباد... التقيته في بلدته ومعي بعض الأحباب، ففرح بمقدمنا... وقلدني سبحة ضخمة في عنقي، وفهمت مراده والله أسأل الإعانة»[3] فهم شيخنا القطعاني مراد شيخه، دون أن ينبس ببنت شفة؛ لأن الأحباب في الله يتواصلون بمشاعرهم وقلوبهم، مهما بعدت بينهم المسافات الحاجزة.

وهو يرىٰ في زيارته للأولياء والصالحين، تسهيلاً وقضاء للحوائج، وما هو إلا تسخير من الله ببركة زيارتهم، ولا يتحرج من ذلك، ولا يرىٰ فيه خروجا عن قيم الدين، لأنه يحبهم في الله ولا يعبدهم كما يتوهم المتطرفون!

---

(1) نفس المصدر، ص 100- 101.

(2) نفس المصدر، ص101.

(3) نفس المصدر، ص70- 71.

المطلب الخامس: المرأة عند العلامة القطعاني.

لم تقتصر رحلات شيخنا القطعاني على الجوانب الدينية والعلمية فقط، بل تناولت قضايا أخرى متنوعة لا تخلو من طرافة؛ حيث انفرد بتناوله لقضايا المرأة المسلمة بشكل موسّع، وجريء في عرض صريح، لا يجاريه فيه أحد، فهو يقبلها منافسة ومكافئة للرجل في جميع الميادين إذ إنها ندّ له في العمل الدنيوي والأخروي، لا فرق بينهما إلا بالتقوى، فهذه «عمدة مراكش هي امرأة شابة حققت إنجازات كبيرة لمدينتها»[1].

مدحها شيخنا القطعاني لأنها حققت ما قد لا يحققه غيرها من الرجال، بل نهضت بمدينتها في جميع مناحي الحياة الحضرية، وها هي شرعت اليوم «في قصر المؤتمرات بمراكش في أعمال الملتقى الرسمية ما بين محاضرات بعناوين مختلفة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية»[2] فعمدة مراكش أثبتت جدارتها في قيادة مرفق مهم من مرافق الدولة.

انبهر العلامة القطعاني بوجود زوايا صوفية بقيادة شيخات من النساء الصالحات، وهذا ما لم نسمع به في بلادنا خاصة، وفي كثير من البلدان الإسلامية عامة، فحسب البرنامج المعد لإلقاء المحاضرات «حضرت خصيصاً لهذه المحاضرة السيدة د. تنزيله، وهي شيخة زاوية صوفية في مدينة أشدير، وهي أستاذة في الوقت نفسه في جامعة مانشستر، وحضرت خصيصاً لها أيضاً السيدة فاطمة شيخة زاوية صوفية في مدينة بورتن»[3].

(1) نفس المصدر، ص47.

(2) نفس المصدر، ص47.

(3) نفس المصدر، ص58.

مُنِعَت المرأة المسلمة في بعض الدول العربية من قيادة السيارة، ولكن في دولة جنوب أفريقيا، ها هي ذي امرأة تقود طائرة خاصة «والمفاجأة كانت تخصيص طائرة خاصة صغيرة الحجم ربما تتسع لسبعة أفراد، تقودها امرأة لترجع بنا إلىٰ مدينة كيب تاون»[1].

لا يرىٰ الشيخ القطعاني حرجًا من ركوبه في طائرة تقودها امرأة، بل إن عدداً كبيراً من النساء المسلمات صرن وزيرات وعضوات برلمان في دول لا تؤمن بالإسلام دينًا لها ومن الدليل علىٰ ذلك لا الحصر، السيدة الوزيرة «بارونيس سيدا وارسي، وهي وزيرة بلا وزارة في الدولة، وهذا العام 2010م سجلت السيدة روشانارا علي سبقًا تاريخيًا بكونها أول مسلمة تحظىٰ بعضوية البرلمان الإنجليزي»[2].

أما المرأة الإيرانية المسلمة، فيرىٰ شيخنا القطعاني أنها «سليلة المجد والسيادة، وابنة ملوك العالم القديم، وربيبة الثقافة والعلوم، واستطاعت أن تحول الحجاب إلىٰ أناقة متناهية، وثقة بدينها ونفسها، لقد أخرست أفواه من يربطون بين الحجاب وقبح المنظر»[3] ووجد أنها تهتم بنفسها وأناقتها، وازدادت جمالاً بحجابها الأنيق.

كما أن المرأة الإيرانية اقتحمت جل الميادين المتاحة، وبخاصة مجال الإعلام؛ حيث صادف أن التقىٰ بإعلامية مرتبكة، مكسورة الخاطر، تتحدث بلكنة عربية ملحونة «مهملة الثياب، مغلوبة علىٰ أمرها، منزوية مع أجهزتها الإعلامية، حائرة فاقدة الحيلة، فقادتني مشاعري إليها»[4] يبدو أنها إعلامية مبتدئة، وفي خطواتها الأولىٰ، وبلا خبرة تمكنها من إجراء حوار ناجح.

---

(1) نفس المصدر، ص90 – 91.

(2) نفس المصدر، ص 54.

(3) نفس المصدر، ص10.

(4) نفس المصدر، ص12.

اقترب منها شيخنا القطعاني مشفقاً عليها، ودنا منها في هدوء، ثم جهز لها حواراً كاملاً بعناصره وأسئلته، ليس هذا فحسب بل دربها على الإلقاء وإدارة الحوار، ثم بدأ تصوير الحوار الذي استغرق نصف ساعة، وبعد انتهاء الحوار، يقول شيخنا القطعاني «فأخذتُ أوراقها التي كانت في يدها، وكتبتُ لها على واحدة منها:

قد كنتُ أسمع في إيران تسمية ... فذا آية الله وذاك حجة الله

ما كنت أدري لها معنى يفسرها ... ولا استحوذت في يوم على انتباهي

حتى أتيت طهران وهي مربعة ... فيها رأيت حسن وجهك الزاهي

فأيقنت أنهم والله ما نصفوا ... أنت لوحدك أنت آية الله»[1]

استلطفت الإعلامية روعة هذه الأبيات الشعرية، وترجمتها في التو إلى اللغة الفارسية، ثم وزعتها بين صويحباتها وزملائها في صالة الإعلاميين، فأعجبوا بها جميعاً وهرعوا إلى العلامة القطعاني يمدون إليه الوريقات لعله يكتب لهم شعراً!

أما المرأة التارقية في الجنوب الليبي - فإنها تتمتع بمكانة سامية، وهي مقدمة مبجلة لأن أهلها «رواد عالميون في مجال حقوق المرأة، سبقوا دول الغرب والشرق معاً، فهي موفورة المكانة عندهم، مرعية الجانب، وعبر المرأة تتم وراثة المناصب الاجتماعية والقيادة الهامة وابن أخت القوم مقدم على ابن أخيهم»[2].

وهذه ظاهرة متأصلة فيهم، ومنذ مئات السنين، وهذا ما أكده ابن بطوطة في رحلاته وهو أول من أشار إلى النظام (الأمي) السائد في غرب إفريقيا، وفيه تحتل المرأة مكانة أسمى شأناً من الرجال، وينسب الأبناء إلى أهل الأم دون آبائهم؛

(1) نفس المصدر، ص 13.

(2) نفس المصدر، ص27.

حيث قال «ولا ينتسب أحدهم إلىٰ أبيه، بل ينتسب إلىٰ خاله، ولا يرث الرجل، إلا أبناء أخته دون بنيه»[1].

لم يرضَ ابن بطوطة القاضي عن هذا النظام، وعبر عن ذلك بقوله: «وذلك شيء ما رأيته في الدنيا، إلا عند كفار بلاد المليبار من الهنود، وأما هؤلاء فهم مسلمون، محافظون علىٰ الصلوات، وتعلم الفقه وحفظ القرآن»[2].

المطلب السادس: القيمة الفنية.

هيمنة أخبار المشايخ ورجال الدين والعلماء، وأهل الصوفية علىٰ أخبار رحلاته، وهذا أمر طبيعي ولا غبار عليه، لأن رحلاته من أساسها قائمة علىٰ هؤلاء الرجال؛ بل ألقت هذه الهيمنة بظلالها إيجاباً علىٰ متعة وصفه وتنوعه، فضلا عن الانسياب السردي الممتع في قصصه المتنوعة.

أما أسلوبه، فيتسم بالإيجاز، ويخلو من التصنع والتكلف، ولكنه يشبه إلي حد بعيد إيجاز الصوفية في طريقة كتابة أورادهم، واقتضاب أذكارهم التي ينشدونها في زواياهم مصحوبة بإيقاعات سريعة وخفيفة، ولغته جاءت في ألفاظ فصيحة ظريفة كحديثه عن مدينة الفيوم بقوله: «كانت وقتها آية في جمال الطبيعة الأخّاذ، والخضرة تعم الأفق وشرايين نهر النيل، تبث الخير والنماء في ربوعه، وبساطة حياة الفلاح المصري وحفاوته بالضيف ومحاولة استدراجه بتطفل محبب لحديث عن موطنه وعاداته، والدهشة تعلو أسارير وجهه البريئة مستغرباً ما يسمع»[3] وفي وصفه لمدينة جبيل بشمال لبنان، اتسمت لغته بطابعها الفصيح الظريف أيضاً؛

(1) رحلة ابن بطوطة، ج2، ص777.

(2) نفس المصدر، ج2، ص777.

(3) رحلات أحمد القطعاني، مصدر سابق، ص22.

وذلك في وصفه لها بقوله: «فهذه مدينة صغيرة، تقع على رأس جبل لبنان هي في الحقيقة أقرب للقرية منها إلى المدينة، بيد أنها أجمل مدينة رأيتها في حياتي»[1] وله أوصاف مشابهة لكثير من الأماكن والمدن[2].

كتب الشيخ القطعاني رحلاته في مذكرات يومية، مفصلة باليوم والتاريخ، ويبدو أنه كان يحررها أولاً بأول وفي حينها، مما جعل مروياته، تتمتع بمصداقية تامة، ولا يخامرها لا غموض، ولا لبس، وهذا ما لم تسلم منه رحلة ابن بطوطة[3].

تنوعت موضوعات رحلاته، ولم تنحصر على العلماء والأولياء والصالحين، بل وجدناها تزخر بالتاريخ، والجغرافية، والفنون والموسيقى، والمرأة والطفولة، والعجائب والغرائب، والتربية والتعليم، ومناهج تدريس اللغة العربية.

تحررت رحلاته من الطابع الأسطوري والخرافات التي كانت سائدة عند الرحالة العرب الأوائل بيد أنه لم يتحرر من العجائب، وهي سمة بارزة في أدب الرحلات، ولعل المتلقي يشعر بتعجبه في قوله: «ولكن أن أحظى بزيارة أول ولي لله، تُبنَى على قبره قبة في بريطانيا فهذه سابقة تاريخية هامة، وفضل من الله كبير... وقد علت ضريحه بضاحية نونيتن الريفية بمدينة كوفنتري؛ قُبةٌ خضراء كبيرة، تبقى مضاءة طوال الليل»[4].

لهذه الزيارة مدلولها، وبخاصة كون الضريح جاثمًا في بلد النصارى، ومثل هذه الأضرحة للرموز الدينية من صحابة، وعلماء، وأولياء، وصالحين مصلحين؛ معظمها هُدمت عنوة في بلدان عربية وإسلامية في وقتنا الحاضر.

---

(1) نفس المصدر، ص93.

(2) ينظر نفس المصدر، ص: 6، 11، 17، 18، 23، 45، 49، 69، 103.

(3) أدب الرحلات عند العرب؛ نشأته وتطوره ابن بطوطة أنموذجًا، مصدر سابق ص259- 263.

(4) رحلات أحمد القطعاني، مصدر سابق، ص63.

ومن العجب العجاب ما شاهده شيخنا في ساحة مراكش، حيث قال: «وهي ساحة عجيبة بمعنى الكلمة، تجد بها من يضع أمامه ثعابين ضخمة، يرقصها على صوت مزمار ودف... وآخر يدير معركة بين قنفذ وحمامة، وآخر يرقص قرداً... ورجلا رثّ الهيأة يحفظ عن ظهر قلب قصص الأولياء والصالحين ممزوجة بخرافات وأساطير»[1] فهذه كلها أعجب من بعضها!

اتسم منهج شيخنا القطعاني بنقده لكثير من أخبار رحلته وأحداثها، ومن الدليل على ذلك انتقاده لما علق على أسواق اللحوم من لافتات مكتوب بها (لحم حلال) ما أثار حفيظته فقال: «ولا أعتقد أنني أكثر ورعـًا، ورعاية لدين الله منه - صلى الله عليه وآله وسلم- بل إنني أرى من امتنع عن أكل ذبائح أهل الكتاب، وإن بحجة الورع والتدين؛ هو معطل لنص القرآن الكريم القائل: « اليومَ أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم»[2]»[3].

انتقد أيضـًا أهم عيوب المجتمع التارقي بمدينة (البركت) ولم يقبل بها «فهي الطبقية المقيتة التي تشغل حيزاً كبيراً في ثقافتهم واهتماماتهم، فمجتمعهم مكون من عدة طبقات، واحدة أعلى من الأخرى، ولا تتصاهر طبقة مع غيرها»[4].

امتعض شيخنا من هذه الظاهرة، لأنها منافية لقوله - تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [المائدة: 5]

---

(1) نفس المصدر، ص 49.

(2) سورة: المائدة، الآية: 5.

(3) رحلات أحمد القطعاني، مصدر سابق، ص4.

(4) نفس المصدر، ص 28.

ومن الصور المؤسفة التي انتقدها شيخنا ما يعانيه المسلمون القارون في ربوع بريطانيا الوطن الربيب «من انقسامات وتشتت تبعاً لما تعانيه أوطانهم العربية والإسلامية الأم، فهذا سني، وهذا شيعي، وهذا وهابي... والجميع متعصب لرأيه، متمسك به»[1] وهذه الصورة مرآة عاكسة لأحوال الدول العربية والإسلامية، وما تعصف بينها من خلافات، وله انتقادات كثيرة غيرها[2]!

الخاتمة:

تابعنا العلامة القطعاني أولاً بأول في حلّه وترحاله من مطار إلىٰ مطار، ومن بلد إلىٰ بلد، ومن مدينة إلىٰ مدينة، ومن مزار إلىٰ مزار، ومن زيارة عالم إلىٰ آخر، ومن ضيافة صديق إلىٰ استضافة من جاره، فأنتجت هذه الأسفار والزيارات أدباً جماً من أدب الأسفار، يأخذ من كل علم بطرف، ومن كل بستان زهرة، فصارت للرحالة القطعاني قدم صدق راسخة في أدب الرحلات عند العرب.

يمتلك شيخنا القطعاني مخيلة حافظة، وعيناً لاقطة، تستطيع أن تلتقط ما تشاهده، فتسجله مع التحقيق والتدقيق في الرؤية، ويتم كل ذلك بنسيج متين، وأدب رفيع، وجاءت جمله رصينة خفيفة في قوالب فنية قصيرة، وتزداد رقة بسحر إيقاعها عندما يخشع مطمئناً في احتفائية المولد النبوي الشريف؛ حيث تسطع أنوار العلم واليقين، وتغشىٰ جموعها روحانيات إيمانية بعبق الأذكار والمدائح النبوية.

دخل شيخنا القطعاني إلىٰ عالم أدب الرحلات من أوسع أبوابه، ووجدت الجموع المكدودة في أدبه نبض مسيرتها الاجتماعية، وطلاب العلم وجدوا فيه

---

(1) نفس المصدر، ص55.

(2) ينظر نفس المصدر، ص38، 41، 42، 43، 48، 50، 76، 78، 80، 81.

علمـاً غزيـراً مـن علـوم الحـديث النبـوي، وعلـوم التصـوف، فضـلاً عـن رؤيـة ثاقبـة لأحوال المسلمين وأنشطتهم المتنوعة، حيثما وجدوا في أوطانهم البديلة؛ ناهيك عـن ترجمـات وافيـة لكثيـر مـن العلمـاء والعالمـات، والصـالحين والصـالحات، والزاهدين والزاهدات، أحياء وأموات مقرونة بقصص عجيبة وغريبة.

وفي الختام أوصي أهل الحل والربط في الدوائر الرسمية النافذة ببلادنا الحبيبة منوهـًا بأهمية تـدريس أدب الـرحلات عنـد العلامـة القطعـاني في كليـات الجامعـات الليبية؛ لربط شباب العالم الإسلامي بالأمة العربية التي لها أياد بيضاء على الإسلام والمسـلمين، فضـلا علىٰ توحيـد الـرؤىٰ والأفكـار بـين شـباب المسـلمين جميعـًا، لعلهم يتوحدون، فيعيدوا للأمة أمجادها، وليس هذا عليهم بعزيز.



كتاب «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» قراءة وعرض

أ. أسامة علي بن هامل



تحاول هذه الدراسة أن تثير الانتباه إلىٰ مكون هام من مكونات التأليف والدرس عند العلامة أحمد القطعاني، ضمن اهتماماته الواسعة في شتىٰ العلوم والمعارف، وهو ثبته الكبير الموسوم بـ«أوبة الهاجر وتوبة المهاجر»، بمحاولة الغوص في تفاصيله وكشف مدلولاته والوقوف عند عتباته للاستفسار والرصد.

وستقتصر هذه الدراسة علىٰ العرض ومحاولة القراءة، في مستويين، أفقي من خلال بنية موضوع الكتاب، وعمودي باستقراء أهدافه وأغراضه، مع اعتقادي الجازم بأن قراءة هذا الكتاب ستبقىٰ مفتوحة ومتعددة، فحين الوصول إلىٰ معنىٰ تتكشف للقارئ معاني عديدة أخرىٰ من خلاله.

ولا جدال في أن عرض وقراءة أي كتاب مهمة وصعبة في آن واحد، فهي مهمة لأنها تبرز الخطوط العريضة للكتاب وتفتح الآفاق لقراءات أخرىٰ، وصعبة لأن متناولها يتوجب عليه أمران، الأول الإلمام بكل، وعلىٰ الأقل أغلب، موضوعات الكتاب، والثاني إعطاء صورة عامة ومركزة ومنظمة عنه لتقديم تصور منهجي لطرق البحث فيه.

ورغم أن الأمر أكثر صعوبة هنا؛ لتعلق الكتاب بعلم تخصص فيه شيخنا، إلا أن تفرد موضوعه وأهميته في المكتبة الليبية خصوصا، يغري بالبحث والدرس لسبر أغواره وقطف فوائده وفرائده.

وقد صدر ثبت «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»، في مارس 2021م، عن «مركز العلامة الليبي أحمد القطعاني للثقافة والدراسات الصوفية»، في مجلدين، الأول في 478 صفحة، والثاني في 568 صفحة، من القطع المتوسط، موزعة علىٰ الآتي:

الباب الأول: **تراجم الشيوخ ونص الاجازات**، ترجم فيه لـ 77 شيخا من شيوخه، ونصوص إجازاتهم له، علىٰ مختلف طبقاتهم.

الباب الثاني: **أسانيدي إلىٰ أهل الحديث والإسناد الليبيين**، وثق فيه لتراجم 85 علماً ليبي، ووصل أسانيده بهم.

الباب الثالث: **أوبة المهاجر**، ترجم فيه لـ 21 علم ليبي، هاجروا إلىٰ خارج ليبيا، ووصل أسانيده بهم؛ ليرجعها إلىٰ ليبيا مجدداً.

الباب الرابع: **مسندون ليبيون انقطعت أسانيدهم**، ترجم فيه لستة ليبيين انقطعت أسانيدهم ولم يبق لها أثر.

الباب الخامس: **أعلام رواية وحديث وإسناد أصولهم ليبية**، ترجم فيه لستة من أعلام الحديث والإسناد في تاريخ الإسلام، وبين أصولهم الليبية لأول مرة وانفرد بذلك، كما أنه وصل أسانيده بهم.

الباب السادس: **زيارات حديث مباركة**، ترجم فيه لخمسة من أعلام الحديث والإسناد زاروا ليبيا، عبر مختلف العصور، ولهم فيها أثر، ووصل أسانيده بهم.

الباب السابع: **بعض أسانيدنا لكتب الحديث الشريف**، ذكر فيه أسانيده التي تصله إلىٰ 44 كتاباً من كتب الحديث علىٰ مختلف أنواعها وفنونها، ما بين صحاح، وسنن، ومسانيد، ومستدركات، ومتخرجات، ومعاجم، وزوائد، وغيرها.

الباب الثامن: مروياتنا من الأثبات والمعاجم والفهارس والمشيخات، ذكر فيه أسانيده لـ 35 كتاباً من كتب الفهارس والأثبات والمشيخات من مختلف الأقطار الإسلامية.

الباب التاسع: بعض منتخبات أسانيدنا، ذكر فيه ما انفرد به من أسانيد ليبية تصله بكتب علوم القرآن، والحديث الشريف، واللغة العربية، والعقائد، والفقه، وكتب التصوف، وكتب الموالد، والقصائد الصوفية، والصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانفراده برواية أقدم سند صوفي ليبي، بالإضافة لـ 27 سنداً في الطريقة العيساوية التي تصله بمؤسس الطريقة الشيخ الكامل محمد بن عيسى.

الباب العاشر: شيوخي في العلم الشريف، ترجم فيه لـ 14 شيخاً من شيوخه الذين تلقى عليهم مختلف العلوم، في الفقه والتوحيد واللغة والتصوف وغيرها.

الباب الحادي عشر: مشايخي في علم تاريخ ليبيا غير المكتوب، وخصصه للترجمة لخمسة من شيوخه الذين تلقى عليهم التاريخ الليبي الشفاهي غير المكتوب، كشهود على الفترات التي عاصروها، وأخذ عنهم علوماً أخرى.

الباب الثاني عشر: مشايخي في علم السماع، ورغم أنه ذكر في كتبه الأخرى طائفة من الشيوخ الذين أخذ عنهم علم السماع ونوبات المالوف الأندلسي والموشحات والقصائد والمدائح النبوية والابتهالات والإنشادات الصوفية بأوزانها وألحانها وطبوعها، إلا أنه انتخب منهم عشرة ترجم لهم في هذا الباب.

الباب الثالث عشر: الإجازة في مؤلفاتنا، وهو خاتمة أبواب الكتاب، ذكر فيه سبعين مؤلفاً من مؤلفاته، ليعلم من خلالها المُجاز في ثبته أنها داخلة في إجازته له.

استفتح شيخنا ثبته بحديث «الرحمة المسلسل بالأولية»، وفق الطريقة التي سار عليها المحدثون بافتتاح أعمالهم ومجالسهم به، مبيناً طرق اتصاله به[1]،

(1) تناول حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وذكر السبب الذي دعا المحدثين إلى تقديمه في مجالس =

وأول ما يُستفاد أن الحديث ليست له رواية ليبية مسلسلة، ولو كانت لقدمها؛ فالكتاب كله انبنى على الإسناد الليبي وتقديمه على غيره.

وضمّن تمهيده للكتاب عدة مباحث، من بينها بيان معنى «الثبت»، وهو مسمى لنوع من التصنيف يذكر فيه العلماء مسارد أسماء شيوخهم والعلوم التي تلقوها عنهم وأسانيدهم، وتتعدد مسميات هذا النوع من التصنيف كـ«الفهرست، والمشيخة، والمصنفات، والمعاجم، والبرنامج، والثبت»[1]، وكونها «متقاربة المعنى»[2]، فقد اختار مسمى الثبت لكتابه، خصوصا وأنه «المصطلح الذي استقر عليه غالب المعاصرين شرقا وغربا»[3]، وهو عنده ما «يثبت فيه المُحدث مسموعه والمشاركين له فيه وأشياخه»[4].

لكن الكتاب وسع المعنى التخصصي لعلم الأثبات الذي يوثق فيه صاحبه لقوائم أساتذته ويترجم لهم ويبين أسانيده، ليتحول إلى كتاب يوثق للحركة العلمية والثقافية في البلاد ومرجعاً هاماً يوضح طبيعة مستوى الحياة العلمية ويكشف مساهمات علماء البلاد في الحراك الثقافي والعلمي سواء في الداخل أو الأقطار العربية والإسلامية المجاورة والبعيدة، من زاوية جديدة لقراءة التاريخ الليبي عبر وثائق لم يسبق إلى كشف أهميتها وربط بعضها ببعض، مثل: الاسانيد و المكتبات

= الرواية والتحديث، وبين طرقه وأسانيده إليه باستفاضة في كتاب مستقل عنونه بـ"نوار العشية أسانيدنا في حديث الرحمة المسلسل بالأولية"، طبعته دار بشرى وكلثوم بطرابلس عام 2018م.

(1) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، أحمد القطعاني، دار بشرى وكلثوم، طرابلس، ط1، 2021م، ج1، ص 11.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ص 12.

(4) نفس المصدر، ص 11.

والشخصيات والأسر العلمية ومنتجاتها وامتداداتها، في تنبيه هام على الدور المهمل لفئات اجتماعية كفاعل في خلفيات تاريخ البلاد.

كما أن الكتاب يمثل مفتاحاً يضيء الطريق لمن أراد التعرف على علوم شيخنا ومدارات فكره، فلم تغادر شخصيته كل تفاصيل وثنايا أبوابه، حتى إنها شكلت قاعدته المحورية التي دارت عليها أبوابه، على الرغم من الصعوبات التي قد تعترض الباحث فيه، وأولها عدم وضوح أي روابط دلالية بين أبواب الكتاب الثلاثة عشر، وفق مقتضيات المناهج الأكاديمية، لكنه بمزيد من القراءة العميقة سيدرك وجود خيط رفيع يصل كل أبواب الكتاب وفقراته، وهو الرابط الليبي بكل محمولاته ومضامينه الثقافية والعلمية الليبية التي تأسست منذ القدم على قاعدة اختصرها بقوله «أشعرية المعتقد، مالكية المذهب، صوفية السلوك»[1]، دالاً على أن هذه القاعدة هي الجامع المشترك للتكوين العلمي والثقافي لكل شخصيات الكتاب، سواء أساتذته المباشرين، أو من يروي عنهم بوسائط عبر سلاسل الإسناد.

أغراض الكتاب وأهدافه:

ويتبن الغرض الأساسي للكتاب من عنوانه: «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر»، لكنه قدم «توبة الهاجر»، في الباب الثاني، على «أوبة المهاجر»، في الباب الثالث، وقصد بتوبة الهاجر «أن كلام المتطاولين على خلو ليبيا من الحديث الشريف بلا علم أصبح هُجراً أي: لا قيمة له، ودليله هذا الثبت، وينبغي لهم التوبة مما قالوا»[2]،

(1) سأسمي هذه الثلاثية بالأصول الثلاث في كامل البحث، لأن شيخنا القطعاني اعتبر المذهب المالكي والتصوف والعقيدة الأشعرية عليها مدار العمل في المجالات الثقافية والعلمية، وهي أساس تشكل الهوية الليبية كما سيتبين خلال البحث.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 55.

أما «أوبة المهاجر»، فيقصد به «العودة بالأسانيد الليبية المهاجرة وتوطيدها في البلاد وإعادة نشرها من جديد والتعريف بمحدثي ليبيا وجهودهم وشيوخهم ورواياتهم ووصل طلاب العلم بأسانيدهم»[1].

وذكر الكثير من أغراض الكتاب في طياته، فهو بالإضافة إلىٰ أنه كتاب وثق فيه مشيخته وأسانيده ومروياته[2]، أراد أن يكون «طريقاً مؤدياً إلىٰ أهل الحديث والإسناد الليبيين تحديداً وأسانيدهم ومشيخاتهم ومروياتهم»[3]، فليبيا حظيت «عبر تاريخها الإسلامي بمحدثين أجلة عدة لهم أسانيدهم ومشيخاتهم وإسهاماتهم، وبعضهم أطلقت عليه الأمة الإسلامية وعلماؤها عن جدارة ألقاباً علمية حديثية كبيرة جدّاً تناقلتها الألسن ودونتها كتب العلم، وسيأتي بيانهم، وبعضهم كان رائداً في التأليف في علم الحديث الشريف»[4]، لكنهم وبسبب ظروف البلاد «وما مرّ بها من استعمارات استيطانية، وحروب أهلية، ومجاعات، وانشغال بلقمة العيش، وأوبئة متتالية، ومعسكرات إبادة جماعية فتكت بسكانها وأكلت الأخضر واليابس»[5]، لم تنتشر «أسانيدهم بالكثرة التي تُقارن بأي بلاد إسلامية أخرىٰ - للأسف - مما حدا بالبعض لجهل مكانة ليبيا الحديثية، بينما اقتصرت معرفة آخرين للأسانيد الليبية علىٰ إجازات ومرويات من ارتحل من مسندي ليبيا هجرة أو سفراً فأخذوها عنهم، ورووها وأثبتوها في أثباتهم في ظل غياب واضح لتراجمهم وتقصي مشيخاتهم»[6].

---

(1) نفس المصدر، ج1، ص 27.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، ج1، ص 20.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) نفس المصدر، نفس الصفحة.

الثبت وثيقة جديدة من وثائق التاريخ الليبي:

وأعني بهذه الوثيقة ما يمكننا أن نسميه بـ«شبكة الأسانيد» التي لم يُسبق شيخنا إليها، فقد عمل استنادًا علىٰ تخصصه في علم الأسانيد وتصدره فيه علىٰ استخراج العشرات من الأسانيد الليبية في كل فروع المعرفة، في التصوف والفقه والحديث والأدب والموسيقىٰ، بل وفي أي شأن ليبي، فكان بذلك أول من سعىٰ إلىٰ خلق «شبكات اجتماعية» باقتدار ووعي سابق لأهمية الوثائق غير السياسية، منبهـًا المشتغلين في مجال الدراسات التاريخية والاجتماعية والثقافية وغيرها إلىٰ وجود وثائق أخرىٰ غير المتاحة بين أيديهم، وأن لهذه الوثائق أولوية علىٰ غيرها، خصوصا وأن هذه الشبكات تمكنت من الصمود رغم مضي عشرات القرون، وشكلت عامل آمان مهم لاستمرار استقرار البلاد والمحافظة علىٰ أصولها القديمة، فكانت مائزاً تميزت به البلاد عن غيرها من الأقطار العربية والإسلامية الأخرىٰ.

وبتمعن وتدقيق في أسانيد رواية شيخنا التي استخرجها في مختلف فروع المعرفة، نلاحظ أنه كان واعيا منذ البداية لأهميتها، فقد استخدمها في اتجاهين، أفقي في سعيه لربط البلاد بمحيطها العربي والإسلامي من خلال اتصال أسانيد الليبيين بمراكز العلم والثقافة في الأقطار القريبة والبعيدة، وأمثلتها تخرج عن الحصر، كأسانيد كتب الحديث والقراءات وعلوم القرآن والتصوف والأدب وغيرها، وكذلك كأسانيد الليبيين التي رحلت إلىٰ تلك الأقطار، فقد كان بعض علماء ليبيا سفراء الثقافة الليبية في تلك الأقطار، كالشيخ علي بن حميد[1] والحطابيين في مكة المكرمة، والشيخ أحمد بن نفيس الطرابلسي[2] والشيخ محمد الأمير الكبير[3]

(1) نفس المصدر، ج2، ص 195.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 254.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 260.

والشيخ عليّش[1] في مصر، والشيخ محمد الخروبي[2] في الجزائر، والشيخ سعيد القطراني[3] في المغرب، وغيرهم الكثير، ويلاحظ أنه يبدأ سنده إليهم بالرواية عن ليبيين قبل أن تخرج تلك الأسانيد إلىٰ أقطار مغاربية أو مشرقية للمرور علىٰ أعلامها.

وعمودي، لربط الحاضر بالماضي، مرورا بما بينهما، والأمثلة أيضا تخرج عن الحصر، لكن أبرزها وأهمها سند الإمام عبد الله الشعاب (ت 243هـ/ 857م) الذي قال عنه: «أقدم سند صوفي معروف ليس في ليبيا فحسب، بل في كل قارة أفريقيا، وهذا السند المبارك الذي أتشرف بكوني أول من نشره مسندا متصلاً»[4]، فيبدأ منه ليخترق 11 قرنا من تاريخ البلاد.

وكل هذا مقام عند شيخنا علىٰ الأصول الثلاث للثقافة الإسلامية الليبية، وهي كما أسلفنا، المذهب المالكي، والتصوف، والاعتقاد الأشعري، ومن المهم أن ننبّه إلىٰ أنه من الواجب عدم حصر هذه الأصول الثلاث في الاشتغال الفقهي والأصولي فقط، بل يجب دراستها علىٰ أنها من مصادر الفكر ومنتجها الثقافي، وهو ما عناه شيخنا، خصوصا شرحها وتفسيرها علىٰ يد أعلام البلاد منذ بدء ظهور مدوناتها الأولىٰ مروراً بالفترات التالية، خصوصاً وأن الاشتغال بشرحها بدأ مبكراً بمدونتي العالم الليبي أحمد بن نصر الداودي، وهما «النامي» في شرح الموطأ، و«النصحية» في شرح صحيح البخاري[5]، مروراً بعشرات المدونات الليبية الأخرىٰ في المجالات الثلاث، الفقه والتصوف والعقيدة، حتىٰ

---

(1) نفس المصدر، ج2، ص 261.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 200.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 231.

(4) نفس المصدر، ج2، 350 – 351.

(5) ينتظر: عناية العلامة القطعاني بصحيح البخاري سماعا وإقراء وتأريخا، ضمن أعمال هذا المؤتمر.

وصلت لمرحلة الامتزاج والانصهار في بوتقة واحدة عبرت عنها مدونة الشيخ أحمد زروق "قواعد التصوف" التي ربط فيها بين الأصول الثلاث في قواعد مشتركة ثابتة.

ومن المؤكد أن تلك المدونات عكست خصوصية ثقافية وعلمية ليبية، كمدونات النوازل والفتاوىٰ التي تناقش المشكلات المعاصرة لكل فترة من فترات تاريخ البلاد، ومن أمثلها تذييل المعيار لعبد السلام بن عثمان التاجوري، والسدير الفائح المنتخب لمحمد الصالح الأوجلي، ونوازل الشيخ عمر السوداني، حيث يعتمد السادة المالكية العرف دليل من الأدلة الشرعية عند عدم النص، ما يجعلها تبين أعرافا استقر عليها عيش الناس في البلاد وكونت أنماطا وأشكالا من التفكير والسلوك.

كما أن النظم التربوية التي صاغها السادة الصوفية الليبيون وأسسوا عليها طرقهم[1]، فهي تعكس مشكلات وتقدم تصورات لحلول تتجاوز النظري إلىٰ التطبيقات العملية، كما أن المدونات العقيدية كانت تكرس تعزز ثقافة مستقرة كحصن للدفاع عن المجتمع ضد تيارات عقدية دخيلة كان من الممكن أن تتسبب

(1) الطرق الصوفية تنسب غالبا لمؤسسيها الذين أسسوها بناء علىٰ نظرية تربوية تتفرع عن الأصل التربوي للتصوف، واختلافها يكون اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، حيث تقدم كل نظرية نسقا من الحلول العلمية لمعالجة ظروف استجدت، ومنها نظرية الطريقة السنوسية والطريقة العروسية والعيساوية والقادرية وغيرها الكثير، فبعضها يستقر ويستمر انتشاره بسبب صلاحية نظريتها لمدة زمنية، وبعضها ينحسر بسبب زال الأسباب التي جاءت من أجلها، وبعضها لا يستطيع الاستقرار الا لمدة محدودة بسبب عدم تطابق أسباب نشوئها مع نوع المشكلات الموجودة في البلاد.

في فوضى وخلافات على أساس عقدي اذا تسربت واخترفت حصون العقائد المستقرة التي بنت مع مرور الوقت نفسيات وذهنيات وأشكال وأنماط وسلوك العيش والتفكير المستقر في البلاد.

وضمناً، نجد شيخنا عمل إثبات التنوع على أساس تلك الأصول الثلاث، فالمتتبع لتراجم رجال الأسانيد الليبية التي استخرجها، يجدها تعكس توزعهم في أغلب أنحاء البلاد ولم يتركزوا في حواضر العلم الكبرى، وبالتالي اختلاف وظائفهم، فبعضهم:

- تولى وظائف بارزة كالإفتاء والقضاء، وفي الاستشارة للجهات السياسية الحاكمة في أزمانهم، كالشيخ محمد بن مساهل[1]، والشيخ أحمد المكني[2]، والشيخ أحمد أبوطبل[3]، والشيخ عمر السوداني[4]، والشيخ أحمد النائب، وعبد الرحمن البوصيري[5]، بل شارك بعضهم في العمل السياسي مبكراً كالشيخ محمد البوصيري الذي أصدر صحيفة الترقي عام 1897م وهي أول صحيفة سياسية[6].

---

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 42.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 44.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 87.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 65.

(5) نفس المصدر، ج2، ص 139.

(6) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج1، ص 124.

- رئاسة المؤسسات التعليمية كالزوايا والمكتبات، وهم كثر؛ فأغلب المؤسسات التعليمية من أسسها العلماء والصوفية، والأمثلة تخرج عن الحصر.

- مارس أنشطة ثقافية، كتأليف المتون التثقيفية أو إطلاق الصحف والمجلات، كالشيخ علي أمين سيالة صاحب الأناشيد التربوية للناشئة[1]، والشيخ عبد الله بانون شيخ الطريقة العيساوية صاحب صحيفة العدل الأسبوعية العدلية المعروفة أطلقها عام 1919م، والشيخ محسن ظافر المدني شيخ الطريقة المدنية صاحب صحيفة الوقت الأسبوعية الثقافية عام 1920م، وصحيفة المربي التي أسسها الشيخ محمد بريون شيخ الطريقة الجعفرية عام 1950م، وهي صحيفة شهرية معنية بالمعلم والمعلمين، بل جمع بعضهم بين أكثر من مجال تثقيفي كالشيخ جمال الدين الميلادي الموسيقي المعروف وشيخ الطريقة القادرية حيث أصدر عام 1921م صحيفة الإصلاح[2].

- زعماء في المجتمع، مارسوا وظيفة اجتماعية تتعلق بنشر نوع من الأمان، مثل الشيخ حامد الحضيري الذي أصلح بين العثمانيين ودولة أولاد امحمد الفاسي وأوقف الله على يده استمرار سفك الدماء في جنوب البلاد[3]، وسيدي محمد

---

(1) وهو مجموع الدروس الذي كان يعطيه لطلابه في مدرسة عرفان التي انشأها حزب الإصلاح بطرابلس منذ العام 1919م الى عام 1926م، بأسلوب مبتكر هدف فيه الى تحديث المناهج المدرسية، خصوصا وأن مدارس البلاد كان وقتها تواجه حملة تغريب إيطالية شديدة، وجمع هذه الدروس في كتاب واحد وأشرف على طباعته. للمزيد ينظر: موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج3، ص 298.

(2) حول النشاط الصحافي في ليبيا ينظر مبحث الصحافة في موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ص 124 وما بعدها.

(3) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج2، ص 91.

الحمري في شرق البلاد[1]، والأدوار التي مارسها شيوخ الطريقة السنوسية في الحفاظ على النسيج الاجتماعي، بل تحولت أضرحة بعضهم لوثيقة تسامح دائمة فعادة ما يطلب صوفي قام بمهمة إصلاح بين فريقين أو قبيلتين أن يدفن في أرض عادة ما تكون في منتصف المسافة بين الطرفين، ويتحول إلى محل إجلالهما واحترامهما.

كل هؤلاء الأعلام الليبيين بمختلف فئاتهم ومناطقهم المتوزعة في رقعة البلاد المترامية، ربطهم الشيخ القطعاني في سلاسل أسانيد متشابكة محكمة الاتصال تمثل شبكات اجتماعية ممتدة، في عمل يُعد هو الأول من نوعه في الدراسات الليبية، ويُعد شيخنا الرائد في لفت اهتمام الدراسين لوجود فئات مجتمعية مهمشة كان لها الدور الفاعل والأساسي في حركة المجتمع على امتداد فترات التاريخ الليبي.

إجراءات لمواجهة صعوبات تحقيق وإحياء السند الليبي:

لكن لم يكن ذلك سهلاً ولا ميسوراً، فقد واجهت شيخنا العديد من الصعوبات التي حدثنا عن بعضها وكيف تجاوزها بجملة من الإجراءات، خصوصا مع النقص الحاد في مصادر التاريخ الليبي وغياب تفاصيل وأحداث الكثير من فتراته، ومنها ما ذكره في مبحث «شح الأسانيد الليبية»[2]، كضياع مستند هام في الحياة الثقافية والعلمية ممثلا في مكتبات البلاد «التي كان ينبغي أن تكون هي ذاكرتنا وحاوية أسانيد وعلوم أسلافنا»، والتي من المفترض أن توفر مئات الوثائق الكاشفة لمضامين كيفية الحركة في معاقل العلم والثقافة وأعلامها، سواء كانت الزوايا أو الأسر العلمية أو الأفراد.

---

(1) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج2، ص 277.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 35.

ويفسر أسباب تلك الصعوبات بأنها جاءت نتاج تعقد وتراكم جملة من العوامل، فقد كشف عن جهود بحثية مضنية قاساها حتىٰ تمكن من تحديد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، كأضعف حلقات التاريخ الثقافي والعلمي في البلاد الليبية بفعل العديد من الأسباب، ومنها نشاط حركة الاستعمار الخارجي وتحديداً الإسباني المقرون بالتطرف الديني بعد تنازله عن البلاد لفرسان القديس يوحنا، خصوصا احتلال «طرابلس وهي عاصمة البلاد وأهم حواضرها ومركز نشاطها العلمي والثقافي»[1]، فقد «فتكت الحرب الدينية والتهجير بالرجال بمن فيهم من علماء ومسندين كما نُهبت المكتبات وهدمت المساجد والزوايا الصوفية وأضرحة الصالحين التي كانت هي المكتبات وهي كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ثم حُرثت بالمحاريث لمحو أي صلة للبلد بالإسلام وتنازل سنة 936هـ/ 1530م الإسبان عنها لفرسان القديس يوحنا الذين كانوا أدهىٰ وأمر فأول ما فعلوه كان هو اطلاق الأسماء المسيحية علىٰ أبراج المدينة ومنشآتها»[2]، وهي قراءة جديدة لبعد آخر من أبعاد الاستعمار وأهدافه، ومنها محاولات إضعاف صلة البلاد بهويتها الإسلامية عموماً، وفك ارتباطها بالخصوصية الثقافية للبلاد الممثلة في زواياها وأضرحة متصوفيها الذين كانوا الحاضن الأساس والمكون الثابت للهوية الليبية.

ورغم أنه يُجمل نتيجة هذه الأسباب وغيرها في عبارات تحمل أسىٰ بالغاً عندما يقول «فبالله عليك لا تسألني عن سبب ضياع أسانيدنا وتراث أسلافنا سابقاً ولاحقاً يكفيني ما بي»[3]، إلا أنه، ولتجاوز تلك الصعوبات، كافح للبحث عن

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 36.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 39.

وسائل وسط ركامها لتحقيق هدفه، ضمن جملة من الإجراءات، كبحثه عن أعلام ليبيين في مصادر الإسناد والتأريخ العربي والإسلامي.

ومما يذكر في هذا الصدد أن عمله هذا كان له السبق والتفرد في إثبات أسماء عدد من الأعلام وتوثيق أصولها الليبية، كما أن أهميته تكمن أيضاً في أنه سيفتح به مجالات أوسع لبحث ودراسة هذه الأعلام وكشف المزيد عن حركة الثقافة والعلم في ليبيا.

ومن تلك الإجراءات:

1. إعادة ضبط ألقاب أعلام ليبيين أخطأ المؤرخون فيها:

وهي عملية تُدخل شيخنا في المشاركة في تخصص دقيق، طالما أولاه علماء الحديث عناية خاصة، ويُعرف بعلم «المؤتلف والمختلف»، قال عنه ابن الصلاح: إنّ «من لم يعرفه من المحدثين كثُر عثاره، ولم يعدم مخجلا، وهو منتشر لا ضابط أكثره يُفَزع إليه، وإنما يُضبط بالحفظ تفصيلا»[1]، وكثرت فيه التصانيف، ومن أشهرها المشتبه للإمام شمس الدين الذهبي، وما استدركه عليه ابن حجر العسقلاني في كتابه تبصير المنتبه لتحرير المشتبه، والعشرات غيرها.

وقد ضرب شيخنا في هذا العلم بسهمه في مبحث خاص حمل عنوان «تصويب ألقاب ليبية»[2]، تتبع فيه ألقاب وأسماء وكنىٰ ليبية صحفها مؤرخو الإسناد والرواية، وتسبب تصحيفها في أن غاب أصحابها من التاريخ الليبي، بل بات أكثرهم

(1) معرفة أنواع علوم الحديث، عثمان بن الصلاح، تحقيق نور الدين العتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، د. س، ص 344.

(2) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 28.

يُذكرون ضمن مسندي ومحدثي أقطار إسلامية أخرىٰ، وغاب بذلك التأثير الليبي في تلك الأقطار.

بدأ عمله في هذا الأمر، بالاعتذار للمصنفين في علوم الإسناد والفهارس العلمية، كونهم من خارج البلاد، وضمنا هو بذلك يلقي باللائمة علىٰ المؤرخين الليبيين، قائلا: «تجد في الكثير من المراجع الإسنادية كمعجم الزبيدي، وفهرس الفهارس للكتاني، ومعجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي، وأثبات ومشيخات وأسانيد غيرهم من أهل الاختصاص ذكرا لمُسندين ليبيين ولكن غالبهم بأسماء وألقاب غير التي نعرفها في ليبيا، ولا تثريب عليهم، فهم ما عاشوا في ليبيا، ولا عرفوا أنسابها وألقابها، وإنما نقلوا في الأصل سماعًا أو كتابة عن ألسنة غير ليبية وعنهم نقل كتابة من جاء بعدهم»[1].

ويحصي من هؤلاء الأعلام الليبيين تسعة أعلام لهم أثر علمي وثقافي كبير في ليبيا وخارجها وهم، الشيخ سعيد القطراني، المولود بليبيا والمتوفىٰ في المغرب «تجده انقلب إلىٰ القطاريني»[2]، والشيخ محمد عبد الله العقوري «يكتبونه العاقوري»[3]، والشيخ أحمد بن محمد المكْنِي «تجده المُكَنىٰ»[4]، والشيخ إبراهيم العالم «تجده «اليزليتني نعم أصله من زليتن – التي لم تعد تلفظ يزليتن بالمناسبة – ولكنه وأهله وذريته عُرفوا ويُعرفون بعائلة العالم»[5]، والشيخ أبو الحكم المغبوب «تجده أبا الحلم الزموري»[6]، و«كنيته أبو الحكم لا

(1) نفس المصدر، ج1، ص 28، 29.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 29.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) نفس المصدر، نفس الصفحة.

أبو الحلم»[1]، والشيخ عمران بن بركه الفيتوري «يذكرونه بلقب الياصلي»[2]، والشيخ محمد الطاهر الغاتي «يرسمونه العاتي»[3]، والشيخ بلقاسم محمد الطرابلسي الأزهري «يسمونه أبو القاسم»[4]، والشيخ منصور بو مدين المطردي «تجده المطرطي»[5].

2. التنبيه على الأصول الليبية لعدد من أعلام الأمة الإسلامية:

نبّه في باب هام حمل عنوان «أعلام رواية وحديث وإسناد أصولهم ليبية»[6]، علىٰ الأصول الليبية لعدد من أعلام الإسلام، ورغم شهرتهم وتأثيرهم الثقافي والعلمي الواسع حيث كان أغلبهم قبلة لطلاب العلم والعلماء في مراكز علمية هامة، إلا أن أصولهم الليبية أُهمل ذكرها.

وأبرز من أثبت أصولهم الليبية، الشيخ محمد بن سعيد بن نفيس الذي استقر بالقاهرة، وانتهىٰ له علو الإسناد في القرآن الكريم، ولا تزال أصح الأسانيد حتىٰ اليوم تمر عليه[7]، والمحدث الشهير الأمير الكبير الذي ارتحل جده أحمد بن عبد القادر الأمير بأسرته من شرق ليبيا إلىٰ مصر واستقر فيها، ويؤكد أن هذه الأسرة ارتحلت من شرق ليبيا وهي تحمل لقب الأمير[8]، والشيخ محمد عليش الذي ارتحل والده،

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) نفس المصدر، ج2، ص 254 وما بعدها.

(7) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(8) نفس المصدر، ج2، ص 260.

وهو من أسرة بومنديل من قبيلة ورشفانة، من منطقته بغرب طرابلس إلىٰ القاهرة[1]، والشيخ حسين بن إبراهيم المالكي، وهو الآخر ارتحل والده من طرابلس إلىٰ القاهرة، وفيها درس ولده حسين، قبل أن يستقر في مكة المكرمة[2]، وتوارثت أسرته مشيخة العلم في مكة المكرمة، وهم كثيرون منهم ابنه الشيخ محمد علي[3].

3. تداركه لأسانيد ليبية قبل اندثارها:

وهو ما حواه الباب الثاني الذي عنونه بـ«توبة الهاجر»، أوضح مقصده في مقدمة الكتاب عندما قال: «ووفقني الله تعالىٰ إلىٰ الوصول إلىٰ أسانيد ليبية توارت وعفىٰ عليها الزمن، وكادت تموت، كسند علي بن زياد الطرابلسي، وابن زكرون، وعبد السلام بن غالب المصراتي، ومحمد الخروبي، وأبي الحسن بن المنمر، ويحيىٰ البرقي، ومحمد بن مساهل، وأحمد المكني، ومحمد الحطاب، وأحمد البهلول، وعبد الرحمن ضوي الغدامسي، وشامل بن مسعود الطرابلسي، وسالم البلعزي، وعبد القادر الفيتوري، وحسن عويدان الفيتوري، وغيرهم كثير وكثير ستجدهم في هذا الثبت ما كانت تُشهر لهم أسانيد قبله»[4].

وتكمن أهمية هذه الأسماء الليبية البارزة في الفضاء الثقافي والعلمي العربي والإسلامي، في كونها أسماء أعلام توزع وجودهم في أكثر من زمن ومكان، ما يخدم قضية شيخنا في إثبات استمرار التأثير الليبي في أكثر من حقبة تاريخية في تلك البيئات ومراكز العلم، ومشاركتهم في بنائها وإرساء معالم الحضارة فيها، وكذلك

(1) نفس المصدر، ج2، ص 261.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 264.

(3)نفس المصدر، ج2، ص 265.

(4) نفس المصدر، ج1، ص 49.

إرجاع أسانيدهم إلىٰ ليبيا في إطار عملهم علىٰ تمتين الروابط الثقافية والعلمية في المحيط الليبي بمحيط تلك البيئات العلمية.

ومجدداً أذكر بأن شيخنا لم يُسبق للسعي لوصل أسانيده بهم، وكشف الأصول الليبية لبعضهم، بل وجعل عملية إحياء أسانيدهم من طريق الليبيين من طريقه، وليس الأمر سهلاً، خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق ببعضهم الآخر من المغمورين، كالشيخ محمد الفرجاني (ت 1199هـ/ 1785م)(1)، وأكثر منه الشيخ حسن عويدان الذي حسبه كثيرون طرابلسيا لبنانيا.

ويلاحظ أنه في هذا الإجراء اتجهت جهوده لتوثيق صلة ليبيا في اتجاه المشرق والمغرب، تعميقا للجذور العلمية والثقافية الليبية في محيطها، علىٰ أنه قدم المحيط المغاربي علىٰ المشرقي، فقدم أسانيد المغاربة علىٰ المشارقة بأن جعل المغاربة في الدرجة التالية للأسانيد الليبية، بسبب التقارب الثقافي والعلمي مع الأقطار المغاربية التي تأسست ثقافاتها هي الأخرىٰ علىٰ أسس مقاربة الاعتقاد الأشعري والتصوف الجنيدي والمذهب المالكي(2).

---

(1) نفس المصدر، ج2، ص 68.

(2) قد يتبادر للذهن سؤال يتعلق بماذا تتميز ليبيا عن غيرها من أقطار المغرب العربي ما دمت الثقافة الإسلامية في كلها تقوم علىٰ الأصول الثلاث، المذهب المالكي والتصوف والاعتقاد الأشعري، فالشائع أيضا في دراسات تلك الأقطار المغاربية أن ثقافتها الإسلامية قامت وتأسست علىٰ ذات الأصول الثلاث، والجواب أنه عند التحقيق والتمعن تبين أن القطر الليبي الوحيد الذي حافظ علىٰ استمرار بنائه الثقافي وفقا لتلك الأصول، عكس الأقطار المغاربية الأخرىٰ التي عرفت مذاهب أخرىٰ غير المذهب المالكي، واستقرت لديها الاعتقاد الأشعري علىٰ طريقة المتأخرين، كما أنها عرفت طرقا صوفية تبنت أفكارا اشراقية وفلسفية، فليبيا لم يستقر فيها غير المذهب المالكي والاعتقاد الأشعري علىٰ طريقة المتقدمين فقط، كما أن الطرق الصوفية فيها لم تحد عن الأسس التي انبنىٰ عليها التصوف منذ عهد الامام عبد الله الشعاب المتوفة عام 243 هـ فلم تعرف متصوفة شطاحين أو اشراقيين. للمزيد من التفصيل في هذا الموضوع ينظر: العلامة الليبي الشيخ أحمد القطعاني – حياته وجهوده وآثاره، أسامة بن هامل، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الزيتونة، تونس، =

4. وصل أسانيده بمصادر الفكر والمعرفة الليبية:

وهو النتيجة لكل الخطوات السابقة، فلم يكتفِ ببحث وإثبات أصول كل ما هو ليبي، بل اتصل بها ورواها وتدارك اندثارها وأعاد توطينها في البلاد لاستمرارها، ومنها اتصاله المباشر بمصادر المعرفة الليبية، كالمؤلفات الليبية، بداية بموطأ الامام مالك براوية علىٰ بن زياد الطرابلسي (ت 183هـ) وانتهاء بمؤلفات العلماء المعاصرين له، بل اتصاله ببعضها الطريق الوحيد المحافظ عليها من الاندثار.

كما اتصل بالمتون الليبية، وبعضها معروف لكن الظروف جعلتها مجهولة[1]، فعمد إلىٰ إحياها وأعاد إشهارها، كمتن تخميس البهلول للقصيدة العياضية[2]، والياقوتة الفريدة للشيخ محمد لعكاري[3]، وبعضها لم يكن معروفا بل اكتشفها وأظهرها، كمنظومة هداية الحيران بأنوار حروف القرآن[4]، وسند ابن نفيس الطرابلسي في القراءات[5]، ومنها ما استخرجها من بطون الكتب والمرويات كالمسلسلات والمتون التي استخرجها، ومنها سماع جزئي لتسعين كتاب في ثمانية أحاديث[6]، ومتن «عيون درنة» المسلسل بالدراونه[7]، رابطا كل ذلك بأسانيد تصله بأصحابها رواية.

= 2022م، ص 3 الىٰ ص 12.

(1) كمسلسلات الإمام سيدي عبد السلام الأسمر، ينظر أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 213، وص 139.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 436.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 157.

(4) نفس المصدر، ج1، ص 262.

(5) نفس المصدر، ج2، ص 258.

(6) نفس المصدر، ج1، ص 151.

(7) نفس المصدر، ج2، ص 183.

بل وحتىٰ ما ضاع منها، وأصبح أثرا بعد عين، اتصل بها واصلا أسانيده لمؤلفيها، للحفاظ علىٰ استمرار روايتها لعل الزمان يجود بأصولها المخطوطة وتظهر للعلن.

وبهذا تمكن من إعادة تأسيس قاعدة عملية محلية، ويشير إلىٰ هذا في مبحث مهم عنونه بـ«السند الليبي»، وكما أسلفنا لم يكن هدفه مجرد الاتصال الإسنادي بكتب التراث الإسلامي، ولو كان هذا هدفه لاكتفىٰ بروايتها والاتصال بها من طريق الرواية عن أعلام الإسناد في عصره في دول وأقطار عربية وإسلامية أخرىٰ ليتصل من خلالهم بتلك الكتب والمرويات بـ«أسانيد محققة جاهزة ومضبوطة»(1)، خصوصاً وأنه عرف الكثير منهم وروىٰ عنهم ورووا عنه، لكنه فضل أن يتصل بها من طرق ليبية في سياق بحثه حول قضية الإسناد الليبي الخالص، وجهوده في إحيائه مجددا لاستمراره، ويؤكد هذا قوله: «بيد أنني ركبت الصعب وبذلت كامل الجهد والمشقة لإحياء الأسانيد الليبية تحديداً وضبطها وتوثيقها مدروسة محررة ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلاً لأسد فرجة حادة في الثقافة الإسلامية المدونة وأجيب عن سؤال تردد كثيراً عبر أزمان طويلة عن أسانيد الليبيين وأسباب غيابها عن تداول المسندين وإجازاتهم»(2).

وفي سبيل ذلك اعتمد العمل علىٰ جملة من الإجراءات الأخرىٰ، ضمن مباحث الإسناد الحديثي، ومنها تركه للعوالي من الأسانيد من طريق المسندين والمحدثين غير الليبيين الذين روىٰ عنهم، ونزوله درجات في سلم الإسناد بهدف رواية متون وعلوم وفوائد ليبية بأسانيد ليبية خالصة، ويوضح هذا في قوله: «ما كان أيسره عليَّ أن أذكر أسانيدي العالية عن مسندي الأمة مشرقاً ومغرباً ممن شرفوني

(1) نفس المصدر، ج1، ص 23.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

بإجازاتهم وحق الرواية عنهم ولكنني جعلتُ مدار هذا الثبت على مسانيد الليبيين عوضا عن ذلك»[1].

ويضرب أمثلة على هذا الإجراء في قوله: «فعلى سبيل المثال بيني وبين الشيخ سالم السنهوري ثمانية وسائط أولهم فقط مغربي من الرباط والسبعة الآخرون ليبيون»[2]، لكنه يتركه ليعتمد سنداً ليبياً آخر مساوياً له من طريق شيخه محمد المكي حسان[3]، وسنداً آخر أنزل منه بدرجتين من طريق شيخه محمد بركان وصولاً إلى الشيخ السنهوري[4].

ويسرد عديد الأمثلة على ذلك، وبنى هذا الإجراء على عدد من الخيارات، وهي[5]:

الخيار الأول: السند الليبي كله وهو عندي الرئيس النفيس.

الخيار الثاني: السند الذي أوله ليبي.

الخيار الثالث: السند الذي به عدد أكثر من الرواة الليبيين خلاله متتابعين أو متفرقين.

الخيار الرابع: أن يكون به ولو راو ليبي واحد على الأقل.

الخيار الخامس: الأسانيد الأندلسية والأسانيد المتداولة عندنا في المغرب العربي بنية التعريف بها ونشرها، فجلها لا يتداوله إخواننا المشارقة.

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 24.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(5) نفس المصدر، ج1، ص 26.

الخيار السادس: ما أوصلَ إلىٰ مبتغاه بأي طريق كانت وهنا فقط ربما اعتمد العوالي.

من قضايا الكتاب:

قضايا الكتاب التي تتمحور حول قضيته الأساسية، وهي قضية الإسناد والرواية الليبية كثيرة، لكن يمكننا الحديث عن بعضها:

1 - قضية التأثير والتأثر الليبي:

تتموضع مسألة التأثر والتأثير الليبي في كل تفاصيل الكتاب، بل تكاد كل المباحث والمواضيع الأخرىٰ تتفرع عنها، ويمكننا ملاحظتها بوضوح في تقصيه للتأثير الليبي في الأقطار العربية والإسلامية القريبة والبعيدة من خلال ترجمته لعدد من الأعلام الليبيين وأعمالهم في المراكز والحواضر العلمية الكبرىٰ كما أسلفنا بالإشارة للشيخ علي بن حميد الطرابلسي في مكة، والشيخ أحمد بن نفيس في مصر، والشيخ محمد الخروبي في الجزائر، والشيخ سعيد القطراني في المغرب، وأيضاً من خلال رحلات الليبيين العلمية إلىٰ تلك المراكز العلمية قبل عودتهم للبلاد، وكذلك من خلال عدد من أعلام الإسلام الذين وفدوا للبلاد للأخذ عن أساتذتها وعلمائها قبل رجوعهم لبلدانهم وهم أعلام لهم حضورهم وتأثيرهم العلمي الكبير في بلدانهم.

فمن أول الكتاب نلاحظ اشتغاله وعنايته بهذا الجانب، ففي الباب الأول الذي عرف فيه بأساتذته، نجده قدم الليبيين علىٰ غيرهم، كوالده الشيخ سالم كريم[1]،

(1) ينظر ترجمته في نفس المصدر، ج1، ص 135 وما بعدها، كما أن الشيخ القطعاني أفرد لترجمة والده =

وشيخه الأكبر مختار السباعي[1]، وأستاذه الأول الشيخ محمد عبد ربه المجبري[2]، وطائفة كبيرة، فظهرت أبعاد شخصيته العلمية الليبية ضاربة جذورها في عمق التاريخ الثقافي الليبي من خلال شبكات أسانيد واسعة من المرويات الليبية الحديثة والقديمة.

ومن خلال شيوخه من غير الليبيين، في ذات الباب، ظهرت أبعاد شخصيته العلمية والصوفية المرتبطة بمحيطها العربي والإسلامي عبر اتصاله بعدد من علماء الأقطار العربية والإسلامية، بعضهم من طبقته كالشيخ محمد علوي المالكي[3]، والشيخ محمد عبد الباعث الكتاني[4]، والشيخ محمود سعيد ممدوح[5]، والشيخ محمد مطيع الحافظ[6]، وبعضهم ممن هم أعلىٰ منه في الطبقة.

وفي الباب الثاني ربط أسانيده واتصالاته بواحد وخمسين علماً ليبياً، هم كل رموز الحركة العلمية الليبية في مختلف الطبقات والأزمان والاهتمامات، بدءاً بالشيخ عبيد الله بن أبي جعفر الطرابلسي (ت 132هـ/ 750م)[7] وحتىٰ السيدة

= كتاباً خاصاً، عنوانه "سالم كريم القطعاني وصفحات من تاريخ الوطن"، نشر عام 2016م عن دار بشرىٰ وكلثوم بطرابلس.

(1) ينظر ترجمته في أوبة المهاجر، ج1، ص 144 وما بعدها، وأيضا في أعلام الطريقة العيساوية، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، ط1، ص 231 وما بعدها، وأيضا في موسوعة القطعاني الإسلام والمسلمون في ليبيا منذ الفتح الإسلامي وحتىٰ سنة 2000م، دار الغريب، القاهرة، ط1، ج4، ص 113.

(2) ينظر ترجمته في موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج1، ص 140.

(3) في أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج1، ص 282. ينظر ترجمته.

(4) ينظر ترجمته في نفس المصدر، ج1، ص 349.

(5) ينظر ترجمته في نفس المصدر، ج1، ص 297.

(6) ينتظر ترجمته في نفس المصدر، ج1، ص 353.

(7) نفس المصدر، ج2، ص 11.

فايزة بنت محيي الدين السنوسي (ت 1433هـ/ 2012م)[1]، ليزيد تركيزه الليبي في الباب الثالث ببيان جهوده لإعادة أسانيد ومرويات واحد وعشرين عالمـًا ليبيـًا هاجروا إلىٰ خارج البلاد فهاجرت معهم أسانيدهم وعلومهم، كابن زياد وابن عمار والقطراني وعويدان الفيتوري، وغيرهم.

وفي الفصل الرابع وثق أسماء وتراجم ستة علماء ليبيين، مختلفي الأزمنة والأماكن، منبهـًا علىٰ انقطاع أسانيدهم، ومن خلالهم عاد في الباب الخامس لربط البلاد بمحيطها العربي والإسلامي من زاوية أخرىٰ، وهي التأثير العكسي من خلال ستة من كبار مسندي ومحدثي الأمة الإسلامية اشتهروا في التاريخ الإسلامي وكانت لهم مكانة خاصة في كبرىٰ حواضر العلم، كابن نفيس الطرابلسي والأمير الكبير وعليّش وحسين المالكي.

ولزيادة تأكيد التأثير الليبي في المحيط العربي والإسلامي، ترجم في الباب السادس لخمسة أعلام زاروا ليبيا للاتصال بمسنديها وعلمائها، كالشيخ أحمد بن أقيت التنبكتي، والشيخ سالم السنهوري المصري، والشيخ عبد الرحمن المكي الحجازي، تلاميذ الشيخ عبد السلام الأسمر، وكالشيخ فالح الظاهري تلميذ الشيخ محمد بن علي السنوسي[2].

وفي الباب السابع وصل مروياته وأسانيده بالمراجع والمصادر التي كونت الثقافة الإسلامية في مختلف المجالات من صحاح الحديث والسنن والتوحيد والفقه واللغة والقراءات وكتب التاريخ والأدب[3]، بل وأغلب ما في المكتبة

(1) نفس المصدر، ج2، ص 170.

(2) نفس المصدر، ج2، 268 وما بعدها.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 287 وما بعدها.

العربية والإسلامية من فهارس ومشيخات من مختلف الأقطار الإسلامية، كما في الباب الثامن[1].

وانتخب في الباب التاسع جملة من أعز أسانيده وأنفسها، في أغلب فنون العلوم الإسلامية، كالقراءات والتوحيد والحديث ومصطلحه والفقه وأصوله، والأدب، بالإضافة لكم كبير من المنتخبات الصوفية سواء كانت أدبية أو علمية[2]، لينفذ منها للباب العاشر ذاكراً أصول روايته الليبية في مختلف فروع المعرفة، عبر أربع عشر عالماً ليبياً في الفقه وأصوله والقراءات والحديث والأدب[3]، وخمسة في التاريخ الليبي غير المكتوب في الباب الحادي عشر[4]، وعشرة في علوم السماع والموسيقىٰ والفنون الليبية خلال الباب الثاني عشر[5].

أما خاتمة الكتاب فهي في الفصل الثالث عشر، ذكر فيها مسرداً لكامل مؤلفاته التي بلغت خمسةً وسبعين كتاباً، ثم وصيته لمن أجازه في أسانيده التي حواها هذا الثبت، وهي وصية تختلف عن وصايا غيره من المحدثين في خاتمة أثباتهم وإجازاتهم، فقد اشترط علىٰ المجاز والراوي عنه تحمله لمنهجه وهو منهج «الجمال في النوايا والأقوال والأفعال، أبشرُ ولا أنفر، أيسرُ ولا أعسر، لا أثير الخلاف بين المسلمين، ولا ألقىٰ الشقاق بينهم، فجميع أمة محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ملتي، ولهم علي واجب النصح والتعليم، والدعاء لهم بكل خير،

(1) نفس المصدر، ج2، ص 232 وما بعدها.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 345 وما بعدها.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 456 وما بعدها.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 479 وما بعدها.

(5) نفس المصدر، ج2، ص 492 وما بعدها.

وحمل أثقالهم وإن خالفوني وآذوني، لا أقول إلا خيرا أو أصمت، هذا أنا إن أراد أن يقرن أخذه الرواية عني بالأخذ عن حقيقتي وحقيقة أشياخي»[1].

2 - قضية الهوية:

لم تنل قضية الهوية الليبية كثير اهتمام من قبل الباحثين في الاجتماع والتاريخ والأنثربولوجيا وغيرها من مجالات العمل المتصلة بها، فالأعمال فيها نادرة وقامت أغلبها علىٰ مقاربات مفاهيمية متشابهة، وإن اختلفت طريقة طرحها من منظور جغرافي تاريخي أو ديني، وبعضها ذهب للحفر في حقول اللغة والوجدانيات في محاولة للوصول إلىٰ أهم العوائق التي تعترض وجود خيط ناظم يربط كل حقب ومراحل التاريخ الليبي، لإثبات وجود هوية مشتركة جامعة ولو بشكل متدرج، ولا تزال القضية محلَّ جدل وبحث، مدفوعة بالعديد من الأسباب كالاختلاف في مفهوم الهوية، وعلاقته بالانتماء والمواطنة والكيان السياسي، وما إذا كانت الهوية تتأسس عليها الدولة، أم الثانية تؤسس للأولىٰ[2].

وجاء اعتناء شيخنا بهذه القضية في وقت تواجه فيه البلاد جملة من الاهتزازات المتلاحقة، كضعف الارتباط بالوطن الذي زاده عدم تفريق المواطن بين أنظمة الحكم الشمولية المنزاحة، وبين الانتماء لوطنه، تزامنا مع جرف العولمة الثقافي ليطاول اللغة والفنون والآداب بسبب عدم القدرة علىٰ التفاعل مع العولمة بكل محمولاتها والحفاظ في نفس الوقت علىٰ الانتماءات الأصيلة، فقد لفت في بعض

---

(1) نفس المصدر، ج2، ص 518.

(2) نظم مركز دراسات القانون والمجتمع بجامعة بنغازي ندوة "الهوية الليبية: الأبعاد والمقومات، مقاربات متعددة التخصصات"، في أكتوبر 2018م، بمشاركة تسعة باحثين ليبيين، لكن يبقىٰ عمل د. محمود أبوصوة "جدلية المجال والهوية: مدخل لتاريخ ليبيا العام"، الصادر عام 2012، عن دار الرواد بطرابلس، أهم الأعمال الجادة في هذه القضية.

دراسته الأخرىٰ إلىٰ أن ظروف العقود الماضية من تاريخ البلاد أنتجت هامشـًا لتسرب الأفكار المتطرفة من مدخلين، الأول من تيارات الحداثة، والثاني تيارات الإسلام المتشدد، وانخراط الأغلبية للجانبين النقيضين، معززاً بالمنتج الأدبي والمعرفي للنخبة الموصوفة بالمثقفة التي اختلفت أيضا في ترجمتها الفكرية والسياسية، إما في شكل انتماءات عقدية جامدة، أو فكرية فلسفية قادمة من وراء الحدود، ما أحدث حالة من التشوه القيمي في الانتماء للوطن[1].

ولذا فاهتمام الشيخ بهذه القضية في هذا التوقيت يدل علىٰ انتباهه لكل هذه الأسباب والمظاهر، إلا أنه في كتابه الذي بين أيدينا لم يتوقف عندها ويبحث مسبباتها، بل اتجه بشكل مباشرة لمعالجتها بالتأكيد عديد المرات علىٰ أن هوية البلاد تشكلت بناء علىٰ الأصول الثلاث، التي أشرنا إليها سابقا، وسرد تفاعلاتها ومنتجاتها في واقع التاريخ سواء علىٰ مستوىٰ الفرد أو المؤسسة، وإثبات استمرارها من خلال تراجم أهم الأعلام الليبية، سواء التاريخية أو العلمية أو الثقافية.

ونلاحظ في عمل شيخنا في هذه القضية أنه اشتغل علىٰ تدرجات تشكل الهوية، فالانتماء أولا، ثم المواطنة، فهوية البلاد الجامعة التي نظم التصوف الليبي خيوط كل مراحلها التاريخية المتتابعة، دون إغفال لربطها بسياقها الإقليمي في الأقطار المجاورة والبعيدة، ما يشير إلىٰ عنايته بمسألة ترتيب الهوية في دوائر متفاعلة ومتداخلة في تصاعد أحكمه بشدة من خلال شبكات الأسانيد الممتدة بطول المراحل الزمنية التي مرت علىٰ البلاد، كاشفـًا عن دور هذه الشبكات في تكوين وتأسيس البُنىٰ الثقافة والفكرية للبلاد.

(1) ينتظر: مقال الجذور ضمن كتاب سري للغاية، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص 9. ومقال الانتماء، وقلوب الأعاجم وألسنة العرب ضمن كتاب الحب القذر، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2018م، ص 32 وص 50.

إذاً، استخدم شيخنا الأسانيد مرة أخرىٰ، كآلية وإجراء وظفه في معالجته لقضية الهوية، لكن من منظور أو زاوية جديدة ينبه علىٰ أن هذه الأسانيد تتجاوز رواية العلم المجرد فقط، بل هي شبكات لنقل محمول ثقافي عمودياً عبر مختلف مراحل تاريخ البلاد، وأفقيا عبر ارتباط رموز وأعلام مناطق وأنحاء البلاد ببعضهم البعض.

ونجد أن هذه الشبكات الإسنادية الليبية التي استخرجها تقف في طولها عند الفترة الإسلامية الأولىٰ، كانتهاء سند المسلسل بالليبيين عند الصحابي رويفع الأنصاري مثلا[1]، لكنها لا تتجاوزها إلىٰ الفترات التاريخية للبلاد ما قبل الإسلام، ولذا تبدو أولىٰ المسائل التي قد تعترض الباحث هي اعتماد شيخنا لمرحلة دخول الإسلام للبلاد كأولىٰ محطات تشكل هويتها، ما يُشعر بأنه يتحدث عن هوية دينية، وقد يدعم هذا الاعتقاد المضمون الديني للأصول الثلاث، المذهب المالكي والتصوف والاعتقاد الأشعري، التي اعتمدها بناء لتشكيل الهوية، لكنني أعتقد أنه لم يعتمد البعد الديني لوحده بل أراد القول بأن أهم مقومين للهوية، وهما الدين واللغة، اللذين لم يستقرا إلا بعد دخول الإسلام للبلاد، فقبله لم تجتمع البلاد علىٰ لغة ودين واحد، وبالتالي لا يمكن الحديث عن تشكل هوية في البلاد قبل وجود الإسلام.

ومقابل من يرىٰ أن هذين المقومين لم يستقرا في الفترات الأولىٰ لدخول الإسلام إلا تدريجيا بعد القرن الثالث الهجرىٰ، وأن معظم سكان البلاد كانوا في تلك الفترة يدينون بديانات غير الإسلام مثل المسيحية واليهودية بل وديانات محلية أيضا، وأنهم كانوا في الأغلب يتكلمون لغات كالإغريقية والامازيغية، نجد شيخنا يذهب لدحض هذا الرأي ضمنا بقوله في ترجمة العالم الليبي علي بن زياد

(1) ينظر: أثر اشتغال العلامة القطعاني بالسنة وإسنادها في إرساء قيم الانتماء وترسيخ الهوية الليبية "الحديث المسلسل بالليبيين" أنموذجا، أسامة بن هامل، ضمن أعمال هذا المؤتمر.

الطرابلسي (183هـ/ 799م)[1]: «وأول من أدخل موطأ الإمام مالك والمذهب المالكي إلىٰ المغرب العربي، وأول من فسر في المغرب العربي قول مالك»، وأن الإمام سحنون تلميذ ابن زياد «تمم مهمة أستاذه»[2]، وكذلك حديثه عن أولية وجود التصوف في ليبيا دونا عن بقية الأقطار المجاورة[3]، وهو يعني بذلك أن إدخال ابن زياد الموطأ إلىٰ ليبيا منتصف القرن الثاني الهجري لم يكن مجرد عمل فردي، بل دون شك كان استجابة لحاجة الناس لمذهب ينظم حياتهم وفقا للدين الإسلامي، وهذا يعني أن الإسلام استقر في البلاد قبل دخول الموطأ إليها بفترة طويلة، خصوصا ونحن نرصد حركة تدريس كثيفة للمذهب في فترة قريبة من عهد ابن زياد، ليس في طرابلس فقط، بل في مراكز بعيدة كإجدابيا علىٰ يد الإمام سحنون (240هـ)[4]، وليس من المنطقي أن يُقبِل الناس علىٰ تعمل المذهب دون العمل به، أو الحاجة إليه.

كما أن وجود التصوف في ليبيا بشكل مبكر، يدل علىٰ بلوغ الليبيين لمرحلة متقدمة من فهم الإسلام ولغته، فالتصوف مرحلة متقدمة من ممارسة الدين الإسلامي، يُعبر عنه بمقام الإحسان الذي يلي الايمان وقبله الإسلام، ورغم أن الإمام الشعاب توفي عام 243هـ إلا أن شيخنا يستشهد بقول شهير للإمام سحنون

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 185.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 185.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 350. وقد عقد الشيخ القطعاني مبحثا طويلا لإثبات دخول التصوف الىٰ ليبيا قبل كل الأقطار الأفريقية في موسوعته، فلينظر في ج1، ص 68 وما بعدها.

(4) أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، من أشهر فقهاء المذهب المالكي، وعلىٰ كتابه "المدونة" المعول عند السادة المالكية، ولد بالقيروان عام 160م، وتعلم علىٰ يد علماء بلده، وعلماء الحجاز ومصر والشام، جلس للتدريس بمدينة اجدابيا في ليبيا، قبل أن يرجع للقيروان ويستقرها حتىٰ وفاته عام 240هـ .ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، عياض بن موسىٰ اليحصبي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1983م، ج4، ص 45 وما بعدها.

جوابا لمن سأله عمن لقي من الصالحين، «لقد لقيت بطرابلس رجالا ما الفضيل بن عياض بأفضل منهم»[1]، منبهًا على أن قياس الإمام سحنون «لمتصوفة ليبيا على صوفي بحجم الفضيل عياض (ت 187هـ) أحد أهم أعلام التصوف في المشرق يوضح مستوى التصوف الذي بلغته البلاد وقتها، كذلك وانطلاقا من تاريخ وفاته المذكور أعلاه، فلا شك أن القرن الهجري الثاني كان قرنا صوفيا متكاملا في البلاد»[2].

وهو ما تؤكده المصادر التي أرخت للإمام الشعاب عندما أشارت إلى أنه أسس رباطًا على شاطئ البحر بطرابلس[3]، ما يشير إلى دور عسكري دفاعي، وبمعنى أوضح أن الدين الإسلامي استقر في البلاد إلى حد الانتقال لمرحلة الدفاع عنه من الغازي، من جانب، ومن جانب آخر فإن بناء الرباط يعني بلوغ التصوف لمرحلة التنظيم والاستقرار والشيوع، خصوصـًا إذا أضفنا إلى هذا ما ذكرته المصادر من أن الشعاب طلب من قاضي البلاد أن يسلمه المسجد، فتوسط القاضي بينه وبين باني المسجد وسلمه له[4]، وهو دليل على معرفة السلطة، التي يشكل القضاة جزءاً كبيراً منها، للتصوف وعدم رفضه.

كما نلاحظ في عمل شيخنا أنه ربط الواقع الثقافي والعلمي بالمحيط العربي والإسلامي القريب والبعيد بمد «شبكة الأسانيد» شرقًا وغربـًا، ما يعني أنه لا يتحدث عن هوية مكانية قطرية، ولا يتحدث عن هوية أيدلوجية، إذا اعتبر البعض

---

(1) التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، محمد بن خليل بن غلبون، تعليق الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص 153.

(2) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج1، ص 69.

(3) التذكار، مصد سابق، ص 249.

(4) نفس المصدر، نفس الصفحة.

أن التصوف أيدلوجيا، أو زمانية بحصرها في لحظات تاريخية وجدت فيها الأصول الثلاث، بل أعتقد أنه يتحدث عن هوية تنوع بمعناها الشامل المتدرج من التقارب إلىٰ التلاؤم وصولاً إلىٰ التناسق من خلال استمرار انصهار منتجات الأصول الثلاث في بوتقة الأسانيد التي تمثل «شبكة اجتماعية»، وثيقة الصلة ببعضها أفقيا ومترابطة عموديا، أفرزت كل عوامل وحدة البلاد الثقافية قبل أن تصل إلىٰ مجالها الجغرافي السياسي الحالي.

ورغم محاولتي بسط الحديث عن انشغال شيخنا بهذه القضية، وأنها أحد أهم موجهات خط التأليف في هذا الكتاب، إلا أني أردت التنبيه عليها في إطار موضوع ورقتي وهو العرض والقراءة الأولية فقط، فدراستها أمر يحتاج لدراسة أكثر توسعًا لتأكيد أن عنايته بهذه القضية لم يكن مقاربة علىٰ أسس دينية كما يبدو، بل ضمن التصوف الليبي المؤسس علىٰ الأصول الثلاث، المذهب المالكي والتصوف الجنيدي والاعتقاد الأشعري، بالمعنىٰ الصوفي الواسع الذي لا ينحصر في الديني فقط بل يتسع ليشمل كل ما هو ثقافي وحضاري، بدليل نتاجه الليبي علىٰ مر عصور التاريخ الذي وضع له أمثلة في كتبه الأخرىٰ.

ولكن لتوضيح عاجل لرؤية شيخنا الخاصة في هذه القضية، أنقل نصا من مقدمة موسوعته يقول فيه: «تميزت ليبيا بأن القادة الفعليين لمسيرة حضارتها علىٰ كافة الأصعدة منذ وجد الإسلام علىٰ أرضها كانوا دائما من رجال التصوف، ولا تكاد تجد مجالاً علميـًا أو اجتماعيـًا أو ثقافيـًا لم يكونوا هم بناته ومؤسسوه، وواضعو لبنته الأولىٰ»، وليس هذا بالأمر الهين، خصوصـًا وأن ليبيا تقع «بين مركزي استقطاب علمي وحضاري كبيرين هما مصر بأزهرها وتونس بزيتونته، ولولا هؤلاء الرجال الذين أوجدوا هذا التاريخ الحافل المميز علىٰ كافة الأصعدة في ليبيا، لكان من الطبيعي جدا أن تطغىٰ هذه المراكز الحضارية المتقدمة جداً

والمزدهرة علىٰ حضارة هذا الجزء من بلاد الإسلام، ويصبح بلا هوية»[1].

وللتدليل علىٰ ذلك أستعرض الكثير من الأمثلة، أنقل بعضها باختصار[2]:

1 – إحياء وتأسيس المدن:

يلفت انتباه الدراسين إلىٰ أن مدناً ليبية بكاملها تأسست بسبب سكنىٰ صوفي في مكان غير مأهول، فوفر فيها عوامل الاستقرار، وأولها بناء الزوايا التي كانت تقدم أكثر من خدمة، تعليمية ومعيشية وأمنية وغيرها، وهو هنا يشير إلىٰ بعد آخر من الأبعاد المنسية في مؤسسة الزوايا، وهو أن هذه الزوايا بما وفرته من خدمات معيشية وأمان وفرت فرصة للاستقرار، وأن يفاضل البدوي الرحال بين فرص الاستقرار والعيش الكريم من خلال ما توفره الزوايا من فرص عمل أكثر راحة أو الترحال، وهو بعد جدير بالدراسة، وتحديداً دور الزوايا في خلق مجالات للاستقرار ومن ثم التمدن.

ويجلب أمثلة علىٰ نجاح الزوايا في ذلك، ومنها مدينة الزاوية، غرب طرابلس، التي تأسست حول زاوية أولاد سنان، ومدينة الجغبوب التي تأسست حول زاوية أسسها سيدي محمد بن علي السنوسي، وطبقة التي تأسست حول زاوية أسسها سيدي محمد الأزهري الجروي، والساعدية جنوب طرابلس تأسست حول زاوية صوفية للطريقة الساعدية، وسيدي الشويرف، وسيدي بشر.

بل كان توسع ونماء بعض المدن بسببهم، كمنطقة المحجوب، غرب مصراته، التي تأسست حول زاوية سيدي إبراهيم المحجوب، ومنطقة الجديد في سبها التي تأسست حول زاوية سيدي عبد الله النعمي، ومنطقة بوعيسىٰ غرب طرابلس، وسيدي السائح جنوب شرق طرابلس، والعجيلات التي تأسست حول ضريح

---

(1) موسوعة القطعاني، مصدر سابق، ج1، ص 81.

(2) ينظر نفس المصدر، ج1، ص 82 الىٰ ص 130.

سيدي أبوعجيلة حركات، وعمرت بسببه وبسبب ذريته الصالحين فعرفت باسمهم، والأمثلة في ذلك تخرج عن الحصر.

وأكثر من ذلك كان للصوفية دور في بعث وإحياء عديد المدن، حتىٰ صار بسبب دورهم تنسب إليهم، فمدينة برنيق أصحبت تعرف باسم بنغازي، بسبب سكنىٰ سيدي حسن بن غازي فيها، فأحياها ونمت من جديد بعد أن كادت تندثر، ويشير شيخنا إلىٰ أن استمرار دور الصوفية في إحياء بنغازي، فاحيائها، باستثناء الصابري، تسمت باسم من سكن فيها: سيدي خريبيش، سيدي الشريف، سيدي خليفة، وسيدي عبد العاطي، وسيدي علي الوحيشي، وسيدي حسين، وسيدي الهواري، وسيدي بالخير، سيدي بن عيسىٰ، سيدي الدراوي، سيدي سالم، سيدي الشابي، سيدي غريبيل، سيدي حسين، سيدي داود.

وفي طرابلس أيضا، سيدي الهاني، وسيدي المصري، وسيدي عبد الجليل، وسيدي الهدار، والشيخة راضية، وسيدي الاندلسي، وغيرها الكثير.

وهي ظاهرة منتشرة في كل المدن والمناطق الليبية تؤكد دور الشخصيات الصوفية في تأسيس المناطق والأحياء، ودورهم في إنقاذ الحواضر من الاندثار، ومن هذا الدور الأخير عناية السادة الصوفية بتغيير أسماء بعض المدن وبث الحياة فيها مجدداً، كمدينة بني الزرقاء التي غير الشيخ محمد بن علي السنوسي اسمها لمدينة البيضاء وأسس فيها زاويته الأولىٰ التي عمرت المدينة مجدداً بسببها، ومنطقة مصيعد التي غير سيدي أحمد الشريف اسمها لمدينة امساعد.

بل نبه علىٰ عمق التأثير الصوفي في تفاصيل حياة الأسر الليبية، فبإحصاء عاجل تجد أسماء المتصوفة الأكثر انتشارا وغلبة من بين الأسماء الأخرىٰ ، فكثيرا ما يسمي الناس بأسماء: عبد السلام، وبن عيسىٰ، والجيلاني، والشاذلي، والتيجاني، والرفاعي، والشارف، وزروق، والمدني، والمرابط، وزلي، وبوراوي،

والحضيري، ورابعة، وعسيلة، ويزه، والعجمية، والعيساوي، والعروسي، ويخلف، والتواتي، والسنوسي، والمجذوب، والخروبي، وبن ناصر، والغزواني، والساعدي، وبوصلاح.

2- الاستقرار والأمن:

وقد يكون هذا العامل تابعاً للأول نسبياً، لكنه أفرده بمبحث خاص به نبّه فيه لدور الأعلام الصوفية في توفير عامل الأمن المهم للاستقرار، فقد كان «للصوفي دائما مواقف شجاعة إزاء الحاكم، ساعده عليها اتصاله الوثيق بالقاعدة الشعبية ومعرفته بآلام وآمال الناس فأدىٰ دائما دوره المشكور في المواساة والإسعاف والإنصاف والإرشاد»، ويورد أمثلة في ذلك، كدور الشيخ خليفة أبوغرارة في رد عدوان القائد أبي البركات السليماني الذي قدم من تونس وحاصر طرابلس برا وبحر، وعشرات الشواهد الأخرىٰ التي تدل علىٰ تحول الزوايا لملجأ للناس أثناء العدوان والغزوات التي تتعرض لها المدن الكبرىٰ والحواضر.

ويذكّر أيضا بالظروف الأمنية التي وفرها الصالحون وزواياهم التي بنوها في مجاهل الصحراء، أو في تقاطعات طرق قوافل التجارة كزاوية طبقة التي أسسها صاحبها سيدي محمد الجروي الأزهري في تقاطع طرقات التجارة فمثلت عامل أمان لعصب الحياة، وهي التجارة، كما وفرت فرصاً للعمل الآمن والاستقرار فتحلق حولها الناس وأصبحت منطقة آهلة، وغير بعيد أيضاً عن مدينة الجغبوب التي قطعت ظاهرة النهب والسرقات وقطاع الطرق في محيطها، وأصبحت أهم محطات مرور القوافل.

وأكثر من ذلك مشاركة الصوفيين في إضعاف ومقاومة ظاهرة تجارة الرقيق، كسيدي أبوصلاح في منطقة العوينات الذي شكلت زاويته وضريحه عرقلة أمام تجار الرقيق.

3 – المؤسسة التعليمية:

ولا يبدو أن هناك حاجة لتأكيد أن الزوايا كانت قوام المؤسسة التعليمية، وأساسها وأسها، وعلىٰ يد المتصوفة نمت وتطورت، والأمثلة في هذا تخرج عن الحصر، حتىٰ أن الدارس لا يجد زاوية أو مدرسة لم تكن صوفية التأسيس والتطور.

– الأنشطة الثقافية والعلمية:

وتشمل هذه الأنشطة تأليف الكتب والمتون، والأدب والمسرح والصحافة، وغيرها، وهي كسابقاتها تأسست وتطورت علىٰ يد المتصوفة، ولكثرة الأمثلة التي ساقها للدلالة علىٰ الدور الصوفي في تأسيس وتشكل الهوية، يمكنني إيجازها في أنه ذكّر بأن التأليف في الفقه والحديث والتفسير، ومختلف المعارف الإسلامية الأخرىٰ، كلها دون استثناء كانت علىٰ يد المتصوفة، وربما هذا لا يحتاج إثباتا، فتراجم مؤلفيها محفوظة في مظانها وتدل علىٰ صوفيتهم، لكن الجديد هو لفت نظر شيخنا إلىٰ أن مصادر التاريخ الليبي، وهي حولية البهلول، والتذكار، والمنهل العذب، ومذكرات الفقيه حسن، أصحابها صوفيون أيضا.

3 – قضية الإسناد الصوفي:

وهي من أكثر القضايا إشكالية كما قد تبدو للقارئ في قراءته الأولىٰ للكتاب، وتتمثل في التعارض الظاهر بين الضوابط التي حددها لنفسه في المتن والسند وبين الأسانيد الصوفية، فقد يعتقد دارس الكتاب أن ضابطاً مثل «لا رواية عن المجاهيل»، قد لا يتطابق مع روايته لعدد كبير من الأسانيد الصوفية، والحال أن أغلب رجال هذه الأسانيد غير معروفين بأعيانهم وتراجمهم مفقودة.

لكن عند التعمق في طريقة دراسته للسند الصوفي، نلاحظ وجود قواعد خاصة بهذا العلم بثها مفرقة في ثنايا الكتاب، لدواعي كثيرة، منها أن علم الإسناد الصوفي علم مخصوص نادر لا يتاح لكل دارس التمكن فيه وفهمه، باستثناء من عاش تجربة سلوك صوفي علىٰ يد المشايخ المربين، ولذا هو علم مختلف تماما عن أسانيد العلوم الأخرىٰ، فالتصوف يحويها ولا تحويه، كما أنها جزء منه لكنه كل، وهي ظاهر الشريعة وهو باطنها.

ولم يسبق أن ألف أعلام التصوف في هذا العلم كتبا متخصصة، باستثناء قلة منهم الشيخ محمد المهدي الفاسي، والشيخ محمد بن علي السنوسي، لكنهم لم يبينوا فيها قواعد دراسة هذا العلم، ولذا يحسب لشيخنا أنه أول من بين ملامح هذه القواعد في ثنايا كتابه التي يمكننا رصدها وجمعها.

وأول هذه القواعد قاعدة الجرح والتعديل، فإن كان وصف الصوفي عند أئمة الحديث كالذهبي وغيره من ضمن مراتب التعديل في دراسة أسانيد العلوم، إلا أنه يختلف في علم الإسناد الصوفي فهو وصف جامع لكل مراتب التعديل، ويبعد عند من اتصف به شينه بأي مثلبة أو جرح.

ولذا نجد القاسم المشترك بين أساتذة شيخنا ومروياتهم وأعمالهم أنهم صوفيون، ولا رواية له عن غيرهم، ويصرح بذلك في قوله: «لا شيخ لي ولا إجازة من منتسب لجماعات الإسلام السياسي، أو فرقة، أو جماعة سياسية، أو وهابية متسلفة، أو تكفيرية، أو متطرفة، فسأكون خائنا لأمانة الرواية غاشا لمن أجزتُه لو فعلتُ ذلك»[1]، ويسهل علينا هذا الشرط أو القاعدة فهم الفرق بين الإسناد الصوفي وغيرهم من أسانيد العلوم الأخرىٰ، فسبب رفضه الرواية عن رموز وشيوخ الطوائف والفرق الإسلامية الأخرىٰ مرده لمحمول السند، أي: الدراية، ويتضح

(1) نفس المصدر، ج1، ص 126.

ذلـك بجـلاء في قولـه: «فالروايـة عنـدي ليسـت نقـلاً للمكتـوب فقـط، بـل للقـيم والأخلاق والمبادئ والشمائل التي يحملها المُجيز وستلاحظ في هذا الثبت أنني لا أجمع المشيخة كما اتفق، بـل أتخير شيوخي، فـلا أروي ولا آخـذ قـط إلا عـن مـن أحببتهم واطمأن إليهم قلبي من المسلمين الطيبين الودعـاء المحبـين الـذين يـألفون ويؤلفون وواحد منهم عندي يعدل آلافا من غيرهم»[1]، ويتابع «أما سواهم من هذه الفـرق والجماعـات مدعيـة أن الله لـم يهـد غيرهـا التـي استشـرت في جسـد الأمـة بعشرات الأسماء وجعلت دين الله شيعـًا وأحزابـًا وكرهـًا وتكفيراً وحقداً ودماء فلا أنا منهم ولا هم مني ولا آخذ عنهم ولكنني أقبلُ أن يأخذوا عني»[2].

وقد أجلىٰ بقوليه السابقين الفرق بين التصـوف وغيـره مـن العلـوم، فالتصـوف ينقل عبر أسانيده أخلاق النبي صلىٰ الله عليه وآله وسـلم، خـلاف غيـره مـن أسـانيد العلوم الأخرىٰ التي تنقل عادة رواية تختلف الفـرق الإسـلامية في فهمهـا وتطبيقهـا، وبسبب اتساع ألفاظ الرواية قد توجه هـذه الفرقـة أو تلـك معانيهـا لصـالح أهـدافها، ونجد الكثير من الأيدلوجيات والفـرق المتطرفـة تسـتند في أعمالهـا علـىٰ مرويـات، بعضها متصل وصحيح السند.

وتأسيسـًا علىٰ هـذا الفـرق ننفـذ لطريقـة فهـم وتطبيـق السـادة الصـوفية لجانـب الدراية، باعتباره مدار العمل عندهم، فالدراية عندهم معايشة وسلوك أخلاق النبي علىٰ يد من تخلق بها علىٰ مـن قبلـه، وهكـذا دواليـك إلـىٰ منتهـىٰ السـند وهـو النبـي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وهو ما ألمح إليه شيخنا بقوله: «سيقول لـك الطبيـب إن الأجساد الحية ترفض أي قطعة من كائن حي آخر تضـاف إلـىٰ الجسـد ولـو أدىٰ بهـا الأمر إلىٰ موت الجسد نفسه، وأنا كذلك لا أقبل الروايـة والأخـذ سـوىٰ عـن رجـال

(1) نفس المصدر، ج1، ص 126، 127.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 127.

من طينة بعينها أُجلها وأقدرها وأتفق معها في فكري ومعتقدي ومنهجي، وما عداهم يرفضه قلبي وأثباتي ولست بالذي أغفل معاييري في سبيل الإكثار من المشيخة»[1].

وللتوضيح أكبر، فالفرق يتجلىٰ من خلال أغراض الإسناد، فسلاسل الإسناد في الحديث الشريف والفقه والتاريخ والعقيدة وغيرها تنتهي إلىٰ نص مرفوع للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، أو موقوف علىٰ صحابي، أو مسند إلىٰ أحد السلف الخيرين أو أئمة أحد المذاهب، ليبنىٰ علىٰ هذا النص أو ذاك حلال أو حرام، ولذا يتوجب ظهور حال وسائط السند في كل درجاته، ويقدح فيه حتىٰ إن وجد فيه من درج أهل النقد الحديثي علىٰ وصفه بمستور الحال فما بالك بما هو أكثر.

لكن في التصوف الأمر يختلف؛ إذ المروي عندهم عبر سلاسل السند ليست أقوال، بل أحوال تنتهي عبر سلسلة الإسناد إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ويعنون بالأحوال أخلاقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ولهم طريقتهم الخاصة في نقلها من خلال التخلق بها وعيش تفاصيلها لينقلها الشيخ المربي إلىٰ مريديه بعده، ومريدوه ينقلونها لمن دونه، وهكذا دواليك.

وتأسيسا علىٰ ما مر، فالقاعدة في صحة السند الصوفي، كما نراه عند شيخنا، هو ظهور حال الواحد منهم في آخر السند، إذا اشتهر بالفضل والصلاح والدعوة لهما يصح كامل السند، ولا يشترط معرفة رجال كامل السند، ولذا تجده يهتم ويعتني شديد العناية بتراجم أعلام ينتهي إليهم مجموع أخلاقه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ويؤسسون علىٰ مجملها منهجاً واضحاً للتربية اصطلحوا علىٰ تسميته بالطريقة، كعنايته بسيرة سيدي عبد السلام الأسمر[2]، وسيرة الشيخ الكامل

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) القطب الأنور عبد السلام الأسمر، أحمد القطعاني، دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1992م.

محمد بن عيسى[1]، وسيرة الشيخ محمد حسن ظافر المدني[2]، وسيرة الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي[3]، وجمع بعضهم في كتاب واحد.

والأمثلة على ذلك كثيرة من الأسانيد الصوفية، كسند الإمام أبي الحسن الشاذلي الذي لا يعرف أغلب أكثر رجاله[4]، وكذلك سند الإمام محمد بن سليمان الجزولي[5]، وغيرها، لكن ظهور الحال النبوي وأخلاقه في منتهى السندين، ممثلا في شخصيتي الإمام الشاذلي والجزولي كافٍ في صحة السند، بل ودليل على ذلك، فلو لم يصح سند الإمام الشاذلي لما صح الإمداد فيه، ولما ظهرت فيه تلك الأحوال والأخلاق النبوية التي تلقاها بالمعايشة والصحبة والسلوك على يد شيخه، وشيخه عمن سبقه إلى منتهى السند وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ويعزز شيخنا هذا برواية كثيفة للمناولات الصوفية، وهو تعبير صوفي دقيق يحرص شيخنا على استمراره، إذ يؤكد ارتباط الجانب العملي في تعامل الصوفية مع السنة النبوية من خلال التناول وهو فعل وعمل، عكس العلوم الأخرى التي يكتفي في أصحابها بالتلقي القولي، ومن أمثل هذه المناولات، مناولة السبحة، يتناولها المريد من يد شيخه عبر سلسلة طويلة من الإسناد تنتهي إلى التابعي الحسن البصري[6].

---

(1) الشيخ الكامل محمد بن عيسى، أحمد القطعاني، دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1992م.

(2) الداني المدني محمد حسن حمزة ظافر المدني، أحمد القطعاني، 1994م، مخطوط.

(3) الوارث النبوي أحمد بن مصطفى العلوي، أحمد القطعاني، 1994م، مخطوط.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 382.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) ذكر الكثير من المناولات، وسرد اسانيده فيها في عدد من المواضع في الكتاب.

وهذا لا يعني عدم أهمية أقوال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم عند السادة الصوفية، فالكثير من هذه المناولات مقرون بأقواله، كما هو الحال في مناولة العصا المقرون بسماع نص من كلامه صلىٰ الله عليه وآله وسلم[1]، وإلباس الخرقة[2] والقلنسوة[3]، بل حتىٰ المصافحة وتلقين الذكر والعهد، كلها مسندة بسلاسل طويلة تنتهي للنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم أو أحد من الصحابة أو التابعين.

ويدلل شيخنا برواية هذه المناولات علىٰ أن المقصود من سلسلة السند الصوفي انتقال أخلاق النبوة، التي تقتضي الملازمة والصحبة، من الشيخ إلىٰ المريد وهكذا دواليك إلىٰ منتهىٰ السند، لتظهر أحوال بعضهم بالشهرة والفضل والصلاح، ولا يشترط معرفة كل رجال السند الصوفي، فلو كان فيه انقطاعٌ لما سرىٰ في المشهورين منهم الحال النبوي المعبر عنه بالإمداد.

إذاً، شهرة ومعرفة رجال في آخر سلاسل الأسانيد الصوفية هو الفيصل والمعيار في معرفة صحتها، ولذا نجده اعتنىٰ بالترجمة لمشايخه دون من سبقهم، كما أسلفنا القول، كونهم آخر تلك السلاسل للدلالة علىٰ صحة اتصالها وسريان حال الأخلاق النبوية فيها.

الأوبة مصدراً للحركة العلمية والثقافية:

بتقديري بات شيخنا وكتابه الأوبة مصدراً مهماً من مصادر المعرفة والتوثيق للحركة الثقافية والعلمية في ليبيا، فهو يعكس جوانب جديدة من الحياة العلمية والثقافية والأدبية يمكن استجلاء بعضها من ثنايا موضوعاته، ومنها:

(1) نفس المصدر، ج1، ص 316.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 239.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 241.

أ. التأليف والكتب والمكتبات:

تضمن الكتاب رصداً لأهم المكتبات الليبية على مر العصور، لكن هذا الرصد لم يتوقف عند السرد بل تضمن تصنيفاً للمكتبات وهو جانب لا يبدو أن أغلب الدراسات التي اعتنت بتاريخ المكتبات الليبية انتبهت إليه، فالمكتبات في ليبيا ليست عامة فقط، بل عرفت البلاد أيضا المكتبات الخاصة، وفي سياق التطور العام للمكتبات فقد عرفت بشكل مبكر نظام الإعارة، ويكفي أن يتوقف الباحثون ملياً عند ملاحظة وجود نظام إعارة الكتب في بعض المكتبات لتفريع الدراسات والبحوث حول ظاهرة استعارة الكتب، ومتى عرفتها البلاد، ودلالة ذلك على وجود مثقفين وقراء يستعيرون الكتب للقراءة في البيوت أو لاستخدامها مراجع ومصادر في مؤلفاتهم.

وفي شأن المكتبات عامة خصص مسرداً زمنيا لظهورها بالترتيب، بدءاً من مكتبة زاوية الشيخ سهل (ت 673هـ/ 1374م) بمدينة صرمان، ومكتبة سيدي عبد السلام الأسمر (ت 981هـ/ 1574م) التي كانت تضم 500 مجلد «أحرقها مدعي نبوة اسمه يحيى السويدي سنة 995هـ، 1587م»، ومكتبة الشيخ أحمد زروق (ت 899هـ، 1493م) بمصراته التي حوت بعض مؤلفاته[1].

ثم مكتبات زاوية طبقه التي حوت 150 مخطوطة، وزاوية السني بمزده، وزاوية بو ماضي بككله بجبل نفوسه، وزاوية الباقول بجبل نفوسه، وزاوية الفقهاء بجبل نفوسه، وزاوية العميان بجبل نفوسه، وزاوية بن شعيب بالزاوية الغربية، وزاوية قرزه في وادي زمزم وبها 150 مخطوطة غير الكتب المطبوعة، وزاوية الكميشي بغريان، وزاوية البياضة بالجبل الأخضر التي أدركت أحد كتبها وهو شرح

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

الحكم للعارف بالله ابن عجيبة مُلقىً في المخلفات فالتقطته ونظفته وجلدته»[1].

أما مكتبة زاوية الجغبوب «أندر المكتبات في العالم الإسلامي تحوي 14 ألف مخطوط في أربعين ألف مجلد من الكتب القيمة والمراجع النادرة، بل كان لا يوجد كتاب له ذكر وشأن في علوم الإسلام إلا وبها منه نسخة»[2].

أما المكتبات الخاصة، فأبرزها:

- مكتبة الشيخ أحمد أبي طبل الورفلي في طرابلس، وهي «من أغنىٰ المكتبات الخاصة ذلك الوقت»[3]، وذكر من بين ما احتوته هذه المكتبة «تآليف لكل من: محمد بن أبي بكر الرازي، وللحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، ولابن العماد، وللشيخ عبد الوهاب الشعراني، ورسائل للشيخ أحمد زروق، وغيرها»، «كما كان عنده كتاب بخط يد الشيخ عبد الوهاب الشعراني وآخر بخط يد الفجر الرازي»[4].

- ومكتبة الشيخ أحمد النائب الأنصاري «أثرىٰ مكتبة خاصة حتىٰ وقتها في كل دول المغرب العربي وتحوي عدداً ضخماً من المصادر والمراجع الأندلسية والمغربية والشرقية، ولكنها للأسف نهبت بعد وفاته، وبيع كذلك جزء كبير منها، وضمت بقاياها إلىٰ مكتبة الأوقاف بطرابلس سيما وقد انقرضت عائلة النائب الأنصاري في ليبيا»[5].

(1) نفس المصدر، ج1، ص 37.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3)نفس المصدر، ج2، ص 84.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 85.

(5) نفس المصدر، ج1، ص 38.

- مكتبة الشيخ امحمد منيع، وبها «800 مخطوطة في علوم الإسلام، وإن كانت نهبت وضاعت ولم يبق منها الآن سوى أقل من 200 مخطوطة لازالت تتوارثها أسرته»[1].

- مكتبة آل بركة الفيتوري في زليتن، التي تبرع أحدهم بها لتأسيس مكتبة خاصة بزاوية السبعة في زليتن[2].

- مكتبة الشيخ محمد الخروبي (ت 963هـ / 1556م) التي جمع فيها نوادر الكتب «وجعلها أول مكتبة عامة في ليبيا ومقرها طرابلس ليؤمها طلاب العلم»[3].

ويلاحظ ربطه الواضح في سرده لأسماء المكتبات بإضافتها لمؤسسيها المتصوفة، في إطار التنبيه على المكون الصوفي لحركة الثقافة والعلم في البلاد في مختلف عصورها، أو بإضافتها للزوايا التي تكونت فيها، وهي زوايا صوفية أيضا.

ويستفاد من هذا التوثيق التوزيع الجغرافي للمكتبات في البلاد الذي سار بشكل أفقي، بعيدا عن مركز الفعل السياسي الذي يتركز في الغالب في طرابلس، وربما يعكس هذا التوزيع صورة من معارضة النخب المثقفة لحصر حركة الثقافة والعلم في المراكز ذات الثقل السياسي، بقصد تنشيط الفعل الثقافي والعلمي في الهوامش لإنتاج ثقافتها الخاصة في إطار ما يمكن أن نسميه ممارستهم لفعل التنمية المكانية في المناطق النائية، وتحولت جهودهم هذه بمرور الوقت إلى عوامل مساعدة على دعم الهوية الجامعة للبلاد، وكسرت بذلك الصورة النمطية في الأقطار الإسلامية الأخرى التي تكرست فيها أهمية مراكز الثقل السياسي في بناء هويتها.

---

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 36.

كما يستفاد من هذا التوزيع الجغرافي للمكتبات وصول المناطق التي أنشئت فيها إلىٰ نضج ثقافي وحضاري وعلمي، كما أن وجود هذه المكتبات في تلك الزوايا دليل علىٰ أنها لم تكن زوايا لتدريس القرآن ومبادئ العلوم فقط، فبالنظر إلىٰ فهارسها يمكن أن نستشف المستوىٰ العلمي الذي وصلت إليه تلك الزوايا الصوفية حتىٰ دعت الحاجة لتأسيس مكتبات تضم كتباً في تخصصات متعددة، ويجب أيضا أن لا نغفل الأرقام التي احتوتها تلك المكتبات، فهي أرقام بمقياس ظروف عصرها تعد كبيرة جداً.

ب - مؤلفات:

لكن أهمية عمل شيخنا لا تتوقف عند حد رصد المكتبات الليبية، والتنبيه علىٰ توزيعها الجغرافي، ومحتوياتها، بل في توثيق أسماء عدد من المؤلفات الليبية، منها مؤلفات أصبح هو المصدر الوحيد لتوثيقها، ويمكن تصنيفها كالآتي:

الكتب:

- كتاب نبذة عن الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ، للشيخ مختار السباعي.
- كتب الشيخ محمد بيوض: «تحفة الخلان في مضار شرب الدخان»، و«السر الوقاد في مناقب الشيخ محمد عبد الهادي»، و«مذكرات الشيخ بيوض»[1].
- كتاب «وظائف وأوراد وأحزاب الطريقة العروسية» للشيخ عبد السلام حمودة.
- كتاب «إشراق البدر في تاريخ تيجي وبدر» للشيخ امحمد بالسنون[2].

(1) نفس المصدر، ج1، ص 208.

(2) تفس المصدر، ج1، ص 245.

- كتاب «الخطب المكية» للشيخ المكي حسان.

- كتب الشيخ محمد القديري: «بحور الشعر»، و«درنه الحديثة»، و«المناسخة والعول في علم الفرائض».

- كتاب «مسائل الطلاق» للشيخ عبد السلام أبوسنينة.

- كتاب «من تاريخ حياتي في سبيل للذكرىٰ» للشيخ إدريس كريم.

- كتاب «دليل الآثار المطلوبة في مكة المحبوبة» للشيخ عبد الملك بن علي.

- كتب الشيخ عمر الأزرق: «الإصلاح الصوفي»، و«شذىٰ الرياحين في التعريف بجماعة المتقين»، و«ليلة القدر»، و«وذكرهم بأيام الله»، و«الخطب المحمدية»، و«المجالس النورانية»، و«صفة المريد في التعامل مع كتاب الله المجيد»، و«الجفر في تدوين كلام الحبر»، و«التجديد والتصوف المعاصر».

المتون:

كما وثق أسماء عدد من المتون غير المعروفة، ومنها:

- «متن التوحيد» للشيخ محمد بلقاسم المحجوبي.

- «هداية الحيران بأنوار حروف القرآن» للشيخ أبوبكر البوال.

الدواوين والمذكرات والرحلات:

ووثق أيضاً لعدد من المؤلفات الأخرىٰ، كالدواوين والمذكرات والرحلات، ومنها:

- ديوان «الشيخ عبد السلام الأسمر» للشيخ عبد السلام حمودة.

- ديوان «الربيع المتجدد» للأستاذ عبد الرحمن أبونخيلة.

- ديوان «الغصن المياس في مدح خير الناس» للشيخ امحمد بالسنون.
- «مذكرات بيوض» للشيخ محمد بيوض.
- «رحلتي للسودان» للشيخ امحمد بالسنون.

بالإضافة لعدد من المسارد التي رتب فيها مؤلفات عدد من العلماء الليبيين، كمؤلفات الشيخ محمد المسعودي وهي 11 كتاب 5 أعمال شعرية، ومؤلفات الشيخ عزالدين الغرياني، والشيخ محمد الشريف زغوان، والشيخ أحمد شهاب الدين الزوي، وغيرهم، وأغلب هذه المؤلفات لا تزال مخطوطة أيضا.

ج - الأسر والمدن العلمية:

ضم الكتاب ذكراً لعدد من الأسر العلمية، مثل الفيتوريين، والحطابيين، والمكنيين، والمدنيين، والأوجليين، والنعاسيين، والخروبيين، والحُضيريين، والغلبونيين، والمسعوديين، والسنوسيين، والسودانيين، وغيرهم.

وترجم لأبناء هذه الأسر إما في تسلسل متلاحق كالحطابيين، والمدنيين، والسنوسيين، والغلبونيين والمسعوديين، وغيرهم، أو عبر فترات زمنية متباعدة كالفيتوريين، والحضيريين مثلا.

كما بحث الكتاب عدداً من المدن الليبية التي ازدهرت فيها حركة العلم، وإن اعتنىٰ بثلاث منها ازدهر فيها علم الحديث الشريف، وهي طرابلس وبني وليد والجغبوب وغدامس[1]، إلا أنه يذكر مدنا علمية أخرىٰ كأوجلة واجدابيا وسرت وزويلة وتيغان.

---

(1) نفس المصدر، ج1، ص 42.

ورغم الأهمية التي أولتها الدراسات لظاهرة الأسر العلمية وتأثيراتها وأدوارها، بما فيها بعض الدراسات الليبية، وتفريع عشرات الدراسات الخاصة بعلم الاجتماع الثقافي والأنثربولوجيا، إلا أن هذه الظاهرة في ليبيا قد تختلف بالنظر إلىٰ وحدة التكوين الثقافي العلمي في ليبيا، وهو ما يدعم رؤية شيخنا أن الثقافة الليبية تشكلت علىٰ الأصول الثلاث واستمرار حركتها وفعلها علىٰ مر العصور، فالدور العلمي المتشابه لكل هذه الأسر الليبية ومنتجاتها التي تجلت في مضمون كتبهم ومؤلفاتهم يؤكد صحة رؤيته، ويفيدنا هذا الرأي في افتراض سؤال جدير بالبحث للإجابة عنه، يتعلق بإمكانية وجود مستوىٰ من القرابة بين الأسر يتجاوز قرابة النسب الىٰ قرابة انتماء لفضاء صوفي ثقافي، فيبدو أن شيخنا كان متنبها إلىٰ ذلك عندما لفت إلىٰ انتساب عدد من الأعلام إلىٰ مدن كالغدامسيين والبرقيين والتاجوريين، وبالتالي الحديث عن امتداد الأسرة الليبية الثقافية عبر مر المراحل التاريخية منذ تشكل البناء الهوياتي للبلاد في عمق التاريخ وإلىٰ وقت قريب.

شخصية شيخنا العلمية:

وأحب أن اختم ورقتي بالعودة لتوضيح أكثر لشخصية شيخنا العلمية من خلال مساهمته وجهوده وإضافاته، وسأقتصر في ذلك علىٰ جانبين مهمين، وهما استخراجاته واستدراكاته التي انفرد بها ولم يشاركه فيها غيره، وأصبح له الفضل فيهما في الساحة العلمية الليبية.

أولاً: الاستخراجات.

وهي من أهم أعماله الجليلة في كتابه، والاستخراج هو فن حديثي علمي يدل علىٰ رفعة وسمو مكانته في علم الحديث والرواية والإسناد، وهو غير علم

المستخرجات، وإن كان لا ينفصل عنه، انفرد فيه باستخراج عشرات الأسانيد والمتون الليبية في إطار اشتغاله بقضية السند الليبي.

وحتىٰ لا نطيل، نمر سريعا علىٰ أشهر أمثلة الاستخراج، فمنها: «المسلسل بالليبيين»، والسند السماعي الليبي لصحيح البخاري، وسند ليبي لشيخ القراءات ابن نفسي الطرابلسي، وسند ليبي مسلسل بالمالكية، وسند ليبي مسلسل بالأشاعرة، وسماع جزئي لتسعين كتابا حديثيا في ثمانية أحاديث عن شيخه الأكبر مختار السباعي، بل وإلىٰ أغلب كتب الحديث الشريف والفقه والأصول والأثبات والمشيخات وغيرها بوسائط ليبية في أول أسانيدها[1].

كما استخرج سنداً ليبيّاً للأربعين القادرية الذي يعد السند الوحيد لروايتها[2]، وكذلك سنداً ليبيّاً لأربعين حديثا موصولة بشيخ الطريقة العيساوية الشيخ الكامل محمد بن عيسىٰ سماها «الأربعون العيساوية»[3].

وفي مجال الأدب، استخرج سنداً ليبيّاً مسلسلاً لقصيدة بانت سعاد، ومسلسلاً بقراءة همزية البوصيري وقصائده الأخرىٰ كالبردة والمحمدية، وأزجال الشيخ عبد الرحمن المجذوب المغربي، والمنفرجة، والقصائد الوترية للبغدادي، وأشعار صوفية أخرىٰ للإمام أبي مدين الغوث والقطب الرواس والشيخ صالح الجعفري والشيخ أحمد بن مصطفىٰ العلوي، ودواوين ابن الفارض وابن عربي، وغيرهم.

واستخراج أسانيد ليبية تصله بأعلام ليبيا في مختلف العصور والأزمنة بدءاً بالإمامين علي بن زياد الطرابلسي، وعبد الله الشعاب، كأقدم سندين للمذهب

---

(1) نفس المصدر، ج2، ص 287 وما بعدها، وص 232 وما بعدها.

(2) طبعت في كتاب مستقل عنوانه: إجازة الشيخ أحمد القطعاني في الأربعين القادرية، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2016م.

(3) ينظر: الأربعون العيساوية، أحمد القطعاني، دار بشرىٰ وكلثوم، طرابلس، 2018.

المالكي والتصوف، فالأول أقدم سند للمذهب المالكي في تاريخ الإسلام، باعتبار ابن زياد أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلىٰ أفريقيا وباعتباره صاحب أقدم مؤلف في تاريخ الإسلام، والثاني أقدم سند صوفي، باعتبار أقدمية الشعاب عن غيره من متصوفة أفريقيا، مجذرا بذلك التصوف الليبي بخصوصية وسابقية ليبية امتزج فيه الأصلان في الثقافة الليبية، وهما الفقه والتصوف، أما الأصل الثالث وهو الاعتقاد الأشعري فحرص أيضا علىٰ توثيق روايته الليبية العميقة من خلال سند مسلسل بالليبيين الأشاعرة حرص فيه علىٰ أن يكون أطول سند ليبي يرويه في كل ثبته، إذ تضمن المسلسل بالأشاعرة علىٰ 18 واسطة ليبية[1].

كما استخرج عدداً من الأسانيد الأخرىٰ لتصله برموز الثقافة الليبية كابن زكرون وعبد السلام بن غالب المصراتي، وأبي الحسن بن المنمر، ويحيىٰ البرقي، وكثيرين غيرهم، مروراً بأعلام الطبقة الوسطىٰ كالمساهليين والمكنيين وغيرهم، في ترتيب كرونولوجي ينتهي إلىٰ الطبقة القريبة منه التي مثلها الشيخ عبد الرحمن البوصيري، والشيخ مختار الشكشوكي وغيرهم من طريق أبرز تلاميذهم وتلامذة تلاميذهم.

كما حرص علىٰ استخراج أسانيد ليبية تصله بكل المؤلفات والمتون الليبية، بمختلف فنونها وتخصصات أصحابها، كمؤلفات العجلي وابن الأجدابي، وابن المنمر، والحطابيين، وزروق، والأسمر، والخروبي، وعبد الرحمن التاجوري، والبرموني، وابن غلبون، وعبد السلام بن عثمان، وابن عبد الصادق، والسودانيين، والسنوسيين، والمدنيين، والمسعوديين، والأوجليين، والغدامسيين، وكامل بن مصطفىٰ، والبوصيري، وزعوان.

وحتىٰ من لم يشتهر بالتأليف أو لم تشتهر كتبه، حرص علىٰ البحث عن متون علىٰ علاقة بهم لتوضيح أثرهم، كالأبيات التي رواها الإمام الاندلسي التاجوري

(1) ينظر المسلسل بالأشاعرة في أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 385.

فوصل أسانيده بها، أو أبيات سماها بـ«عيون درنة»، ووصل أسانيده بها لروايتها كملسلسل برجال مدينة درنة، مسقط رأسه.

واستخرج عددا من المسلسلات الليبية، كسند النظرة للشيخ محمد عطية بن فاضل الغرابلي، ومسلسلات الإمام عبد السلام الأسمر، ومسلسل منظومة هداية الحيران في علوم القرآن لأبي بكر البوال، ومئات السماعات لقصائد صوفية وأشعار ليبية بطبوعها ومقاماتها.

وغير ذلك، فقد استخرج أسانيد لمتون علمية غير ليبية، ومنها سند سماعي فريد للصلاة المشيشية ولم يسبقه أحد لاستخراج سند إليها،[1] وسند سماعي أيضا لصلاة الفاتح لما أغلق[2]، وسند لمولد البرزنجي[3]، وآخر لمولد ابن الديبع[4]، وأزجال المجذوب، ودلائل الخيرات، حيث يعد سنده فيه فريداً للرواية السهلية[5]، وسند للسادة الجمنيين بتونس، ومنظومة الجكاني في القراءات.

وقبل أن اختم حديثي عن عمل الاستخراج عند شيخنا، أحب أن أنبه على أمر هام يتعلق باعتقاد من اقترب من علم الإسناد والرواية بأن عمل الاستخراج سهل، متوهما أن الاتصال بأي طريق يصل إلى علم من أعلام البلاد أو مؤلف أو متن هو الاستخراج، وهو بالفعل ميسر لمن طلبه، لكن مثل هذه الطريقة في الاتصال لا تعد من أعمال الاستخراج المنضبط بقواعد تؤدي لغرضه.

وأضرب أمثلة لتوضيح ذلك، منها أن شيخنا يروي بعض أسانيده الليبية ليقف عند أحدهم ويخرج بالسند من طرقه إلى أسانيد أخرى غير ليبية، رغم علمه بأن

(1) أوبة المهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 416.

(2) نفس المصدر، ج2، ص 427.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 429.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 427.

(5) نفس المصدر، ج2، 419.

هذا العلم الليبي يروي عن مشايخ ليبيين يمكنه من مواصلة استمرار تلاحق حلقات السند من طريق الليبيين، ومثاله روايته لأكثر من سند يقف فيها عند الشيخ أحمد بن محمد المكني ليروي عنه بقية السند من طريق الشيخ علي الأجهوري غالبا، مع علمه بأن المكني يروي عن والده وعن أحمد بن عيسىٰ الغرياني وهما ليبيان، كما بين ذلك في ترجمته[1].

بل أكثر الطرق الموصلة إلىٰ المكني يرويها شيخنا عن طريق تلميذه الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري، لكنه في المسلسل بالليبيين، يقف عند عبد السلام بن عثمان عن الشيخ برهان الدين إبراهيم الكوراني الشهرزوري، وكان بإمكانه أن يستمر في وصله بالمكني، خصوصا وأنه قصد به استخراج مسلسل بالليبيين، فكان من الممكن أن يضيف إليه سلسلة تبدأ بكريم الدين البرموني عن سيدي عبد السلام الأسمر عن سيدي عبد الواحد الدوكالي، فالأجهوري يروي عن البرموني.

ومثال آخر في روايته لأكثر من سند ينتهي به عند الشيخ إبراهيم العالم اليزليتني يشرّق السند من بعده من طريق الشيخ محمد بن سالم الحفني غالبًا، رغم أنه يثبت في ترجمة إبراهيم العالم أنه يروي عن الشيخ إبراهيم بن ناصر والشيخ أبو محمد عبد النور[2].

وخلاصة القول أن للشيخ القطعاني ضوابط وقواعد خاصة به في استخراجاته تصل لغرضه وأهدافه منها، ولم يكن غرضه تكثير الوسائط الليبية كما قد يتوهم البعض، أو الاتصال بأي طريق، ولو كان هذا غرضه فكان بإمكانه استخراج أكثر من مسلسل ليبي ينتهي لأكثر من صحابي دفنوا في ليبيا، خصوصا وأنه أرخ لثمانية

(1) نفس المصدر، ج2، ص 44.

(2) نفس المصدر، ج2، 76.

منهم دفنوا في ليبيا، وآخرين أقاموا فيها لفترة(1)،والأكثر دلالة علىٰ أن الإكثار من الوسائط الليبية لم يكن هدفه، أنه روىٰ في بعض المواضع في ثبته روىٰ المسلسل بالأشاعرة بـ 18 واسطة ليبية(2)، وروىٰ المسلسل بالمالكية بـ 15 واسطة ليبية(3)، لكن في استخراجه للمسلسل بالليبيين لم يتجاوز ستة وسائط ليبية من طريق أبوطبل الورفلي، وثمانية من طريق عبد السلام التاجوري.

ثانياً: الاستدراكات.

والاستدراك عمل من أعمال المحدثين، يتعقب فيه اللاحق علىٰ السابق، إما ببيان لبس أو تصحيح خطأ أو زيادة فائدة، وهو صورة من صور النقد التي تدل علىٰ ممارسة المحدثين للفعل النقدي في أعمالهم.

وتكشف استدراكاته عن جوانب شخصيته العلمية، فهو لم يكتفِ بالنقل والسرد، ومجرد استخراج الأسانيد للاتصال والرواية، بل كان ناقدا في الكثير من الأحيان، كمتطلب هام مفضي للموضوعية في البحث العلمي، وما ضوابطه في الرواية والدراية التي أعلنها في مقدمة كتابه وذكر شواهد التطبيقات عليها، إلا دليل علىٰ ذلك.

وعمله النقدي، لم يكن لمجرد النقد، فقد جاء تكميلاً لبناء فن الاستدراك واستيفاء مقاصده واستمراره، لكن بشيء من التحديث في إجراءات هذا الفن، فهو من جانب يستند علىٰ أصول الاستدراك، ولا يكتفي برفع وهم هنا أو هناك، بل

---

(1) ينظر الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة، أحمد القطعاني، مكتبة النجاح، طرابلس، 1998م.

(2) أوبة المهاجر وتوبة الهاجر، مصدر سابق، ج2، ص 385.

(3) نفس المصدر، ج2، ص 389، 390.

بعضها استدراك لإضافة فائدة، أو جواب على سؤال أو إزالة للبس، ويصدر كل ذلك بجملة من التحليات لكل من ينقدهم يظهر فيها تبجيله واحترامه لهم، ويبحث عن مبررات لخطئهم، حتى لا يفهم القارئ أن النقد يعني إزاحة رداء الحرمة عن الاقدمين وتبجيلهم، وهو جانب لا تتقيد به مناهج البحث الحديثة الوافدة على جامعاتنا وأكاديمياتنا والتي قامت على فلسفات ونظريات الجامعات الغربية والشرقية وتأسست عليها ذهنيات وسلوكيات الباحثين من طلاب وأساتذة جامعاتنا، ومنها نقده لـ«رواية السيوطي عن ابن حجر، أو رواية محمد بن أركماش الحنفي المصري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، أو طرق ابن حجر العسقلاني عن ابن أميلة، وأنا لي رأي سلبي فيها مع كل حبي وإعظامي لهم»[1]، لكنه يستدرك بقوله: «أنا لا أنكر أصلاً أو فرعاً على سادتي وأئمتي وتاج هامتي شموس العلم الرائعة والمعرفة الساطعة أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر ومولانا الحافظ السيوطي أو غيرهم ممن ذكرنا بل ألتمس لهم كل العذر ساداتنا، فكل ما عندهم هو فقط تساهل لا غير له أسبابه المبررة التي أشاروا إليها، كما أنهم عانوا من صعوبة التنقل وانعدام المواصلات وغياب الأمن وعذابات السفر وتعذر الاتصال»[2].

كما أن من أهم ما يستفاد من عمله في بيان وتحديد ضوابطه في الرواية والدراية، التأكيد على أن العملية النقدية لدى علماء الإسلام قادرة على النمو بتطور المعرفة.

ولا أدعي أني قمت باستقراء كل عمل شيخنا في هذا الكتاب، وإنما هي أمثلة للدلالة على ممارسته للفعل النقدي، فاستدراكاته كثيرة في كتابه، وإن دلت كثرتها فإنما تدل على سعة اطلاعه وموسوعيته ومشاركته في أغلب العلوم، فلم يقتصر على

(1) نفس المصدر، ج1، ص 114.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 115.

نقد آراء المتأخرين، بل سبر وبحث ونقب في كتب الأولين واستدرك عليهم، وفقا لضوابطه التي أعلنها منذ بداية الكتاب، ومن أهم صورها الانتصار للحقيقة العلمية لا الأشخاص، حتىٰ وإن كانوا من أقطاب التصوف الذي يحمل له احتراماً فريداً وحباً عميقاً يظهر في ترجمته وتأريخه له، فالانتصار للحقيقة العلمية لم يمنعه من التنبيه علىٰ خطأ الإمام محمد بن علي السنوسي بقوله: «ولأتكلم مثلا بصوت عال في رواية الشيخ محمد بن علي السنوسي، عن المعمر بابا الشريف عبد العزيز الحسني دفين مدينة غوندر في الحبشة، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني. إذ بالإضافة إلىٰ قرون تتجاوز الخمسة بين ابن السنوسي وابن حجر، كيف ظهر هذا الرجل؟ أقصد عبد العزيز الحبشي فجأة فلم يرو عنه أو يذكره أحد طوال هذه المدة، بل يقول معاصرنا العلامة الحبشي المسند الشيخ محمد بن محمد سعيد السراج: إنه ولد في581هـ وتوفي في 1268هـ أي: إنه عاش 687 عاما»[1]، وكذلك رده إثبات القطب الصوفي ولي الله الدهلوي رواية ابن حجر العسقلاني عن عمر بن الحسن والصلاح بن أبي عمر، قائلا «هو خطأ وقع فيه الدهلوي وغيره»[2]، وكذلك قطب التصوف في الطريقة الرفاعية الشيخ أبو الهدىٰ الصيادي، مؤكدا أنه «وهم» عندما أثبت لشيخه القطب الرواس رواية عن الأمير الكبير[3].

وخطأ أتباع الكثير من الشاذليين ممن صرحوا بأن الصلاة المشيشية الشهيرة يرويها أبو الحسن الشاذلي عن شيخه ابن مشيش، مثبتا بالبحث والدليل أنها اشتهرت علىٰ يد علماء ليبيين جاؤوا بعد الإمام الشاذلي[4]، ونقد في دراسة مطولة كل أسانيد رواية كتاب دلائل الخيرات بنسختيه التباعية والسهلية، خصوصاً

(1) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 116.

(3) نفس المصدر، ج1، ص 331.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 416.

المتداولة في المشرق العربي، واستدرك على أصحابها بإثبات صحة روايتين فقط يتصلهم بهما وتنتهيان عنده للكتاب[1].

كما استدرك على الشيخ عبد الحي الكتاني في روايته لصحيح البخاري عن الشيخ يوسف السويدي عن المرتضى الزبيدي، إذ بين وفاة الأول والثاني 143 عاما فـ« يستحيل معها أن يرى أو يعاصر أو يروي أحدهما عن الآخر والذي حدث هو أن يوسف السويدي يصحح الإجازة للمعدوم ويقبلها وبها يروي عن المرتضى الزبيدي بناء على إجازته لجده وأولاده وأحفاده من بعده وهو منهم»[2].

كما استدرك على الشيخ حسن المشاط، لإزالة لبس وقع فيه وأوهم من بعده كالشيخ ياسين الفاداني، والشيخ محمد بن علوي المالكي فتابعاه، ويتعلق برواية الشيخ محمد بن عبد الله العقوري عن الأمير الصغير، مبينا أنه «وهم لا يصح ولا يقبل إذ توفي الأمير الصغير سنة 1832م وكان الشيخ محمد العقوري وقتها لا يزال في نجع العواقير ببرقة بليبيا لا يتجاوز عمره الثماني سنين. والصواب أنه روى عن حفيد الأمير الصغير أحمد بن عبد الكريم بن محمد الأمير الصغير ابن الأمير الكبير»[3].

كما عقد مبحثاً طويلاً للاستدراك على من طعن في رواية الشيخ صالح الفلاني عن شيخه محمد بن سنة الفلاني[4]، وأظهر مباحث الكتاب في الاستدراكات مبحث «تصويت ألقاب ليبية» أزال فيه أوهام الكثير من المحدثين وتصحيفاتهم لألقاب علماء ليبيين.

---

(1) نفس المصدر، ج2، ص 419.

(2) نفس المصدر، ج1، ص 121.

(3) نفس المصدر، ج2، 240.

(4) نفس المصدر، ج2، ص 220.

وبالجملة في الكتاب سجل توثيق وتاريخي حافل بالحياة العلمية والثقافية، وهو منجم ثري بالأفكار التي يمكن أن تفرع عليه عشرات البحوث والدراسات، بما فيه من معلومات نادرة جعله في مصاف المصادر الأولية المهمة للحركة العلمية في البلاد.

وسأجعل خاتمة ورقتي علىٰ خلاف المعهود في الدراسات والبحوث، بنقل محادثة طويلة بين شيخنا والشيخ محمد بن علي الصابوني المفسر، قادت شيخنا للتفريع عليها لبحث قضية أخري لا تقل أهمية عن مجمل قضايا الكتاب، وتظهر جانبا آخر من جوانب شخصية شيخنا العلمية الفذة، وهدفي من نقل هذه المحادثة تحفيز قارئ ورقتي للعودة لكتاب شيخنا، ومجمل كتبه الأخرىٰ، وإغراؤه بالمزيد من البحث والقراءة فيه.

في ثنايا ترجمة شيخنا لشيخه الصابوني قال:

(ومن حواراتي معه، أنه مرَّ في درسه علىٰ ذكر أبيات الأعرابية الشهيرة:

بقرتَ شويهتي وفجعت قومي — وأنت لشاتنا ابن ربيبُ

غذيت بدرها ونشأت معها — فمن أنباك أن أباك ذيبُ

إذا كان الطباع طباع سوء — فلا أدب يفيد ولا أديبُ

وتروىٰ: (وفجعت قومي)، وتروىٰ أيضاً: (وفجعتَ قلبي)

وقال: هي دلالة علىٰ استحالة تغيير طباع الحيوانات وما جُبلت عليه.

فقلت لحضرته: الأعرابية - سيدي - لا تعني الحيوانات من قريب أو بعيد بل هو مجاز بليغ لتربيتها طفلاً مجهولَ الأصل أحسنت إليه ولما كبر اعتدىٰ لخساسة أصله علىٰ عرض ابنتها.

فقال: وما دليلك علىٰ ذلك؟

فقلت: البدو وأنا منهم لا نُعير بأكل الذئب لشاتنا، ولا نعدها فضيحة بل هو حادث مألوف متكرر عند جميعنا بلا استثناء لا سبيل لتجنبه تعودنا عليه وتوارثناه، والفضيحة لا تكون عندنا إلا في الأعراض، لا في فقد شاة لأي سبب.

فتدبر ما قلت واقتنع به وأثنىٰ عليه، وهذا من تواضعه الجم، واتِّباعه للحق حيثما ظهر له وبعده عن التعنت والاستكبار وهي صفات العلماء الحقيقيين.

ويذكرني هذا بشرح الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو رجل حضري أيضا سكن المدن كشيخنا الصابوني ولم يعش حياة البادية، لقوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الشيخان وغيرهما: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»، فقال ابن حجر في «فتح الباري»: تربت يداك أي لصقتا بالتراب وهي كناية عن الفقر.

وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب كثير من أهل اللغة والقواميس أيضا معللين ذلك بأقوال، منها ما ذكره ابن منظور: تربت يداه وهو علىٰ الدعاء، أي: لا أصاب خيراً، وقال أبو عبيد: يقال للرجل إذا قلَّ ماله قد ترب، أي: افتقر حتىٰ لصق بالتراب، وقال أبو عبيدة: ويرون -والله أعلم- أن النبي ﷺ لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر، ولكنها كلمة جارية علىٰ ألسن العرب يقولونها وهم لا يريدون بها الدعاء علىٰ المخاطب.

وسبب تكلفهم هذا في لي عنق اللفظ سببه أن الجملة في باب الخسارة والذم فكيف سيقت في حق الممدوحين الغانمين، وكلهم - في رأيي - جانبه الصواب بسبب عدم إلمامهم بحياة البدو ومنها هذا اللفظ تحديداً.

فالنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم هو القائل فيما أخرجه أبو داود: «لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ خَدَمِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللهِ ﷻ سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ».

ولـو عـاش هـؤلاء في الباديـة وفهمـوا حياتها الاجتماعيـة لكانـت رؤيـة المعنىٰ إلـيهم أقـرب وأنصـع. فقـد كنـا نلعـب ونحـن أطفـال في الباديـة هـذه اللعبـة بالـذات ونسميها (طق شعيرة) فنضع حبة شعير واحدة في كوم تراب ثم عند الإشـارة يقـبض كلٌ منا قبضة من كوم التراب، والفائز هو من تكون حبـة الشـعير في الـتراب الـذي في قبضته، وهي لعبة بدوية قديمة، أشار لها طرفة بن العبد في معلقته، بقوله:

يشـــقُّ حبـــابَ المـــاءِ حيزومهـــا بهـا كمـا قسَـمَ التُّـربَ المُفايِـلُ باليَـدِ

ويؤيّد ما ذهبنا إليه ما أخرجه مسلم والبخـاري مـن قولـه صـلّىٰ الله عليـه وآلـه وسـلّم لأُمُّ سَـلَمَةَ: «تَرِبَـتْ يَـدَاكِ! فَـبِمَ يُشْـبِهُهَا وَلَـدُهَا؟» وقولـه لعائشـة «تَرِبَـتْ يَدَاكِ أَوْ يَمِينُكِ».

ومـا أخرجـه مسـلم مـن قولـه صـلّىٰ الله عليـه وآلـه وسـلّم لابـن صـياد «تَرِبَـتْ يَدَاكَ! أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» وما أخرجه أبو داود وأحمد من قوله صلّىٰ الله عليـه وآله وسلّم لبِلَالٌ حين آذَنَهُ بِالصَّلَاةِ «مَا لَهُ تَرِبَتْ يَـدَاهُ؟»، والأمثلـة في البـاب كثيـرة) أنتهىٰ كلام الشيخ القطعاني[1].



(1) نفس المصدر، ج1، ص 361.

جداول توضيحية

شيوخ العلامة القطعاني في التعلم والأخذ، بحسب الترتيب الأبجدي، وعددهم 18 شيخا:

ر.م	اسم الشيخ	المدينة
1	أحمد بن إدريس السنوسي	أجدابيا
2	أحمد البهالي	بنغازي
3	إدريس القطعاني	طبرق
4	بشير السباعي	مصراته
5	عبد الحميد الدعداع	درنة
6	عبد السلام أبو طلاق	درنة
7	فرج الأوجلي	بنغازي
8	محمد أبو سنينة	بنغازي
9	محمد القديري	درنة
10	محمد المجبري	بنغازي
11	محمود الديباني	درنة
12	محمود دهيميش	بنغازي

ر.م	اسم الشيخ	المدينة
13	محمود دريزة	بنغازي
14	مختار السباعي	مصراته
15	مفتاح بن إسماعيل	بنغازي
16	المكي حسان	درنة
17	منصور العمامي	بنغازي
18	نصيب الشاعري	الجغبوب

شيوخ العلامة القطعاني في الرواية من الليبيين بحسب الترتيب الأبجدي، وعددهم 35 شيخا:

ر.م	اسم الشيخ	المدينة
1.	إبراهيم بانون	طرابلس
2.	إبراهيم طلحة	طرابلس
3.	أحمد بوسيف	البيضاء
4.	امحمد بالسنون	تيجي
5.	امحمد المبري	طبرق
6.	بشير المدني	درنة
7.	الباقر السنوسي	أجدابيا

ر.م	اسم الشيخ	المدينة
8.	بلقاسم عبد الرحمن	غدامس
9.	الحبيب يدر	غدامس
10.	سالم ضرغام	طرابلس
11.	سالم البوزيدي	طرابلس
12.	راقي كريم راقي	طبرق
13.	رجب البكوش	بنغازي
14.	عبد المجيد الحضيري	سبها
15.	عبد السلام الشعافي	الشعافيين
16.	عبد السلام البزنطي	طرابلس
17.	عبد السلام حمودة	زليتن
18.	عبد الرحمن الغرياني	تاجورا
19.	علي ابوجلدين	درنة
20.	محمد ادريس السنوسي	اجدابيا
21.	محمد بركان	سبها
22.	محمد المحجوب	مصراته
23.	محمد اصباكه	طرابلس
24.	محمد بيوض	طرابلس

ر.م	اسم الشيخ	المدينة
.25	محمد القبي	مصراته
.26	محمد عمر المختار	بنغازي
.27	محمد حرويس	بنغازي
.28	محمد بالرزق	بنغازي
.29	محمد بريون	طرابلس
.30	محمد الورفلي	مصراته
.31	محمود صبحي	طرابلس
.32	مصطفىٰ التركي	سبها
.33	المهدي بلوزة	طرابلس
.34	نعمان السنوسي	بنغازي
.35	يوسف مرسي	بنغازي

شيوخ العلامة القطعاني في الرواية من ليبيين اتصل بهم خارج ليبيا، وعددهم شيخان:

ر.م	اسم الشيخ	المدينة
1	عبد المالك بن علي الدرسي	مكة المكرمة
2	مالك العربي السنوسي	المدينة المنورة

شيوخ العلامة القطعاني في الرواية من غير الليبيين، مرتبة أسماءهم بحسب الابجدية، وعددهم 42 شيخا:

ر.م	اسم الشيخ	بلده	مكان اللقيا
.1	أحمد بن حسن هندركس	جنوب افريقيا	جوهانسبرغ
.2	أحمد بن علي الأجبوري	الهند	لستر – بريطانيا
.3	أحمد جابر جبران	اليمن	دبي
.4	أحمد سردار الحلبي	سوريا	إجازة بالمراسلة
.5	أحمد عبد السلام الخليفي	المغرب	طنجة
.6	أحمد علي حيدرة	المغرب	وزان
.7	ادريس بن الكامل العيساوي	المغرب	مكناس
.8	ادريس بن محمد جعفر الكتاني	المغرب	الرباط
.9	أكرم عبد الوهاب الموصلي	العراق	إجازة بالمراسلة
.10	الحبيب عمر الكاف	الهند	دبي
.11	الحسن بن التاشفيني	المغرب	إجازة بالمراسلة
.12	حسن بن علي السقاف	الأردن	عمان
.13	حمزة بن علي الكتاني	المغرب	الرباط
.14	سراج بن حسن هندركس	جنوب أفريقيا	جوهانسبرغ
.15	سلام محمد الوهابي	المغرب	جبل العلم

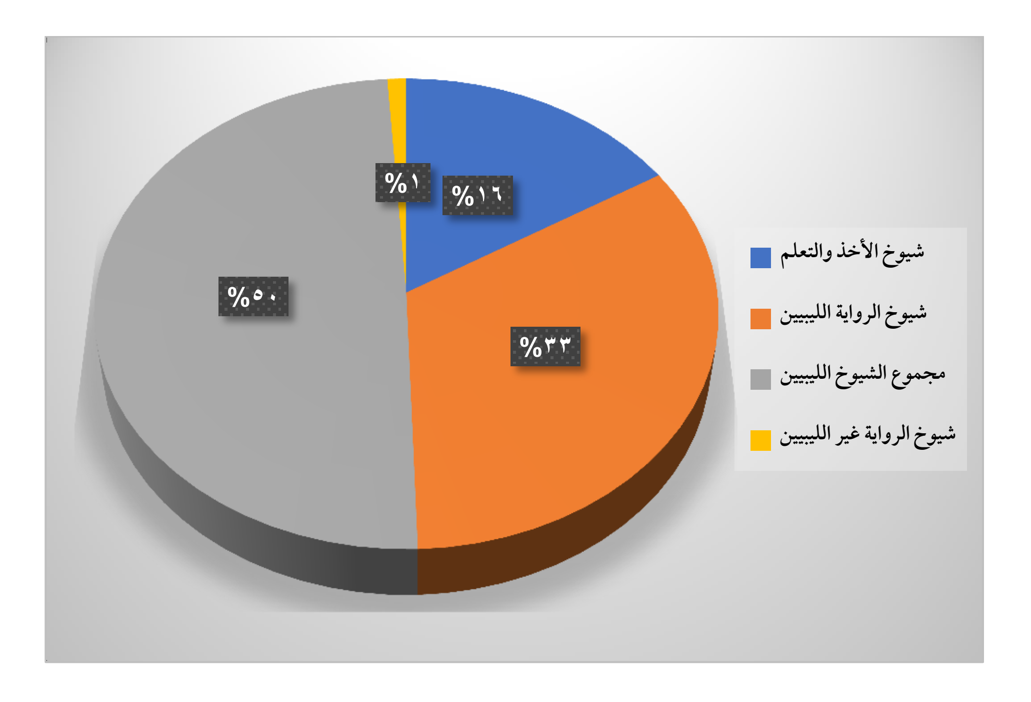
ر.م	اسم الشيخ	بلده	مكان اللقيا
16.	الشريف العلمي بن الحاج حسين	المغرب	جبل العلم
17.	صبحي جاسم السامرائي	العراق	لبنان
18.	صديق بن محمد حسن المكي	مكة المكرمة	مكة المكرمة
19.	عامر بن حسن صبري البغدادي	العراق	إجازة بالمراسلة
20.	عبد اللطيف محمد الشابي	تونس	تونس
21.	عبد الله بن عبد القادر التليدي	المغرب	طنجة
22.	علي حميد قاسم الصفعاني	مكة المكرمة	مكة المكرمة
23.	فريد علي الباجي	تونس	تونس
24.	كنزة بنت محمد المهدي الكتاني	المغرب	الرباط
25.	لطيف ابراهيم الجمني	تونس	قبلي
26.	محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني	مصر	الإسكندرية
27.	محمد الحجوجي الادريسي	المغرب	الجديدة
28.	محمد أمين سراج	تركيا	إستنبول
29.	محمد بن علوي المالكي	مكة المكرمة	مكة المكرمة
30.	محمد بن يحيىٰ النينوي	أمريكا	أتلانتا
31.	محمد توفيق المخزومي	سوريا	إجازة بالمراسلة
32.	محمد عبد الرب النظاري	الإمارات العربية	دبي

ر.م	اسم الشيخ	بلده	مكان اللقيا
.33	محمد علي الصابوني	سوريا	مكة المكرمة
.34	محمد علي كيوة	تونس	تونس
.35	محمد غازي المكناسي	سوريا	إجازة بالمراسلة
.36	محمد كامل سعادة	تونس	تونس
.37	محمد مطيع واصل الحافظ	سوريا	دبي
.38	محمود سعيد ممدوح	مصر	القاهرة
.39	مختار بن مختار الحاج دبية	تونس	قابس
.40	الوسيلة الحاج موسىٰ الفكي	السودان	دبي
.41	يحيىٰ بن عبد الرزاق غوثاني	المنية المنورة	إجازة بالمراسلة
.42	يوسف محمود العتوم	الأردن	سوف

شيوخ العلامة القطعاني في الراوية من غير الليبيين التقاهم في ليبيا، وعددهم شيخان:

ر.م	اسم الشيخ	البلد الأصلي	مكان اللقيا
1	محمد عبد الله بن الشريف القلقمي	شنقيطي مقيم في تركيا	ليبيا
2	الهاشمي بن محمد آل الشيخ الكامل	المغرب	طرابلس





رسم توضيحي لشيوخ العلامة القطعاني الليبيين وغير الليبيين

علماء ليبيون مهاجرون واتجاهات هجرتهم، آب الشيخ القطعاني بأسانيدهم إلى ليبيا:

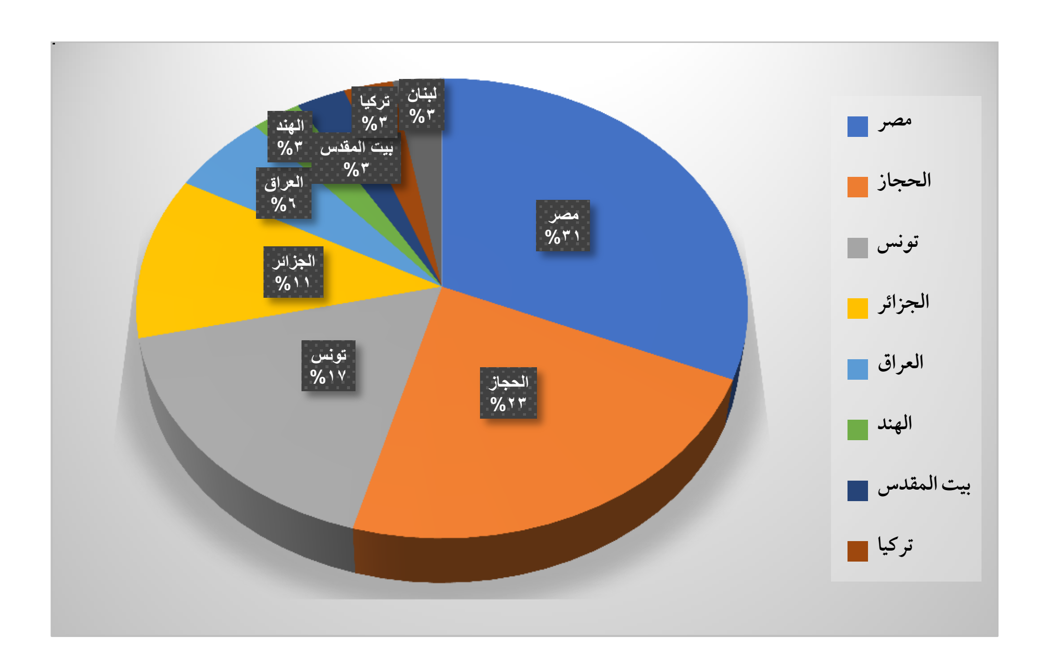
ر.م	بلد الهجرة	عدد العلماء المهاجرين	اسم العلماء المهاجرين
1	مصر	إحدىٰ عشر عالما	الشيخ مكي بن عمر الطرابلسي، الشيخ أحمد بن عمر بن علي بن شيبة الأسدي التغاني، الشيخ ناجي بن يخلف بن عطية الهواري الطرابلسي، الشيخ عبد المعطي بن مسافر القمودي، الشيخ رافع بن تميم بن حيون البرقي، الشيخ مساعد المصراتي، الشيخ معقل بن حباس بن معقل الجعفري الغدامسي، الشيخ محمد الأثرم، الشيخ سالم البلعزي، الشيخ عبد القادر بن عبد السلام الفيتوري، الشيخ محمد بن عبد الله العقوري
2	الحجاز	ثمانية علماء	الشيخ ناجي بن يخلف بن عطية الهواري الطرابلسي، الشيخ علي بن

ر.م	بلد الهجرة	عدد العلماء المهاجرين	اسم العلماء المهاجرين
			حميد الطرابلسي، الشيخ موسى الطرابلسي، الشيخ مساعد المصراتي، الشيخ معقل بن حباس بن معقل الجعفري الغدامسي، الشيخ محمد العطوشي، الشيخ علي فالح الظاهري، الشيخ محمد أمين الأزمرلي
3	تونس	ستة علماء	الشيخ علي بن زياد الطرابلسي، الشيخ عبد الجبار السرتي، الشيخ هشام بن عطاء الطرابلسي، الشيخ عبد السلام بن غالب المصراتي، الشيخ أحمد بن عبد الصادق، الشيخ حسن السيناوني
4	الجزائر	ثلاثة علماء	الشيخ أحمد بن نصر الداودي، الشيخ معقل بن حباس بن معقل الجعفري الغدامسي، الشيخ محمد الخروبي
4	الاندلس	ثلاثة علماء	الشيخ هشام بن عطاء الطرابلسي، الشيخ ناجي بن يخلف الهواري، الشيخ معقل بن حباس بن معقل الجعفري الغدامسي

ر.م	بلد الهجرة	عدد العلماء المهاجرين	اسم العلماء المهاجرين
5	العراق	عالمان	الشـيخ هشـام بـن عطـاء الطرابلسـي، الشيخ عمر بن عبد العزيز الطرابلسي
5	الهند	عالم واحد	الشيخ مساعد المصراني
7	بيت المقدس	عالم واحد	الشيخ سالم مسعود الطرابلسي
8	تركيا	عالم واحد	الشيخ بلقاسم محمد الأزهري
9	لبنان	عالم واحد	الشيخ حسن عويدان الفيتوري

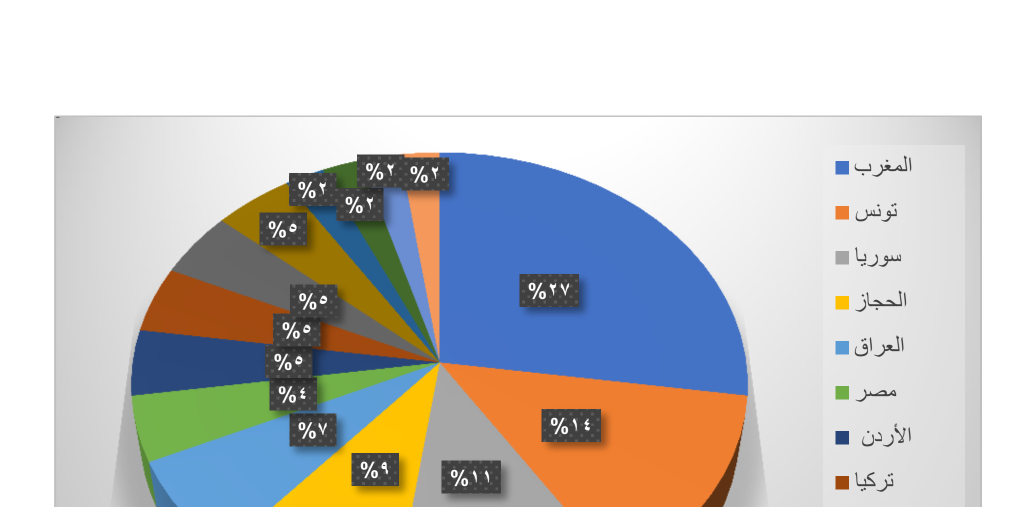






رسم توضيحي للاتجاهات التي هاجرت إليها الرواية الليبية

عبر العلماء الليبيين المهاجرين



رسم توضيحي للاتجاهات التي أرجع منها العلامة القطعاني

الرواية الليبية إلى ليبيا

العلوم التي رواها العلامة القطعاني:

أولاً: في ليبيا.

ر.م	العلوم	الشيوخ
1.	الطريقة العيساوية سلوكا وإرادة	الشيخ مختار السباعي وهو عمدته في التصوف، سلك على يديه الطريقة العيساوية الشاذلية وصحبته لمدة طويلة، وأُجيز منه في مشيختها.
2.	الطريقة العيساوية رواية عن طريق العيساويين	عن الشيخ فرج حمي، والشيخ بشير السباعي، والشيخ محمد بالرزق، والشيخ محمد المجبري، والشيخ محمد بيوض، والشيح سالم ضرغام، والشيخ إبراهيم طلحة، والشيخ محمد سويسي المحجوب، والشيخ إبراهيم بانون، والشيخ سالم البوزيدي
3.	العيساوية رواية من طريق غير العيساويين	عن الشيخ محمد المكي حسان، والشيخ محمد نور الدين بريون
4.	القراءات	الشيخ محمد عبد ربه المجبري، والشيخ بشير السباعي، والشيخ عبد الله بلقاسم المحجوبي،

الشيوخ	العلوم	ر.م
والشيخ محمد القديري، والشيخ محمد المكي حسان، والشيخ محمد صباكه، والشيخ محمد بريون، والشيخ امحمد المبري ميكاييل، والشيخ محمود صبحي، والشيخ عبد السلام البزنطي		
الشيخ محمد المجبري، والشيخ محمد ابوسنينة، والشيخ مختار السباعي، والشيخ بشير السباعي، والشيخ مفتاح بن إسماعيل، والشيخ فرج الأوجلي، والشيخ منصور العمامي، والشيخ محمود الديباني، والشيخ عبد السلام الشعافي، والشيخ محمد القديري، والشيخ محمد المكي حسان، والشيخ محمد بيوض، والشيخ محمد بريون، والشيخ عبد السلام البزنطي، والشيخ محمود صبحي، والشيخ إبراهيم طلحة	الفقه وأصوله	5.
الشيخ مختار السباعي، والشيخ محمد المجبري، والشيخ محمد المكي حسان، والشيخ محمد بيوض، والشيخ عبد السلام البزنطي، والشيخ محمد بريون، والشيخ محمود صبحي	العقيدة	6.

ر.م	العلوم	الشيوخ
7.	الحديث الشريف دراية	الشيخ مختار السباعي، والشيخ بشير السباعي، الشيخ محمد المكي حسان، والشيخ احمد بن ادريس عابد السنوسي، والشيخ محمود صبحي، والشيخ عبد السلام البزنطي، والشيخ محمد بركان، والشيخ بلقاسم عبد الرحمن، والشيخ الحبيب البخاري اليدري
8.	الحديث رواية	الشيخ مختار السباعي، والشيخ محمد صباكة، والشيخ محمد بريون، والشيخ عبد السلام البزنطي، والشيخ محمود صبحي، والشيخ بلقاسم عبد الرحمن، والشيخ محمد بركان، والشيخ محمد المكي حسان، والشيخ الباقر السنوسي، والشيخ محمد ادريس السنوسي، والشيخ مالك العربي السنوسي، والشيخ امحمد بالسنون، والشيخ سالم ضرغام، والشيخ محمد بيوض، والشيخ سالم كريم القطعاني
9.	المصافحات المناولات وإلباس	الشيخ مختار السباعي، الشيخ احمد بن ادريس السنوسي، والشيخ علي أبو جلدين والشيخ سالم

ر.م	العلوم	الشيوخ
	القلنسوة والخرقة والإلقام والنظرة على طريقة أهل الحديث الشريف والتصوف	كريم القطعاني، والشيخ محمد سويسي المحجوب، والشيخ عبد السلام حمودة، والشيخ عبد المالك الدرسي، والشيخ راقي كريم القطعاني، والشيخ مصطفى التركي، والشيخ محمد الحاج عمر المحجوبي، والشيخ محمد المجبري.
.10	السيرة النبوية ودلائل الخيرات	الشيخ مختار السباعي، والشيخ بشير السباعي، والشيخ محمد المجبري، والشيخ محمد الحاج عمر المحجوبي، والشيخ محمد حرويس، والشيخ بلقاسم عبد الرحمن، والشيخ محمد بركان.
.11	الرقائق	الشيخ مختار السباعي، والشيخ بشير السباعي، والشيخ محمود دريزة، والشيخ حمد البهالي
.12	الأدب والشعر	الشيخ محمد القديري، والشيخ محمد المكي حسان، والشيخ محمد المجبري، والشيخ عبد الله المحجوبي، والشيخ محمد بيوض، والشيخ عبد السلام البزنطي
.13	النحو واللغة العربية	الشيخ مختار السباعي، والشيخ محمد القديري، والشيخ محمد المكي حسان، وعبد السلام البزنطي

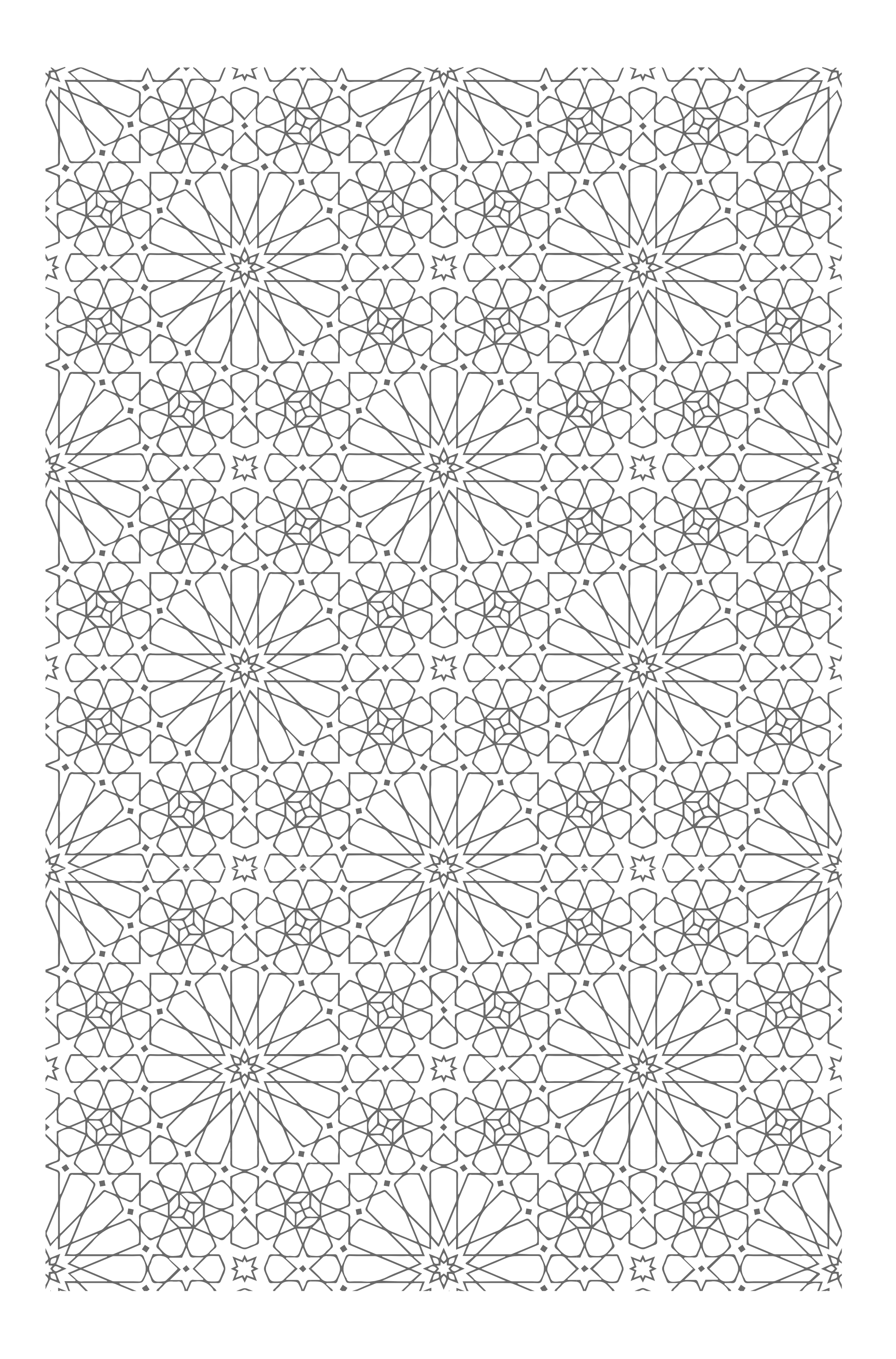
ر.م	العلوم	الشيوخ
14.	التاريخ	الشيخ نصيب رسلان، والشيخ إدريس اكريم القطعاني، والشيخ أحمد أبو سيف، والشيخ عبد المالك الدرسي، والشيخ محمد صباكه.
15.	الفلك والحساب	الشيخ ادريس كريم القطعاني
16.	السماع	الشيخ مختار السباعي، والشيخ بشير السباعي، والشيخ محمد بالرزق، والشيخ عبد الحميد الدعداع، والشيخ محمد القبي، والشيخ رجب البكوش، والشيخ يوسف مرسي، والشيخ عبد المجيد الحضيري، والشيخ المهدي بلوزة، والشيخ محمد الورفلي
17.	أذكار وأحزاب صوفية وفوائد	الشيخ محمد القديري، الشيخ بشير ظافر المدني، الشيخ محمد نجل شيخ الشهداء عمر المختار، والشيخ النعمان العربي السنوسي، والشيخ محمد بريون، الشيخ إبراهيم طلحة، الشيخ إبراهيم بانون، الشيخ عبد الرحمن الغرياني، الشيخ

ثانياً: خارج ليبيا.

ر.م	العلوم	الشيوخ	طريقة التلقي
1.	الطريقة العيساوية رواية	الشيخ محمد الهاشمي – المغرب، الشيخ إدريس بن الكامل – المغرب، الشيخ محمد توفيق المخزومي – سوريا، الشيخ محمد غازي المكناسي – سوريا	إجازة
2.	الحديث الشريف	الشيخ محمد بن علوي المالكي – مكة المكرمة، الشيخ صديق حسن المكي – مكة المكرمة، الشيخ محمد النظاري – الامارات العربية، الشيخ صبحي السامرائي – العراق، الشيخ محمد عبد الله القلقمي – تركيا، الشيخ محمد عبد الباعث الكتاني – مصر، الشيخ محمود سعيد ممدوح – مصر، الشيخ الوسيلة الفكي – السودان، الشيخ فريد الباجي – تونس، الشيخ عبد اللطيف الشابي – تونس، الشيخ محمد كيوة – تونس، الشيخ كامل سعادة –	مدارسة واجازة

ر.م	العلوم	الشيوخ	طريقة التلقي
		تونس، الشيخ محمد علي الصابوني – سوريا، الشيخ محمد مطيع الحافظ – سوريا، الشيخ أحمد بن علي الأجبوري السورتي – الهند	
3.	المسلسلات الحديثية	الشيخ محمود سعيد ممدوح – مصر، الشيخ محمد النظاري – الامارات العربية، الشيخ أحمد الخليفي – المغرب، الشيخ حمزة الكتاني – المغرب، الشيخة كنزة الكتانية – المغرب. الشيخ ادريس بن محمد جعفر الكتاني – المغرب، الشيخ محمد الحجوجي – المغرب، الشيخ عبد الله التليدي – المغرب، الشيخ فريد الباجي – تونس، الشيخ محمد كيوة – تونس، الشيخ عبد اللطيف الشابي – تونس، الشيخ محمد كامل سعادة – تونس، الشيخ محمد أمين سراج – تركيا، الشيخ حسن السقاف	بشروطها الفعلية واللفظية

ر.م	العلوم	الشيوخ	طريقة التلقي
		- الأردن، الشيخ يوسف العتوم - الأردن، الشيخ صبحي السامرائي - العراق، الشيخ سراج هندركس - جنوب افريقيا، الشيخ أحمد هندركس - جنوب افريقيا	
4.	أذكار وفوائد صوفية	الشيخ أحمد الخليفي - المغرب، الحبيب عمر الكاف - الهند.	سماع
5.	صلوات نبوية ودلائل الخيرات	أحمد حيدة الوزاني - المغرب، الشيخ محمد سلام الوهابي - المغرب، الشيخ الشريف العلمي - المغرب، الشيخ محمد بنسالم التجاني - المغرب، الشيخ الزبير بنسالم التجاني - المغرب، الشيخ محمد الحجوجي - المغرب	سماع



يتضمن هذا الكتاب عددا من البحوث العلمية التي قدمت إلىٰ المؤتمر الدولي عن العلامة الليبي د. أحمد القطعاني، في دورتيه، الثانية التي نظمت عام ٢٠٢٠م تحت شعار (**جهود العلامة القطعاني في خدمة السنة الشريفة**)، والثالثة التي نظمت عام ٢٠٢١م تحت شعار (**علم الأثبات والمشيخات والفهارس ودور ثبت «أوبة المهاجر وتوبة الهاجر» في استمرار**).

ناقشت البحوث في الدورتين عناية العلامة القطعاني بالسنة الشريفة، ومجالات مشاركته فيها كأحد كبار علماء الحديث والإسناد في عصره، حيث توجهت جهوده في اتجاهين بشكل متواز؛ إحياءً وتوثيقـًا لأسانيد علوم الحديث في البلاد الليبية، في العديد من أثباته، خصوصـًا ثبته الكبير الموسوم بـ «**أوبة المهاجر وتوبة المهاجر**».

ودفاعـًا، بالذود عن السنة الشريفة وتنقيتها ومراجعتها، سواء في مجالسه الحديثية التي أحيا بها سنة إقراء كتب الحديث الشريف، أو كتبه التي عمل فيها علىٰ التأسيس لمنهج وقواعد توضح التناول الصوفي للحديث الشريف من جانب، ومن جانب توطين قراءة ومدارسة كتب الحديث الشريف، بالإضافة لمشاركته في التصنيف في السيرة النبوية، وفق رؤية جديدة لسيرة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم تنبه علىٰ ضرورة رفع واقع الأمة المعاش للمستوىٰ الحضاري الراقي الذي أسسه النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة.

منشورات مركز العلامة الليبي أحمد القطعاني
للثقافة والدراسات الصوفية
ليبيا - طرابلس

الإخراج الفني والطباعة



8 ش ابي البركات الدردير - خلف الأزهر الشريف - القاهرة
هاتف 00201068307973 - 00201120747478
e-mail darassaleh88@yahoo com